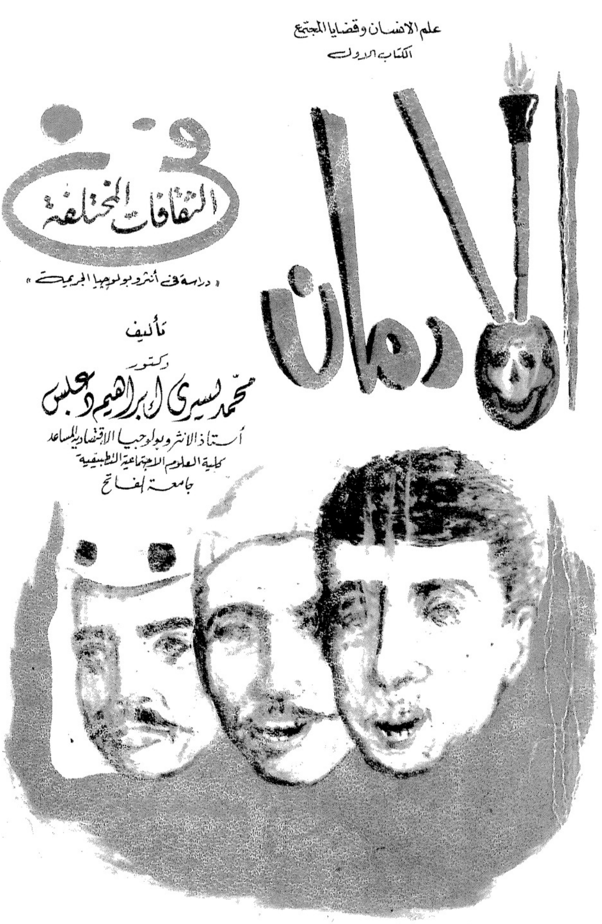
علم الانسان وقضايا المجتمع
الكتاب الاول

الادمان

في الثقافات المختلفة

« دراسة في أنثروبولوجيا الجريمة »



تأليف

دكتور
محمد يسري ابراهيم دعبس
أستاذ الانثروبولوجيا الاقتصادية المساعد
كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية
جامعة الفاتح

علم الإنسان وقضايا المجتمع
الكتاب الأول

الإدمان فى الثقافات المختلفة

"دراسة فى أنثروبولوجيا الجريمة"

تأليف

الدكتور/ محمد يسرى ابراهيم دعبس

استاذ الأنثروبولوجيا الاقتصادية المساعد
كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية
جامعة الفاتح

١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

" إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ى ذى
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى
يعظكم لعلكم تذكرون "

(سورة النحل الآية ٩٠)

شكــر وتقديــر

أتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجميل الى أستاذى الاستاذ الدكتور محمد عبده محجوب الذى كان له الفضل فى توجيه إهتمامى نظرياً وميدانياً نحو بحوث الإدمان والإتجار فى المواد المخدرة لما لها من أهمية مصيرية فى تبصير أبناء الأمة العربية جميعاً بأخطار الإدمان وإهداره للموارد البشرية والمادية للأمة العربية وكثيراً ما كانت دموعى تتساقط على أوراقى أثناء كتابة إصداراتى المتكررة مؤكداً ومجسداً لأستاذى أن أى محاولة لخلق التباعد بين التواصل والتفاعل العلمى والروحى بين فكر ووجدان الأستاذ مع التلميذ لن تؤثر إلا فى تحقيق مزيد من الدفع والإصرار والإستمرار لمزيد من التواصل والتفاعل والتلاحم بين فكر التلميذ وأستاذه كإمتداد طبيعى لتحقيق مزيد من البحوث المتطورة والمتميزة المسايرة لأحدث التطورات والإتجاهات العالمية .

كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى لأستاتذتى وزملائى أعضاء قسم الأنثروبولوچيا جامعة الاسكندرية ، والأخ والصديق العميد صفوت درويش رئيس قسم مكافحة المخدرات بالإسكندرية والعقيد محمد طنطاوى وكيل القسم وجميع السادة الضباط المكافحة لأهمية المناقشات التى كانت تدور بيننا حول ظاهرة الادمان والإتجار بالمواد المخدرة .

كما أتقدم بوافر عظيم شكرى للأستاذ إسماعيل السبيعى لتفضله بمراجعة فصول الكتاب لغوياً ومجموعة كوبى وكورين سنتر للجمع التصويرى للكتاب والدكتور أحمد عبد العال وفريق مطبعة أم القرى لطباعة وإخراج الكتاب .

كما أتقدم بخالص شكرى وإمتنانى الى جميع أهالى منطقة الدخيلة والعامرية وقرية كفر بهيدة ومساهمتهم الفعالة لإنجاح هذا البحث .

والله ولى التوفيق

د . يسرى دعبس

الإهـــــــداء

الى أستاذي الدكتور / فاروق مصطفى إسماعيل

تعلمت منك كيفية توصيل المضمون فى سهولة ويسر دون الإخلال بالقيمة العلمية للفكرة فيه ، فإياه نهنئ أنفسنا بعمادته لكلية الآداب – دمنهور ، وله نتمنى دوام الإبداع والرقى .


المقدمة

موضوع البحث واهميته

ظاهرة ادمان المخدرات فى الثقافات المختلفة

دراسة ميدانية للأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والنفسية للظاهرة في ثلاثة انماط مجتمعية بدوية وقروية وحضرية".

مما لاشك فيه أن ظاهرة ادمان المخدرات بدأت تحتل مكاناً بارزاً في إهتمامات الرأى العام المحلى والعالمى على حد سواء . وتكمن خطورة إدمان المخدرات فى كونها تصيب الطاقة البشرية الموجودة في أى مجتمع سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبصفة خاصة فى جزء هام من تلك الموارد البشرية ألا وهو الشباب من الجنسين ، وهى بهذا تصيب جزءاً غالياً من تلك الطاقة البشرية الموجودة فى أى مجتمع مهما إختلفت درجة تحضره وهى بهذا تصيب حاضر هذه المجتمعات وتخيم الظلام على مستقبلها وتؤثر على إهدار موارد الثروة الطبيعية والبشرية مما يعرقل أى جهود خاصة بالتقدم الإجتماعى والتنمية الشاملة فى المجتمع عامة .

ولقد أردت إلقاء الضوء على الأبعاد المختلفة لظاهرة إدمان المخدرات وتقديم رؤية شاملة ميدانية للأبعاد الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والسياسية والقانونية والنفسية وذلك حتى يتسنى لنا معرفة كل العوامل المختلفة التى تؤثر فى تلك الظاهرة فى الأنماط المجتمعية المختلفة ذات الثقافات الفرعية المتباينة التى لها خصوصياتها ولكنها تلتقى فى العموميات الثقافية للمجتمع المصرى عامة ، والهدف من هذه الرؤية الشاملة لتلك الظاهرة وفى تلك الأنماط المجتمعية المختلفة هو التعرف كذلك على الظروف البيئية والمجتمعية وكافة الملابسات والأحوال العامة والخاصة فى تلك

النماذج المجتمعية التى ينقسم إليها المجتمع المصرى عامة أو تلك النماذج المجتمعية المحلية التى يتضمنها بناء المجتمع المصرى عامة ، وذلك بقصد تقديم صورة واضحة وواقعية علمياً وميدانياً لمدى خطورة أونسبية خطورة هذه الظاهرة وما هى العوامل المختلفة سواء أكانت عامة فى المجتمع المصرى أم خاصة فى تلك الأنماط المجتمعية المختلفة والتى من شأنها أن تجعل الظاهرة تختلف فى مدى عمقها أو خطورتها أو الإحساس بذلك فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، ونقصد بذلك تقديم مادة ميدانية ذات صبغة علمية وتحليلية نتقدم من خلالها بعض الآراء التى تفيد المخططين والمهتمين والقائمين على وضع السياسات الإجتماعية والتشريعية لمكافحة هذه الظاهرة على مستوى مؤسسات الدولة وعلى المستوى الأهلى فى المجتمع المصرى عامة ، وذلك من خلال توضيح الأدوار المتمايزة لكل من هذه المؤسسات فى ضوء سياسة عامة لمواجهة هذه الظاهرة من مختلف جوانبها المتعددة .

ولقد كانت هناك عدة أسباب وراء إختيار هذا الموضوع ، أسباب أساسية وأسباب خاصة .

ويمكننا إجمال أهم الأسباب الأساسية وراء إختيارى لهذا الموضوع فى النقاط الآتية :

١ - هل المجرم مدمن أم مريض ؟

٢ - إختلاف النظرة للمدمن فى ضوء ذلك فى الأنماط المجتمعية المختلفة .

٣ - توصيف وتصنيف المدمنين على كل أنواع المواد المخدرة فى

الثقافات المختلفة والعوامل التى تؤثر فى ذلك (الإعتماد الفسيولوجى والإعتماد النفسى) .

٤ – التعرف على التكوين الإجتماعى للمدمن فى الثقافات المختلفة .

٥ – التعرف على الأسباب والدوافع المختلفة التى تؤدى للوصول الى مرحلة الإدمان .

٦ – التعرف على المواد المخدرة المنتشرة فى كل نمط مجتمعى على حدة .

٧ – التعرف على التأثيرات المختلفة للمواد المخدرة من جميع النواحى وأثر ذلك على الإنسان ومن ثم على المجتمع .

٨ – ما هى العوامل المختلفة وراء إنتشار أنواع معينة من المواد المخدرة دون أخرى فى الأنماط المجتمعية المختلفة .

٩ – التعرف على طبيعة العلاقة بين الإدمان على مواد مخدرة معينة والمرحلة العمرية فى الثقافات المختلفة .

١٠ – ما هى العلاقة بين الإدمان والطبقة المهنية فى الثقافات المختلفة .

١١ – التعرف على العلاقة بين الإدمان والطبقة الإجتماعية فى الأنماط المجتمعية المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

١٢ – ما هى أسباب ودوافع إنتشار أنواع معينة من المخدرات بين الجنسين فى المراحل العمرية المختلفة فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً.

١٣ – ما هى الأساليب المختلفة لتناول المواد المخدرة ومدى إختلافها فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وأسباب ذلك الإختلاف .

١٤ – ما هى الأماكن التى يتردد عليها المدمن من الجنسين لأخذ إحتياجاته فى الثقافات المختلفة وهل تختلف بإختلاف أنواع المواد المخدرة .

١٥ – ما هى العوامل المختلفة (الاجتماعية والثقافية والمهنية والعمرية الخ) التى قد تؤثر فى فرص الشفاء للمدمن من الجنسين فى الثقافات المختلفة .

١٦ – من هم رفاق المدمن فى كل مادة مخدرة وطبيعة العلاقات بين بعضهم البعض فى الثقافات المختلفة .

١٧ – التعرف على طبيعة وحدود العلاقات الإجتماعية بين المدمنين من الجنسين داخل الأسرة وخارجها بل على صعيد المجتمع المحلى ككل .

١٨ – ماهى العوامل المختلفة المؤثرة فى إختلاف طبيعة وحدود الأدوار التى يقوم بها المدمنون داخل الاسرة وخارجها (الادوار الاجتماعية والادوار المهنية) واثر ذلك على العلاقات الاجتماعية بين المدمن وافراد المجتمع عامة .

١٩ – التعرف على إختلاف مركز ووضع المدمن من الجنسين قبل وبعد الإدمان داخل الأسرة فى المجتمع المحلى فى الثقافات المختلفة .

٢٠ – التعرف على إختلاف طبيعة الحقوق والواجبات والإلتزامات الإجتماعية للمدمن قبل وبعد الإدمان فى الانماط المجتمعية المختلفة .

٢١ – التعرف على عمليات الإندماج والإنعزال والإرتباط والتوافق داخل

الاسرة قبل وبعد الإدمان فى الثقافات المختلفة .

٢٢ - التعرف على تقسيم المدمنين لأنفسهم والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك ، وإختلاف نظرتهم لبعضهم البعض بإختلاف المواد المخدرة .

٢٣ - التعرف على إختلاف نظرة المجتمع للمدمن فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٢٤ - ما هى نظرة المدمن لمجتمعه فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٢٥ - ما هى طبيعة الأضرار التى تلحق بالفرد المدمن من الجنسين فى الأعمار المختلفة .

٢٦ - ما هى طبيعة الأضرار التى تلحق بالمجتمع فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٢٧ - التعرف على عمليات الضبط الإجتماعى (الرسمى وغير الرسمى) فى الثقافات المختلفة وإختلاف طبيعة الادوار التى يقوم بها كل منهما فى مواجهة تلك الظاهرة ، وإختلاف أساليب الضبط الإجتماعى بنوعيه والقائمين عليه وما هى العوامل المختلفة التى تؤثر فى ذلك ؟

٢٨ - التعرف على الحياة الدينية للمدمن قبل وبعد الإدمان وأثر العوامل الدينية فى إنتشار مواد مخدرة دون أخرى فى الأنماط المجتمعية المختلفة ، وإلى أى حد يكون الدين عاملاً مساعداً فى الضبط الإجتماعي والحد من ظاهرة الإدمان وعلاجها أم أن التمرد على التعاليم الدينية والهروب من الإلتزام بها كان عاملاً للوصول الى مرحلة الإدمان (الفراغ الدينى والإدمان) .

٢٩ - التعرف على نظرة المحيط الثقافى (العادات والتقاليد والعرف والقيم) للمدمن من الجنسين فى الأعمار المختلفة فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٣٠ - رؤية المدمن من الجنسين لثقافة مجتمعه ومدى الرضا عنها أو التمسك بها من عدمه ، وأثر ذلك فى الوصول الى مرحلة الإدمان .

٣١ - التعرف على أثر العوامل الثقافية فى الحد من إنتشار الإدمان أو التصدى لتلك المشكلة وحلها فى الثقافات المختلفة .

٣٢ - التعرف على خصائص الحياة الإقتصادية للمدمن من الجنسين فى الثقافات المختلفة والعوامل المختلفة المؤثرة في ذلك .

٣٣ - ما هى العلاقة بين العوامل المهنية والوصول الى مرحلة الإدمان .

٣٤ - ما هى أنواع المواد المخدرة التى تنتشر فى كل مهنة وأسباب ذلك .

٣٥ - الاستقرار المهنى والتنقل المهني وأثره فى الوصول الى مرحلة الإدمان .

٣٦ - التعرف على أنماط العمل والإنتاج للمدمنين فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة في ذلك .

٣٧ - التعرف على الإستفادة من ناتج العمل للمدمن وتوزيعه بينه وبين أسرته في الأنماط المجتمعية المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٣٨ - التعرف على نظرة المد من للعمل فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٣٩ - التعرف علي نظرة المدمن للوقت وأهميته فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٤٠ - التعرف على العوامل المختلفة التى تحول دون عمل المدمنين فى الثقافات المختلفة .

٤١ - مدى إمكانية التغلب على هذه العقبات فى الأنماط المجتمعية المختلفة .

٤٢ - ما هى إمكانية عمل المدمن بعد الشفاء وتقبل المجتمع له مرة أخرى فى محيط العمل ومحيط العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى فى المجتمع فى الثقافات المختلفة .

٤٣ - التعرف علي أنماط التبادل للمدمنين فى الثقافات المختلفة ، وما هى السلع التى تكون محل التبادل بين بعضهم البعض وبينهم وبين أفراد المجتمع ، وما هى القواعد والعوامل المختلفة التى تحكم عمليات التبادل وتؤثر فيها .

٤٤ - الى أى حد تكون المساومة فعلا من أفعال التبادل بين المدمنين وأفراد المجتمع ، وما هى الاساليب التى يتم بها والسلع محل المساومة والقواعد المختلفة التى تحكم ذلك والعوامل المؤثرة في ذلك فى الانماط المجتمعية المختلفة .

٤٥ - الى أى حد تكون المقايضة فعلا من أفعال التبادل بين المدمنين وأفراد المجتمع فى الثقافات المختلفة وما هى السلع محل المقايضة والقواعد والاساليب التى تتم بها والعوامل المؤثرة فيها بين المدمنين وأفراد المجتمع .

٤٦ - ما هي عمليات الإقراض والإقتراض بين المدمنين بعضهم البعض وبين المدمنين وأفراد المجتمع وحدود هذه العمليات والقواعد التي تحكم ذلك والمواقف التي تقدم فيها والاساليب التى تتم بها والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك .

٤٧ - ما هى أسباب الدخول فى عمليات التبادل بين المدمنين بعضهم البعض وبين المدمنين وأفراد المجتمع ودوافع ذلك والعوامل المؤثرة في ذلك فى الانماط المجتمعية المختلفة .

٤٨ - ما هي مناسبات التبادل بين المدمنين بعضهم البعض وبين المدمنين وأفراد المجتمع فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

٤٩ - التعرف على الانماط الاستهلاكية والإدخارية للمدمنين فى الثقافات المختلفة من خلال عمليات إستهلاك الطعام وإختلاف النظرة اليه والعوامل المؤثرة فى ذلك ، والنظرة للملبس والعوامل المؤثرة فيه والعادات المرتبطة بالطعام والملبس وعادات النظافة والاهتمام بالمظهر والعوامل المؤثرة فيه وإختلاف عمليات الإدخار وأنواعها والعوامل المؤثرة فيها فى الثقافات المختلفة .

٥٠ - التعرف على الإهدار والتراكم للموارد والطاقة بين المدمنين فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة في ذلك .

٥١ - ما هي نظرة المدمنين للملكية علي إختلاف أنواعها والقيود الاجتماعية والقانونية للملكية بين المدمنين فى الثقافات المختلفة والعوامل المختلفة المؤثرة في تلك النواحى .

٥٢ - ماهية التكوين النفسى وشخصية المدمنين ومدى إحساسهم بالرضا عن أنفسهم وعن الناس ونظرتهم للمستقبل ، والى أى حد يشعرون بالامن والاطمئنان والهدوء والقناعة ، والى أى حد يحسون بالانجاز أم بالفشل ، والى أى حد يحسون بأهمية دورهم من عدمه ، وإحساسهم بالندم والكدر علي حظه ، والى أى حد يتمتع بقدرات وإمكانيات عقلية قوية أم ضعيفة ، والى أى حد تتناسب مستوى قدراته وإمكانياته من جميع النواحى مع مستوى طموحه ، وما هى العوامل المختلفة التى تؤثر فى كل هذه النواحي فى الانماط المجتمعية المختلفة .

٥٣ - ما هى العلاقة بين الادمان والحياة الجنسية للفرد المدمن وما تأثيركل مادة على الحياة الجنسية للمدمن من وجهة نظره ، وكذلك من الناحية الطبية ، وما هى العلاقة بين ضعف الشخصية والضعف الجنسى والوصول الى مرحلة الادمان فى الانماط المجتمعية المختلفة .

٥٤ - ما هو الدور الذى يجب أن تقوم به كافة المؤسسات فى الدولة من الناحية القانونية ، الناحية الامنية ، ودور المؤسسات التربوية ، المؤسسات الاجتماعية ، الاحزاب السياسية ، الاعلام الرشيد ، المؤسسات التشريعية ، المؤسسات العلمية ، المؤسسات الطبية فى الحد من هذه الظاهرة بما يتناسب مع ظروف المجتمع المصرى بأنماطه المجتمعية المختلفة ذات الثقافات المتباينة .

٥٥ - ما هو الدور الذى يجب أن تؤديه المؤسسات والهيئات الاهلية والتطوعية ، وما هو الدور الذى من الممكن أن يقوم به المدمنون القدامى والمدمنون الحاليون انفسهم .

٦ع – ما هى العقبات والتحديات التى تواجه الحد من إنتشار أو علاج الإدمان على كل أنواع المواد المخدرة .

أما عن الاسباب الخاصة وراء إختيار هذا الموضوع فتتمثل فيما يلى :

١ – هو أن الباحث من أبناء إحدى المجتمعات المحلية بمدينة الاسكندرية والتى ينتشر فيها إدمان جميع أنواع المخدرات ويتمركز بعض كبار التجار بها وعايش عن كثب كباحث وليس فقط كمواطن أبعاد وكافة المظاهر وطبيعة قضية الادمان والعوامل المختلفة المؤثرة في هذه الظاهرة ، لذا فقد كان لديه قدر من المعلومات تساعده كثيراً فى إختيار نموذج لمجتمع محلى حضري غير مجتمعه ونموذج قروى وآخر بدوى للتعرف على أبعاد الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة .

٢ – إحساسى كباحث أنثروبولوچى بخطورة هذه الظاهرة وبدايه تفشيها خاصة على الانواع المدمرة وتأصلها وتعمقها فى المجتمع المصرى عامة ، فأثرت كباحث يهتم بالابحاث الميدانية العلمية ويسعى وراء الحقيقة الامبيريقية فى أى مكان فى تعقب أثر هذه الظاهرة وإختلاف طبيعتها فى تلك الثقافات المختلفة بقصد إعطاء رؤية شاملة للمتخصصين والمهتمين بهذه القضية من الجهات الرسمية وغير الرسمية ، والجمع بين أصالة الفكر العلمى والنظرى مع التطبيق الفعلى للسياسات والافكار .

٢ - مجتمعات البحث

أ – لماذا المجتمع المحلى البدوى بمنطقة العامرية بالاسكندرية ؟

ب – لماذا المجتمع المحلى القروى بقرية كفر بهيدة مركز ميت غمر ؟

جـ – لماذا المجتمع المحلى الحضري بمنطقة الدخيلة بالاسكندرية ؟

أ - اسباب اختيار المجتمع المحلى البدوى

تم إختيار هذا المجتمع للأسباب الآتية

١ - قرب هذا المجتمع من مدينة العامرية برغم مما يصفه من معظم خصائص الحياة فى المجتمع البدوى .

فأردت أن أتعرف على أثر المدينة على إنتشار ظاهرة الإدمان فى هذا المجتمع المحلى البدوى ، ومدى إنتشار أنواع معينة دون أخرى من المخدرات لا يقبل عليها البدو أساساً .

٢ - محاولة التعرف على الدور الذى تلعبه العادات والتقاليد والأعراف البدوية التى لايزال غالبية أبناء هذا المجتمع متمسكين بها فى الحد من إنتشار أنواع معينة من المخدرات أكثر خطورة عن الانواع الاخرى ، والتعرف على مختلف الدوافع والاسباب وراء ذلك .

٣ - التعرف على كل العوامل المختلفة (البيئية والاقتصادية والسياسية والنفسية والاجتماعية) التى تؤدى الى انتشار انواع معينة من المخدرات والاقبال على تعاطيها دون الاخرى فى هذا المجتمع .

٤ - مظاهر الثراء الفاحش للغالبية العظمى من أبناء هذا المجتمع دون معظم المجتمعات البدوية الاخرى ، فاردت أن أوضح طبيعة العلاقة بين الثراء والحياة الحياتية والنفسية والدينية والسياسية والثقافية ، والى أى حد هناك علاقة بين كل هذه النواحى والتعاطى ومن ثم الادمان .

٥ - التعرف على العوامل المختلفة وراء ظهور بعض حالات إدمان الهيروين بالرغم من عدم إقبال البدو على تعاطيه أساساً .

٦ - التعرف على مختلف اساليب وأماكن التعاطى فى المجتمع البدوى والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك .

٧ - التعرف على أثر القواعد العرفية فى مواجهة هذه الظاهرة وعلاقتها بالقانون الوضعى فى هذا الصدد .

٨ - إلقاء الضوء من خلال المقارنة بين هذا المجتمع البدوى والانماط المجتمعية الاخرى محل الدراسة على مدى خطورة هذه المشكلة والاحساس بها ، واختلاف نظرة هذه المجتمعات عن بعضها البعض لهذه الظاهرة من كل جوانبها المتعددة .

ب - أسباب إختيار المجتمع القروى

كانت هناك عدة اسباب وراء اختيار هذا المجتمع نجمل اهمها فيما يلي:

١ - قرب هذا المجتمع المحلي القروى من مدينة تجارية كبيرة هي ميت غمر وسهولة الطرق والمواصلات اليه ، فاردت أن اتعرف على اثر قرب القرية من المدينة فى انتشار وسهولة تداول المخدرات من الانواع المختلفة .

٢ - التعرف على اسباب وعوامل اقبال المجتمع القروى على انواع معينة من المواد المخدرة دون اخرى .

٣ - التعرف على اختلاف اساليب التعاطى واماكنها فى المجتمع القروى عن الانماط المجتمعية الاخرى والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك .

٤ - التعرف على اثر الظروف المجتمعية والبيئية فى ذلك المجتمع القروى فى انتشار او عدم انتشار انواع اخرى عن مثيلتها فى الانماط المجتمعية الاخرى .

ه – التعرف على العوامل المختلفة والمتعددة وراء اختلاف حجم مشكلة الادمان فى ذلك المجتمع القروى عن المجتمعات الاخرى ونظرة هذا النمط المجتمعى لحجم وخطورة المشكلة وكيفية مواجهتها ، الدور الذى يمكن أن يؤديه هذا المجتمع التقليدى القروى الذى يتشابه مع كثير من المجتمعات المحلية الاخرى على صعيد المجتمع المصرى ككل في مواجهة هذه الظاهرة من داخله أو من خارجه فى ضوء خصوصيته الثقافية وظروفه المجتمعية .

جـ – اسباب اختيار المجتمع المحلى الحضرى

ونجمل اهم الاسباب فيما يلى :

١ – التنوع المهنى والتجارى والتعليمى لابناء المجتمع .

٢ – تفاوت الامكانيات المادية والطبقات الاجتماعية تبعا للسبب الاول .

٣ – إزدياد الاخذ بمظاهر التحضر في هذا المجتمع من جانب أبنائه عن ابناء الانماط المجتمعية الاخرى .

٤ – التعرف علي اختلاف اساليب واماكن التعاطى فى ذلك النمط المجتمعى والعوامل المختلفة وراء إختلاف هذه الاساليب والاماكن عن الثقافات الاخرى .

ه – سهولة الحصول على المواد المخدرة من كل الانواع وكثرة المتعاطين لها من مختلف الطبقات العمرية والاجتماعية والمهنية .

٦ – التعرف على اسباب وعوامل الاقبال على مواد مخدرة دون أخرى ، ونظرة المدمنين لبعضهم البعض على اختلاف تلك المواد بالمقارنة بالمواد المخدرة الاخرى .

٧ - التعرف علي اثر الظروف المجتمعية والبيئية فى ذلك المجتمع الحضرى فى انتشار ظاهرة الادمان على كل الانواع المخدرة بمقارنتها بالانماط المجتمعية الاخرى .

٨ – التعرف على نظرة ابناء ذلك المجتمع لتلك المشكلة وكيفية مواجهتها والدور الذى من الممكن ان يؤدى لمواجهة ذلك من داخل المجتمع او من خارجه والعوامل المختلفة المؤثرة في ذلك .

٩ - يشكل هذا المجتمع المحلى الحضرى نموذجاً لمجتمعات محلية حضرية اخرى فى جمهورية مصر العربية عامة ، فأردت ان اقدم تحليلاً علمياً وميدانياً لكل ابعاد ظاهرة الإدمان والعوامل المؤثرة فيها فى تلك النماذج المجتمعية المتباينة والتى تشكل بصفة عامة نماذج مجتمعية محلية يتضمنها أو يحتويها بنية المجتمع المصرى عامة وينتشر مثيلها في ربوعه عامة .

٣ - مناهج البحث

إعتمدت هذه الدراسة علي عدة مناهج نجمل اهمها فيما يلى :

١ – الاتجاه البنيوى الوظيفى

مما هو جدير بالذكر ان الاتجاه الوظيفي له جذوره البعيدة فى دراسة الانثروبولوجيين القدامى الذين درسوا النظم الاجتماعية دراسة وظيفية بعد تخليصها من النزعات غير الاجتماعية فنجد ذلك واضحاً فى اعمال كل من سير هنرى مين خاصة عندما اتخذ من القانون أساساً للتفسير عن طريق فاعليته فى الظاهرات القرابية والزواجية وشتى النظم الاخرى كنظام الميراث

والتبنى والملكية ، ونلمس هذا الاهتمام فى اعمال كل من باخوفن وماكليناان وروبرت لوى وإيفانز بريتشارد .

ولقد أخذ هذا الاتجاه الوظيفى صورة جديدة عند تايلور عندما إهتدى الى طريقة المتلازمات على اعتبار أن عناصر الحياة الاجتماعية تترابط عليا ً ، وبهذا تطورت النزعة الوظيفية عند تايلور من شكلها الساذج البسيط. بابتكار طريقة لتعقب الارتباطات بين سائر الظاهرات والنظم الاجتماعية لمعرفة العلاقات العلية بين هذه الظاهرات وتلك النظم وربطها على مستوى المجتمع الانسانى عامة .

وبالرغم من أن منهج المتلازمات كان له أثر فى تطور الاتجاهات الحديثة فى الانثروبولوجيا الوظيفية خاصة عند مالينوفسكى ورادكليف براون من المدرسة البريطانية وعند فرانز بواس وعند روبرت لوى من المدرسة الامريكية .

الا أن هذا المنهج قد وجد نقداً شديداً حيث أن الوظيفيين المحدثين يعيبون على تايلور مقارنته لمختلف الظاهرات والعادات التى تنتمى الى مختلف الانساق والمجتمعات أو التى توجد فى أزمان مختلفة فى نفس المجتمع ، فهى طريقة تجمع بين أشتات من مظاهر السلوك من كل الثقافات المتباينة ثم تزاوج وتؤلف بينها فتخرج لنا أشياء لا مثيل لها فى الواقع ، وهذا ما أثبتته الدراسات الواقعية (١) .

ولقد كان الاتجاه البنائى الوظيفى والذى أرسى جذوره إميل دوركايم

(١) قبارى اسماعيل ، الانثروبولوجيا العامة ، منشأة المعارف ١٩٧١ ، ص ص ١٩٧ – ٢٠٥

والمدرسة الاجتماعية الفرنسية هو الاساس الذى اعتمدت عليه فيما بعد المدرسة الوظيفية التى قامت فى إنجلترا على يد كل من راد كليف براون ومالينوفسكى والتى أسهم ريفرز فى إرساء قواعدها وترى تلك المدرسة أن البناء الاجتماعى عليه أن يدرس طبقاً للمبادئ التحليلية التالية :

١ - وصف أشكال البناء الاجتماعي المختلفة والتى توجد فى كل أنحاء العالم.

٢ - تحليل كل شكل منها الى أنساقه ونظمه الفرعية المكونة له .

٣ - دراسة الصلة بين تلك الانساق والنظم وعلاقة كل منها بالآخر .

٤ - دراسة الوظائف الاجتماعية لهذه العناصر لمعرفة كيف تتضامن هذه الوظائف لايجاد التنظيم الاجتماعى المتماسك .

وتلك هي نفس السمات الرئيسية للبناء الاجتماعى التى تتفق مع وجهة النظر الوظيفية فى الوقت الحالى (١) .

ويرى ريموند فيرث أن أهم خصائص الانثروبولوچيا الاجتماعية دراسة العملية الاجتماعية فى محيط الانسان دراسة حقلية مقارنة ، ومن خلال هذا المستوى وفى إطاره ينبغى أن نطرح جانباً أية افكار ميتافيزقية عن مفهوم مصطلح العملية ، فالعملية الاجتماعية تعنى أساساً معايشة أو تجربة الحياة الاجتماعية (٢) .

---

(1) Aly , A , Issa , Social Anthropology , dar Al Maaref Cairo , 1964 PP 105 - 106 .
(2) Firth , R , Elements of Social organization , Toirslock Publications ,1971 p 2 .

وقد ترتب على هذا الاتجاه الوظيفى الميل الى التركيز والالتزام الى حد بعيد بما أسماه راد كليف براون بنمط التفسير المتزامن ، ويعنى تأويل هذه الظاهرة الاجتماعية بصورة كلية فى حدود وظيفتها الاجتماعية المعاصرة ، وذلك على حساب نماذج التفسير التتابعى أو الوراثى التى تعنى بتحديد ما هى الظروف المعينة التى جاءت الى الوجود بأشياء معينة على ما هى عليه فى الوقت الحاضر (١) .

ويستند الاتجاه البنيوى الوظيفى الذى نتبناه الى دراسة الظاهرة محل الدراسة فى الواقع الملموس فى تلك الانماط المجتمعية الثلاثة التى تختلف فيما بينها إختلافاً واضحاً فى تركيب أبنيتها الاجتماعية وإختلاف الوظائف التى تؤديها وحدات هذه الابنية من أنساق متعددة ومن ثم أفراد المجتمع فى تلك النماذج المجتمعية الثلاثة والذين يشكلون وحدات هذه الابنية ويؤدون أدواراً ويشغلون مراكز تختلف وتتباين من فرد الى آخر داخل البناء الاجتماعى الكلى للمجتمع .

وتكمن أهمية هذه الدراسة الميدانية لظاهرة الإدمان فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة حيث أن الميدان قد يدحض أو يعدل أو يلغى التصورات المسبقة ، فضلاً على أن هذا الاتجاه سيجعلنا نلقى الضوء على أهمية دراسة هذه الظاهرة فى كل نمط مجتمعى وعلاقتها ببقية الظواهر الاجتماعية الاخرى ومدى علاقتها بالعادات والتقاليد والاعراف أى المحيط الثقافى لنفس المجتمع وذلك بقصد التعرف على الابعاد المختلفة الاجتماعية

(١) محمد عبده محجوب ، أنثروبولوجيا الزواج والاسرة والقرابة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ٢٤

والثقافية والاقتصادية والسياسية والنفسية والامنية لهذه الظاهرة وعلاقة وتساند هذه الابعاد والدور الذى يلعبه كل بعد من هذه الابعاد فى فهم ظاهرة الادمان فهماً شاملاً والتعرف على كل العوامل المختلفة التى تؤثر على تلك الظاهرة فى كل نمط مجتمعى ومقارنته بالانماط المجتمعية الاخرى محل الدراسة بقصد التعرف على عوامل تأصل وخطورة هذه الظاهرة وفقاً للظروف البيئية والمجتمعية فى هذه النماذج المجتمعية المختلفة .

٢ - المنهج المقارن

يرى هوبل أن المنهج المقارن هو أنسب المناهج للانثروبولوجى الذى يرفض الموافقة على أية تعميمات من خلال دراسته وخبرته الخاصة عن مجتمعه وحده ، وحتى عن مجتمعين أو ثلاثة مجتمعات وإذا كانت من نفس طبيعة المجتمعات التقليدية التى نهتم بدراستها ، فينبغى أن تكون المقارنة فى ضوء نماذج عديدة من المجتمعات المختلفة فى أبنيتها الاجتماعية وأنساقها ونظمها حتى يكون التعميم على مستوى عال من التجريد [١] .

ويتفق راد كليف براون أحد رواد المدرسة البنائية الوظيفية والتى تختلف إختلافاً واضحاً مع إتجاه المدرسة الثقافية الاثنولوجية والتى يعتبر هوبل أحد روادها ، ويرى براون أن إستخدام هذا المنهج أولا من قبل الانثروبولوجيين النظريين أى علماء المكتب الذين لم يقوموا بدراسات حقلية منهجية وإنما إستخدموا المقارنة من خلال قراءاتهم وإعتمدوا عليها فى التحليل والشرح والمقارنة ، فيؤكد أنه بدون إستخدام المنهج المقارن والتركيز عليه فى الدراسات العلمية المنظمة ، فإن الانثروبولوجيا الاجتماعية تصبح مجرد دراسة وصفية تاريخية تدخل فى إطار الاثنوجرافيا .

---

1 - Hobel , E , Adamson , Anthropology , the study of Man , Mcgraw - Hill Book , N.Y , 1966 P 7 .

وبناء عليه فإن المنهج المقارن يعد أساساً للنظرية الانثروبولوچية إذ يوصلنا من الخاص الى العام ومن العام الى الاكثر عمومية حتى يصل بالبحث الى العموميات الاكثر تجريداً أو التى تصل فى نهاية المطاف الى الغاية التى يسعى اليها وهى القانون [١] .

كما يرى هويل أن المنهج المقارن لا يمكن أن يقوم الا على أساس البحث الحقلى ، حيث أن مجتمع البحث بالنسبة للأنثروبولوچى هو معمله الذى يختبر فيه الفروض النظرية ليؤكدها أو يعدلها أو يلغيها .

ويفيدنا منهج المقارنة بصدد ظاهرة الإدمان للمخدرات فى الانماط المجتمعية الثلاثة المتباينة فى أبنيتها الاجتماعية وثقافاتها فى إلقاء الضوء على ظروف وأسباب وجود هذه الظاهرة فى الأنماط المجتمعية الثلاثة والتعرف على مختلف العوامل المؤثرة فى كل مجتمع ومقارنتها فى النماذج المجتمعية الأخرى ذات الثقافات المتمايزة وذلك بقصد إلقاء الضوء على أبعاد تلك الظاهرة من حيث نواحي التشابه فى الظروف والملابسات حول هذه الظاهرة في الانماط المجتمعية الثلاثة وكذلك الإختلافات المتعددة بصدد الظاهرة فى الثقافات المختلفة حتى يتسنى لنا إعطاء ضوء واضح وعلمى شامل حول أبعاد وعوامل وأسباب هذه الظاهرة فى تلك النماذج المجتمعية المختلفة والتى تتشابه مع كثير من المجتمعات المحلية الأخرى على صعيد المجتمع المصرى ، أى دراسة ظاهرة الإدمان برؤية أنثروبولوچية أكثر شمولا فى تلك المجتمعات كنماذج تمثل في كثير من الخصائص المجتمعات المحلية فى المجتمع المصرى

---

(1) Brown , R . Method in Social Anthropology , Chicago , 1958, p 187 .

٣ – منهج دراسة الحالة :

يقصد علماء الإجتماع الفرنسيون بمنهج دراسة الحالة هو دراسة وحدة مثل الاسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة والوصول الى تقسيمات تنطبق على غيرها من الوحدات المتشابهة .

كما يقصد العلماء الأمريكان بمنهج دراسة الحالة هو المنهج الذى يتجه الى جميع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء أكانت فرداً أ مؤسسة أو نظاماً إجتماعياً أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً عاماً ، وهذا المنهج يقوم على أساس التعمق فى دراسة جميع المراحل التى مرت بها وذلك بقصد الوصول الى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المتشابهة[1]

وأفادنى هذا المنهج فى دراسة المتعاطين والمدمنين فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة ذات الثقافات المتباينة والمتمايزة وذلك بقصد التعرف على مختلف العوامل والاسباب التى دفعت هؤلاء الاشخاص للوصول الى مرحلة الإدمان فى كل مجتمع وكذلك التعرف على التأثيرات والاضرار التى تحدث نتيجة الدخول فى دائرة الإدمان على كافة أنواع المخدرات على الفرد كعضو فعال ومنتج فى المجتمع ثم تأثير ذلك على المجتمع فى النهاية كوحدة متكاملة .

كما أفادنى هذا المنهج فى محاولة التعرف على كل الظروف والملابسات

(١) عبد الباسط حسن أصول البحث الإجتماعى ، الانجلو مصرية ، ١٩٧٥ ، ص ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .

وأبعاد ظاهرة إدمان المخدرات فى الانماط المجتمعية المحلية من خلال التعرف على العوامل المختلفة المؤثرة فى حياة المدمنين الإقتصادية والنفسية والسياسية والثقافية والإجتماعية فى تلك الثقافات المختلفة .

وأفادنى كذلك فى التعرف على حجم وخطورة ظاهرة الادمان والظروف العامة والخاصة المحيطة بها فى تلك الانماط المجتمعية المحلية التى تشكل فيما بينها تباينا فى الخصوصيات الثقافية ولكنها تلتقى فى كثير من العموميات الثقافية للمجتمع المصرى عامة هذا من ناحية ، ثم أنها من ناحية أخرى تعتبر نماذج ممثلة لكافة الانماط المجتمعية ذات الثقافات المتمايزة التى تحتويها بنية المجتمع المصرى عامة ، والتى تتشابه معها كثير من المجتمعات المحلية فى نفس الظروف وذلك حتى يمكننا أن نصل إلى تعميمات علمية متعلقة بتلك المجتمعات المحلية المدروسة وتنطبق إلى حد كبير مع الانماط المجتمعية الاخرى المتشابهة ، وبهذا نكون قد قدمنا إسهاماً لفهم كافة العوامل والابعاد التى تؤثر فى ظاهرة الأدمان وعلاقتها بالفرد والمجتمع من جميع النواحى .

٤- تساؤلات البحث

ونجمل أهم التساؤلات التى تدور حولها موضوعات الدراسة فيما يلى :

١ - الى أى حد يمكن إعتبار المدمن مجرماً أم مريضاً فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة في ذلك .

٢ - إلى أى حد تختلف الدوافع والأسباب التى تجعل بعض أبناء تلك المجتمعات المحلية تدخل في دائرة الإدمان ولماذا ؟

٣ – الى أى حد تختلف ظروف وملابسات ظاهرة الإدمان من حيث أنواع المخدرات المنتشرة وأماكن تعاطيها وطرق تعاطيها والعوامل المختلفة وراء التباين والتشابه فى تلك الثقافات المختلفة .

٤ – الى أى حد تختلف طبيعة الحياة الاقتصادية للمدمنين فى الثقافات المختلفة وما هى العوامل المختلفة التي تؤثر فى ذلك .

٥ – الى أى حد تختلف طبيعة الحياة الاجتماعية للمدمنين فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة وأثر ذلك في العلاقات الاجتماعية للمدمن وحدود تفاعله فى المجتمع وما هية الحقوق والواجبات المترتبة علي تلك العلاقات والعوامل المختلفة المؤثرة في إختلاف طبيعة الأدوار والمراكز التى يشغلها المدمنون قبل وبعد الإدمان فى الانماط المجتمعية المختلفة .

٦ – الى أى حد تختلف طبيعة الحياة النفسية للمدمنين فى تلك الثقافات المختلفة وما هى مختلف الاحوال والظروف والملابسات حول ذلك الإختلاف والتباين والعوامل المؤثرة في ذلك .

٧ – ما هية الدور الذى يلعبه الضبط الاجتماعى الرسمى وغير الرسمى فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة فى الحد من إنتشار وذيوع تعاطى المخدرات بكل أنواعها وبالتالى الدخول فى دائرة الإدمان .

٨ – الى أى حد يحس أبناء تلك الانماط المجتمعية المختلفة بخطورة الظاهرة من عدمه وأسباب ذلك والعوامل المؤثرة فى إختلاف نظرة تلك المجتمعات لتلك الظاهرة بعضها عن البعض .

٩ – ما هى طبيعة الادوار التى تقوم بها مختلف مؤسسات وهيئات

المجتمع المختلفة أهلية أو رسمية فى مكافحة وعلاج الادمان والعقبات والتحديات التى تواجه تلك الادوار والعوامل المختلفة المؤثرة فى أدائها لتلك الادوار.

١٠ - الى أى حد يمكن تقديم رؤية تقويمية ميدانية لمكافحة وعلاج الادمان يبرز من خلالها سياسة متكاملة لمواجهة الظاهرة تتناسب مع الظروف المجتمعية المختلفة فى الثقافات المختلفة .

٥ - أدوات جمع البيانات

١) الملاحظة المباشرة

إستخدمت هذه الاداة فى ملاحظة سلوك المدمنين على مختلف المواد المخدرة فى الثقافات المختلفة وأفادتنى فى الحالات الآتية :

١ - جمع البيانات التى تتصل بسلوك المدمنين الفعلى على مختلف أنواع المواد المخدرة ، وملاحظة المظاهر النفسية والجسمية للمدمنين قبل وبعد تعاطى المخدرات عامة .

٢ - ملاحظة كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للمدمنين وكيفية تصرفهم فى المواقف الواقعية المختلفة فى الحياة عامة .

٣ - ملاحظة طرق التعاطى للمواد المخدرة المتنوعة فى الثقافات المختلفة وأماكن التعاطى وإختلافها فى كل نمط مجتمعى على حدة .

٤ - ملاحظة الادوار الاجتماعية التى يؤديها المدمنون والمراكز التى يشغلونها فى الثقافات المختلفة .

٥ - جمع البيانات فى الاحوال التى كان يبدى فيها بعض المدمنين نوعاً من المقاومة للباحث أو يرفضون الاجابة على أسئلته .

٢ - المقابلة

وأفادتنى هذه الآداة فى الحالات الآتية :

أ - جمع البيانات المطلوبة التى لها صلة وثيقة بمشاعر ودوافع المدمنين وعقائدهم وإتجاهاتهم نحو كثير من مواقف الحياة بصفة عامة .

ب - جمع البيانات المطلوبةللمواقف التى يصعب الحصول فيها على بيانات بطريقة الملاحظة بالمعايشة أو المباشرة كالمواقف الماضية والمستقبلية فى حياة المدمنين .

جـ - التعرف على رؤية المدمنين لحياتهم الاقتصادية بصفة عامة من خلال أنماط العمل والانتاج وأنماط التبادل بينهم بعضهم البعض وبين باقى أفراد المجتمع ، وكذلك أنماط الإستهلاك والادخار وأنماط الملكية فى الثقافات المختلفة .

د - التعرف على رؤية المدمنين للحياة الاجتماعية التى يعيشونها وأساليب التفاعل بين بعضهم البعض أو بينهم وبين أبناء المجتمع ، وكذلك التعرف على طبيعة الحقوق والواجبات والالتزامات الاجتماعية وكافة العوامل المؤثرة فى كل هذه النواحى فى الثقافات المختلفة .

هـ - التعرف على طبيعة الحياة النفسية واتجاهات ودوافع المدمنين على مختلف العقاقير والعوامل المؤثرة فى ذلك .

و - التعرف على رؤية المدمنين للمجتمع ورؤية أبناء المجتمع لهم من

مختلف الطبقات المهنية والاجتماعية ومختلف الفئات العمرية والعوامل المؤثرة فى ذلك .

وتعتمد هذه الطريقة على التقرير الذاتى للمدمنين عن سلوكهم وعن المؤثرات التى يتعرض لها .

٣ – الاخباريون

ولقد إخترتهم بعناية حتى نستطيع الحصول على المعلومات عن المدمنين من مختلف الفئات العمرية والمهنية والاجتماعية ، وكذلك المتعاملين معهم من أبناء الانماط المجتمعية فى الثقافات المختلفة ، وحتى يكون هناك صدق وإنتقاء للمعلومة الصحيحة .

٤ – دليل العمل الميدانى

وتم عمل إستبيان يحتوى على عديد من التساؤلات والتى يتفرع عنها عديد من الأسئلة فى شتى الموضوعات التى يتناولها البحث .

٥ – التسجيل الصوتى

ويرغم صعوبة هذه الأداة خاصة فى تلك الموضوعات الشائكة ، كما أنها من الطرق التى تحتاج الى قدرة وكفاءة من الباحثين فى إقناع المبحوثين وكسب ثقتهم ومحاولة إقناعهم بأهمية وجدوى البحث .

وأفادتنى هذه الطريقة المتميزة فى البحوث الانثروبولوجية والتى لا تستخدم إلا نادراً للأسباب سالفة الذكر فى النواحى التالية :

١ – جمع البيانات الغريزة واطلاق العنان لخواطر وافكار وشجون

المدمنين خاصة بعد تعاطيهم المواد المخدرة لكى يتحدثوا كما يشاءون ومن خلال المناقشات المفتوحة بين المدمنين وبينى .

٢ - يساعد استخدامها على جمع المادة الاثنوجرافية وكما حدث فى بحثنا هذا من أكثر من مبحوث فى وقت واحد ولكن المهم كيفية إدارة الحوار بحذر وحرص وكفاءة واعطاء الفرص المناسبة لكل فرد وفقاً لطبيعة واهمية المعلومات التى يدلون بها مع احساس جميع اعضاء الجلسة بانهم تحدثوا جميعاً ، وهذه الطريقة فضلاً عن غزارة المعلومات من أكثر من مبحوث الا انها تمكننا من التأكد فى الحال من صدق المعلومات فى نفس اللحظة بالاضافة الى امكانية عقد المقارنات والتحليلات للمعلومات فى حينها عن طريق مفارقات واتفاقات المدمنين على المادة الاثنوجرافية المسجلة .

٣ - أعطتنى فرصة كبيرة فى فهم تشابك وتعقد وتفرع ظاهرة الادمان فى شىء من الوضوح خاصة وان كثيراً من المدمنين كانوا يرغبون فى التسجيل دون تحرج بعد كسب ثقتهم .

ولكن هناك عدة أمور يجب أخذها فى الاعتبار عند استخدام هذه الآداة نجمل أهمها فيما يلى :

١ - أن يكون لدى المبحوثين رغبة أكيدة فى الادلاء بخبراتهم وكافة المعلومات المرتبطة بدليل العمل الميدانى بصدق وواقعية .

٢ - أن يكون لدى الباحث قدر واسع من الاطلاع والمعارف حول الموضوع الذى يرغب فى جمع المادة الميدانية عنه .

٣ - أن لا يتقيد الباحث بدليل العمل فى إلقاء تساؤلاته حيث أن هناك

موضوعات ومجالات قد تتفتح نتيجة إطلاق العنان لأفكار جماعة المتعاطين وطبيعة الحوار فيما بينهم وبين الباحث .

٤ - عدم الضغط على المبحوثين على إستخدام التسجيل أو الالحاح في طلب ذلك حتى لا يمتنعون عن إعطاء المعلومات التي يريدها الباحث أو يخالفون الحقيقة أو يتحدثون بحذر وبإيجاز مما يؤثر في النهاية على عمق التحليلات المرتبطة بالظاهرة .

٦- خطوات الدراسة

أ - إختيار الانماط المجتمعية المحلية الثلاثة ومراعاة أنها تمثل الى حد كبير تلك الثقافات المتباينة وفى نفس الوقت تقع كلها بمقربة من المدن الكبرى أى تعرضها بصورة نسبية بالمؤثرات الحضرية .

ب - عمل دليل ميداني يحتوى على تساؤلات متعددة تشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية والسياسية الخ .. التى تحيط بالمدمن في تلك الانماط المجتمعية بقصد اعطاء رؤية اكثر شمولاً لابعاد تلك الظاهرة التى تشكل تحدياً بالغ الخطورة أمام إستثمار الطاقة البشرية من الجنسين وفى الاعمار المختلفة .

جـ - التردد بصفة منتظمة على تلك الانماط المجتمعية المختلفة وفى كافة المناسبات الاجتماعية المختلفة والتى قد تستلزم تجمع بعض جماعات الاصدقاء وتعاطى المخدرات وذلك بقصد التعرف على طبيعة التركيبة الاجتماعية والمهنية لتلك الجماعات وإختلافها حسب نوع المواد المخدرة .

٧ - صعوبات الدراسة

١ - قصور الوثائق الرسمية التى ترتبط بهذه الظاهرة فى الثقافات المختلفة .

٢ - عدم وجود دراسات انثروبولوجية تتعلق بهذه الظاهرة فى الانماط المجتمعية المختلفة .

٣ - قلة المراجع العلمية المرتبطة بالنواحى الاجتماعية والثقافية والنفسية والسياسية المرتبطة بهده الظاهرة .

٤ - هذا الموضوع شائك ومتشابك ويشوبه كثير من الخوف والحذر ولذا احتاج من الباحث جهد كبير خاصة وأن الدراسة مقارنة للظاهرة برؤية أكثر شمولية فى ثقافات مختلفة ميدانياً .

٨ - مدة الدراسة

استغرقت هذه الدراسة مدة عام ونصف بدأت من ١٠ / ١ / ١٩٨٨ حتى نهاية شهر يونية ١٩٨٩ .

الباب الأول

المفاهيم والتصورات والإتجاهات النظرية حول ظاهرة ادمان المخدرات

الفصل الأول

ظاهرة الادمان (المفاهيم والتصورات والتأثيرات والعوامل المؤثرة)

أولا: المفاهيم والتعريفات المرتبطة بالمخدرات والعقاقير

١ - تعريف المخدرات

للمخدرات تعريفان ، تعريف علمى وتعريف قانونى .

أ - التعريف العلمى

المخدر مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعى المصحوب بتسكين الألم لذلك لا تعتبر المنشطات ولا عقاقير الهلوسة مخدرة وفق التعريف العلمى بينما تعتبر الخمر من المخدرات .

ب - التعريف القانونى

المخدرات مجموعة من المواد التى تسبب الادمان وتسميم الجهاز العصبى ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها الا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل الا بواسطة من يرخص له بذلك .

وتشمل : الأفيون ومشتقاته ، والحشيش ، وعقاقير الهلوسة ، والكوكايين ، والمنشطات ، ولكن لا تصنف الخمر والمهدئات والمنومات ضمن المخدرات على الرغم من أضرارها وقابليتها لإحداث الادمان .

٢ - العقـــار

كل مادة تغير وظيفة أو أكثر من وظيفة للكائن الحى عند تعاطيها [١] .

(١) عادل الدمرداش ، الادمان ، مظاهره وعلاجه ، عالم المعرفة ١٩٨٢ ، ص ص ٩ - ١٠ .

٣ - الخمر

يُعرف الخمر لغويا بأنه كل مسكر مخامر للعقل مغط عليه ، وخمر الشئ ستر وخمر الشهادة كتمها ، وخمر وجهه : غطاه وأخمر : توارى وخامر الشئ : خالطه وخامر القلب داخله . وخامره الداء أى دخل جوفه .

كما عُرف الخمر فقهياً : هى كل ما كان مسكراً سواء أكان متخذاً من الفواكه كالعنب والرطب والتين والزبيب أو من الحبوب كالحنطة (القمح) أو الشعير أو الذرة أو من الحلويات كالعسل وسواء أكان مطبوخاً أى عولج بالنار أو نيئاً بدون معالجة بالنار وسواء أكان معروفاً بإسم قديم كالخمر والطلاء أم بإسم مستحدث كالعرق والكونياك والويسكى والبراندى والبيرة والشمبانيا وغيرها

فقد أخرج الامام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى صلعم يقول :

" ليشربن إناساً من أمتى الخمر ويسمونها بغير إسمها "

وأخرج مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة : " الخمر من الشجرتين : النخلة والعنبة "

وحديث النعمان بن بشير : " إن الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة وأنى أنهاكم عن كل مسكر " [١] .

ويدخل فى تعريف الخمر الأنبذة الموجودة اليوم بأنواعها المختلفة مثل : البورت والشيرى والمديرة والكلارت والهوك والشمبانيا والبراندى لأنها

(١) عزت حسنين ، المسكرات بين الشريعة والقانون ، دراسة مقارنة ، منشأة المعارف ، ط١ ، ١٩٨٦.

تدخل فى تعريف الخمر الذى بصدده الاستصلاح الفقهى بأنها النيئ (أى الذى لم يعالج بالنار) من ماء العنب بعدما غلى وإشتد وقذف بالزبد والغليان والفوران والاشتداد قوة التأثير بحيث يصير مسكراً والزبد والرغوة.

كما يدخل فى التعريف الخمور المسماة بالخمور المقطرة مثل الويسكى والبراندى والروم والچين وهى أشد الأنواع لإحتوائها على نسبة عالية من الكحول (٤٠ إلى ٦٠ ٪) أما الأنبذة فتحتوى على نسبة ٢٠ ٪ أو ١٠ ٪ فى العادية ، أما المشروبات المخمرة فلا تحتوى على أكثر من ٦ ٪ من الكحول .

٤ – المسكرات

وتعرف المسكرات طبياً بأنها تلك المواد الكحولية لإحتوائها على الكحول ، ويذهب دكتور الشطى الى أن الكحول يغتال العقل والصواب ويحدث فى الجسم أمراضاً وعللا خطيرة وفى النسل آفات وإضطرابات عديدة وغالباً ما تستحضر المسكرات من النباتات والفواكه بواسطة التخمير .

ولقد قسمها الى ثلاثة أنواع هى :

١ – الخمور ٢ – الخمور المقطرة ٣ – السوائل الروحية [١] .

٥ – المفترات

وتعرف المفترات لغوياً بأنها هو ما يكون منه حرارة فى الجسم وإنكسار فى الأطراف مع الضعف والإسترخاء ، ويتفاوت الانكسار والضعف

---

(١) عزت حسنين ، المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون دراسة مقارنة ، منشأة المعارف ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص ص ١٧-٢٦

والاسترخاء فى الاطراف قوة وضعفاً ، حسب حالة وقدرة الشخص الصحية[1] .

٦ – الاعتماد (الادمان)

هو حالة التسمم الدورى أو المرض المزمن والذى يؤثر على الفرد والمجتمع من جراء التعاطى المستمر للعقار ويتميز الادمان بما يلى :

أ – قوة قهرية ورغبة ملحة لتعاطى العقار والحصول عليه بأى وسيلة .

ب – الاتجاه المستمر لزيادة الجرعة .

جـ – الاعتماد النفسى والجسمى على العقار .

د – أعراض جانبية شديدة عند التوقف عن أخذ العقار[2] .

وعرفت هيئة الصحة العالمية (١٩٧٣) الاعتماد بأنه حالة نفسية وأحياناً عضوية تنتج عن تفاعل الكائن الحى مع العقار ، ومن خصائصها إستجابات وأنماط سلوك مختلفة تشمل دائماً الرغبة الملحة فى تعاطى العقار بصورة متصلة أو دورية للشعور بآثاره النفسية أو لتجنب الآثار المزعجة التى تنتج من عدم وفرته ، وقد يدمن المتعاطى على أكثر من مادة واحدة .

ولقد أضيف للتعريف السابق الخصائص التالية للادمان :

(١) مختار الصحاح ، ١٣٢٤ – ١٩٢٢ م ، ص ٤٨٩ .

(٢) أحمد عكاشة ، الطب النفسى المعاصر فى كتاب المسكرات والمخدرات بين الشريعه والقانون ، عزت حسنين ، ط١ ، ١٩٨٦ ص ٧٨

١ - الرغبة الملحة فى الاستمرار على تعاطى العقار والحصول عليه بأى وسيلة .

٢ - زيادة الجرعة بصورة متزايدة لتعود الجسم على العقار وإن كان بعض المدمنين يظلون على جرعة ثابتة

٣ - الاعتماد النفسى والعضوي على العقار .

٤ - ظهور أعراض نفسية وجسمية مميزة لكل عقار عند الامتناع عنه فجأة .

٥ - الآثار الضارة على الفرد والمجتمع [١] .

وهناك نوعان من الاعتماد هما :

أ - الاعتماد النفسى

حالة تنتج من تعاطى المادة وتسبب الشعور بالارتياح والاشباع وتولد الدافع النفسى لتناول العقار بصورة متصلة أو دورية لتحقيق اللذة أو لتجنب الشعور بالقلق .

كما يعنى عندما يكون هناك شعور بالرضا ودافع نفسى لا يقاوم يتطلب الاستعمال المستمر أو الدورى لأحد العقاقير لاحداث السرور او لتفادى التعب ، وهذه الحالة العقلية هى بالتأكيد أقوى العوامل فى مجال الاعتماد المزمن .

ويظهر الاعتماد النفسى فى الشخص الذى يتعاطى (مخدر الحشيش)

(١) عادل الدمرداش ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢ - ٢٣

- الكوكايين - الامفيتامين كالماكستون فورت [١] .

الاعتماد العضوى

حاله تكيف وتعود على الماده بحيث تظهر على المتعاطى اضطرابات نفسية وعضوية شديدة عند تناول العقار فجأة ، وهذه الاضطرابات او حالة الامتناع تظهر على صورة انماط من الظواهر والاعراض النفسية والجسمية المميزة لكل فئة من العقاقير [٢] .

كما يعنى حالة اتهيج ينتج عنها إضطرابات جسمية حادة إذا ما حدث إنقطاع عن تناول العقار أو إذا حدث معادله لاثره بأخذ مادة مضادة لتأثيره ، ويعتبر الاعتماد العضوي من العوامل القوية المرتبطة بالاعتماد النفسى عند تعاطى العقاقير أو حالة حدوث نكسة بعد محاولة الشخص الانسحاب من التعاطى لتلك العقاقير [٣] .

وتسبب بعض العقاقير الاعتماد النفسى فقط مثل :

المنشطات ، الكوكايين ، القنب ، عقاقير الهلوسة ، القات ، التبغ ، القهوة ، المسكنات ، المستنشقات .

أما العقاقير التى تسبب الاعتماد النفسى والعضوى فهى :

الخمر ، المنومات ، المهدئات ، الأفيون ، ومشتقاته ، ولا توجد عقاقير تسبب الاعتماد العضوى فقط بدون أن يسبقه الاعتماد النفسى [٤] .

---

(١) صفوت درويش ، عصابة القرد ، المركز العربى للنشر والتوزيع ، ص ١٦ .
(٢) عادل الدمرداش ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .
(٣) صفوت درويش ، مرجع سابق ، ص ١٧.
(٤) عادل الدمرداش ، مرجع سابق ، ص ٢٤
.

بناء عليه نلمس صعوبة العلاج النفسى للمدمنين من جميع النواحى المادية والاجتماعية أو ما يمكن أن نطلق عليه التكلفة المادية والتكلفة الاجتماعية للعلاج وكما سيتضح عند تحليلنا للظاهرة عبر المادة الميدانية فى الأنماط المجتمعية المختلفة .

ثانيا: العوامل المختلفة التى تؤثر فى ظاهرة الادمان:

وتعتمد ظاهرة الادمان فى إيجاز على ثلاثة عوامل تؤثر فيها وهى :

أولاً : العقار من النواحى التالية :

١ - تركيبه وخواصه الكيميائية

تختلف فتره الوصول الى مرحله الادمان بإختلاف تركيب العقار وتفاعلاته الكيميائية مع المخ . فيصل الفرد الى مرحلة ادمان الخمر من ٥ : ١٠ سنوات من الاستعمال المفرط والمستمر ويصل الى الادمان عن طريق استعمال المنومات بصورة منتظمة فى خلال شهر بينما يصل الى ادمان الهيروين فى خلال اسبوع او عشرة أيام على الاكثر وهنا نلمس الاختلاف فى خطورة هذا العقار الاخير عن العقاقير الأخرى .

٢ - طريقة إستعماله

يعد الحقن من اسرع الوسائل للحصول الى مرحلة الادمان ، اما الاستعمال عن طريق الفم فاقل تأثيراً ، كما يعد التدخين ابطأ وسائل التعاطى احداثاً للادمان ، ويقع الاستنشاق بين التدخين والتعاطى عن طريق الفم .

٣ - مدى توفره وسهولة الحصول عليه وصورة المادة التى يحصل عليها

المتعاطى .

يلاحظ انه كلما توفر العقار كلما ارتفعت نسبة التعاطى وبالتالي الادمان كما هو الحال فى عمال الحانات والمطاعم ،عمال مصانع التقطير ، موظفى الجمارك ، الاطباء والصيادلة .

٤ – نظرة المجتمع للعقار

وتتمثل فيما يلى :–

أ – اباحة او تجريم العقار من وجهة نظر المجتمع .

ب – الاضرار الناتجة عن تناول العقار .

جـ – الظروف الاقتصادية (رخص وارتفاع سعر العقار خاصة لو كان لا يتعارض مع قيم المجتمع) .

ثانياً : الفرد المدمن

١ – العوامل الوراثية ·

ايدت الابحاث الحديثة وجود ثمة علاقة بين الادمان والعوامل الوراثية .

٢ – الشخصية

وتتميز شخصية المدمن بالسلبية والتواكلية والخوف من المسئولية وعدم النضج والعجز عن الاعتماد على النفس وتكوين علاقات ذات مغزى مع الآخرين .

٣ – الامراض النفسية

ويحدث الادمان فى الغالب لمرضى الإكتئاب والقلق النفسى وبعض الامراض العقلية .

٤ – الامراض الجسمية

يحدث الادمان نتيجة استخدام مسكنات الالم المخدرة بكثرة .

٥ – السن

بدأ الادمان يعرف طريقه الى الشباب بكثرة عن ذى قبل ، بل بدأ ينتشر بين كل الفئات العمرية ، بعد ان كان غالبية حالات الادمان لمن تخطوا سن الاربعين.

٦ – الجنس

تزداد نسبة الادمان فى خط الذكور عن الاناث ومرد ذلك نظرة المجتمع .

٧ – الطبقة الاجتماعية والمهنية

تختلف طبيعة الادمان لعقار معين حسب الطبقة الاجتماعية والمهنية الا ان الادمان على الهيروين لا يفرق بين طبقة عمرية او مهنية او اجتماعية .

٨ – الحالة الاجتماعية

ارتفاع نسبة الادمان بين المطلقين والعزاب والارامل اكثر من المتزوجين

ثـالثـاً : البيئـــــة :

١ – الاسرة والتربية

يعد سلوك الوالدين داخل الاسرة من اهم العوامل المساعدة على دخول

الابناء الى دائرة الادمان او العزوف عنها .

٢ – العادات والتقاليد

تختلف الرؤية الثقافية لادمان عقار عن آخر تبعاً للمحتوى الثقافى لكل مجتمع عن الآخر ، حيث تلعب العادات والتقاليد دوراً بالغ الاهمية فى تجريم او اباحة تناول العقاقير من مختلف الانواع .

٣ – الدين والحضارة

تختلف انماط الادمان فى البلدان المختلفة تبعاً لطبيعة الاديان السائدة فى المجتمع ، فبينما نجد تساهل من الكنيسة الكاثوليكية فى تناول الخمور نجد الاسلام يحرم المخدرات بجميع انواعها ويحرم تناول الخمر ، وعندما اباح الاسلام تناول هذه المحظورات فى بعض الحالات المرضية من منطلق ان الضرورات تبيح المحظورات ، وماعدا ذلك فإن هذا السلوك مجرم دينياً واجتماعياً ، كما نجد ان نظرة المجتمع للعقار تختلف عن مجتمع لآخر ، فنجد ان الخمر تنتشر فى فرنسا وايرلندا بينما تنخفض بين الايطاليين واليهود ويرتفع ادمان الخمر والهيروين فى المدن الكبرى بأمريكا .. الخ .

٤ – الحروب

قد تساعد الظروف وملابسات الحياه غير المستقرة التى يعيشها ابناء المجتمع اثناء الحروب وعدم الامان والقلق والخوف والاضطرابات على انتشار او تناول العقاقير والمخدرات بصورة اكثر عن اوقات السلام [١] .

---

١ – عادل الدمرداش ، مرجع سابق ص ص ٣٠ – ٧٠ .

من هو المدمن ؟

المدمن هو الشخص الذى يتعود على عقار معين مثل الخمر او المخدرات ، فلا يستطيع ان يتوقف عن شربها رغم ارادته ورغم محاولاته اليائسة فى التوقف ، فالمدمن يجد دوافع نفسية قوية لا يستطيع ان يكبح جماحها لتناول المخدرات فى اوقات متقاربة بحيث لا يعود له هم ولا تفكير الا فى طريقة حصوله عليها فينفق وقته وماله وتفكيره كله فيها بحيث تشل حياته شللاً بالغاً ، واذا توقف المدمن عن الشرب فجأة اضطرب كيانه النفسى والجسمى حتى يتناول جرعات متزايدة [١]

ثالثا: تقسيمات المخدرات

وتعددت تقسيمات المخدرات كما يلى :-

١- تقسيمها الى مفسدات ومرقدات

لقد حدد القرافى رحمه الله بناء هذا التقسيم الاثر الناتج عن استعمال هذه المواد حيث جعل تأثير المفسدات ينحصر فى ازالته للعقل دون ان يكون له اثر يذكر على الحواس من شم وذوق ولس وسمع وبصر ، وجعل من هذا النوع الحشيش والبنج .

اما المرقدات فان تأثيرها اعم حيث انها تغيب العقل والحواس ، ولم يذكر له امثالاً الا ان صاحب تهذيب الفروق مثل له بنوع اطلق عليه اسم " السكران " [٢] .

١- عزت حسنين ، المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون . دراسة مقارنة ، منشأة المعارف ، ط١ ،١٩٨٦ ، ص ٧٩ .

٢ - احمد على طه ريان ، المخدرات بين الطب والفقه ، دار الاعتصام . ١٩٨٣ . ص ١٢ .

٢ – تقسيمها الى طبيعية وكيماوية

وهذا التقسيم انما هو بحسب طريقة تصنيعها واستعمالها

المخدرات الطبيعية

هى مجموعة من النباتات التى تؤخذ وتستعمل كما هى دون تغيير يذكر فى مكوناتها ومن هذه المجموعة الافيون ، الحشيش والكوكايين والقات وزهرة القطن .

المخدرات الكيماوية

هى مجموعة المخدرات التى يمكن اعدادها بتحويل القلويات والمورفين ونحوهما تحويلاً كيماوياً ، ومنها الهيروين الذى يتم تحضيره من المورفين ولا يستعمل هذا العقار فى الادوية الحديثة ، الا انه يعتبر من اهم العقاقير المخدرة التى يتم الاتجار فيها على نحو غير شرعى ويعتبر الخمر من هذه الناحية احدى المخدرات الكيماوية [١] .

٣ – تقسيمها بحسب تأثيرها على الانسان

وهذا التقسيم هو الذى يهمنا كأنثروبولوجيين لاننا نهتم بالانسان من جميع النواحى ومدى تأثره بكل الظروف والمجالات المحيطة به ، وبالتأكيد فإن المخدرات ستؤثر فى الافعال والانماط السلوكية للانسان وبعلاقاته الاجتماعية داخل دائرة القرابة وخارجها وكذلك انماط العمل والانتاج وانماطه الغذائية والاستهلاكية والادخارية وانماط الملكية ،

فضلاً عن تأثيرها على حياته السياسية والنفسية والفكرية والابداعية وقدرته على الانجاز والابتكار وهذا ما ستوضحه الدراسة الميدانية فى الثقافات المختلفة عند تناولنا لكل هذه الامور بالتحليل والتفسير فى الفصول

١– احمد محمود حافظ ، المخدرات : انواعها واضرارها ، دار عكاظ للنشر ، ص ٧ .

التالية

وهذا التقسيم قائم على التجارب العملية خاصة بعد ان ظهرت انواع كثيرة من هذه السموم وتطاير شرها الى جميع البلدان ، وعمت بيلاتها كل الاعمار ، فلم ترحم صغيراً ولم توقر كبيراً . والذى يؤكد ذلك ما تطالعنا به الصحف والجرائد اليومية من انزلاق الشباب من الجنسين وفى اعمار مختلفة ومتفاوته وكذلك انزلاق جيل الكبار فى هذه الهوة السحيقة للادمان وتطالعنا الصحف بالجرائم والانحرافات السلوكية التى تنجم عن تأثير الاعتماد على المخدرات بكل انواعها خاصة الهيروين وسنوضح ذلك فى ثنايا المادة الميدانية فى الانماط المجتمعية المختلفة التى تناولتها الدراسة ميدانياً.

وجدير بالذكر ان مشكلة المخدرات من حيث تأثيرها قد اخترقت كل الحواجز التى صنعتها الحكومات للحيلولة دونها وهتكت كل الاستار التى اجهد ذوو الاحلام انفسهم فى اقامتها لحماية اخوانهم وذويهم ولم تغن نصائح الوعاظ والعلماء فى التحذير منها والتبصير بعواقبها ، حتى اعتبرها الامام المراغى ـ رحمه الله ـ " افتك بالامة من الخمور واقتل لها " [١] .

ولقد قسمها ذو الاختصاص بهذا الاعتبار الى المجموعات الآتية :-

١ - مجموعة المخدرات المسكنة والمهدئة او المهبطة الافيونية .

٢ - مجموعة المخدرات المسكنة والمهدئة او المهبطة غير الافيونية .

٣ - مجموعة المخدرات المنبهة او المنشطة [٢]

١- احمد على طه ريان ، مرجع سابق . ص ١٣

٢ - احمد محمود حافظ ، المخدرات ، انواعها واضرارها دار عكاظ للنشر ، ١٩٨٤ ، ص ١٣

رابعا: تأثير المواد المخدرة على الانسان

ونعرض لتأثير المواد المخدرة المختلفة على الانسان كما يلى :-

١ - اثر الحشيش على الانسان من جميع النواحى

تجمع كافة الدراسات على ان التخدير بالحشيش يخلق حالة انفعالية او وجدانية معينة توصف احياناً بالشعور بالرضا او الراحة واحياناً بالسرور والمرح والسعادة وفى احيان ثالثة توصف بالشعور بالنشوة .

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الاحاسيس والمشاعر التى تجلب السرور والمتعة والرضا .. الخ تعمل فى الوقت نفسه على تدمير الشخصية للمتعاطى خاصة فى حالات التعاطى لسنوات طويلة (١) ، حيث يؤدى استعمال المخدر فى النهاية الى ان يصبح الانسان الذى هو محور اهتمامنا فى الانثروبولوجيا خاملاً ، بطئ التفكير ، جامد الحركات ، متبلد النشاط ، غير مكترث ، غير مبالى ، وهذا بالقطع سيؤثر تأثيراً كبيراً على اختلاف طبيعة الادوار التى يؤديها والمراكز التى يشغلها داخل الاسرة وخارجها بل على صعيد المجتمع ككل قبل الدخول الى دائرة الادمان وبعدها مما يؤثر تأثيراً سلبياً على حياته كفرد وحياته كشخص فعال فى المجتمع .

ولقد وصف الاديب الفرنسى بودلير حالة متعاطى الحشيش بقوله " ليس هناك اى وسيلة فى الدنيا يمكن ان تفوق الحشيش فى خلق اللذة وتدمير الانسان فى وقت واحد (٢) .

---

١ - احمد طه ريان ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

٢ - السيد عماد ، فاعلية العلاج بالحشيش ، مجلة العربى الكويتية ، اغسطس ، ١٩٨٠ ، ص ص ١١١ - ١١٤ .

ويمكن اجمال بعض التأثيرات الاخرى لتعاطى الحشيش كما يلى :-

١ - زيادة الازمات القلبية والذبحة الصدرية بعد التعرض لمجهود عضلى .

٢ - اعاقة بعض الاعضاء الهامة فى الجسم من اداء وظيفتها احياناً واحياناً اخرى للابد .

٣ - يقلل من مناعة الجسم ضد الفيروسات والفطريات والاصابة بالسرطان .

٤ - زيادة فى عدد دقات القلب .

٥ - جفاف الحلق والفم .

٦ - احتقان الانف والشعب الهوائية .

٧ - احتقان واحمرار العينين وارتخاء الجفون .

٨ - يحدث اختلالاً فى تقدير الزمان والمكان وتبدو الحوادث والاشياء كأنها بطيئة او سريعة عن معدلها .

٩ - يحدث فقداناً جزئياً للذاكرة [1] .

١٠ - لابد وان يصل المتعاطى يوماً للادمان .

١١ - يحدث ميلاً الى النوم مع احساس شديد بالجوع .

١٢- ميل شديد نحو الحلوى .

١٣ - زيادة فى الرغبة الجنسية الوهمية .

١٤ - يحدث حالة من جنون العظمة والاحساس الكاذب بالاهمية او بالقوة او الهلوسة .

١- سعد المغربى ، تعاطى الحشيش ، دراسة نفسية واجتماعية ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ، ص ص ١١٧ - ١٢٨

١٥ - يحدث تخيلاً كاذباً عن اطالة العملية الجنسية وزيادة الشعور بالمتعة والنشوة وهذا ما أكد عدم صدقه البحث الميدانى وان العملية لا تخرج عن الايحاء فى الثقافات المختلفة .

١٦ - تضعف من قوة الارادة والقدرة على اتخاذ القرار واختلاف طبيعة الادوار التى كان يشغلها الفرد فى الثقافات المختلفة قبل وبعد الادمان .

١٧ - اضعاف القدرة التناسلية وفقده لشهوته الجنسية الطبيعية فى سن مبكرة ، وذلك نتيجة تخمد الاعصاب المنبهة ، وضعف قوة الاعصاب ، وتخمل فيها قدرتها على الحس واللذة المنشودين، وتجعل العلاقة الجنسية آلية لا روح فيها ولا متعة للطرفين .

١٨ - يولد اطفال المتعاطين ضعاف العقول والاجسام ، لديهم نقص فى المناعة الطبيعية ويكونون معرضين للامراض العصبية والنفسية .

١٩ - يتحول المدمن الى شخص غير منتج ، غير امين ويفقد القدره على تركيز الفكر .

٢٠ - تذهب بنخوة الرجال وبالمعانى الفاضلة فى الانسان وتجعله غير واف اذا عاهد وغير امين اذا اؤتمن وتميت الشعور بالكرامة وتملؤه دناءه وخيانة لنفسه وللآخرين .

٢١ - تخلق عدم احساس بالمسئولية الاجتماعية والعائلية .

٢٢ - تضعف من قوة الارادة وتخلق الجبن .

٢٣ - تؤدى الى كراهية العمل .

٢٤ - تخلق كثير من الامراض عن طريق العدوى لانتقال اداة التعاطى من فم الى آخر وافساد جو مكان التعاطى .

٢٥ - تؤثر على قدرات ومهارات الشباب والى تدهورها ، ولا يقتصر

على ذلك وانما تنعكس على بقية جوانب البناء النفسى للفرد بما فى ذلك ثقته فى ذاته وشعوره بالامن وموقفه من الآخرين [١]

٢٦ – سوء احواله المادية لكثرة ما ينفق على شراء المخدر وهذا يؤثر على دخله وبالتالى انفاق الاسرة .

٢٧ – يصاب المتعاطون بطريق الحقن بخراجات فى مواضع حقنهم كما يتعرضون لامراض خبيثة .

٢٨ – الادمان يجعل حال المدمن كحال المريض مرضاً عقلياً ولقد اوصت لجنة خبراء الصحة العالمية الخاصة بالادمان فى تقريرها الحادى عشر والخاص بالحجز المدنى للمدمنيين [٢] ، وهذا ما تتفق معه وضرورة النظر الى المدمن اولاً على انه مريض وهذا ما سنوضحه ميدانياً .

٢٩ – ان تعاطى الحشيش وقيادة السيارة اقصر طريق للموت .

٣٠ – ان تعاطى الحشيش على انفراد وفى حالات الغضب او الاكتئاب يزيد من احتمال ظهور الحالات العقلية التى تتصف بالمعتقدات الاضطهادية الباطلة .

٣١ – ان تدخين الحشيش او الماريجوانا فى الارجيلة اقل ضرراً من تدخينة فى سيجارة لان الطريقة الاخيرة تضيف اصرار التدخين الى اثار الحشيش [٣] .

---

١ – فرج احمد فرج ، الشباب وتعاطى المخدرات ، بحث الندوة العربية ، حول ظاهرة تعاطى المخدرات ، ١٩٧١ ، ص ٦٧ .

٢ – عادل رسلان ، حكم تناول المخدرات والمفترات وتداولها فى التشريع الاسلامى والقانون ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٨٥ ، ص ص ٤٦ – ٤٩ .

٣ – عادل الدمرداش ، مرجع سابق ص ٢٢٢

وقد نقل ابن حجر عن بعض العلماء المسلمين قوله " وفى اكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية " ،نشير الى اهمها :-

١ - انهــا تورث النسيــان . ٢ - تورث الموت فجــأة .

٣ - اختلال العقل وفسادة . ٤ - تفســد الاسنـــــان .

٥ - دوام الرعشـــــــة . ٦ - تورث امراض الجذام .

٧ - تورث امراض البرص . ٨ - تورث امراض السل .

٩ - تذهب الحياء ١٠ - تذهب المروءة .

١١ - تورث عشاء العين . ١٢ - تذهب الفطنة .

١٣ - تجلب كثرة النوم والكسل . ١٤ - تحدث البطنة .

١٥ - تصدع الرأس . ١٦ - تقطع النسل .

١٧ - تجفف المنى . ١٨ - تورث العنة .

١٩ - تورث البعد عن الجنة . ٢٠ - تنسى الشهادتين عند الموت [(١)] .

٢ - تأثير الماريجوانا

اما عن تأثير المارجوانا على الانسان ، فيمكن القول انها نفس الاثار التى تنتج عن تناول الحشيش ، الا انها هنا ونظراً لكونها اشد تركيزاً من الحشيش فإن لها تأثيرات على الانسان اقوى واشد فاعلية من تأثير الحشيش عليه ومن هذه التأثيرات ما يلى :-

---

١ - احمد على ريان ، المخدرات بين الطب والفقه ، دار الاعتصام ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٧ - ٢٨

١ - انها تسبب الهلوسة وانسياب الافكار وزوال الخجل والميل الى الضحك فى وجود الاخرين ، والهدوء والصمت فى حالة الانفراد .

٢ - اختلاف تقدير الزمان والمكان وتبعد الحوادث والاشياء كأنها بطيئة او سريعة عن معدلها .

٣ - حدوث فقدان جزئى للذاكرة وميل الى النوم .

٤ - حدوث شعور بالذعر والقلق ولا سيما عندما يؤخذ بجرعات كبيرة ، وفى هذه الحالة يصبح المتعاطى فى حالة هياج شديد وقد يرتكب جريمة لافتراض بانه فى حالة دفاع عن النفس .

٥ - استعمال هذا العقار على نحو متكرر يصيب الفرد بالغباء والتخلف الذهنى وتحطيم الارادة .

٦ - شدة الحساسية بالضوء ولهذا نجد الكثير من المدمنين يلبسون نظارة سوداء .

٧ - اذا اخذ بكميات كبيرة فانه يسبب الشعور بالاضطهاد وارتفاع ضغط الدم [١] .

٣ - تأثير الافيون

ويستعمل الافيون ومشتقاته بطريقة التدخين او تناوله عن طريق الفم او بطريقة الحقن تحت الجلد ، حيث ان هذه الطريقة تظهر اثاره بسرعة .

ويمكن التعرف على مدمن المخدرات بصفة عامة والافيون بصفة

١ - نفس المرجع السابق ، ص ٣٠

خاصة كما يلى :-

أ – آثار الحقن على اذرع المدمنين .

ب – الشعور بالابتهاج وعدم الاهتمام بأى شئ آخر .

جـ – نزول حدقتى العينين عن مستوى الجفن الاسفل .

د – اذا لم يحصل المدمن على المخدر فانه يكون عصبياً وعيناه مائلتان مع رشح من انفه واذا استمر فى عدم الحصول عليه فان هذه الاعراض ستتطور حيث يشعر بألم فى معدته ثم يبدأ فى التقيؤ ويستمر فى حالة تقيؤ حتى ولو كانت معدته فارغة (١) .

ويمكن اجمال اهم السمات العامة التى يتركها ادمان الافيون على شخصية المدمن فيما يلى :-

١ -الحساسية الشديدة والتوتر والانفعال .

٢ – سوء الخلق وعدم الاكتراث والاهمال وانخفاض مستوى الانتاج .

٣ – ضعف القدرة على التكيف والتوافق الاجتماعى .

٤ – التدهور الاجتماعى والاقتصادى الذى يؤدى بالكثير من المدمنين الى التعطل والبطالة والطفيلية .

٥ – الانزلاق فى مهاوى الجريمة كالنصب والاحتيال والسرقة وذلك اذا حالت ظروف المدمنين دون الحصول على المخدر ، هذا فضلاً عن انزلاق

١ – احمد محمود حافظ ، المخدرات : انواعها واضرارها ، دار عكاشة للنشر ، ص ١٧ .

الكثير من المدمنين فى تجارة المخدرات وتوزيعها بقصد العيش والارتزاق من ناحية والحاجة الى المخدرات من ناحية اخرى .

كما ان هناك عددا من الاثار الاخرى وهى :-

الخمول الفكرى ، الامساك ، والمرض ببعض الامراض الجلدية كالارتيكاريا والالتهابات الخارجية والاغماء .

٤ - المورفين

وجدير بالذكر ان هذا المخدر له تأثير اقوى من الافيون ويسبب استخدام هذا المخدر حتى للاغراض الطبية الى درجة معينة من الادمان .

٥ - الهيروين

ويمكن اجمال اهم آثار الهيروين على الانسان فى النقاط التالية :-

١- الاحساس بالهبوط والاعياء . ٢ - الضعف الجسمانى والنفسى .

٣ - فقدان الشهية للطعام . ٤ - المعاناة من الارق والخوف الدائم .

٥ - الاصابة بالاسهال والالام المعدية . ٦ - تصلب العضلات وكثرة افراز العرق .

٧ - الام شديدة فى الظهر . ٨ - الاصابة بالتشنج .

٩ - الاصابة بالحمى والغثيان .

٦ - القات

للقات آثار سيئة على صحة مستعملة ونسله فهو مضر بالصحة والنسل ،

كما انه يفقد المرء شهوة الاكل ويفسد اسباب الهضم ، ويحدث كذلك شللاً في مجرى البول [١] .

ويمكن اجمال اهم النتائج التى توصل اليها العلماء الذين قاموا بدراسته مايلى :-

١ - ان نبات القات يحتوى على قلويد له تأثير مباشر على الجهاز العصبى حيث ينبه الاعصاب وينشط العضلات ويمنع النوم .

٢ - ان تأثيره يختلف باختلاف الاشخاص الذين يتناولونه لاول مرة حيث يحس الشخص بشعور انعزالى خاصة فى تقدير الوقت والمسافة مع ظهور حالة من الضحك يعقبها الشعور بالاغماء والغثيان ثم يفيق الشخص شاعراً بالالم والجوع .

اما بالنسبة لمن يعتاد مضغه ويدمنه يظهر عليه عدد من الاعراض من اهمها :-

اتساع حدقة العين والتهابات الفم والمعدة كما يحدث ضعف فى حركة المعدة وقلة فى افرازاتها .

كما يصاحب ذلك ضعف وشلل فى الامعاء والتهابات وتليف فى الكبد مع ظهور اعراض الخمول الجنسى .

٣ - ظهور اضطرابات فى الجهاز الدورى (القلب والاوعية الدموية) حيث تظهر بسرعة ارتفاع فى ضغط الدم يتوقف فى شدته على الكمية

١- احمد محمود حافظ ، مرجع سابق ، ص ص ١٨ - ٢٠ .

المتعاطاه من القات [١]

ومما هو جدير بالذكر ان هذا النوع من المواد المخدرة لا يوجد فى جمهورية مصر العربية

٧ - الكوكايين

ويمكن اجمال اهم تأثير الكوكايين فى النقاط الآتية

١ - يسبب احساساً مؤقتاً بالغبطة والقوة العصلية وزيادة طاقة العمل لدى من يتعاطاه

٢ - لا يلبث هذا الشعور ان يعقبه شعور بالاعياء الشديد والهبوط الذهنى ، ولهذا يتناول جرعات متزايدة حتى يصل الى حد الافراط فيه فيؤدى به الى الهبوط الشديد او يفقد الوعى .

٣ - اذا منع عنه العقار يصاب بحدة الطبع والغضب والهياج الشديد والارق

٤ - يصاب بالهلوسة والشعور بالاضطهاد ونتيجة لهذا الشعور قد يتجه لارتكاب جريمة كبرى لافتراض الدفاع عن نفسه [٢]

٨ - الامفيتامين

ويمكن اجمال اهم اثاره على الانسان فيما يلى -

١ - الاحتقان والشحوب وارتفاع فى درجة الحرارة

---

١ - احمد على ريان ، مرجع سابق ، ص ص ٤٢ - ٤٣

٢ - احمد محمود حافظ ، مرجع سابق ، ص ص ٣١ ٣٢

٢ - زيادة فى نبضات القلب واضطرابه .

٣ - ارتفاع ضغط الدم واحتمال حدوث نزيف بالمخ .

٤ -قىء وصعوبة فى التنفس وتشنج وعدم اتزان الحركات .

٥ - فقد القدرة على الاحساس .

٦ - فقد الشعور الذى يصل الى الغيبوبه احياناً والتى يصل الى حد الوفاه بسبب هبوط مفاجىء فى القلب .

٧ - حدوث التهاب بالكبد وخراج بالرئة والتهابات بالقلب من الحقن بالوريد مع التهابات بالاوردة على الجلد والاطراف .

٨ - تميز متعاطى هذا العقار بحدوث افكار وضلالات وشك واضطهاد مسبوقة بحالة من التوتر والقلق وزيادة فى الادراك مع وجود هلاوس سمعية وبصرية فى الغالب (١) .

تأثير الخمر على الانسان :

- أما عن مضاعفات الخمر النفسية والعقلية فنلخصها فى النقاط التالية :

١ - الهذيان الرعاشى .

٢ - التهاب المخ من نوع فيرنيك .

٣ - ذهان كور ساكوف

٤ - اضطرابات الذاكرة .

٥ - الخرف الكحلى .

٦ - الهلوسة الكحولية .

---

٢ - جمال الدين عبد العزيز ، اضرار المسكرات والمخدرات النفسية ، مرجع سابق ، ص ص ١٧ - ١٨

٧ – الغيرة المرضية .

٨ – حالة تجوال الخمير .

٩ – الانتحار فى الادمان

اما عن مضاعفات الخمر الجسمية فنلخصها فيما يلى :–

١ – التهاب المعدة .

٢ – قرحة المعدة .

٣ – اضطرابات الكبد .

٤ – امراض القلب وضيق التنفس .

٥ – النوبات الصرعية .

٦ – ضمور خلايا المخيخ .

٧ – التهاب الاعصاب المحيطية .

٨ – الضعف الجنسى .

٩ – رعشة اليدين .

١٠ – السل الرئوى .

١١ – امراض العضلات والدم .

١٢ – نقص السكر فى الدم .

١٣ – العمى الكحولى . (١) .

وتعد المخدرات نوع من السموم قد تؤدى فى بعض الحالات خدمات جليلة لو استخدمت بحذر وبقدر معين ، وبمعرفة طبيب مختص للعلاج فى بعض الحالات المستعصية وتستخدم فى العمليات الجراحية لتخدير المرضى ، ولكن الادمان عليها يتسبب فى ضعف جسمانى واضمحلال تدريجى فى القوى العقلية قد يؤدى بالمدمن الى الجفون ويجعله فريسة الاوهام والامراض (٢) .

---

(١) عادل الدمرداش ، مرجع سابق ، ص ص ٨٠ – ٨٨

(٢) حسن عكوش ، الوسيط فى شرح قانون المخدرات الجديد دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ١٩٧٤ ، ط ٤ ، ص ٧

الفصل الثانى

مناهج و طرق البحث فى الجريمة

مما هو جدير بالذكر أن علماء الجريمة للآن لم يقتصروا علي دراسة الإجرام على الاطلاق أو البحث عن أسباب الجريمة بصفة عامة ، إنما أصبحوا يركزون فى دراساتهم على تحديد العوامل المختلفة التى تتحكم فى نشأة الجريمة وتطورها وتزايدها أو نقصها ، وتكاثفها أو تخلخلها الخ

وبناء عليه ظهرت مناهج علمية جديدة فى دراسة الجريمة فلم تعد تفسيرات العلماء للجريمة قائمة على الظن أو التخمين أو الحس المشترك وإنما أصبحت تقوم على بيانات دقيقة وإحصائيات كمية ودراسات موضوعية (١) .

ويمكن إجمال أهم تلك المناهج على النحو التالى ·

١ – المنهج الإحصائى

ويمكن إجمال أهمية المنهج الإحصائى فى النقاط التالية

أ – إمدادنا بأكبر قدر من الوقائع على أنه يتيح لنا أن نحكم على الجريمة حكماً موضوعياً مجرداً من العاطفة .

ب – يستطيع الباحث عن طريقة الكشف عن العلاقات الضرورية القائمة بين الجريمة وغيرها من الظواهر الاجتماعية الاخرى السائدة فى المجتمع

جـ – يمكن الباحث من أن يصوغ نتائجه فى صور كمية دقيقة مجردة من التعبيرات اللغوية المائعة والمرونة اللفظية الخادعة

د – تكون الدراسة المنظمة للأشخاص الذين يقضى عليهم أو يحكم

---

١ – زكريا إبراهيم ، الجريمة والمجتمع ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٨ ، ص٤٢

عليهم لجرائم إرتكبوها كما تعتبر دراسة الاحصائيات الخاصة بهم منهجاً علمياً دقيقاً في تفسير الجريمة ، وهو منهج لا تحيط به الصعوبات المعروفة التى تواجهنا فى دراسة الأوضاع الإقتصادية أو السياسية أو العقائدية فى مجتمع الجريمة (١) .

وهناك طريقتان في المنهج الإحصائى لبحث الجريمة وهما :

أ - طريقة إحصاء الجرائم

تعد إحصائيات الجرائم والمجرمين من أشد الإحصائيات صعوبة وأكثرها بعداً عن الدقة نظراً للاسباب الآتية :

١ - صعوبة حصر الجرائم من جهة .

٢ - إن الجرائم التى يكتشفها البوليس هى أقل بكثير من الجرائم التى ترتكب فعلاً ، ولكن هذا المنهج الاحصائى يعيننا على معرفة العلاقة بين الجريمة وغيرها من المتغيرات الطبيعية أو الاجتماعية ، فلقد إستطاع بعض الباحثين إثبات وجود علاقة وثيقة بين نسب الجريمة والظروف الاقتصادية ، وإستطاع آخرون أن يجد صلة بين السلوك الإجرامى وبين تقلبات الفصول وتضخم حجم السكان وإنتشار البطالة من جهة أخرى (٢) .

ونجمل عيوب هذه الطريقة في النقاط التالية :

١ - عدم الكشف عن الاسباب الحقيقية فى حدوث الجرائم .

١ - محمد عبده محجوب ، بعض العوامل الإجتماعية المؤثرة فى الجريمة وأساليب مواجهتها ، الندوة العلمية الخامسة " سبل التنسيق بين الأجهزة المعينة بمكافحة الجريمة الرياض ، ١٩٨٣، ص ص ٨ - ٩ .

٢ - زكريا إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ص ٤٣ - ٤٤

٢ - في حالة معرفة إزدياد الجرائم المرتكبة ضد الاشخاص في الصيف عنها في الشتاء مثلاً ، فلا تسمح لنا الاحصائيات بمعرفة أسباب تلك الزيادة هل هي راجعة الى :

١ - التأثير المباشر للحرارة على المزاج .

٢ - تزايد الاحتكاك بين الناس أثناء الصيف .

٣ - حالات التسمم خلال الطقس الحار .

بناء عليه فإن طريقة إحصاء الجرائم هي طريقة ذات قيمة في البحوث التمهيدية فقط ، ولكنها لا تسمح بتحديد أسباب إرتكاب الجرائم تحديداً دقيقاً نهائياً حاسماً .

ب - طريقة إحصاء سمات المجرمين وظروفهم

وتعتمد هذه الطريقة في مقارنة السمات المعنية والظروف الخاصة التي تتكرر لدى المجرمين بما يتوفر لدى غير المجرمين من سمات وما تحيط بهم من ظروف .

وإستعان الباحثون في دراستهم بعدة طرق نجمل أهمها فيما يلي :

١ - إختبار الذكاء في تحديد نسبة الضعف العقلي عند المجرمين وعند غير المجرمين .

٢ - مقارنة ظروف المجرمين المتصلة بالاسرة ومدى تماسكها ، وحالة الابوين ومدى رعايتهما للاطفال ومستوى المعيشة ، والبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها الطفل إلخ ، وبين ظروف غير المجرمين المتعلقة بهذه الامور كلها .

٣ - المقارنة بين مسائل الجنس واللون والموطن والديانة والسن والحالة الاجتماعية ونوع التربية عند كل من المجرمين وغير المجرمين .

وقد إستطاع جورنج عن طريق هذا المنهج أن يفند آراء " لومبروزو" وان يثبت خطأ النظرية القائلة بوجود طراز جسمى خاص يميز المجرم ، وقادته مقارنته للمجرمين بغيرهم من سواد الناس الى القول بأن الغالبية العظمى منهم تتسم بضعف عقلى واضح ، وهو ماحاول البعض اثباته فيما بعد باستعمال اختبارات الذكاء .

ويمكن اجمال اهم عيوب هذه الطريقة :-

١ - ان معظم الاحصائيات التى يستند اليها مستمدة من ملاحظة نزلاء السجون ، لا من دراسة المجرمين بصفة عامة [١] .

٢ - ان المعلومات التى يعتمد عليها فى تقرير ظروف المجرم المتعلقة بحياة والديه ، واسلوب معيشتهما ونوع التربية التى تلقاها على يديهما الخ (وما الى ذلك من امور خاصة تفتقر الى كثير من الدقة ، ان لم تكن كاذبة فى بعض الحالات .)

٣ - الزعم بأن جانباً كبيراً من المجرمين يتسمون بشخصية سيكوباتية وهذا الزعم فيه كثير من المبالغة فليس هناك مايبرر الربط بين الاجرام والشخصية السيكوباتية او بين الاجرام والضعف العقلى ،

٤ - فى حالة الامكان باثبات عن طريق المنهج الاحصائى ان دراسة المجرمين ونسبة جرائمهم تزيد لدى الرجال عنها لدى النساء ، فأن هذه الحقيقة لا تكشف لنا عن الاسباب فى وجود هذه الزيادة كما يتضح مما يلى :

أ - هل الزيادة راجعة الى طبيعة كل من الجنسين

---

(١) نفس المرجع السابق ص ص ٤٤ - ٤٥ .

ب - هل هى وليدة إختلاف أسلوب المعيشة لدى كل منهما .

جـ - إختلاف نوع العمل الذى ينهض به كل منهما .

ولقد ذهب البعض بأن العلاقات التى تكشف عنها الاحصائيات ليست بمثابة تأويلات او تفسيرات ، وانما هى مجرد حقائق موجهة تحدد امامنا مجال البحث وتعيننا على الوصول الى تفسير صحيح .

بناء عليه فأن ماسبق يعنى ان المنهج الاحصائى هو اعجز من ان يتجاوز نطاق العوامل الخارجية المؤثرة على حدوث الجريمة ، كما ان فى تحليل سمات المجرم ودراسة ظروفه كلا على حدة قد ينسينا الموقف العام الذى صدر عنه سلوكه ككل .

وهنا يكمن الخطأ الذى وقع فيه كثير من الباحثين الذين اهتموا بدراسة مشكلات الاحداث المذنبين ، اذ كانوا ينظرون الى بعض الوقائع فى انفصال عن الموقف العام ، فلم يستطيعوا ان يفهموا حقيقة السلوك الاجرامى باعتباره وليد عوامل نفسية وجسمية واجتماعية تفاعلت فيما بينها تفاعلاً ديناميكياً

فلابد اذن من البحث بشىء من الدقة وبنظرة أكثر شمولية وفقاً للمنهجية الانثروبولوجية عن العوامل المتعددة والمتشابكة والمتفاعلة فى احداث الانحراف ، وهذا يعنى انه اذا توافرت طبيعة معينة فى شخص ما مع توافر عوامل نفسية معينة فى مواقف اجتماعية معينة ، فهنا نقرر اذا كان هذا الشخص مجرماً ام لا ، لذا فالمنهجية الانثروبولوجية تفيدنا هنا فى البحث عن طبيعة الجريمة وعلاقتها بالبيئة والعوامل والدوافع والاسباب المختلفه حول حدوثها وطبيعة الاشخاص الذين يقومون بها واحوالهم من

جميع النواحى .

٢ – المنهج الايكولوجى ومنهج مسح الجريمة

وكل من المنهجين سالفى الذكر يتصلان اتصالاً وثيقاً بالمنهج الاحصائى ، فيهتم المنهج الايكولوجى بتحديد اماكن اقامة المجرمين وتوزيع مناطق ارتكاب الجرائم بالنسبة للاحياء المختلفة ، مما قد يعيننا على الاهتداء الى بعض الظروف المحيطة بارتكاب تلك الجرائم ، ومعرفة بعض الاوساط التى يتكاثر فيها المجرمون .

اما منهج مسح الجريمة فهو عبارة عن دراسة اجتماعية نستقصى فيها المجتمعات المحلية مع ما يحيط بها من جهات لمعرفة مدى تكاثف الجريمة او تخلخلها ، والوقوف على انواع الجرائم ومدى خطورتها ، ودراسة الموقف العام للمجتمع المحلى الواحد من الجرائم والمجرمين .

وهنا نتساءل كيف تتم الجريمة فى المجتمع المحلى ؟

عند دراسة الجريمة فى المجتمع المحلى لابد ان نبحث فى النقاط التالية:–

١ – مدى انتشار الجريمة فى هذا المجتمع المحلى ؟

٢ – مانوع المخالفات التى ترتكب فيه ؟

٣ – ماهى العوامل التى تسبب حدوث مثل هذه المخالفات ؟

٤ – ماهى حالة المجرمين الاجتماعية ؟ واين تقع اماكن اقامتهم ؟

٥ – ماهى الظروف المختلفة المصاحبة للجريمة فى ذلك المجتمع ؟

اهى الفقر ام التغير الاجتماعى السريع ، ام مرور الحضارة بمرحلة

انتقال ام وجود تفكك او انحلال فى المجتمع وعدم الاستقرار السياسى أو عدم الاستقرار الاجتماعى أو الاقتصادى الخ ؟

٦ – ماهى حقيقة المناطق التى يكثر فيها المجرمون ؟

٧ – ماهى العلاقة بين السياسة والجريمة فى تلك الجماعة ؟

٨ – ماهى الصلة بين كل من الجهاز القانونى المنحل والجريمة ، القيم الاجتماعية والجريمة ، التخلف الثقافى والجريمة الخ .

٩ – نظرة ابناء المجتمعات للجرائم على اختلاف انواعها وبالتالى نظرتهم للمجرمين .

اقصد انه عند دراسة الجريمة فى المجتمع المحلى لابد من محاولة الالمام بكل الظروف والملابسات التى تحيط بالجريمة والبحث فى مختلف العوامل والدوافع التى تسبب فى اقبال الناس على ارتكاب الجرائم وموقف المجتمع منهم وموقفهم من المجتمع واثر كل هذه الظروف على استقرار وتكامل المجتمع فى النهاية .

٤ منهج دراسة الحالات الفردية Individual Case Study

ويلاحظ فى هذا المنهج أن المدمن نفسه لا السمة الشخصية أو الظرف الاجتماعى هو الوحدة التى تراعى فى البحث ، فندرس السمات الشخصية والظروف الاجتماعية لكل مجرم على حدة ، ويهتم الباحث على وجه الخصوص بتحديد أثر كل عامل من العوامل عن طريق ربطه بالموقف العام ككل .

ولقد إستخدم هذا المنهج كثير من الباحثين الذين قاموا بدراسة الخارجين

على القانون من بين الاحداث ، فاهتموا بالوقوف على ظروفهم العائلية ، وبيئاتهم الاجتماعية ، وما أحاط بهم من ظروف الجوار والصحية وما الى ذلك وبذلك إستطاعوا أن يلموا بطرق إنحراف الاطفال والشباب ، وأساليبهم في تأليف العصابات والمنظمات الاجرامية ، وأثر العوامل النفسية والاجتماعية المختلفة على نفوسهم فى الوقت الذى يتجهون فيه نحو السلوك الاجرامى .

ومما لاشك فيه أن مثل هذه البحوث تلقى الضوء على خطوات المجرمين (أو المذنبين) فى تطورهم نحو إكتساب عادات سلوكية ومواقف وحدانية شاذة تحت تأثير ظروفهم الخاصة فى المجتمع ، وعاصروا به من تجارب شخصية فى كل هذه الاثناء ، ومدى يستطيع الباحث أن يصل الى تحديد " العلل الحقيقية المباشرة " لهذا الاسلوب الاجرامى ، ولكن فى وسعه مع ذلك بالاستناد الى وصف شخصية المجرم ومعرفة البيئة الاجتماعية المحيطة به وأن يصل الى تحديد بعض العوامل المحتملة التى أثرت على سلوكه العدوانى[1] .

ولقد إختلفت الآراء حول العوامل الهامة فى دراسة المذنبين من الأحداث ، فذهب البعض الى أن المهم هو معرفة الميول السلوكية التى ظهرت فى كل مذنب ، بدلا من الاهتمام بدراسة عملياته الذهنية .

وبينما ذهب البعض الآخر الى أنه من الأهمية بمكان أن نقف على أحوال المذنب العقلية السابقة على ظهور السلوك الاجرامى لديه ، فيعنى بحث دوافعه وإهتماماته ومظاهر حرمانه وضروب صراعه وشتى ما ألم به من أحداث نفسية وتجارب عقلية أثناء المراهقة . وليس المقصود من ذلك هو الحصول على المعلومات اللازمة للحكم على المجرم ولكن الحصول على

---

(١) زكريا ابراهيم ، علم الجريمة والمجتمع ، النهضة المصرية ، ١٩٥٨ .

القرائن والادلة التى قد تعيننا على فهم موقف الفرد من المجتمع وأسلوبه فى الحكم على نفسه .

ونجمل الانتقادات التى وجهت الى هذا المنهج فى النقاط التالية :

١ - إن التفسير الذى يصفه الباحث فى ختام مثل هذه الدراسة كثيراً مايجيء متأثراً بآرائه السابقة وأحكامه الشخصية وتبعاً لذلك فإن خطر إستعمال هذا المنهج ينحصر فى أن الباحث قد يقيم وزناً كبيراً لعوامل تافهة بينما يهمل عوامل أخرى قد تكون أكثر أهمية وعليه تأتى تأويلات الباحثين مختلفة .

٢ - لابد من الاستعانة بمناهج أخرى لتكملة نتائج هذا المنهج ، وبذلك نستطيع أن نثبت صحتها بطريقة علمية دقيقة .

٥ - منهج العلاج النفسى

ويقصد به إختيار الفروض التى نضعها عن أسباب الانحراف الاجرامى لدى الشباب لتغيير سلوك الافراد أو الجماعات ومراقبة الظروف والاحوال المحيطة بهم وهذا المنهج هو أقرب المناهج المتبعة في دراسة الجريمة الى المنهج التجريبى المستعمل فى العلوم الطبيعية والبيولوچية ، ولو أن التحكم فى المواقف الاجتماعية هو بالضرورة أعسر وأدنى منه فى الظواهر الطبيعية.

★ دراسة المجرم فى العراء

ويكون الغرض من هذا المنهج هو دراسة المجرمين فى حالتهم العادية ، بعيداً عن مراكز البوليس والمحاكم والسجون ، ويذهب أنصار هذا المنهج أنه إذا أريد فهم المجرم فلابد من دراسته خارج المؤسسات الاجتماعية عن

طريق الاتصال المباشر أو بالاندماج فى الجماعات التى ينتمى إليها أو يتردد عليها ، ويعنى هذا أنه يجب على الباحث الاجتماعى الذى يريد دراسة المجرم أن يندمج فى جماعة الخارجين عن القانون ، حتى يشاهد اسلوبهم فى المعيشة ، ويقف على ظروف حياتهم عن قرب .

وهذا ما تم بالفعل فى الدراسة التى بأيدينا والتسجيل بالصوت لمختلف الانشطة التى يقوم بها جماعة المدمنين أثناء التعاطى وطبيعة العلاقات وحدودها بينهم من خلال الجلوس معهم والتحاور معهم فى كل الثقافات الفرعية التى تحتويها بنية المجتمع المصرى بقصد التعرف على الابعاد المتشابكة والمترابطة لهذه القضية .

ولكن هناك عدة صعوبات تترتب على هذا المنهج برغم أهمية المعلومات التى يحصل عليها الباحث نتيجة الاحتكاك المباشر أو ما يطلق عليه فى علم الانثروبولوجيا الملاحظة بالمشاركة وهذه الصعوبات هى :

أ – صعوبات تتعلق بالاختلاط المباشر للاسرار المحيطة بهذا العالم خاصة فى حالات الادمان على المواد المدمرة كالهيروين والكوكايين الخ أو المجرمين العتاه .

ب – كيفية الاندماج فى جماعة المجرمين إن لم يكن على علم بأصول مهنهم وأسرار مهنتهم .

جـ – صعوبة إدلاء المجرمين بأسرار حياتهم ودوافعهم لانتهاج طريق الجريمة .

د – عدم سماح الكثير من المجرمين لاحد بسؤالهم أو كشف أسرار دخولهم الى عالم الجريمة أو بدايات عهدهم بالاجرام ولما كانت الطريقة

الأنثروبولوجية تتميز باستخدامها لكثير من أدوات جمع البيانات والمعلومات المتفردة والمتميزة كعلم له إستراتيچية ورؤية تحليلية أكثر شمولا لاى ظاهرة نعرض بإيجاز للطريقة الانثروبولوچية وأهميتها فى دراسات الجريمة على النحو التالى:

* الطريقة الانثروبولوچية ودراسة الجريمة

تتعدد المداخل النظرية أو التفسيرية فى دراسة الجريمة تبعاً لاختلاف العلوم الانسانية ، الا أننا نجد أنه بالاضافة الى الاتجاهات النظرية التى ينتهجها كل علم فى علاج قضية ما ، بالاضافة الى وجود ثمة طرق تتبع داخل كل علم من العلوم لجمع المادة الاثنوجرافية أو الحقائق والمعلومات حول قضية ما .

ومما هو جدير بالذكر أن الطريقة الانثروبولوچية فى دراسة الجريمة لها طابع مميز نظراً لاعتمادها على عدة طرق لجمع المعلومات فمنها الملاحظة بالمشاركة والاعتماد على الاخباريين ، والاعتماد على الوثائق الرسمية وكذلك التاريخ الحياتى للمجرم (السيرة الذاتية) ودليل العمل الميدانى ، والمقابلة وإستمارات البحوث لتكميل بعض المعلومات حول القضية المراد بحثها الخ.

وبناء عليه نجد إختلافاً بين الاتجاهات النظرية والطرق المستخدمة فى جمع المادة المتاحة ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

تعتبر أنثروبولوچيا الجريمة مدخلا تفسيرياً نظرياً يقوم على تفسير السلوك أو الفعل الاجرامى فى ضوء خصائص محددة فى المجرم نفسه ترتبط إما بتكوينه العضوى والتشريحى والعقلى وتعتمد وهى بصدد تحقيق

ذلك على مناهج محددة فى جمع المعلومات والحقائق كالملاحظة العلمية المقصودة والقياسات المعملية والتشريحية الخ .

وتعتبر الطريقة الانثروبولوجية فى دراسة الجريمة هى عبارة عن طريقة لجمع المادة الاثنوجرافية حول الظاهرة الاجرامية أو السلوك الاجرامى وليست مدخلاً للتفسير ثم يتم التحليل والتفسير فى ضوء المداخل النظرية التى يتبناها كل باحث على حده .

وتعتمد الطريقة الانثروبولوجية فى دراسة الجريمة على الدراسة الحقلية من خلال الملاحظة بالمشاركة ومعايشة المبحوثين ومشاركتهم نمط معيشتهم والانغماس معهم تماماً فى نظمهم المجتمعية فهذا من شأنه ان يجعل الباحث قادراً على إعطاء صورة كاملة ورؤية اكثر شمولاً وعمقاً وتحليلاً عن ظروفهم الحياتية وأنماطهم المعيشية والثقافية .

ونجد من الاهمية بمكان خاصة فى الدراسة التى نحن بصددها عن الادمان أن الباحث يجب أن يكون ملماً الى حد كبير ببعض العبارات أو الالفاظ اللغوية التى قد يستخدمها جماعة المبحوثين أو يتعلمها حتى يستطيع أن يتابع عن كثب وقائع الحياة المعيشية ويشارك فيها ويتفاعل معها ويدرك طبيعة الحقوق والالتزامات المترتبة على تلك العلاقات والتفاعل الاجتماعى بين جماعة المبحوثين .

كما أن الطريقة الانثروبولوجية تقتضى من الباحث أن يقيم مدة طويلة فى مجتمع البحث أو بين جماعة المبحوثين لا تقل عن سنة ولكن قد تزيد كثيراً عن ذلك حسب طبيعة وعمق ومستوى الدراسة التى يقوم بها الباحث وذلك حتى يتسنى له ملاحظة كافة وقائع الحياة المعيشية كما تجرى بين

جماعة المبحوثين بل المشاركة فيها والتفاعل معها مع كافة الامور والقضايا التى تهمهم قدر المستطاع ، وهنا لا تقتصر اقامته على الملاحظة السلبية لافراد مجتمع بحثه وإنما بالتداخل والتفاعل سيتحرى الحقائق والوقائع ويستفسر عن أسبابها وعواملها ودلالاتها المختلفة وعلاقتها بعضها البعض بغية إلقاء الضوء بصورة أكثر شمولا عن القضية مثار البحث من مختلف الجوانب والابعاد والعوامل المؤثرة فيها كقضية الادمان .

ويستعين الباحث وكما سبق القول بالاضافة الى ذلك بالاخباريين من جماعة المبحوثين أو كما نطلق عليهم فى الانثروبولوچيا الآتين بالاخبار وذلك بقصد التأكد من صدق المعلومات التى يدلى بها المبحوثون أو الاستفسار عن الغموض الذى قد يكتنف بعض المعلومات التى يدلى بها المبحوثون .

كما نستخدم فى الطريقة الانثروبولوچية أيضاً التاريخ الحياتى " السيرة الذاتية " لبعض الحالات المتفردة أو المختارة بقصد التعرف على الظروف والملابسات الاجتماعية والبيئية والنفسية لدخول هذه الحالات فى عالم الجريمة عامة والعوامل المختلفة المؤثرة في ذلك .

هذا بالاضافة الى دليل العمل الميدانى الذى يتضمن مجموعة من الاسئلة المفتوحة التى يطلق العنان فيها للمبحوث بالادلاء بكافة المعلومات والبيانات حول التساؤل المطروح بحرية كاملة ودون إجابات مقيدة وهذا له أثره الواضح فى غزارة المعلومات التى يجمعها الباحث حول الظاهرة

المدروسة .

ونلمس أهمية البحوث الانثروبولوجية فى دراسة المجرم فى الحياة العادية حيث ثبت أن المجرمين لا يكونون طبيعيين فى مراكز الشرطة والمحاكم والسجون ، وإذا أريد فهمهم على حقيقتهم فينبغى دراستهم فى حياتهم اليومية خارج المؤسسات من خلال الطرق سالفة الذكر ، وهى بالتأكيد تسمح بملاحظة المجرمين غير المقبوض عليهم وليس فقط المجرمون المختارون بسبب إجراءات القبض والحبس [١] .

وبناء عليه تأتى أهمية الدراسة التى قمت بها عن الادمان مستخدماً أكثر من إتجاه نظرى فى تفسير ما إستطعت جمعه من مادة أثنوجرافية عن طريق الادوات الانثروبولوجية التى سبق ذكرها بالتفصيل فى المقدمة ومشاركة المدمنين فى حياتهم العادية عن كثب بزيارتهم فى أماكن إقامتهم أو الاماكن التى يترددون عليها للتعاطى أو أماكن أعمالهم للتعرف على مختلف الظروف والاسباب والملابسات والعوامل التى دفعتهم للدخول فى هذه الدائرة اللعينة ، والمهم فى هذا أنهم جميعاً (المبحوثون) يعيشون فى حرية تامة وبعيداً عن مؤسسات العلاج أو مؤسسات العقاب وذلك بقصد التوصل الى تفسير كافة جوانب القضية المطروحة ومحاولة الوصول فى النهاية الى تقديم روشتة أنثروبولوجية ذات رؤية أكثر شمولاً وواقعية للقضية ومن ثم إعتبار المدمن على مختلف أنواع المخدرات مريضاً أم مجرماً .

(١) محمد عبده محجوب ، بعض العوامل الاجتماعية المؤثرة فى ظاهرة الجريمة وأساليب مواجهتها ، المركز العربى للدراسات الامنية والتدريب بالرياض . ص ٦ .

مما سبق نستنتج عدة نتائج نجمل أهمها فى النقاط التالية :

١ – هناك بعض العقاقير التى تسبب الاعتماد النفسى فقط مثل المنشطات ، الكوكايين ، القنب ، عقاقير الهلوسة ، القات ، التبغ ، القهوة ، المسكنات ، المستنشقات .

كما ان هناك بعض العقاقير التى تسبب الاعتماد النفسى والعضوى وهى :

(الخمر ، المنومات ، المهدئات ، الافيون ومشتقاته)

٢ – عدم وجود عقاقير تسبب الاعتماد العضوى فقط بدون ان يسبقه الاعتماد النفسى

٣ – اعتماد ظاهرة الادمان على عوامل ثلاثة وهى :

أ – العقار من حيث تركيبه وخواصه الكيميائية وطريقة استعماله ومدى توفره وسهولة الحصول عليه من دونه وصوره الادة التى يحصل عليها ونظرة المجتمع للعقار .

ب – المدمن نفسه من حيث العوامل الوراثية وشخصية المدمن وتكوينها الاجتماعى والنفسى وعوامل السن والجنس والطبقة الاجتماعية المهنية والحالة الاجتماعية وكذلك وجود او عدم وجود بعض الامراض النفسية والجسمية .

ج – البيئة من حيث الاسرة والتربية وسلوك الوالدين والمحيط الاسرى برمته وكذلك العادات والتقاليد التى تحيط بالفرد وكذلك العوامل الدينية وعوامل الحروب وعدم الاستقرار السياسى والاجتماعى .

ولقد اثبتت الدراسة اختلاف هذه العوامل فى الثقافة البدوية عن الثقافة القروية الحضرية مما جعل ظاهرة الادمان لها خطورتها فى المجتمع

الحضرى وتقل تدريجياً فى المجتمع القروى ثم انحسار خطورتها الى حد كبير فى المجتمع البدوى ومرد ذلك اختلاف السياج الاجتماعى والنفسى والثقافى الذى يحيط بالفرد فى كل نمط مجتمعى على حدة .

٤ – المخدرات من كل الانواع مدمرة للانسان وقواه العقلية وتكوينه النفسى ويتفاوت تأثيراتها فيما بينها ولكن اشدها فتكاً بالانسان عقار الهيروين ، مع العلم بان المخدرات قد تؤدى فى بعض الحالات خدمات طبية لو استخدمت بحذر وبقدر معين وتحت الاشراف الطبى خصوصاً فى علاج الحالات المستعصية .

٥ – وجود علاقة قوية بين الادمان والجريمة حيث ان ادمان المخدرات من أى الأنواع وبخاصة الهيروين ينزع الانسان من مملكة الانسان الى مملكة الحيوان الذى لا يعى تصرفاته وافعاله السلوكية وتتسلط عليه غرائزه ويتملك منه نوازع الشر والحقد والكراهية على الآخرين والمجتمع وبناء عليه يحاول الحصول على الاموال لإنفاقها على ادمان المخدرات عن طريق السرقة والنصب والاختلاس والرشوة حتى لو وصل الامر الى القتل حتى لأقرب المقربين .

٦ – وجود علاقة قوية بين انتشارادمان الانواع المختلفة للمخدرات وطبيعة المجتمع من حيث درجة تحضره او تقليديته فأثبتت الدراسة ان المخدرات لا تنتشر فقط فى المجتمعات النامية او التقليدية كما ذهب جرفتل ادوارد والدليل علي ذلك ان انتشار أنواع متطورة من المخدرات فى امريكا وأوروبا بدرجة تفوق المجتمعات التقليدية واقبال ابناء تلك المجتمعات عليها من مختلف الاجناس والاعمار والطبقات الاجتماعية ومرد ذلك تصدع نسق القيم وانعدام التمسك ، بالعادات والتقاليد وانحسار الضبط الاجتماعى المتمثل فى سلطة الاسرة او العشيرة كما هو الحال فى الانماط المجتمعية التقليدية المنتشرة فى البلدان النامية .

٧ – اذا كان ادمان المواد المخدرة يؤثر على الانسان من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والنفسية وبالتالى على حالته وقواه العقلية فتجعله سعالة من فقد عقله او من اصبح بلا ارادة اى مسلوباً لارادته ذليلاً ، عبداً للكيف ، ضعيف الشخصية وتجعل لديه قصور فى الملكات العقلية بل ان هناك انواع معينة من المواد المخدرة تؤدى الى الجنون مثل الهيروين وبناء عليه تكون مسئولية المدمن عن الفعل الاجرامى قاصرة حيث انه يكون قد وقع تحت تأثير واكراه نفسى وجسمى ومعنوى وخير دليل على ذلك ان المدمن على اى نوع من المواد المخدرة فيما عدا الحشيش الى حد بسيط من الممكن ان يفعل اى شئ يطلب منه فى سبيل الحصول على الجرعة المطلوبة وبخاصة مدمن الهيروين والافيون والمورفين والخمر الى حد كبير .

٨ – سيادة اعتقاد خاطئ ويعد سبباً رئيسياً فى انتشار المخدرات في المجتمعات الاسلامية ألا وهو الاعتقاد لدي المتعاطين بان وان حرم الله سبحانه وتعالى الخمر الا انه لم يرد فى الشريعة الاسلامية ما يحرم المخدرات ومن ثم فهى من المباحات فى نظرهم ، لذلك نجد الكثيرين ممن يحرصون على آداء فرائض دينهم الاسلامى من صلاة وصوم وزكاة وحج بقدر ما يتجنبون الخمر الا انهم لا يجدون غضاضة فى ادمان المخدرات تبعاً لهذا الاعتقاد الخاطئ وربما لو علم هـؤلاء الحكم الصحيح للمخدرات فى الشريعة الاسلامية فانهم يمتنعون عن تعاطيها وهذا يدل على ان كثير من ابناء تلك المجتمعات لديهم قصور فى الوعي الدينى او ما يمكن تسميته بالتربية الدينية وهنا يبرز الدور الدينى عن طريق المؤسسات الدينية المختلفة وهيئاتها الرسمية وغير الرسمية المنتشرة فى كل ربوع مصر للتوعية من اضرار المخدرات والحد من انتشارها .

الباب الثاني

الحياة الاجتماعية للمدمن في الثقافات المختلفة

الفصل الثالث : المدمن في الثقافات المختلفة

الفصل الرابع : العلاقات الاجتماعية للمدمن في الثقافات المختلفة

الفصل الخامس : الثقافة والإدمان في الأنماط المجتمعية المختلفة .

الفصل السادس : الضبط الاجتماعي وظاهرة الإدمان في الثقافات المختلفة

الفصل الثالث

المدمن فى الثقافات المختلفة

١- من هو المدمن فى الثقافات المختلفة:

مما لاشك فيه ان ظاهرة الاعتماد "الادمان" ، تمثل نمطاً سلوكياً يمارسه بعض الافراد الذين ينتمون للمجتمع مهما اختلفت أنماطهم الاجتماعية ويدخلون فى دائرة العلاقات الاجتماعية الواسعة فى هذا المجتمع .

والمدمن بصفة عامة مهما اختلف انتماؤه الاجتماعى والثقافى عبارة عن شخص غير عادى وغير سوى لم يستطع ان يتفاعل ويتكيف مع ظروف حياته الاجتماعية خاصة وان المخدرات بدأت تنتشر بين كل الطبقات الاجتماعية والمهنية والعمرية المختلفة مما جعلها تشكل ظاهرة خطيرة تقصف بحياة المجتمع المصرى عامة .

كما ان المدمن هو انسان مريض دفعه حظة السىء الى تجريبها وعدم ضبط نفسه للامتناع عنها اما لدواعى عدم القدره صحياً ونفسياً نتيجة الالام التى يسببها عدم الامتناع عن تعاطيها او الحصول على النشوة المطلوبة ويبدأ الدافع من نصيحة احد المدمنين القدامى واستدراج الافراد عن طريق تسهيل المدمن القديم لهذا الشخص لحصوله على العقار فى البداية مجاناً لمدة معينة ثم يبدأ الجميع فى الاشتراك معاً فيجمع العمال من بعضهم البعض،على سبيل المثال ثمن قطعة من الحشيش ثم يدخنونها بصورة جماعية اما فى المنزل او فى مقهى معد لهذا الغرض (غرزة) او يذهب بعضهم مع البعض من باب الزمالة لاخذ حقنة الماكس وهى تظهر بصورة منتشرة فى مناطق مثل الكرنتينة وكوم الشقافة وكرموز والمتراس واللبان ومنطقة العزبة الجديدة وارض الموز والدخيلة خاصة منطقة الجبل ((إحدى مجتمعات البحث) وياكوس والحضرة وغريال ... إلخ .

وتبين ان المدمن فى المجتمع البدوى هو مدمن البيرة فى المحل الاول ثم يأتى الحشيش فى المرتبة الثانية يعقبها الحبوب المنشطة والافيون خاصة كبار السن ثم الخمرة الى حد بسيط الا ان مدمن الهيروين لا يوجد الا فى حالات قليلة للغاية وسيرد ذكر اسباب ذلك تفصيلاً فى نقطة اخرى كما ان المدمن الشاب البدوى ليس له مزاج او كيف محدد فقد يدمن على البيرة والحشيش والحبوب المنشطة خاصة الاثرياء .

بناء على ذلك لا يشكل المدمن البدوى على المجتمع أى خطورة لعدم ادمانه على الانواع المدمرة ولخشيته من المجتمع والمحيط الثقافى له .

ولاحظت ان المدمن فى المجتمع القروى يختلف قليلاً عن المدمن فى المجتمع البدوى حيث نجد مدمن الحشيش يأتى فى المرتبة الاولى ثم الافيون ويأتى بعد ذلك مدمن الخمره والبيرة وينتشر ادمان الحبوب المخدرة بين شباب الريف خاصة وتزداد نسبة مدمنى الهيروين عن مثيلتها في المجتمع البدوى وبصفة خاصة بين الحرفيين وطبقة الاثرياء من الشباب ، وهنا يشكل المدمن خطورة لامكانية ارتكابة جرائم جديدة على القرية المصرية .

اما عن المدمن فى المجتمع الحضرى فتزداد نسبة مدمنى الحبوب المخدرة ويأتى بعدها المشروبات الكحولية ثم الحشيش وينتشر الافيون بين كبار السن .خاصة اولئك الذين ينتمون الى جذور قروية وتزداد نسبة ادمان الهيروين كثيراً عن مثيلها فى المجتمع البدوى والقروى وهنا تكمن خطورة المدمن الحضرى نظراً لاتساع المدينة والتنوع والتمايز الاجتماعى والثقافى بين ابنائها .

٢- التكوين الاجتماعى للمدمن فى الانماط المجتمعية المختلفة :

تبين ان التكوين الاجتماعى للمدمن من مختلف الطبقات الاجتماعية والمهنية والعمرية فى المجتمع البدوى اكثر استقراراً واكثر ارتباطاً بأهله وذويه وقبيلته فى النهاية وان المدمن فى المجتمع البدوى حريص كل الحرص ان لايعرف احد من افراد اسرته وبالتالى قبيلته بأنه ادمن عقاراً معيناً أو انه يشرب او يتعاطى اساساً اى مادة مخدرة ومرد ذلك طبيعة البيئة الاجتماعية التى ينشأ فيها الانسان فى هذا المجتمع وطبيعة مراحل التنشئة الاجتماعية التى يمر بها كل من الذكر والانثى فى مراحلهم العمرية المختلفة واسلوب المتابعة والمراقبة من الجد والاب والعم والام بل من الكبار بصفة عامة .

ويتشابه التكوين الاجتماعى للمدمن فى المجتمع القروى الى حد بسيط مع قرينه فى المجتمع البدوى ويرجع السبب فى هذا التشابه البسيط الى ان الانسان فى المجتمع القروى بات الآن اكثر اتصالاً بالمدينة التى تتبع لها قريته واكثر اتصالاً بالعالم الخارجى عن القرية سواء من خلال وسائل الاتصال المختلفة كالإذاعة والتليفزيون والراديو والجرائد والمجلات من خلال العلاقات الواسعة التى قد تنشأ بينه وبين المجتمعات القريبة منه خاصة المدينة ، ويرجع ذلك من الناحية الاخرى الى عملية الهجرة المتتالية والمتزايدة لابناء الريف وهجرتهم لقريتهم وارضهم وعملهم بأعمال غير العمل الزراعى وما يستتبع ذلك من تغير فى انماط السلوك والعادات الاجتماعية المختلفة ، بل التغير الجذرى فى عناصر كثيرة من ثقافتهم المادية واللامادية ومايترتب على ذلك من مشاعر الخوف والقلق والاكتئاب والاغترابية التى شملت الكثير من ابناء القرية المصريةفى وقتنا الحاضر .

اما عن التكوين الاجتماعى للمدمن فى نمط المجتمع الحضرى فتبين

نتيجة التباين العرقى والثقافى والمهنى والاجتماعى والاقتصادى ومع زيادة موجة الاتصال الثقافى بالحضارة الغربية ومحاولة اقتباس العناصر الرديئة منها ومحاولة تقليدها خاصة بين الشباب والفتيات من مختلف المراحل العمرية والتعليمية ومع غياب الاسرة والمدرسة والدور التربوى والاجتماعى المنوط اليهما فى خلق جيل واعٍ قوى ، ومع ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية الصعبة للاستمرار فى الحياة الحضرية ومواجهة متطلباتها ومع زيادة موجة الهجرة والعودة بعد ان يكون الانسان فى هذا المجتمع قد عانى الكثير وتكون اسرته هنا فى مصر قد فقدت من الرعاية والحنان والحماية والامان الكثير وتعرضت الاسرة لمشاكل الصراع النفسى والاجتماعى والتصدع العائلى وزيادة الطموح عن القدرات الفعلية للفرد نفسه ان وجد المدمن نفسه وحيداً منفرداً عن المجتمع .

كما تبين ان عملية الادمان ليست بعيدة عن اى انسان يحتل مركزاً اجتماعياً وثقافياً معيناً وطبقة اجتماعية او حتى مهنية ولكن الاختلاف فى طبيعة البيئة الإجتماعية بمفهومها الشامل من حيث نوعية العقار الذى يقبل عليه ابناء طبقة اجتماعية دون اخرى ، ولكن عقار الهيروين لم يرحم طبقة اجتماعية او مهنية او عمرية .

٣ - اسباب ودوافع الوصول الى الادمان فى الثقافات المختلفة :

وتبين ان الاسباب والدوافع وراء الوصول الى مرحلة الاعتماد "الادمان" تختلف من نمط مجتمعى الى آخر ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

أ - الاسباب الاجتماعية التى ادت الى الادمان

ويمكن اجمال أهم هذه الاسباب فى المجتمع البدوى على النحو التالى :

١ - تمركز السلطة واتخاذ القرار فى يد الجد او الاب فى حالة كبر الجد ووفاته ومن ثم تمتع الشخصية البدوية فى الاعمار المختلفة بعدم المسئولية تجاه الاسرة لتمركزها فى يد العواقل ، بساطة الحياة ، عدم الطموح المادى الجانح ، عدم الانشغال بالمستقبل أكثر من اللازم وللاسف كانت هذه السمات الحميدة وراء انتشار تعاطى المخدرات بين بعض الشباب خاصة .

٢ - لابد من شرب المخدرات والخمر والبيره فى الافراح ولايكاد يخلو فرح من وجود مثل هذه الانواع .

٣ - الاعتقاد فى اهمية البيرة صحياً لذا يشربها الصغار والكبار كما لو كانت شاياً وتشربها النساء لارضاء الزوج فى بعض الاحيان .

٤ - عدم انتشار ادمان الخمر فى المجتمع البدوى ويرجع لنبذ من يشربها لانه قد يأتى بأنماط سلوكية غير طبيعية يخرج عن وعيه لذا كان ادمان الحشيش من الانواع المألوفه فى ذلك المجتمع ولكن ليس ظاهرياً أو امام عيون المجتمع (الناس) ولكن شارب الخمر لايجد من المساندة والحماية فى حالة ارتكابه اى خطأ .

٥ - التقليد والمحاكاه خاصة وان البدوى شخصية مقلدة بطبعه .

٦ - تعدد الزوجات واعتقاده بعدم استطاعته القيام براجباته الزوجية تجاههن الا بتعاطى المخدرات .

٧ - سهولة الحصول على المادة المخدرة .

٨ - يقبل الشباب على شرب الحشيش خاصة لانهم دائماً يعيشون فى

صحبة وجماعة .

٩ - الاتصال بالغرباء .

ويمكن اجمال اهم الاسباب الاجتماعية فى المجتمع القروى محل الدراسة على النحو التالى :

١ - زيادة موجات الهجرة من الريف خاصة الشباب وكذلك بعد الكبار عن متابعة اولادهم نتيجة السفر والاغتراب لفترة طويلة .

٢- الزواج غير الموفق والتفكك الاسرى .

٣- الرفاق خاصة من الشباب لانهم يحبون ان يكونوا فى صحبة .

٤ - اختفاء القدرة والمثل الاعلى فى بعض الاسر .

٥ - تفكك الاسر الممتدة الى عائلات نووية .

٦ - الصراع بين الكبار والصغار بعد انتشار تعليم الذكور والاناث وخروج الفتاة القروية الى مجال العمل بالمدن .

٧- الزواج الاندوجامى (الداخلى) والزواج المبكر .

٨ - التقليد والمحاكاة خاصة بين اجيال الصغار والكبار .

اما المجتمع الحضرى فيمكن اجمال اهم الاسباب الاجتماعية فى النقاط التالية :

١- التفكك الاسرى (عدم تجانس العلاقات الاسرية) وحالات الانفصال والطلاق .

٢ – الاغترابية بالنسبة للاب والام والابن والابنه عن النفس وعن الاسرة وعن الوطن الكبير .

٣ – الزواج غير الموفق وكثرة الحالات الاجتماعية (المطلقين والارامل والعزّاب) .

٤ – تأخر الزواج والمشاكل العاطفية . (الاخفاق فى الحب) .

٥ – مشكلة الاسكان سواء للاسرة او للابناء فى حالة الاقدام على مرحلة الزواج .

٦– جماعة الرفاق وهذا يعد سبباً هاماً للغاية فى انتشار وتناول العقاقير والمخدرات .

٧– التقليد بالنسبة لحديثى السن او مجربى المخدرات .

٨– افتقاد المعنى الحقيقى والمغزى الاجتماعى للحياة ذاتها .

٩– اختفاء القدوة والمثل الاعلى .

١٠ – عدم التوافق بين جيل الآباء وجيل الابناء فى اغلب الاحيان .

١١ – سفر الوالد بمفرده او الوالدة بمفردها او الاثنين معاً وترك الابناء فى مصر مع الجد او الجده او العم او الخال او لوحدهم .. الخ مما يعرضهم للوقوع فى براثن الانحراف والعلاقات غير السوية .

١٢ – عدم وجود علاقات ذات مغزى والاحساس بها مثل (الصداقة ، الاخوه ، الوفاء ، الابوه ، الامومه ، الحب .. الخ) .

١٣ – افتقاد قيمة دور الفرد ومكانته فى المجتمع وغالباً فى الاسرة .

١٤- تنوع وتعدد السكان فى المجتمعات المحلية خاصة بعد موجات الهجرة المتتالية كان احد الاسباب وراء وجود وتعدد وتنوع العقاقير .

١٥ - عدم الترابط بين اساليب الضبط الاجتماعى بمفهومه الشامل سواء داخل الاسرة او خارجها فى المدرسة او كافة مؤسسات المجتمع التى ينوط اليها ممارسة الضبط الاجتماعى على افراد المجتمع كافة .

١٦ - جو المرح والانبساط والفرفشة التى يربط جماعة التعاطى خاصة الحشيش .

١٧ - لما كانت جماعة الحشيش قد تضم الشخصيات ذات مراكز وذات مكانة مرموقة فى المجتمع (ضباط - رجال اعمال - محامين - مهندسين - اطباء - مهنيين) فمن الممكن عن طريقها حل كثير من المشكلات التى ترتبط بقضاء بعض مصالح العمل وتخص رفاق الحشيش .

ب- الاسبـــاب السيـاسيـــة

وتبين ان الاسباب السياسية فى المجتمع البدوى للوصول الى مرحلة الادمان تكمن فى النقاط التالية :

١ - عدم المشاركة فى اتخاذ القرار داخل الاسرة وخارجها فى المسائل الحيوية مثل الزواج والطلاق .. الخ .

٢- عدم القدرة عن التعبير بحرية عن الاراء التى قد تخالف اراء الاباء والاجداد او الكبار وضرورة الرضوخ لقرار الكبير مهما كان .

٣ - عدم استطاعة البدوى التمرد على القيم والعادات والتقاليد او الاتيان بانماط سلوكية لايقرها المجتمع البدوى والا تعرض الفرد لما يسمى عملية

البراوه والطرد من المجتمع نهائياً ورفع الحماية والوصاية عنه .

اما عن الاسباب السياسية وراء الادمان فى النمط القروى فنجملها فى النقاط التالية :

١ - عدم المشاركة فى صنع القرار داخل الاسرة او الاجبار على عمل اشياء لا يرضى عنها الفرد فى المجتمع القروى

٢ - ترك حرية القرار لبعض ابناء المجتمع القروى خاصة الشباب فى الاسر الغنية ، وعدم وصاية الكبار عليه اما لانفصال الشباب عن العائلة او لسفر الكبار.

٣- زيادة دور المرأة فى اتخاذ القرار خاصة بعد سفر الآباء او الاخوة الكبار وعدم استطاعتها حزم الكثير من الامور والتصدى لمشكلات الابناء فى غياب الرجل .

وتبين ان الاسباب والدوافع السياسية وراء الادمان فى نمط المجتمع الحضرى تتلخص فى النقاط التالية :

١ - عدم مشاركة الابناء من الجنسين فى تحمل المسئولية وتدريبهم على التعبير عن ارائهم وتصحيح المفاهيم الخاطئة لهم

٢ - عدم الاخذ او الاعتداد برأى الابناء من الجنسين او محاولة اقناعهم خاصة بالامور الحيوية فى حياة الابناء كالتعليم والزواج .. الخ .

٣ - تفويض سلطة الابناء خاصة الذكور فى حالة سفر الآباء للخارج .

٤ - عدم المشاركة الايجابية من جانب ابناء المجتمع عامة فى

الانتخابات العامة للدولة او حتى انتخابات النقابات والهيئات التى ينتمون اليها بحكم اعمالهم .

٥ - تقوض سلطة الاب او الام فى مرحلة الكبر وعدم الاعتماد من جانب الابناء على حكمتهم وخبرة السنين الطويلة التى مروا بها فى حياتهم.

٦ - ظروف الحروب التى مر بها المجتمع المصرى عامة والتى ادت الى نقص امكانيات المجتمع واثرت كثيراً على دخل الفرد ومن ثم دخل الاسرة المصرية ، وكذلك زيادة وتفشى البطالة بين الشباب خاصة .

٧ - محاولة بعض الزوجات خلق دور ظاهرى فى اتخاذ القرار امام الاولاد او خفى من وراء الزوج وهنا يحدث تخبط فى القرار وقد يتعدد بصدد الموضوع الواحد .

٨ - عدم الضبط الاجتماعى الواعى داخل الاسرة او خارجها .

٩ - عدم وجود القنوات الفعلية او الشرعية للشباب الخاصة للتعبير عن ارائهم وحل مشاكلهم أو تقديم البدائل او الحلول المتدرجة .

١٠ - عدم تشجيع الدولة للشباب على حرية التعبير عن آرائهم وأفكارهم السياسية فهل يعقل ان معظم شباب مصر ورجالها ونسائها ليس لهم بطاقات انتخابية .

جـ - الأسـباب الاقتصـاديـة

وتبين ان اهم الاسباب الاقتصادية لانتشار الادمان فى المجتمع البدوى

تكمن فى النقاط التالية :

١- وفرة رؤوس الاموال لدى كثير من ابناء البادية بعد ارتفاع اسعار الاراضى وضع اليد نتيجة الزحف العمرانى من المناطق القريبة .

٢- سهولة الحصول على الحشيش والافيون لرخص سعره فى تلك المنطقة والمناطق المجاورة .

٣- عدم تنوع وتعدد الانشطة الانتاجية التى يقوم بها البدوى ، حيث ان العمل عندهم لا يتعدى اعمال السواقة والغفارة فى اغلب الاحوال ، فيما عدا حالات الاعمال الحرة من الكبار والشباب .

٤- عدم اهمية الوقت اقتصاديا أو إجتماعيا بالنسبة للبدوى .

أما عن الأسباب الاقتصادية عن الادمان فى المجتمع القروى نجملها فيما يلى :

١ - هجرة وسفر معظم أبناء القرية من القادرين على العمل وزيادة أسعار العمالة الزراعية فى مصر مع عدم زيادة الانتاج .

٢ - عزوف الكثير من الشباب خاصة المتعلمين عن مساعدة آبائهم فى الحقل ومحاولتهم البحث عن العائد المادى السريع والعجيب انهم قد يجدون تشجيعاً من آبائهم .

٣ - البطالة التى يعانى منها خريجو المدارس الثانوية والجامعة عامة .

٤ - استخدام مدخرات المسافرين فى انشاء المنازل الجديدة على حساب المشاريع الاستثمارية التى قد تساعد فى تدعيم دخل الاسرة

وبالتالى رفع الاعباء عن المجتمع .

٥ - ضعف الامكانيات المادية للكثير من ابناء القرية لمواجهة متطلبات الحياة .

٦ - سيادة الطموحات المادية والكسب غير المشروع .

اما عن الاسباب الاقتصادية وراء الادمان فى المجتمع الحضرى نجملها فى النقاط التالية :

١- وفرة الاموال لدى الحرفيين وبعض التجار .

٢ - ظهور الطبقات الطفيلية ومحاولة كثير منها شد الكثير من الشباب خاصة الى دائرة الادمان .

٣- البطالة وعدم وجود فرص عمل للحرفيين والمتعلمين من الجنسين خاصة مما يجعلهما يقعان فريسة للاكتئاب والاحباط والكبت وعدم التوازن النفسى .

٤ - ضعف الامكانيات ومحاولة هذه الفئة العمل على دخول عناصر جديدة للدائرة لاستغلالها والتعاطى على حسابها .

٥- عدم وفرة الامكانيات البسيطة لقضاء الحاجات الضرورية لبعض الاسر وبالتالى لبعض ابنائها من المتعلمين من الجنسين من ملبس ومظهر وخلافه وهذه الفئة كانت فريسة سهلة للاستقطاب من التجار كوسطاء داخل المدرسة والجامعة ومختلف الهيئات الاخرى .

٦ - المشكلات الاقتصادية فى المجتمع المصرى بصفة عامة (مشكلة

الاسكان ومشكلة الديون ومشكلة البطالة ومشكلة الارتفاع الجنونى لاسعار السلع) مقابل الدخول المحدودة ونشر الصحف للكثير من جرائم الاعتداء على الاموال العامة من قبل المسئولين وتهريب اموال المجتمع الى الخارج .

٧ - سيادة النزعات المادية وتخلي الكثير من الاسر عن الصفات الانسانية الحميدة فى مجالات العمل والزواج والعلاقات الانسانية عامة وسيادة علاقات المصالح المادية .

٨ - ارتباط بعض هذه المجالس بالمصالح التجارية خاصة شرب الخمر مع بداية العشاء ثم يتم عقد علاقات او صفقات تجارية واخذ مواعيد تعاطى الحشيش ولكن تفاصيلها تتم فيما بعد من خلال مكاتب العمل .

د - الدوافع والاسباب النفسية وراء الادمان فى الثقافات المختلفة

تبين ان الدوافع والاسباب النفسية وراء ظاهرة الاعتماد (الادمان) فى المجتمع البدوى تتلخص فى النقاط التالية :

١ - التقليد والمحاكاة خاصة بعد دخول التليفزيون ومن ثم الفيديو الى كثير من منازل ابناء البادية وكذلك الفيديو ومحاولتهم مجاراة الافلام العربية خاصة فى شرب البيرة والخمور . والبدوى بطبيعته شخصية مقلدة فيحاول ان يشرب مع امرأته لتقليد ما يراه فى الافلام فيتخيل نفسه البطل ولا يجد غير امرأته لتلعب دور البطلة الخ .

٢ - الملل والحياة الروتينية التى يحياها البدوى خاصة وان البدوى غير مقبل على العمل ومن يعمل منهم يقتصر عمله فى الغالب على اعمال

السواقة والغفارة وهى من الاعمال التى تتيح لصاحبها وقت فراغ طويل جداً على حساب وقت العمل وهنا لايجد البدوى خاصة فى اعمال الغفارة وما يترتب عليها من السهر مفراً من تعاطى الحشيش مع صحبه الغفارات الاخرى.

٣ - ضعف الشخصية ومحاولة اظهار الرجولة المبكرة خاصة بين الشباب.

٤ - ربط الرجل البدوى من مختلف الاعمار بين تعاطى المخدرات والحياة الجنسية التى تشكل اهتماماً متزايداً فى حياته ، لذا يتعاطاها باعتقاد راسخ فى نفسه من انها تسعده وتجعله يطيل فى عملية الجماع الجنسى مع امرأته وتجعله ينشط ، وكذلك احساساً منه ان هذه العملية تجعله فى غاية السعادة عندما يكون شارباً وبالعكس عندما لايكون شارباً.

٥ - الضعف الجنسى او عدم النضج الجنسى .

٦ - البحث عن الاثارة والمتعة خاصة لاولئك الذين لايميلون للحياة الهادئة المستقرة خاصة وان انماط الشخصية البدوية ليس لديها صبر على المطالب والحاجات الاستهلاكية وخاصة الكيف عكس الريفى والصعيدى .

٧ - حب البدوى للمرح والانبساط ووجود لديه وقت فراغ طويل لابد ان يشغله بالضحك وتعاطى المخدرات .

٨ - حب البدوى للعزلة فى اغلب الاحيان يجعله يقبل على البيرة لان الحشيش يحتاج الى مجموعة وكيف يصحبه حكايات وروايات ونكت وضحك

اما عن الاسباب النفسية للادمان فى المجتمع القروى نجملها فى النقاط التالية :

١ - اختفاء المعنى الحقيقى للفراغ خاصة بين الشباب من الجنسين فى القرية وكيفية استغلاله واستثماره (المتعلمين وغير المتعلمين) .

٢ - عدم وفرة الاماكن المناسبة لقضاء وقت الفراغ كمراكز الشباب التى اصبحت فى القرية مبان دون وارد وعدم وجود مكتبات بالقرية الخ ..

٣ - عدم النضج الجنسى والضعف الجنسى .

٤ - الفشل العاطفى والعائلى .

٥ - ضعف الشخصية .

٦ - البحث عن الاثارة والمتعة خاصة وأن القروى يربط هو ايضاً بين تعاطى المواد المخدرات والجنس .

٧ - التقليد والمحاكاة للافلام العربية والأجنبية وللآخرين .

٨ - القلق والخوف من المستقبل خاصة لشباب القرية .

٩ - اختفاء المعنى الحقيقى للحياة وتفشى اليأس والاحباط بين الشباب خاصة بعد تعدد فرص العمل والسفر وضعف العائد منها نظير الجهد المبذول وقلة الفرص المتاحة فى القرية بل داخل المجتمع ككل .

اما عن الدوافع والاسباب النفسية وراء تعاطى المخدرات فى المجتمع الحضرى فنجملها فيما يلى :

١ - افتقاد المعنى الحقيقى للحياة خاصة بعد تأخر سن الزواج وعدم

وجود فرص للعمل .

٢ – تفشى اليأس والاحباط بين الشباب المتعلم خاصة من الجنسين .

٣ – التجربة وحب الاستطلاع والبحث عن المجهول نزعة من نزعات البشر .

٤ – سيادة النزعات المادية والبعد على النواحى العاطفية والمشاعر الانسانية السامية .

٥ – الفراغ العاطفى والاجتماعى والسياسى .

٦ – عدم وجود هدف محدد للفرد يسعى الى تحقيقه والصمود والتضحية والصبر فى تحقيق ذلك .

٧ –القلق وعدم الاقبال على الحياه .

٨ – الطموح الجانح وعدم الصبر لدى الشباب خاصة .

٩ – الاغترابية عن الذات .

١٠ – سيادة مشاعر الانانية وعدم الاحترام المتبادل بين الاجيال بعضها البعض .

١١ – التقليد والمحاكاه للكبار داخل وخارج الاسرة او عبر مشاهدة التلفزيون والفيديو .

١٢ – البحث عن الاثارة والمتعة الوهمية .

١٣ – الهروب من الواقع الأليم .

١٤ - عدم وفرة الاماكن المناسبة لاشباع الرغبات والهوايات وتنميتها لدى الشباب والكبار معاً.

١٥ - الاخفاق فى تحقيق الذات واثبات الوجود .

١٦ - التغييرات السريعة والمتلاحقة التى يحسها ابناء المجتمعات الحضرية اكثر من الانماط المجتمعية الاخرى القروية والبدوية .

١٧ - الايحاء الشخصى بانها تنقل الانسان من مرحلة الكآبة الى مرحلة الانبساط والفرح كما تنقل تفكير الانسان من المشاكل الى اللاشىء .

١٨ - المرضى النفسيين (حالات الاكتئاب والقلق والخوف واليأس) .

١٩ - البعد عن النميمة والحقد وذكر نقائص الآخرين مهما كان العدد المهم الانبساط فى حدود المجموعة الوجودة خاصة الحشيش .

٢٠ - عدم وجود اماكن للتسلية ولقضاء وقت الفراغ كالنوادى الاجتماعية والرياضية والثقافية ومراكز الشباب والاعتماد على التسكع فى الشوارع وعلى المقاهى خاصة الشباب .

هـ - الدوافع الثقافية للاعتماد (الادمان) فى الثقافات المختلفة

وتبين ان الاسباب والدوافع الثقافية وراء الادمان فى المجتمع البدوى تكمن فى النقاط التالية :

١ - الامتثال التام للعادات والتقاليد والاعراف وعدم استطاعة البدوى التمرد عليها الا بعيداً عن عيون المجتمع وكذلك البعد المكانى .

٢ - عدم اقبال البدو على الاطلاع والتثقيف الذاتى وعدم وجود مراكز ثقافية اعلامية فى تلك الانماط المجتمعية او قصور دورها .

٣ - الفراغ الدينى او عدم الوعى الدينى ان صح التعبير عند بعض ابناء البادية فكيف يشربون البيرة والحشيش والخمر ويؤدون الصلاة ويدعون ان هذه نقرة وهذه نقرة .

٤ - ظهور سمات ثقافية جديدة من خلال الاتصال بأبناء المجتمعات الاخرى والاتصال الثقافى عبر الاذاعة والتلفزيون والفيديو فى بعض الاحيان والبدوى اساساً شخصية مقلدة .

٥ - اختفاء دور التوعية الرسمى تماماً واختصاره على الدور الاهلى .

٦ - انتشار الامية التعليمية والثقافية .

اما عن الاسباب والدوافع الثقافية وراء الادمان فى المجتمع القروى فنلخصها فى النقاط التالية :

١ - وجود بعض العادات والتقاليد خاصة مسائل الزواج والطلاق .

٢ - جمود بعض افكار الاباء واولياء الامور فى بعض الاسر مما يحدث انشقاق وعزلة للاجيال الاخرى داخل الاسرة .

٣ - ظهور سمات ثقافية مادية جديدة من خلال الاتصال بالمدينة وعبر التلفزيون والا[illegible]ة والفيديو الذى بات موجوداً فى المقاهى ويعمل بدون رقابة للمصنفات خاصة انتشار افلام الجنس والاثارة التى يتم مشاهدتها داخل المقاهى لمختلف الاعمار .

٤ - الفراغ الدينى وعدم التوعية الدينية رسمياً وشعبياً .

٥ - عدم الاقبال على الاطلاع والتثقيف الذاتى وعدم الاقبال على المراكز الثقافية ومراكز الشباب ومكتباتها .

٦ - انتشار الامية التعليمية والثقافية .

وتبين ان الدوافع والاسباب الثقافية للادمان فى المجتمع الحضرى ونذكر منها النقاط التالية :

١ - البعد عن الدين وعدم التمسك بالتعاليم الدينية وعدم قيام المسجد والكنيسة بالدور الدينى والتربوى خاصة بين الشباب وماترتب عليه من جمود الفكر الدينى لدى الشباب وقصور الوعى الدينى .

٢ - كان الاعلام سلاحاً ذو حدين فى هذه المشكلة وتفشيها حيث لم يوضح الاسباب والعوامل المؤثرة فى الظاهرة من خلال الحملات الاعلامية التى قام بها ولم يقدم كيفية الوقاية والعلاج .

٣ - اختفاء الدور التربوى للمدرسة والجامعة وكافة الهيئات الثقافية كمراكز الثقافة والاعلام المنتشرة في الاحياء وكذلك البرامج الثقافية المختلفة بوسائل الاعلام او الوسائط الاخرى كالجرائد والمجلات .

٤- التمرد على القيم وعادات وتقاليد المجتمع من جانب الشباب خاصة والذى بات فى صراع بين التماسك بالقيم والعادات التى يعتقد انها تقف ضد طموحاته وآماله .

٥ - ظهو سمات ثقافية جديدة بدأت تدخل المجتمع فى ظل سياسة الانفتاح من خلال موجة الاتصال الثقافى غير الرسمى وغير المتوافق مع قيمنا وعاداتنا المصرية الاصيلة وعدم التوعية الفكرية للاخذ بما يتناسب مع ظروفنا المجتمعية .

٦ – انتشار افلام الاثارة والعنف والمسلسلات الاجنبية التى تشير الى حرية الجنس والعنف والانحراف ومجاراة الافلام العربية لهذا التيار سعياً وراء العائد المادى دون تقديم الحلول للمشكلات بحجة ان دور السينما هو تفجير القضايا وتضخيمها ووضعها تحت التليسكوب ولكن ليس من مسئوليتها ان تقدم الحلول .

٧ – عدم الترغيب فى اهمية الاطلاع والتثقيف الذاتى والتوعية بزيارة المكتبة فى المدرسة وفى الجامعة وفى المسجد والكنيسة والمكتبات العامة والمحاضرات العامة التى تعالج قضايا المجتمع وتتصدى لمشكلاته .

٤ - العوامل المختلفة لإنتشار مواد مخدرة معينة دون أخرى فى الانماط المجتمعية المختلفة:

أ – العوامل الطبيعية التى أدت الى إنتشار المخدرات فى المجتمع البدوى :

١ – الطبيعة الصحراوية الشاسعة كانت وراء إنتشار الحشيش والافيون نظراً لتوفر اماكن التخزين بعيداً عن عيون البوليس ومخاطرة الوصول اليها ووجود طرق سرية لا يعرفها غير قله من ابناء البادية ودواب مدربة على هذه الطرق فقد يصل ثمن الحمار الذى يعرف هذه المسالك الى ستين أو سبعين ألف جنيه .

٢ – قرب أبناء البادية من البحر خاصة وأن الحشيش لا يأتى إلا عن طريق البحر ، لذا نجد الاماكن المواجهه للبحر فى حوزة العائلات التى تشتغل بهذه التجارة

٣ – كثرة الاماكن الخلوية التى يمكن التعاطى فيها بعيداً عن عيون المجتمع .

ويمكن إجمال العوامل الطبيعية التى أدت الى إنتشار أنواع دون أخرى فى المجتمع القروى كما يلى :

١ – وجود الاماكن الخلوية – خاصة الحقول – ادت الى إنتشار تعاطى الحشيش دون غيره .

٢ – الجوار السكانى المتلاصق كان وراء تقليد بعض القرويين للبعض الآخر .

٣ – قرب بعض القرى من أماكن الانتاج

٤ – سهولة الاتصال بالمدن القريبة التى فى الغالب تكون مصدر توريد لهذه الاصناف .

ويمكن إجمال اهم العوامل الطبيعية التى أدت لإنتشار انواع دون أخرى فى المجتمع الحضرى كما يلى :

١ – قرب كثير من الانماط المجتمعية الحضرية من الميناء والذى يعتبر المصدر الذى تأتى منه الكثير من المواد المخدرة المهربة .

٢ – التخزين يتم فى الغالب للحشيش والافيون فى اماكن مترامية الاطراف لا توجد طرق ممهدة للوصول اليها .

٣ – التكدس السكانى فى مساحة اقليمية محدودة كما هو الحال فى مجتمع البحث بمنطقة الدخلية .

ب – العوامـل الثقافيـة التى أدت الى تنوع المخدرات من نمط مجتمعى الى آخر .

ويمكن إجمال اهم العوامل الثقافية التى أدت الى إنتشار أنواع من المواد المخدرة دون غيرها فى المجتمع البدوى فى النقاط التالية :

١ – شرب البيرة اعتقاداً منهم انها لدواعى صحية بالرغم من عدم شربها علانية وانما يشربها البدوى داخل منزلة ولذا يشربها الصغار والكبار وقد يشربها الرجل مع امرأته تقليداً لفيلم او مسلسل تليفزيونى .. الخ .

٢ – الاعتقاد فى ان تناول المخدرات كالحشيش والافيون يطيل من العملية الجنسية ويؤدى الى مزيد من المتعة والاثارة التى ينشدها البدوى بصفة عامة فى حياته العادية ولكن هذه المخدرات تشرب فى غيبة عن المجتمع وعن ابنائة ولها قواعد واصول تتعلق بالمكان ووقت التعاطى وشله التعاطى .

٣ – الثقافة البدوية بكل مضامينها لاتحبذ شرب المخدرات والخمره بصفة خاصة لانها قد تسطل الشخص البدوى وتجعله يأتى بأفعال قد تعرضه للعقاب الصارم من المجتمع وقد يصل الامر الى البراوه .

ويمكن اجمال العوامل الثقافية التى ادت الى انتشار انواع دون اخرى فى المجتمع القروى فيما يلى :

١ – الاعتقاد فى العلاقة بين تعاطى الحشيش والحياه الجنسية للفرد سواء الكبار او الشباب .

٢ – عدم التمايز الثقافى والعرقى كانا وراء عدم تمايز انواع المخدرات

بشكل واضح .

٣ - الاعتقاد السائد لدى كبار السن بين تعاطى الافيون والحبوب المنشطة والحياه الجنسية .

٤ - قصور الوعى الثقافى والتقليد الاعمى كان وراء انتشار هذه المواد دون اخرى اعتقاداً بأن هذه المواد لاتسبب ادمان .

٥ - الثقافة القروية تحاول الوقوف بالمرصاد لادمان الهيروين ووصل الحد الى حبس بعض الحالات القليلة داخل المنزل الامر الذى يصل الى الاعتقال حتى تماثلوا للشفاء خاصة الاسر الكبيرة ولكن للاسف تظهر حالات اخرى نتيجة سرعة الادمان على هذا العقار ولاحتياجه لجهد كبير للتخلص منه وتكلفة مادية كبيرة فى العلاج .

ويمكن اجمال اهم العوامل الثقافية التى ادت الى انتشار انواع المخدرات فى المجتمع الحضرى فيما يلى :

١ - التمايز الثقافى والمهنى والذى كان نتيجة اختلاف اذواق المستهلك للمخدرات حسب التوجيه الثقافى لجماعته الهامشية مما ادى الى انتشار مختلف انواع المخدرات حتى الهيروين .

٢ - موجة الاتصال الثقافى العالمى التى يتعرض لها ابناء المجتمع الحضرى بجماعاته العرقية المتعددة نتيجة وسائل الاعلام والاتصال الجماهيرى ومشاهدة الافلام الاجنبية المليئة بالاثارة والعنف والادمان وهذا ادى الى انتشار الخمره والهيروين والحبوب تقليداً لهذه الافلام من الجنسين .

٣ - محاولة التقليد لبعض العادات الغربية عن عاداتنا المصرية الاصيلة كمجاراة الموضة مهما كانت التكلفة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وهذه ادت الى انتشار تناول الحبوب المخدرة والهيروين .

٤ - اختفاء الوعى الثقافى وانتشار الامية حتى بين المتعلمين انفسهم (الامية الثقافية) .

٥ - اختفاء الدور التربوى للمراكز الثقافية وتصور الثقافة ومراكز الشباب واختصار اغلبها على ممارسة بعض الالعاب البسيطة وبعض الانشطة الفنية البسيطة .

جـ - العوامل الاجتماعية لانتشار انواع من المواد المخدرة دون اخرى فى الثقافات المختلفة .

ويمكن اجمال اهم العوامل الاجتماعية وراء انتشار مواد دون اخرى فى المجتمع البدوى

١ - الترابط العائلى والقبائلى جعل هناك انضباطاً وان يتم تعاطى المخدرات خاصة الحشيش بعيداً عن عيون الصغار وعن عيون الكبار .

٢ - عدم تخلى البدوى عن مسئولية الاسرة والعائلة ومن ثم القبيلة ادى الى عدم انتشار ادمان الهيروين الذى يحطم كل شىء .

٣ - العادات والتقاليد والتفاعل بين الاجيال والتواصل بينها كان عاملاً هاماً فى عدم انتشار الهيروين ، والحبوب المخدرة والمنشطة الا فى حالات قليلة خاصة كبار السن المتزوجين حديثاً وبعض الشباب .

٤ - الخوف من الفضيحة فى حالة اذا ماعرف عنه انه مدمن .

اما عن العوامل الاجتماعية وراء انتشار مواد دون اخرى فى المجتمع القروى

١ - وجود الصغار دائماً تحت مراقبة الكبار ادت الى عدم انتشار الانواع المدمرة خاصة الهيروين وحقن الماكس .

٢ - سرعة تفشى الاشاعات بين ابناء القرية وهذا ادى الى حرص المدمن على المواد المخدرة الاخرى الا ينتقل الى الهيروين خاصة وان الكثيرين ادركوا خطورته على الانسان .

٣ - زيادة عدد افراد الاسرة ومسئوليتهم كان عاملاً هاماً وراء عدم انتشار المواد المخدرة خاصة المدمرة .

٤ - ادت الهجرة خاصة من الشباب والعودة الى تغيير كثير من الانماط السلوكية للشباب وتمسكة بالعادات والتقاليد خاصة وان ظروف الغربة قد تكون ادخلته فى دائرة الادمان على انواع مثل الخمر والبيرة والتى هى غير مقبولة اجتماعياً بالقرية وقد يستمر تناولها فى اغلب الاحوال .

اما عن العوامل الاجتماعية التى ادت الى انتشار مواد مخدرة دون اخرى فى المجتمع الحضرى

١ - التباين الثقافى والاجتماعى للجماعات العرقية المتعددة بالمجتمع واختلاف نظرتها للعقار من حيث تجريمة او اباحته ادى الى انتشار الادمان على اكثر من عقار والانتقال من عقار الى عقار حسب سهولة استخدامه او سهولة الحصول عليه او السهولة فى استخدامه بعيداً عن اعين الناس .

٢ - انتشار الحبوب المخدرة بين الشباب من الجنسين ومرد ذلك ظروف

البطالة وعدم وجود فرص عمل وضعف الامكانيات الاسرية .. الخ .

٣ – مرونة الطبقة الاجتماعية وتسلق بعض الطبقات وازدياد نفوذها ادى الى انتشار الادمان بين هذه الفئات خاصة على المواد المدمرة كالهيروين وحقن الماكس الخ ..

٤ – خروج المرأة من المنزل كثيراً سواء للعمل او لقضاء المصالح او للتعليم جعلها عرضة للاغراء والاستدراج خاصة فى الاسر الفقيرة او الثرية ووقوع بعضهن عن طريق الاصدقاء والصديقات فى براثن الادمان وللاسف على الانواع المدمرة كالهيروين خاصة لسهولة استخدامهن بعد ذلك فى استدراج فئات جديدة ومستهلكين جدد وكذلك استخدامهن فى الاعمال المنافية للآداب وجرائم النصب والاحتيال .. الخ .

د – العوامل السياسية وانتشار مواد مخدرة دون اخرى فى الثقافات المختلفة

ويمكن إجمال أهم العوامل السياسية وانتشار مواد مخدرة دون اخرى فى المجتمع البدوى وهى

١ – تمركز السلطة واتخاذ القرار فى يد العواقل والمشايخ مما قضى على انتشار تعدد وتخبط القرارات وان يرضى الشباب من الجنسين بقرار الكبار لهما مهما كانت الاسباب .

٢ – تقوض سلطة الفتاة البدوية او المرأة البدوية ونزولها على رغبة الكبار فى كل امور حياتها فلا تختار شريك حياتها ولامسار تعليمها من دونه وهى راضية بهذا وهيأت نفسها واصبغت شخصيتها بمقومات تتناسب مع

سياسة المجتمع الذى تنتمى اليه .

٣ - حل جميع المشاكل والنزاعات القبلية والعائلية فى ضوء القانون العرفى وبعيداً عن المحاكم والتعامل مع الجهات الرسمية .

ولقد كان نتاج ذلك ان كل انسان مقتنع بحياته راض عن نفسه وواثق فى قدرة الكبار على تدبير شئون حياته والعمل على توفير لوازمه والقضاء على مشاكله اولاً بأول ولهذا كان انتشار المواد المخدره لايوجد له صدى بين الصغار والكبار بعيداً عن عيون المجتمع

أما العوامل السياسية وانتشار مواد مخدرة دون اخرى فى المجتمع القروى فهى :

١ - عدم تركيز السلطة فى يد الاب واحياناً فى يد الجد واحياناً يتوه اتخاذ القرار بين الاب والام وبهذا لايجد الشاب والفتاه قائداً لهما فى الميدان .

٢ - عدم امتداد السلطة والخوف من العقاب خارج دائرة الاسرة كما كان فى حالة الاسرة الممتدة ووجود رقيب على تصرف الصغار والكبار فى كل مكان وفى كل وقت .

٣ - صراع الاجيال والتناقض بين احتياجات ومطالب الصغار وامكانيات الكبار .

ولقد كانت هذه العوامل وراء انتشار انواع جديدة سهلة الاستخدام بعيداً عن عيون الاسرة مثل الحبوب المخدرة والهيروين .. الخ .

ومن العوامل السياسية الخارجية عن دائرة القرية ان الاستعمار الان بدأ

يتخذ اساليب لاذلال واستعباد الشعوب غير الاسلحة الحربية واصبحت الطاقة البشرية المصرية مستهدفة فى كل قطاع من قطاعات التنمية وبالذات الانتاج الزراعى والصناعى ومن مصلحته ان ينتشر الادمان على المواد المدمرة خاصة الهيروين والذى لايجد رواجاً حتى الآن والحمد لله فى المجتمع البدوى والمجتمع القروى الى حد بسيط للظروف المجتمعية لكل منهما ولكن وجد غايته وهدفه فى المجتمع الحضرى .

أما العوامل السياسية وراء انتشار مواد مخدرة دون اخرى فى المجتمع الحضرى فهى :

١ - ازدواجية اتخاذ القرار داخل الاسرة الحضرية واخذ القرار صورة مباراة حاسمة وفاصلة داخل الاسرة لجميع اطراف القرار دون تحكيم العقل والشرع والمصلحة العامة للجميع وللمجتمع فى النهاية .

٢ - عدم المشاركة الفعلية للشباب فى اتخاذ القرارات التى ترتبط بمصالحهم ومستقبلهم سواء داخل الاسرة وخارجها .

وبناء عليه وجد الاستعمار غايته فى هذه الطاقة التى تعد الركيزة الاساسية فى التنمية . كما وجد انصار التطرف واصحاب المصلحة غايتهم فى استدراج هذه الطاقة المندفعة بلا وعى وادراك وراء الشعارات فى مجالات متعددة ومختلفة محاولة ايجاد القدوة التى فقدت .

٣ - أن الاستعمار استطاع التوغل فى اعماق المجتمع المصرى بكل فئاته عبر وسائل الاتصال المتعددة والمتنوعة وبكل الطرق ومحاولاً استغلال بعض اصحاب النفوذ الذين لاينتمون انتماء وطنياً الى مصر فى هدم طاقتها البشرية خاصة فى الاعمار التى داخل قوى العمل على ادمان

وترويج الهيروين خاصة حتى يقضى على هذه الطاقة من ناحية وعلى موارد الدولة لو حاولت انقاذ هذه الطاقة لارتفاع تكلفة العلاج من ناحية اخرى .

٥ - المواد المخدرة المنتشرة فى الثقافات المختلفة

أ - المواد المخدرة المنتشرة فى المجتمع البدوى وهى :-

١ - البيرة ويربط بينها وبين الدواعى الصحية .

٢ - الحشيش ويربط بينه وبين الحياة الجنسية .

٣ - الخمر الى حد بسيط لانها تسطل الفرد وتفقده الوعى ويحرص البدوى على حفظ توازنه وكرامته .

٤ - الحبوب المنشطة لكبار السن خاصة مثل نيوافرو - بازوما - اوكازا - جيفرين .

٥ - الافيون بين كبار السن ولدواعى جنسية .

٦ - حالات قليلة من الهيروين لانها ضياع للمكانه والثروة التى يسعى البدوى للحفاظ عليهما دائماً .

ب - المواد المخدرة المنتشرة فى المجتمع القروى وهى :-

١ - الحشيش

٢ - الافيون

٣ - الحبوب المخدرة مثل برويكسين - دولوكسين - اتيفان - ڤالينيل - نوڤاسى - التوسيفان - برونكولاز شراب + كبسول - كوديلار - كودى

برنت .

٤ – البيرة والخمر والكينا .

٥ – زيادة عدد حالات الهيروين عن المجتمع البدوى وخاصة لفئة الاثرياء او المنتفعين والوسطاء الفقراء .

جـ – المواد المخدرة المنتشرة فى المجتمع الحضرى وهى :

١ – الحبوب المخدرة للشباب من الجنسين مثل :

المهدئات :– الاتيڤان – الڤالينيل – الترانكيلان – الكوتيان – الكاليوم – سنيكوان -فريزيوم – ريهيبنول .

المنومات : اى مجموعة الباربيتيورات مثل الڤاليوم

اقراص التخسيس : وهى مشتقة من مادة الامفيتامين مثل البوندراكس – والاسبراكس

المسكنات : مثل الدولوكسين – والبروبوكسين – نوڤا سى ڤيچاسكين – برونكولاز – اسبينول – ليكسوتانيل

٢ – حقن الماكستون عورت (ويطلقون عليها (الماكس) وتنتشر بين الشباب الحرفى وبعض المتعلمين .

وينتشر مرضا الإلتهاب الكبدى الوبائى والعوز المناعى (AIDS) بكثرة بين هؤلاء المدمنين عن طريق الحقن نظراً لاستخدام الحقن اكثر من مرة ولاكثر من مدمن فى نفس الوقت مع انها تكون ملوثة

٣ – الخمر والبيرة : وتنتشر بين الشباب الحرفى وضباط الجيش

والشرطة ومن لهم صلة بأعمال تقدم فيها هذه المواد وتم استخدام الكحول مخلوطاً بالكوكاكولا او السفن اب لرخص سعره .

٤ – ادوية السعال التى تحتوى على مادة الكودايين مثل التوسيفان نظراً لرخص سعره ينتشر استعماله كمادة مدمنه وليس بسبب احتياجه له كعقار ضد السعال – الكوديلار – الكودينال – البرونكولاز – الكودى برونت والسبب فى استعمال المدمن لهذه العقاقير فى المجتمع الحضرى هو تشجيع بعض الصيادلة على بيعها للمدمنين بأسعار عاليه لتحقيق ربح سريع ويقع العبء الاكبر لانتشار هذه المواد المخدره على الصيادله اكثر من المدمنين الذين ليس لديهم اى خبرة عن محتويات هذه المواد .

٥ – الحقن التى قد تستعمل فى فترة مابعد اجراء العمليات الجراحية وذلك لتسكين الآلام وبعد معرفة آثارها كمواد مخدرة بدأ انتشارها بين المدمنين وهى :–

حقن المورفين – حقن البثيدين – – حقن الألفاكامفين – – حقن السيتوليد .

٦ – الهيروين : وينتشر بدرجة كبيرة بين الشباب خاصة وتم استحداث بعض المواد المخدره يتم استنشاقها بدلاً من الهيروين لرخص سعرها ووفرتها وفى حالة ندرة الهيروين ولإرتفاع سعره مثل :

البنزين – الغراء – الدوكو – الأثير – الكلوروفورم – الاسيتون – التنر – الكله – الصمغ – غاز البوتوجاز .

٧ – الحشيش : وبدأ يتقهقر استخدامه نظراً لقلته ولاحتياجه لوقت

وتجهيز فى استخدامه وسيرد ذلك تفصيلاً .

٨ - الافيون : وينتشر خاصة بين كبار السن من الجماعات العرقية الوافدة .

٦- انتشار الادمان بين الذكور والاناث فى الثقافات المختلفة :

وتبين ان انتشار المخدرات فى المجتمع البدوى بين الذكور اكثر من الاناث ولكن من الممكن ان تشرب الزوجة مع زوجها البيرة فى البيت .

ولا يخجل البدوى من جعل امرأته تشرب معه البيره لانه قد يكون يشاهد فيلماً بالتليفزيون لامرأة تشرب مع زوجها وهو من طباعه انه يحب التقليد فيتخيل نفسه بطل الفيلم او المسلسل وبالطبع لايجد من تلعب دور البطلة امامه غير امرأته فيجعلها تشرب معه ولكن هذه الحالات قليله وغير منتشرة وقد تفضح المرأة امره عند حدوث مشاكل معه لاهلها وقد تتعرض تبعاً لذلك من اللوم والتوبيخ والاحراج من عائلتها وعائلته .

هذا ان دل على شىء انما يدل على ان البدوى شخصية طليقة له حرية فى ان يعمل اى شىء ومهيئ نفسياً لعمل اى شىء وان يستمتع بالوقت وبما ملكت يداه بعيداً عن عيون الناس فى حدود . القواعد السلوكية التى تقرها اعراف المجتمع .

ولا ينتشر تعاطى المخدرات وكذلك البيرة بين الاناث فى المجتمع القروى واذا وجدت حالات فهى قليلة جداتُكاد تقترب الى النسبة الموجودة بالمجتمع البدوى ولكن قد نجد بعض حالات من النساء يشربن الحشيش خاصة ممن لهن صلة بعملية الاتجار اومتزوجات من تجار او اشخاص لهم صلة بعالم

الاتجار.

وتنتشر نسبة تعاطى المواد المخدرة مثل الحشيش والافيون بين كبار السن والشباب فى المجتمع القروى وتنتشر الحبوب المخدرة بين الشباب وكذلك حالات ادمان الهيروين فى معظمها بين الشباب من الاثرياء وأصدقائهم.

وتبين ان انتشار ادمان المواد المخدرة بين الاناث فى المجتمع الحضرى قليل جداً بالنسبة لإنتشار تعاطى تلك المواد بين الذكور ولا ينتشر إدمان المواد المخدرة خاصة الحبوب والهيروين إلا بين المتعلمات فى مراحل التعليم المختلفة او المطلقات وأولئك اللائى قد يكون فاتهن سن الزواج والمطلقات وقد تشرب بعض السيدات اللاتى يشتهرن بسوء السلوك المواد المخدرة وذلك لجذب ضحاياهن من الشباب خاصة او من لهن صلة بتجار المخدرات وقد يستخدمن للترويج والتسويق.

كما ان النساء فى المجتمع الحضرى لا يقبلن على شرب الحشيش إلا بنسبة ضئيلة وهن زوجات تجار المخدرات او الساقطات او تاجرات اللحوم والخضار والسمك ويشربن مثل الرجال فى الجوزه او فى سجائر اما البيرة والخمرة فلا يقبلن عليها نسوة المجتمعات المحلية الشعبية.

٧- انتشار المخدرات بين المطلقين والعزاب والارامل

وتبين ان المخدرات لا تنتشر بين المطلقين والعزاب والارامل فى المجتمع البدوى خاصة الاناث ومرد ذلك سهولة الزواج للمرة الثانية والثالثة سواء بالنسبة للذكور او الاناث خاصة وان المجتمع البدوى قد بسط تطلعات الزواج وما يترتب عليه من التزامات مادية واثاث وخلافه الى الحد الذى

يجعله لا يمثل عبئاً ثقيلاً اسوة بالمجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

كما ان السياج الاجتماعى والثقافى حول الرجل والمرأة كان له دور كبير للغاية فى المحافظة على المرأة عندما تعود الى بيت اهلها وإتاحة الفرصة للرجل والمرأة للزواج وأخذ نصيبها فى الحياة مرة اخرى .

إلا ان مشكله المطلقات والمطلقين والارامل والعزاب قد تمثل عبئاً الى حد كبير فى المجتمع القروى خاصة في الاسر الفقيرة مما يجعل الاهل دائماً حريصين على استمرار حياة المرأة حتى لو كانت غير سعيدة او العمل بعد ذلك على سرعة زواجها مرة اخرى لكن هذا صعب عما يحدث فى المجتمع البدوى وهنا تجد المرأة بالذات فى المجتمع القروى دون الرجل صعوبة فى وجود فرصة مع رجل آخر مما يجعل المتعلمات منهن خاصة يقعن فريسة للأمراض النفسية والعصبية وبالتالى الاعتماد على العقاقير المهدئة او يصل الامر بغير المتعلمات ونسبة من المتعلمات الى الوقوع فى براثن الرذيلة خاصة مع إختفاء حنان ودفء الاسرة وإختفاء تقاليد وعادات القرية فى الوقت الحاضر الى حد كبير .

وتبين ان انتشار المخدرات بين كثير من المطلقين والعزاب والارامل فى المجتمع الحضرى يفوق بصورة كبيرة مثيله فى النمط البدوى والنمط الريفى وبين الجنسين ومرد ذلك ضيق المساكن وصعوبة الحياة الاقتصادية فى المجتمع الحضرى وسيادة الانانية وغياب دور الاسرة والعادات والتقاليد الاصيلة والنظرة السيئة للمطلقة والارملة واثارة الكثير من الاشاعات حولهما كما ان عدم وجود العائل لهذه الاسرة يعد من العوامل الهامة فى وقوعهن

ضحايا للإدمان ومن ثم الاسهام ببعض الادوار المختلفة والمتمايزة فى عملية الاتجار فى تلك المواد المخدرة خاصة وان المشاكل العائلية والتصدع الاسرى الخ تعد من العوامل الهامة وراء انتشار ادمان المواد المخدرة كما سبق الاشارة .

٨ - انتشار الادمان بين الشباب فى الثقافات المختلفة

لما كان الشباب هم القوة الاساسية داخل قوى العمل والانتاج وهم بناة المستقبل وهم القوة المعولة أى الطبقة العمرية التى يقع او يجب ان يقع على كاهلها اعالة الطبقات العمرية الاخرى الغير قادرة على العمل ، نجد لزاماً على تبيان الى أى حد ينتشر الادمان بين الشباب فى الثقافات المختلفة على النحو التالى :

نجد ان ادمان الشباب في المجتمع البدوى لا يكون على الانواع المدمرة اساساً مثل الهيروين وان حالات الادمان على مستوى الصحراء الغربية معدودة على الاصابع ، إلا ان الشباب البدوى قد يدمن شرب البيرة او المخدرات وتناول بعض الحبوب المنشطة خاصة اولئك المتزوجين ، إلا انه ثبت عدم وجود أى نوع من الادمان بالنسبة للفتيات والنساء البدويات ومرد ذلك عدم الاقبال على تعليم الفتاه اساساً وزواجها المبكر ، فضلاً عن إقتناعها بإحتلال المكانة الثانية فى المجتمع البدوى ، وخوفها من التمرد على القيم والعادات والتقاليد فى ادق امور حياتها مثل الزواج ، وهى دائماً تحت اعين اخوتها الذكور ، وعدم خروج الفتيات والنساء صغيرات السن الى السوق ، وكذلك عدم خروج الغالبية العظمى منهن لميدان العمل حتى المتعلمات ومن ثم عدم الاحتكاك او الاتصال الثقافى بأبناء العرقيات

الاخرى اسوة بالفتاه فى المجتمع القروى الى حد بسيط او المجتمع الحضرى الى حد كبير

كما نجد ان نسبة ادمان الشباب خاصة الذكور فى المجتمع القروى تزداد عن نسبة الشباب البدوى وتقل الى حد كبير عن المجتمع الحضرى ، ويرجع ذلك الى سفر بعض شباب القرية للعمل بالدول العربية وإمكانية تناولهم لبعض المواد المخدرة بالاضافة الى بعض الانحرافات السلوكية ، وكذلك خروج الشباب من القرية خاصة الذين هم فى مستوى التعليم الجامعى الى المدينة لإستكمال تعليمهم وإختلاطهم بأبناء المدينة من مختلف الاصول العرقية وتغير كثير من المفاهيم والقيم المصرية الاصيلة والتمسك بالتعاليم الدينية لدى كثير من شباب القرية المتعلم وغير المتعلم خاصة بعد تعرضه لموجة الاتصال الثقافى الغربى والتى حاول ان يكون مقلداً لها خاصة وانه لم ينل من التوعية اللازمة بما يتلاءم مع طبيعة هذا الاتصال والعوامل المختلفة المؤثرة فيه

كما نجد ان هناك بعض فتيات القرية خاصة المتعلمات واللاتى هن فى سن المرحلة الثانوية او الجامعة او بعض اولئك اللاتى خرجن للعمل فى المدينة ممن هن دون مستوى التعليم خاصة ومن هن من المتعلمات عامة ونتيجة لإختلاطهن بطبقات مهنية متنوعة مثل السواقين والعمال والحرفيين من الطوائف المختلفة ان تدنى بعضهن الى دائرة الانحراف ثم ادمان الحبوب المخدرة بصفة خاصة .

وتزداد نسبة إدمان الشباب من الجنسين فى المجتمع الحضرى كثيراً عن مثيلها فى المجتمع البدوى والقروى خاصة لو قيست بالنسبة والتناسب مع

عدد سكان المجتمع الحضرى ومرد ذلك تنوع العقاقير والمواد المخدرة مع تنوع وتمايز الفئات السكانية ثقافياً ، وتنوع وتمايز الطبقات المهنية والاجتماعية وكذلك تمركز كثير من تجار السموم بالمدينة او اعوانهم مع استقطاب عناصر كثيرة من طلبة الجامعات من الجنسين الى دائرة الادمان ثم المساعدة فى الاتجار ، وتزداد نسبة تعاطى الشباب من الجنسين ولكنها متزايدة فى خط الذكور عن الاناث على الانواع المدمرة خاصة الهيرويين وحقن الماكس وتزداد نسبة تردى الفتاة الحضرية الى دائرة الادمان خاصة الانواع المدمرة والتى لا يوجد لها ادنى صدى بين الفتيات البدويات ولكنها تزداد قليلاً بين الفتيات القرويات ولكن ليس على الانواع المدمرة ويرجع ذلك الى خروج الفتاة الى ميدان العمل مع قلة الوعى والخبرة بالحياة والطموح الزائد وعدم وجود الدور الرقابى المقرون بالحنان والالفة والعطف مع الشدة داخل الاسرة وخارجها كما كان يحدث من قبل بالاضافة الى الكثير من الاسباب التى سبق ذكرها عند تحليل قضية اسباب ودوافع الادمان فى الثقافات المختلفة .

٩ - الادمان والطبقة العمرية فى الثقافات المختلفة

بعد تبيان طبيعة الادمان بين الشباب من الجنسين فى الثقافات المختلفة نجد لزاماً علينا ان نوضح طبيعة الادمان بين الاطفال والكبار والشيوخ من الجنسين فى الانماط المجتمعية المختلفة من خلال المعالجة التالية :

أ - ادمان الاطفال والكبار والشيوخ فى المجتمع البدوى

تبين انه لا توجد أى نسبة لإدمان الاطفال فى المجتمع البدوى على أى نوع من المواد المخدرة وإنما قد نجد بعض حالات تدخين السجائر ولكن بعد

بلوغ الاطفال سن الثانية عشرة وبعيداً عن عيون الاسرة ويقلدون الكبار ولكن تزداد نسبة التدخين بين الشباب البدوى خاصة بعد سن السادسة عشرة ولكن ايضاً بعيداً عن عيون الكبار داخل العائلة وخارجها فى درجات قرابية معينة ، وقد يدخن ابناء هذه الفئة العمرية والسنوات التالية الحشيش ولكن فى حدود ضيقة للغاية وملفوفاً فى السجائر فقط لانه فى الغالب تكون الكمية محدودة ويشترك فيها عدد من الشباب .

ويمكن القول ان إحتساء البيرة هو الذى تعود عليه اطفال البادية اعتقاداً من الكبار لدواعيها الصحية ولكن حالات إدمان الحبوب فهى قليلةللغاية وبين أشباه البدو القريبين من المدينة مثل منطقة العجمى وبالقطع حالات ادمان الهيرويين لا توجد بالمرة بين الاطفال والغلمان والشباب ولم تظهر إلا حالات قليلة على إمتداد الصحراء الغربية حتى وقت إعداد هذا البحث .

وما يهمنا هنا انه فى السن سواء للذكور او الإناث نجد الدور الرقابى الهام للجدة والام البدوية حيث تلعبان دوراً هاماً فى ضبط سلوك الابناء ، لان الابناء يخافون من نقل الجدة او الام أى مخالفات سلوكية للرجال الكبار وبالتالى يتعرضون للأنواع المختلفة من العقاب بين الإزدراء والعقاب الجسمانى ولهذا فإن المشكلة نجدها محصورة وفى أضيق الحدود .

وتقل كثيراً نسبة الاقبال بين البدو على تعاطى الحشيش او الحبوب المخدرة فى مرحلة متوسطى العمر من سن ٤٠ : ٥٠ عن المجتمع القروى ومرد ذلك ان البدوى حريص ان لايتناول هذه المواد المخدرة امام الابناء او الاخوة الصغار حتى لا يقلدوه ، كما ان عدم انتشار الحرف المتعددة مثل

الميكانيكا واللحام والمقاهى والحرف الاخرى التى قد ينتشر بين اربابها تعاطى الحشيش والحبوب المخدرة لان البدو اساساً لا يقبلون العمل بهذه المهن وهذا كان عاملاً هاما فى عدم انتشار مثل هذه المواد حيث ان التمايز المهنى هنا نادر للغاية عن مثيله فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

اما الشيوخ فى البادية فلا يتعاطون الا الافيون وهى نسبة قليلة خاصة الذين تعودوا على تعاطى هذه المواد فى شبابهم وقد يقبل بعض الشيوخ على الحبوب المنشطة خاصة حديثى الزواج حيث ان البدوى يقبل على الزواج اكثر من مرة ويفضل صغيرات السن وهنا يجد فى هذه الحبوب إيحاء بالقوة والنشاط وقد يوصفها له اقرانه ولكن كل ذلك يتم فى إطار من الكتمان والسرية وبعيداً عن اعين الاجيال الاخرى من مختلف الاعمار حرصاً على صورته امام الجميع ووضعه ومكانته .

ب – ادمان الاطفال والكبار والشيوخ فى المجتمع القروى

لا توجد أى نسبة لإدمان الاطفال من الجنسين فى المجتمع القروى على أى انواع من المواد المخدرة ، وإنما قد تنتشر نسبة تدخين السجائر ممن هم دون سن الثانية عشرة وبنسبة تفوق كثيراً أطفال البادية ، وتزداد هذه النسبة فى مرحلتى الاعدادى والثانوى وتبدأ كل هذه المخالفات السلوكية تقليداً للكبار فى المحل الاول وبعيداً عن عيون الاسرة فى اغلب الاحيان وقد تكون لدى الاسرة علم خاصة الام والجدة ولكنها لا تستطيع ابلاغ الرجال خوفاً من إيذاء الوالد او الجد للولد ولسعادتهما بكبر ابنها وحفيدها وتشبهه بالرجال .

وتزداد نسبة الاعتماد على الحشيش بين متوسطى العمر او كبار السن من سن ٤٠ : ٥٥ خاصة الحرفيين او ممن اتيحت لهم فرص السفر مع توفرالامكانيات المادية لديهم حيث يجدون من شلة المنتفعين من حولهم كل التشجيع فى الاستمرار خاصة بعد موجة الاحترام والتبجيل والنفاق الاجتماعى او الاثرياء فى القرية خاصة الطبقات الاجتماعية القديمة ، وقد يتعاطى بعض ابناء هذه الفئة العمرية الافيون خاصة بعد سن الخمسين عاماً.

اما الشيوخ فلا يتعدى تعاطيهم السجائر فى اغلب الاحوال وقليلاً جداً يتعاطون الافيون والحبوب المقوية ممن هم دون سن الخامسة والستين ، اما من يبلغون من العمر اكثر من ذلك لا يتعاطون غير السجائر او قد يمتنعون عنها .

جـ – ادمان الاطفال والكبار والشيوخ فى المجتمع الحضرى

ونجد ان الادمان على الحشيش بالذات لا يبدأ الا مع تدخين السجائر وهنا لا يمكن ان يوجد اطفال فى سن اقل من إثنى عشر عاماً يشربون الحشيش ، كما ان ادمان الحبوب ينتشر بين الاعمار الصغيرة من الشباب خاصة وانه فى بداية الامر يكون بدافع السهر للإستذكار الخ ، ثم لا يلبث ان يتعود عليه دون ان يدرى اضرار ذلك وكذلك الفتيات المتعلمات او فى حالة الغدر والتغرير بهن.

الا ان إدمان البودرة لا ترتبط بطبقة عمرية او مهنية او اجتماعية او نوعية الجنس الذى ينتمى اليه الانسان ، فمن يقع اسيرها يرضخ لها ولا يمكن الاستغناء عنها ، ومن الحكايات الكثيرة فى هذا الصدد نجد مقاول

نقل يشم الهيروين ومعه ابنه الصغير الذى لا يتعدى الثالثة عشرة من العمر وهذا ان دل على شيء انما يدل على مدى السقوط والضعف والوهن والانانية وعدم الرحمة نتيجة ادمان هذا العقار وكيف ان الاب الذى طالما قصت لنا حكايات التراث الشعبى بأنه لا يريد احداً احسن منه غير ابنه ، الذى هو إمتداد طبيعى له ولا يبخل عليه ويشقى من اجل سعادته ويسعد لرؤيته ناجحاً ، فكيف إذن يحطمه ويتسبب فى موته وفى ضياع مستقبله ، لذا فإن مدمن الهيروين بالذات يعد حالة مرضية متقدمة فسيولوجياً ونفسياً وإجتماعياً تحتاج الى رؤية شاملة ومتكاملة ومتخصصة .

كما ينتشر تعاطى الافيون بين كبار السن خاصة اولئك الذين ينتمون الى صعيد مصر ودلتاها ويسكنون الحضر ومعظم اولئك اما كانوا ولا يزالون يعملون فى اعمال الشحن والتفريغ او المخابز او المقاهى الخ من المهن التى ينتشر بين القائمين عليها ادمان مثل هذه المواد المخدرة .

١٠ - الادمان والطبقة الاجتماعية والمهنية فى الثقافات المختلفة

أ - الادمان والطبقة الاجتماعية والمهنية فى المجتمع البدوى

وتبين ان الرجل الثرى الذى يحتل طبقة إجتماعية عالية وذو امكانيات مادية كبيرة يشرب اكثر من الرجل الفقير ، ومرد ذلك ان الشخص الثرى يشترى اوقيتين او ثلاث يضعها عنده حتى تكون المخدرات تحت يديه فى اى وقت ويعزم على اصدقائه او عماله و اما البدوى الفقير على قد حاله وينتظر يوم صرف مرتبه اذا كان يعمل بالاسبوع ليشترى نصف قرش يقضى به كل الاسبوع .

وبناء عليه يحرص الشخص الثرى الا تنتهى المخدرات من منزله ويكون

لديه دائماً مخزون منها ، لذا فإن فرصة تعوده ووصوله للإدمان اسرع من الرجل الفقير لانه يشرب اكثر ، هذا من ناحية ، ونجد وفرة الامكانيات لديه من الناحية الثانية ، كما ان المحيط الاجتماعى عامل مساعد له على ذلك خاصة وأن مجالس التعاطى بالنسبة له متاحة وكثيرة من الناحية الثالثة .

كما تبين ان فرصة ادمان بعض المهن يقتصر على مهن الغفارة فى المحل الاول خاصة وان هذه المهن تستدعى احياناً السهر او المبيت خارج المنزل ولا يجد البدوى فى هذا الوقت الطويل من طريقة لقضاء وقته غير تعاطى المخدرات ، ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد ان البدوى حتى لو باع ارض بمليون جنيه قد يشترط فى العقد على المشترى ان يغفر عليها ، حيث ان الغفارة تعنى فى شخصية البدوى الكثير من السمات الحميدة ، كالشجاعة والقوة والسيطرة والنفوذ ، ويعد هذا العمل من الاعمال التى تضفى قيمة على الرجل مهما كانت ثروته وإمكانياته المادية ، ثم يأتى بعد ذلك الذين إحترفوا مهنة النصف نقل فيتعاطون الحشيش والبيرة .

كما تبين ان ابناء البدو الذين تعلموا وعملوا بالوظائف خاصة المتعلمين والذين تزوجوا من بنات متعلمات بدويات فى اغلب الاحوال او غير بدويات فى اقل الاحوال ، هنا نجد ان التعليم كان عاملاً حاسماً فى الحد من تعاطى المخدرات أو شرب البيرة ، كما ان تعاطى المخدرات اصبح عيباً لانه سيقلل من مكانة وشخصية الفرد وكما سيتبين فى نقاط اخرى فى متن هذا البحث .

ب - الادمان والطبقة الاجتماعية والمهنية فى المجتمع القروى

كما تبين ان الادمان فى القرية خاصة الحشيش والافيون لا ينتشر الا بين التجار واعيان القرية وأصدقائهم المقربين من الطبقات الاخرى .

كما ان الحشيش والحبوب المخدرة ينتشر بين الحرفيين من كل المهن وبصفة خاصة الحبوب بين الشباب الحرفى ومرد ذلك سهولة تعاطيها وتأديتها لنفس الغرض السعادة الوهمية والانبساط .

ولا ينتشر ادمان الحشيش والافيون بين نساء أى طبقة اجتماعية الا فى عدد قليل جداً من الساقطات ونشاطهن فى الغالب يكون خارج حدود القرية وفى حدود القرية فى احوال قليلة جداً ، كما ان انتشار بعض حالات الادمان على الهيروين والحبوب المخدرة بين المتعلمات خاصة فى المرحلة الجامعية واللاتى ترتبطن بالذهاب الى المدن الكبرى التى بها جامعات والاقامة بالمدن الجامعية او خارجها ..إلخ ، وما ينتج عن ذلك من سلبيات وإنحرافات نتيجة الاختلاط ببعض الشخصيات سيئة السمعة داخل المدينة الجامعية وخارجها .

جـ- الادمان والطبقة الاجتماعية والمهنية فى المجتمع الحضرى

توجد ثمة علاقة بين الادمان والمهنة على مواد مخدرة معينة دون اخرى كما يتضح فى النقاط التالية :

١ - الصيادلة ، ويدمنون على المواد التخليقية المخدرة (برشام - كوداين وريهبينول صليبة) .

٢ - السائقون وذلك محاولة للسهر خاصة سائقى النقل الثقيل الذين

يسافرون ليلاً ويدمنون الافيون والحشيش .

٣ – عمال وموظفو الجمارك ويدمنون الافيون والحشيش .

٤ – عمال المقاهى ويدمنون على الافيون لتجديد نشاطهم ومساعدتهم على السهر .

٥ – عمال المخابز ويدمنون على الافيون لتجديد نشاطهم ومساعدتهم على السهر .

٦ – المحامون والقضاة ويدخنون سجائر الحشيش لإستغراقهم فى بحث القضايا ، وظهرت بعض حالات ادمان الحبوب وحالات نادرة لإدمان الهيروين من تلك الفئة فى مجتمع البحث .

٧ – المقرئون ويتعاطون الحشيش والافيون .

٨ – الحرفيون ويدمنون الحبوب والخمور والحشيش .

٩ – ضباط الجيش والشرطة ، ويدمنون الخمور والحشيش .

١٠ – رجال الاعمال الحرة (تجارة ومقاولات) يدمنون الحشيش والهيروين وفى بعض الحالات الخمور .

١١ – الشباب فى مراحل التعليم المختلفة ، ويدمنون الحبوب المخدرة لسهولة تعاطيها والحصول عليها بالاضافة الى انتشار حالات ادمان الهيروين بين طلبة وطالبات الجامعة والثانوى .

١٢ – النشالون والعربجية ويدمنون على الحقن الماكس بديلاً للافيون وكذلك الخمور والكحول المطفى .

١١- اساليب تعاطى المواد المخدرة فى الثقافات المختلفة:

تختلف أساليب تعاطى المواد المخدرة فى الانماط المجتمعية المختلفة البدوية والقروية والحضرية ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

أولاً : اساليب التعاطى فى المجتمع البدوى

١ – الحشيش

- يشرب فى سجائر ملفوفة .

- يوضع فى مبخرة ويقفلون الحجرة ويشمون الدخان المنبعث منه .

- عمل قراطيس كبيرة بورق البافرة ويوضع بداخلها الحشيش والدخان ويتم شربها بالتدخين .

- يشرب على برطمان فى معسل كما هو الحال فى المجتمع الحضرى وهذه الطريقة قد اقتبسها البدو نتيجة الاختلاط بالوافدين من القرى أو المدن .

٢ – الافيون

يزداد تعاطيه فى كبار السن ويوضع تحت اللسان أو فى كوب من الشاى وهناك من العادات البدوية فى التعاطى والتى تختلف بصورة أو بأخرى عن الانماط المجتمعية الاخرى وهى :

أ – عندما يشرب الفرد ملعقة من زيت الزيتون أو المسلى ويجلس مع عشرين رجلا يتعاطون المخدرات فلا يؤثر فيه أى كمية يتعاطاها .

ب - عدم شرب الابن السجائر أمام والده أو أخيه الكبير ولكن قد يشرب مع أولاد عمه الصغار أو أولاد خاله حتى لو كانوا كبارا .

جـ - لا يحبذ الرجل الكبير خاصة لو كان من العواقل والمشايخ الذين لهم سلطة فى المجالس العرفية أن يعرف أحدا وهو فى مجلس الصلح أو فى أى مجالس خاصة أنه يدخن سجائر بها مخدرات ، لذا فهو يحرص أن يكون معه علبتان من السجائر أحدهما بها سجائر ملفوفة بالمخدرات (الحشيش) والاخرى عادية ، ويعزم على الحاضرين من السجائر العادية ثم يشرب من العلبة الاخرى ولا يستطيع أحد الجالسين ممن يعرف رائحة الحشيش أن يظهر أى إشارة تدل على أنه يعرف أن هذه السجائر بها حشيش ، وهذا إن دل على شىء إنما يدل على حرص البدو على إكبار وإجلال كبيرهم وعدم الاقلال من مكانه أو مركز كبار القوم ويريدون دائما ان يكون قدوة لهم ولذا لا يجب ان يراه ابنه وهو يتعاطى الحشيش وبالطبع يحرص الابن على عدم رؤية والده له وهو يدخن حتى السجائر .

وبناء عليه نجد ان عادات التعاطى تتم فى شىء من السرية وهذا ما جعل ظاهرة الادمان ليست بالخطورة فى المجتمع البدوى مثل المجتمع القروى والمجتمع الحضرى ، حيث أن القواعد العرفية بصدد انماط السلوك للطبقات العمرية كلها تجعل هناك إلتزاماً تاماً بصدد ما قد يخل باستقرار المجتمع .

ومن الروايات البدوية فى هذا الصدد ، انه حدث ذات مرة كان رجل مدعواً فى فرح وذهب الابن مع والده الى نفس الفرح ، وبالطبع الكبار يجلسون على بعد من مجلس الشباب ، ومن عادات البدو فى الافراح ان

يشربوا البيرة ويتعاطوا الحشيش بكثرة وشرب الاب والابن وكل منهما بعيدا عن الآخر ، ولما غاب عن وعيه "انسطل" الاب وكذلك الابن وبات كل واحد معتمدا على الآخر فى قيادة السيارة عند العودة للمنزل وبعد خروجهما من الفرح وذهبا الى السيارة جلس كل منهما فى المقعد الخلفى انتظارا أن يقود أحدهما السيارة ونظرا لبعضهما وضحكا دون ادنى تعقيب ، ولكن بالطبع حاول الابن جاهدا توصيل والده وهذا ان دل على شىء انما يدل على ان المناسبات المباح فيها التعاطى للمواد المخدرة تتم من خلال سياق اجتماعى وثقافى وفى اطار قبول المجتمع لانماط معينة دون أخرى .

٣ – الخمور والبيرة

وتبين ان الخمرة منبوذة اجتماعيا لدى البدو ومن يشربها يكون فى أغلب الاحوال فى منزله حتى لو غاب عن وعيه "انسطل" " بيته يلمه " على حد تعبيرهم ، حيث ان المخمور قد يأتى بأفعال تجلب العار والخزى على أبناء قبيلته ويرفعون الوصاية والحماية عنه فى حالة ارتكابه أى إثم .

أما البيرة فهى مقبولة اجتماعيا ويشربها الصغار والكبار كما سبق القول فى المنازل أو فى اماكن الغفارة او فى الافراح ويشرب البدو والخمرة فى أكواب أو من الزجاجة ذاتها .

٤ – الهيروين

ولما كان الهيروين نادراً فى تعاطيه بين ابناء البادية والذى يتعاطاه لابد وان يكون محتكا بصورة او باخرى باصدقاء له من المدينة وهذا يتعاطاه اما بالاستنشاق او بحرقه فى مبخرة وشم الدخان المنبعث منه ولكن الذى

يتعاطاه بهذه الطريقة من الاثرياء دائما وتسمى هذه الطريقة بين متعاطيها فى الانماط المجتمعية المختلفة " رقصة التنين " .

٥ – الحبوب المخدرة

وتبين ان البدو الذكور يتعاطون الحبوب المنشطة خصوصا كبار السن والشباب المتزوجين حديثا أو من فترة وذلك بقصد مساعدتهم على إطالة العملية الجنسية وإرضاء رغبة الزوجة ويتم أخذ هذه الحبوب بالفم وبعيدا عن عيون الناس ويتم شراؤها من الصيدليات المعروفة ببيع هذه الحبوب لارتفاع اسعارها ، بل الاغرب من ذلك انك تجد بعض الصيادلة يتبارون فى احضار الانواع المختلفة وعرضها على البدو ولذا يقع العبء الاكبر على انتشار هذه المواد المخدرة على الصيادلة سواء فى البادية او القرية او المدينة الذين يرغبون فى الاثراء بسرعة على حساب اهدار جزء غالٍ من موارد الثروة فى مصر وهى موارد الثروة البشرية .

ثانياً : اساليب التعاطى فى المجتمع القروى

١ – الحشيش

ـ يدخن ملفوفاً فى السجائر .

ـ يتعاطى على جوزة مع المعسل .

ـ وضعه فى مبخرة ويقفلون الحجرة ويشمون الدخان المنبعث منه (الاثرياء والمنتفعون من الصحبة فقط) .

ـ وضعه مع قطعة مسلى طبيعى وتسخينها ثم تركه يبرد بالثلاجة وأكله عن طريق الفم .

ـ وضعه مع قطعة من الشيكولاتة وتسخينها ثم تترك لتبرد ويؤكل وهذه مقتبسة من بعض الحضريين الذين لهم جذور قروية أو لهم اتصالات بالقرية.

٢ – الافيون

ويتعطاه كبار السن أو متوسطو العمر فى القرية تحت اللسان أو فى كوب الشاى ويتعاطاه سائقو سيارات النقل الثقيل حتى يستطيعوا السهر واليقظة أثناء القيادة .

٣ – البيرة والخمرة

تشرب فى أكواب أو بالزجاجة .

٤ – الهيروين

يتعاطى الاعيان الهيروين عن طريق الاستنشاق مستخدمين فى ذلك الاوراق المالية الجديدة عن طريق برمها أو انابيب مصنوعة من البلاستيك ثم الاستنشاق بعد تقسيم الهيروين الى خطوط متوازية .

وقد يضعونه فى مبخرة ويحرقونه ثم يشمون الدخان المنبعث منه ولكن هذا يحتاج الى مبالغ خيالية .

٥ – الحبوب المخدرة (المنشطة خاصة)

يتناول كبار السن هذه الحبوب عن طريق الفم خصوصا المهتمين بالامور الجنسية والشباب للمساعدة على السهر وبخاصة طلبة وطالبات الثانوى والجامعة أو الشباب الحرفى من أبناء القرية .

٦ – حقن الماكس

تتم عن طريق حقن المدمنين بعضهم البعض وغالبا ما تؤدى هذه الطريقة الى نقل العدوى لكثير من الامراض الخطرة نتيجة تلوث الحقنة الواحدة التى يتم بها الحقن وأثبتت الابحاث العلمية الحديثة ان هذه الطريقة اسهل طريقة لانتشار مرض الايدز (نقص المناعة الطبيعيةللجسم) .

ثالثاً : أساليب التعاطى فى المجتمع الحضرى

١ – الحشيش

– يدخن ملفوفا فى سجائر .

– يتعاطى على جوزة مع المعسل .

– وضعه فى مبخرة ويقفلون الحجرة ويشمون الدخان (الاثرياء وبخاصة رجال الاعمال الحرة والمنتفعون حولهم) .

– وضعه مع قطعة من الشيكولاتة وتسخينها ثم تركها تبرد بالثلاجة وأكلها عن طريق الفم

٢ – الافيون

ويتعاطاه المتزوجون حديثا من كبار السن ، وبعض الشباب الحرفى ورجال العمال الحرة خاصة أعمال النقل والمقاولات اما بوضعه تحت اللسان أو فى كوب شاى أو فى فنجان من القهوة .

٣ – البيرة والخمرة

تشرب حسب مكان التعاطى فاذا كانت فى منزل احد المتعاطين فتشرب

فى أكواب أو كؤوس اما إذا كانت فى أحد المنتديات أو الملاهى فى كؤوس

٤ – الهيروين

ويتعاطاه المدمنون عن طريق الاستنشاق العامة خاصة الغير نقى .

اما الاثرياء والقادرون فيضعونه فى مبخرة فى حجرة مغلقة ويستنشقون الدخان المتواجد بالحجرة وأصبح من الشائع تسمية هذه الطريقة فى المجتمع الحضرى " رقصة التنين " ، ولكن هذه الطريقة مكلفة للغاية وتؤدى الى دمار الثروة والصحة فى النهاية .

٥ – الحبوب المخدرة

ويتم أخذها بالفم لكبار السن خاصة الحبوب المنشطة لأولئك المهتمين بالنواحى الجنسية اعتقادا منهم بانها تعيدهم شبابا ، كما يتناولها طلبة وطالبات المدارس الثانوية والجامعات بقصد السهر وهنا يصلون نتيجة اساءة استخدام العقاقير الى مرحلة الادمان .

٦ – حقن الماكس

ويحقن بها المدمنون بعضهم البعض بنفس الحقنة وهذا السبب وراء ظهور خراجات فى اماكن وخز الابرة ، كما انه هذه الطريقة اثبتت انها من الطرق الشائعة فى نقل العدوى بمرض الايدز Aids عن طريق الحقن الملوثة التى يتم استخدامها فى حقن المدمنين .

ويتبين لنا مما سبق ان اساليب التعاطى فى الثقافات قد لا تختلف كثيرا فيما بينها وانما قد تختلف فى طبيعة الاماكن التى يتم التردد عليها وطبيعة الطبقات العمرية والاجتماعية التى تتعاطى هذه المواد المخدرة وقد يرجع

ذلك الى ان الاعلام اقتحم مشكلة المخدرات بصورة كبيرة عبر التليفزيون والاذاعة والمجلات والجرائد مما أتاح الفرصة كاملة لكل ابناء المجتمعات المختلفة من التعرف على ما هو جديد ومبتكر فى عالم المخدرات خاصة ونحن نعلم تماما من ان العالم كله اصبح الآن عن طريق التطور الكبير فى عالم الاتصال قرية صغيرة لا تخفى فيها خافية .

١٢ - أماكن التعاطى فى الأنماط المجتمعية المختلفة

ويمكن اجمال اهم الاماكن التى يتردد عليها البدوى لتعاطى المواد المخدرة فيما يلى :

١ - فى مندرة خاصة وتكون بعيدة عن بيت العائلة ، حيث ان البدوى يحرص على بناء حجرة بعيدة عن منزلة لمقابلة أصدقائه وضيوفه بعيدا عن المنزل ولا يستطيع أولاده الاقتراب من الحجرة إلا إذا استدعاهم والدهم ، وهنا يحرص الكبار ألا يراهم الصغار ويقلدونهم .

٢ - الافراح خاصة عند سماع عوض المالكى .

٣ - فى أماكن الغفارة (قيلات الغفارة) خاصة وأن البدوى يهوى مهنة الغفارة وتعتبر هى الحجة التى يذهب بمقتضاها ليلا من المنزل ليقابل رفاقه فى التعاطى ويكون أهل منزله يعرفون أنه يمر على الاماكن التى يغفر عليها .

٤ - الاماكن الخلاء فى الصحراء .

٥ - عند أى صاحب أو صديق خاصة العزاب ولا يرغبونه فى الزواج حتى يستمروا فى اللقاء عنده .

٦ - يفضل البدوى شرب الخمرة والبيرة فى بيته أو عند صديق عزيز ولكن بيته يلمه ويصبح مستوراً فى بيته حتى لو غاب عن وعيه "اتلطش" ينام ، كما ان البدوى يحب ان تشاركه إمرأته وهو يحتسى البيرة خاصة .

٧ - الصيدليات حيث يشترى كبار السن والشباب البدوى المتزوج الحبوب المنشطة خاصة أو قد يشتريها لهم بعض أبناء المدن ممن تربطهم صلة عمل أو صداقة .

٨ - أما الحالات القليلة التى تشم الهيروين فهى تتم فى أى مكان بعيداً عن أنظار أبناء المجتمع البدوى خوفاً من الفضيحة وغالباً ما يكون أصحاب هذا الكيف لهم أصدقاء من الحضر يحضرون لهم الهيروين .

أما الاماكن التى يتردد عليها القروى لتعاطى المخدرات فهى :

١ - فى المقاهى خاصة وأن القرى تكون بعيدة عن أعين رجال الشرطة

٢ - فى الفرز وهى غالباً ما تكون فى أطراف القرية ويلجأ إليها الذين يعملون بالاعمال الحرفية وقيادة السيارات .

فى منزل أحد أعيان القرية وغالباً ما يكون هناك مكان يطلقون عليه المندرة معد لاستقبال الضيوف ويتم هذا فى وقت متأخر من الليل .

٤ - فى شقة أحد العزاب الذين يقطنون القرية خصوصاً الموظفين سواء من ابناء القرية وفى الغالب يكون غريباً عن القرية .

٥ - فى منزل أحد رفاق التعاطى خاصة لو كان فقيراً ، حيث انهم يعتبرون ان تهيئته لمكان التعاطى يعد بمثابة نصيبه من تكلفة شراء المخدرات وقد يكون على مقربة من مجلس زوجته وأولاده وهذا له أثره

السيء فى سلوك الزوجة والابناء فيما بعد

٦ – بعض الاماكن المشبوهة فى ممارسة بعض الاعمال المنافية للآداب العامة وهى قليلة جداً بالقرية .

٧ – الصيدليات حيث يشترون الحبوب المخدرة والتى يطلعها عليهم السادة الصيادلة ويعرفونهم بالانواع البديلة تباعاً .

أما الاماكن التى يتم التردد عليها المدمن فى المجتمع الحضرى لتعاطى المخدرات فهى

١ – فى شقة أحد الاصدقاء العزاب وقد يسبب هذا ازعاجاً واحراجاً للجيران

٢ – فى بعض المقاهى فى الاحياء الشعبية كمنطقة البحث أو فى غرز معينة معروفة بذلك حيث يطلب الحشاش الشاى والقهوة أو المشروب المثلج ويبدأ أحد الصبية يخدم عليه برص حجر الجوزة تباعاً .

٣ – فى ڤيلا أحد التجار ورجال الاعمال خاصة فى فصل الشتاء ، ومايتبع ذلك من شتى الاعمال المنافية للآداب .. الخ .

٤ – فى الافراح التى تقام فى المناطق الشعبية ، حيث ان الفرح يستمر لمدة يومين فى سرادق بالشوارع والحوارى أو فوق أسطح المنازل ولو ان ذلك أصبح قليلا

٥ – فى منزل أحد الاصدقاء المتزوجين وبخاصة ذو الامكانيات المادية البسيطة ، ويضطر الى حبس أولاده وزوجته فى حجرة لو كانت الشقة صغيرة وفى الغالب ما يتركهم وحريتهم وهنا يرى الصغار والدهم وهو يقوم

بالتعاطى مع أصدقائه دون مراعاة لحرمة المنازل وما قد يترتب على ذلك من انحرافات فى السلوك من جانب الاولاد والزوجة فى مراحل تالية ، اما الزوجات المحترمات فقد تضطر فى يوم إلتقائه بأصدقائه ان تذهب هى وأولادها الى أسرتها بحجة الزيارة وهنا يتشتت الاولاد خاصة لو كانوا فى المدارس بسبب مزاج الوالد وأصدقاء السوء .

٦ – فى الشقق المشبوهة التى يتم فيها كل الممارسات المنافية للآداب ويعتبر الادمان من لزوم الشىء .

٧ – يتردد شارب الخمر فى الغالب على الحانات وإذا كانت الحانات غالية يشترى زجاجة ويذهب بها الى بيته خاصة لو كان فيه راحة .

٨ – الاماكن المنزوية فى منطقة الجبل والحوارى المظلمة حيث يقوم بعض المنحرفين من اللصوص والحرفيين بشرب الكحول المطفى بالسفن أب أو الكوكاكولا .

٩ – فى النوادى والحفلات الخاصة وهذا يقتصر على أثرياء منطقة البحث ورجال الاعمال فى المدينة عامة .

١٠ – فى المطاعم الكبرى والفنادق خصوصاً رجال الاعمال الحرة .

١١ – الصيدليات حيث يشترون الحبوب المخدرة من مختلف الانواع وسبق ذكرها تفصيلا فى موضع آخر .

ويتبين لنا مما سلف كيف ان اختلاف طبيعة اماكن التعاطى فى الثقافات المختلفة وعدم تنوعها فى المجتمع البدوى والقروى كما هو الحال فى المجتمع الحضرى ، وحرص البدو على عدم وجود الصبية والشباب فى

أماكن التعاطى على العكس من كثير من ابناء الحضر ، فقد كانت هذه العوامل من أهم أسباب عدم انتشار وتنوع المواد المخدرة خاصة الانواع المدمرة فى المجتمع البدوى الى حد كبير والمجتمع القروى الى حد بسيط على العكس تماما فى المجتمع الحضرى .

الفصل الرابع

العلاقات الاجتماعية للمدمن فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه ان العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى للمدمن داخل الاسرة وخارجها على مستوى المجتمع ككل قبل وبعد الادمان لهما أثرهما الكبير فى فهم الظروف المجتمعية.المختلفة التى عمقت مشكلة الادمان ومن ثم تساعدنا كثيراً فى فهم وضع ومركز المدمن داخل الاسرة وخارجها ومن ثم تبصرنا برؤية اجتماعية اكثر شمولا للمشكلة ويتضح ذلك من خلال المعالجة التالية :

١ - البيئة الاجتماعية للمدمن فى الثقافات المختلفة

وتبين ان الاعتماد (الادمان) على مادة دون غيرها يرجع الى عدة نقاط هامة منها طبيعة التنشئة الاجتماعية والثقافية التى نشأ فيها الفرد ، طبيعة اهله وعائلته بل والمنطقة التى يعيش فيها من حيث الاكتظاظ السكانى أو الهدوء النسبى وطبيعة الاصدقاء الذين يدخلون معه فى علاقات من مختلف الانواع وكذلك بيئة العمل التى يعمل بها .

ولقد تبين ان طبيعة البيئة المحيطة بالانسان فى المجتمع البدوى تنم عن تجانس وعدم تمايز أو تنوع العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع البدوى ، بل ان هذه العلاقات وما يترتب عليها من حقوق وواجبات تكاد تكون مصبوبة فى قوالب محددة لا يمكن الخروج عليها إلا فى حدود معينة تقرها الاعراف البدوية ، لذا نجد ان الادمان وبصفة خاصة الانواع المدمرة لم يكن لها الا أثر نادر لدى البدو الذين يقطنون بجوار المدينة إلا أنه ينعدم بين البدو الذين يقطنون النجوع الداخلية (البعيدة عن العمران) ، وهذا إن دل شىء إنما يدل على ان العادات والتقاليد والاعراف البدوية الموجودة

بالمجتمع البدوى وطبيعة الانسان البدوى الصادق والمعتز بنفسه ، والذى لا يقبل ان يذل أو يدنى من نفسه أو يحس بالضعف والوهن كانت وراء ادمان الحشيش والافيون وبعض الحبوب المنشطة وعدم الاقبال بأى صورة من الصور على الانواع المدمرة كالهيروين .

وقد كانت القرية حتى خمسة عشر عاماً مضت تتمتع الى حد كبير بمثل هذه العلاقات القرابية والاقليمية وعلاقات الجوار والمصاهرة وقد كانت هذه العلاقات تصل الى حد كبير من القوة والعمق بما يسمح لها بأن تحافظ على تساند المجتمع القروى وتكامله ، ولكن بعد موجة التأثير الكبيرة للقرية نتيجة الاحتكاك والاتصال الثقافى بالمدنية والاعتماد على المدينة فى سد الاحتياجات المختلفة للقرية ، وانتشار التعليم وخروج الابناء من الجنسين للعمل والاختلاط الواسع بابناء المدن من مختلف الطبقات الاجتماعية والمهنية المتمايزة وكذلك حركة الهجرات المتتالية والمكثفة من القرية للخارج خصوصاً المزارعين والحرفيين ثم العودة بعد اقتباس الكثير من العادات والتقاليد التى عصفت بكثير من جوانب الاستقرار النسبى فى القرية ، والقناعة والرضا عن النفس والوطن وزادت تبعاً لذلك مشاعر الطموح المادى الجامح والانانية وانقلاب الهرم الطبقى رأساً عقب مثل هذه الامور وغيرها هى التى عمقت مشكلة الادمان وأدت الى خطورتها فى مجتمع القرية بصورة أكبر من المجتمع البدوى وتبين ان البيئة الاجتماعية فى المجتمع الحضرى لها أثر على الادمان على عقاقير ومواد مخدرة متعددة ومتنوعة نظراً لتعدد وتنوع الجماعات العرقية التى تسكن المجتمع الحضرى على خلاف المجتمع البدوى والقروى ذات الجماعة الاجتماعية الواحدة والثقافة الواحدة ، . أقصد أن إنتشار الجماعات الاجتماعية المتعددة ذات الثقافات

وإستغلال مراكزها ووظائفها والمدهش ان معظمها من رجال الشرطة أو القضاء أو أصحاب المناصب الكبرى فى الحكومة والقطاع العام الخ .

٢ - رفاق المدمن فى الثقافات المختلفة

لما كان البدوى عامة والمدمن خاصة لا يحب العمل المجهد والتعب ولا يمكن ان يصاحب فى تعاطيه غير المدمنين مثله لان البدوى بطبعه انسان لا يحب النصح ولا يحب ان ينقده احد ، وبناء عليه فلابد ان يكون أصحابه مثله ، يعيش مبسوطاً معهم ، لا أحد ينصح أحداً ولا ينقده وبالرغم من ذلك فان البدوى شخصية مرحة ويحب ان ينقد الناس ولكن إذا تكرر النصح من أحد الاشخاص أكثر من مرة لا يذهبون اليه أو يجالسونه ويقولون " فكنا منه يا رجل دى جلسته نكد وعامل مصلح اجتماعى " وهذ يعنى ان رفاق المدمن البدوى هو كل من يأتى على هواه سواء أكان من أقاربه أو أصدقائه أو جيرانه ولكنهم فى الغالب لا يفضلون الاقارب ، وأهم شئ ان لا يكون بينهم ناصح أو ناقد أو مصلح اجتماعى .

كما تبين ان رفاق المدمن فى المجتمع البدوى على الحشيش هم فى الغالب ممن يكونون فى فئة عمرية قريبة فى السن وعادة لا ينتمون لبعضهم البعض بصلات قرابة وفى الغالب ما يعملون بالغفارة أو السواقة خاصة وأن البادية ليس بها تمايز مهنى أو تخصصى كما أن نسبة التعليم لم تنتشر بعد بالدرجة التى تجعل هناك تمايزاً مهنياً أو تقسيم عمل حقيقى ، كما أن امكانيات العمل المتاحة فى المجتمع البدوى لا يزال يقوم بأدائها الكثيرون من أبناء الجماعات العرقية الوافدة من وادى النيل .

إلا أن رفاق الافيون فى المجتمع البدوى هم فى الغالب من كبار السن

المتباينة له أثره على إختلاف طبيعة الادمان فى المجتمع الحضرى .

وتبين ان المدمن الذى ينشأ فى بيئة يتعاطى البعض منها المخدرات مثل حىّ الدخيلة – كرموز – سوق عقداية – اللبان – باكوس – القبارى (الكرانتينة) – الورديان – المتراس – ، ويشاهد على الطبيعة عمليات التدخين للحشيش التى تتم فى المناسبات المختلفة ، أفراح – أعياد ميلاد – من خلال السرادقات "الشوادر" التى تقام فى الشوارع وفوق أسطح المنازل ، وكذلك مشاهدته لبعض المدمنين وهم يعطون بعضاً حقن الماكس أو يتناولون الحبوب فى الشوارع علناً ، فيحاول أن يقلد أو يجرب أو يجامل فى الافراح ونتيجة لتكرار هذه العمليات مراراً يقع فى دائرة الادمان .

وللأسف وقع ضحية للادمان خاصة على الانواع المدمرة خاصة على الانواع المدمرة كالهيروين خريجو وطلبة الجامعات من الجنسين ومن هم فى مستوى التعليم الثانوى وبعض طلبة المرحلة الاعدادية والتجار والعمالة الفنية الماهرة الخ مما أدى الى تدهور وتحطم كثير من الاسر المتواجد فيها هذه العناصر وتحولت الحياة من حولهم الى جحيم وضياع لا يعرفون نهاية له .

وتبين ان الوضع الاجتماعى فى المجتمع والمكانة الاجتماعية فى المجتمع الحضرى كان لهما أثر واضح فى عدم وصول كثير من أولئك الذين يحتلون أو يشغلون مناصب رفيعة فى المجتمع أو ينتمون الى عائلات ذات سمعة طيبة وقوية الى مرحلة الادمان خاصة على الانواع المدمرة خشية فقد المكانة والهيبة والاحترام فى المجتمع ، إلا ان من وقع ضحية للهيروين خاصة كان بتخطيط واعٍ من اصدقاء السوء لاستقطاب هذه الفئات

وقد لا يتعاطونه امام بعضهم ولكن قد يهدون بعضاً به ويتعاطونه وقت الاحتياج لانه كيف سهل تناوله وفى وقت الاحتياج فقط .

ولما كانت البودرة لا تنتشر فى المجتمع إلا فى حالات نادرة وغير معلومة ، إلا أن هناك يداً خفية بدأت تمتد الى أبناء هذا المجتمع بهذا العقار المدمر ولكن الاعراف البدوية تقف بالمرصاد ولكن الى متى يستطيع المجتمع البدوى الصمود خاصة فى المناطق المتناثرة عبر الصحراء الغربية وبعد تعرضهم للبث المباشر من اسرائيل وما يتخلل هذا البث المباشر من أفلام العنف والجرائم والافلام المخلة بالآداب السلوكية وهى تمثل خطراً داهماً قادماً الى المجتمع البدوى فى النجوع المترامية الاطراف عبر الصحراء.

كما ان الحبوب المخدرة قد تنتشر الى حد بسيط للغاية بين الشباب وخصوصاً المتزوجين وذلك بإيحاء القوة الجنسية وبعض الطلبة رغبة فى التقليد أو السهر للاستذكار كما يدعون ، إلا انها تنتشر بين القادرين من كبار السن فى المجتمع البدوى وهى لدواعى إعادة النشاط والحيوية خاصة فى حالات الزواج المتكرر من صغيرات السن .

أما البيرة فيتم شربها فى المنزل بصورة عادية أو مع الحشيش فى بعض الاحيان خلال حفلات الأفرح الخ .

ويمكن التنويه هنا الى أهمية ان تعاطى وتناول المواد المخدرة يتم بعيداً عن الاولاد وفى عزلة عن الاسرة سواء من جانب الكبار أو الصغار وفى حيطة وحذر خشية أن يفشى سر تناول هذه المواد التى لا تقرها الاعراف البدوية ظاهرياً .

ومن القصص الشائعة فى هذا الصدد أنه ذات يوم كان أحدالمرابطين ومن عائلة معروفة يشرب مخدرات وويسكى وبيرة فى أحد الافراح فقال له بدوى آخر كيف يا رجل تقول أنك مرابط وتشرب ويسكى وبيرة وحشيش ، انت لو مرابط لا تشرب مثل هذه الحاجات . فعز على المرابط ان يقول له هذا الكلام شخص غاب عن وعيه "مسطول" وانه هو الذى سمح له نتيجة هذا المجلس اللعين ان يقول له ذلك ، فهم المرابط ومشى حتى بلغ موضع النار والفحم وكان يرتدى جلباب سموكن ووضع كل الفحم الموقد فى ذيل الجلباب واحضرها امام الرجل الذى هزأ منه ونفض النار من على الثوب ولم يحدث للثوب أى شىء ولم يتفوه المرابط بكلمة واحدة أخرى وإنما أخذ يبكى ويحزن من نفسه وترك المكان بلا عودة .

وهذا إن دل على شىء إنما يدل على أن أصدقاء بعض هذه المواد المخدرة مثل الويسكى والبيرة قد يخرجون عن اطار الاحترام المتبادل عكس الحال فى متعاطى الحشيش وهذا ما حدث لرجل ذى مكانة دينية كاد يفتقدها فى مجلس الشيطان .

ويتمثل رفقاء المدمن القروى على مختلف انواع المواد المخدرة فى الفئات التالية:

تبين ان رفاق المدمن على الحشيش فى المجتمع القروى هم جماعة "شلة" المنتفعين الذين يلتفون على احد اثرياء القرية وغالباً ما يكون فى منزله او فى منزل احد الموظفين محدودى الدخل وقد نجد فى جماعة

المرابط : هو الشخص المتدين الورع ، ويحتل مكانه سامية دينية وروحية فى المجتمع البدوى .

التعاطى المزارعين مع الحرفيين مع الموظفين حيث ان كيف الحشيش كيف يجمع "يلم" على بعضه .

الا ان رفاق التعاطى على الهيروين فى المجتمع القروى ونظراً لقلة الادمان عليه لا يتعدى افراد معدودين وفى الغالب من اثرياء القرية وان كان بينهم اى انسان فقير فدائماً يكون هو الشخص الذى يمثل الواسطة بينهم وبين تجار الهيروين ومن الممكن ان يتعاطى الفرد هذا العقار بمفرده حيث انه كيف انانى وسريع ولا يستغرق استنشاقه او تعاطيه وقتاً طويلاً بل دقائق معدودة .

اما رفاق تعاطى الحبوب فى المجتمع القروى فهم فى الغالب من نفس الفئة العمرية فإذا كانوا شباباً من طلاب المدارس الثانوية او الجامعة فهم طلبة او حرفيون وقد يدمن الحرفيون اكثر من مادة مخدرة .

اما رفاق الخمرة والبيرة فهم غالباً من الحرفيين بالقرية او اثرياء القرية او من تجمعهم هواية المغامرة لذا فهى تنتشر بين لصوص القرية او اثرياء القرية او من لديهم اموال وفيرة .

وتبين ان حالات التعاطى بين الفتيات القرويات تتم بشكل سرى للغاية فيما عدا بعض النسوة سيئات السمعة وعددهن قليل للغاية بالقرية .

وتبين ان رفاق المدمن على مختلف المواد المخدرة فى المجتمع الحضرى على النحو التالى :-

١ - تتضمن جماعة رفاق تعاطى الحشيش شخصيات ومراكز متمايزة مهنياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً فقد نجد رجال اعمال مع ضباط مع

رجال قضاء ومعهم ميكانيكي وحلاق وموظفين كبار .. الخ وهذا مرده ان كيف الحشيش كيف هادىء او كما يسمونه « كيف جبان » ولا يحط من قدر الانسان فنجد ان المراكز والاوضاع محفوظة داخل مجلس التعاطى فالجميع يحترمون بعضهم البعض فى الغالب كما سبق القول ، كما انهم يسألون عن بعض دائماً وينفرون من اى عضو يعكر صفو الجلسة ويقضون الكثير من المصالح والمشاكل التى تخص الاعضاء خلال جلسة التعاطى ، ويمكن القول ان رفقاء تعاطى الحشيش دائماً اناس محترمون برغم التمايز الفكرى والاجتماعى والمهنى بينهم .

٢ – اما مدمن الحبوب المخدرة فليس له صاحب غير واحد فقط على الاكثر حيث يحضر حبة ويأخذها بمفرده او يقسمها مع زميل له وينتشر بين الشباب خاصة لقله الامكانيات المادية لديهم وهو كيف فردى فى الغالب لان يحتفظ بالنصف الآخر فيأخذه عند اللزوم ، كيف انانى مثل البودرة على خلاف الحشيش

٣ – اما رفقاء مدمن الخمر فهم فى الغالب مثله من طائفته لو عاطلون او لصوص فهم عاطلون او لصوص ، بتوع روبابكيا ذى بعض اى من نفس الفئة ويضرب مدمنو الخمر بعضهم البعض بعد الشرب خاصة الحرامية فى اغلب الاحوال ويحاولو ان يعيدوا حساباتهم من المسروقات ثانية ويقول الناس عنهم فى هذه الاحوال « ماشفهومش وهم يسرقوا شافوهم وهم يتحاسبون » وقد يؤذى بعضهم البعض وكل شىء فى الصباح عاد ان لم يكونوا فى المستشفى .

٤ – اما رفقاء مدمن الهيروين فى الغالب من نة   الكا،ر فى بداية

التعاطى مقاولون مع بعض ، طلبة مع بعض ، تجار مع بعض ، تاجر مع صبيانه .

الا انه بعد فقدان الثروة لا يكون له رفقاء ويعمل جاهداً فى الحصول على الجرعة فقط ولا يهمه اى شىء بعد ذلك الشرف او الكرامة او العرض فقد يفرط فى شرف زوجته وبناته ويجبرهم على الانحراف ويسهل لهم ذلك ويسرق ويقتل فى سبيل الحصول على الجريمة .

٣ – الروابط التى تربط بين المدمن ورفاقه فى الثقافات المختلفة

وتبين ان روابط الصداقة والزمالة فى العمل خاصة بالغفارة تأتى فى المرتبة الاولى فى المجتمع البدوى ثم علاقات القرابة تأتى فى المرحلة الاخيرة حيث ان البدوى حريص كل الحرص ان لا يصل امر ادمانه او تعاطيه اى نوع من المواد المخدرة الى عواقل ومشايخ العائلة او القبيلة وبالتالى يتعرض للنقد والتوبيخ او قد يتعرض لبعض انواع من الجزاءات كرفع الوصايه عليه فى حالة ارتكابه اى افعال مشينه فى حالة السكر على وجه الخصوص .

الا اننى وجدت ان الروابط التى تربط بين رفاق التعاطى تتسع شبكتها الى حد كبير عن المجتمع البدوى فنجد علاقات الصداقة والقرابة والجيرة وزمالة العمل والمصالح التجارية وتكاد تتقارب هذه الروابط من حيث الاولوية .

ولا يختلف الامر كثيراً فى المجتمع الحضرى حيث نجد علاقات الصداقة والزمالة والقرابة والمصالح التجارية والجيرة تتقارب من حيث

الاولوية بالذات لمتعاطى الحشيش ولكنها لايبدو لها اى اثر فى حالة ادمان الهيروين او المورفين من حيث ان شم الجرعة او تعاطى الحقنة قد لا يحتاج الا شخصاً واحداً واذا تجمع شخصان فلفترة قليلة للغاية .

٤ - الرؤية المتبادلة للمدمن وأسرته فى الثقافات المختلفة

مما هو جدير بالذكر ان رؤية المدمن لأسرته تختلف حسب المادة المخدرة وحسب البيئة الاجتماعية والمحيط الثقافى الذى يحيا خلاله الفرد فى الثقافات المختلفة فلقد تبين ان المدمن البدوى بصفة عامة ينظر الى اسرته بصورة عادية ويحافظ على طبيعة المراكز والادوار السائدة فى الاسرة ويراعى العادات والتقاليد والقيم ويخشى القيام بأى أنماط سلوكية تجعله يفقد مكانته داخل الاسرة بل وعلى صعيد المجتمع وبخاصة ان المدمن البدوى بصفة عامة هو مدمن على الانواع التقليدية للمواد المخدرة وليست التخليقية كالهيروين والذى ينتشر فى المجتمع الحضرى بصورة كبيرة .

كما تبين أن المدمن البدوى من مختلف الطبقات العمرية لا يتحلل من إلتزاماته الاجتماعية ويكون قادراً على ممارسة السلطة وإتخاذ القرار داخل اسرته بل وعلى صعيد المجتمع لأنه يدمن الحشيش والبيرة فقط والأفيون لكبار السن بخاصة ، خصوصاً لو أخذنا فى الاعتبار ان البدوى بصفة عامة شخص معتز بنفسه وبأهمية وجوده وقوته وفخور بكرمه وشهامته ولذا فهو حريص ألا يدخل فى دائرة الادمان على المواد المدمرة حتى لا يصبح ذليلاً عبداً للمخدرات .

كما ينظر المدمن البدوى الى المخدرات على أنها هامة فى حياته حيث انها تهيئة نفسياً لممارسة الجنس وبالتالى إرضاء نفس زوجته خصوصاً وأن ممارسة الجنس من أهم الامور الحياتية فى حياة البدوى بصفة عامة

فيهمه أن يرضى نفسه ومزاجه فى أى وقت من النهار او الليل حتى لو كان الطرف الآخر غير مستعد او مهيأ لذلك ، ولابد للمرأة أن تستجيب لرغبة الرجل فى أى وقت ، وهنا نلمس ان التنشئة الاجتماعية فى المجتمع البدوى قد هيأت المرأة لطاعة زوجها وقضاء حاجاته والإيفاء بمطالبه ورغباته فى أى وقت يشاء ، كما ان من الملاحظ انه لا توجد عادة ختان البنات فى المجتمع البدوى لذا فإنها دائماً تكون مهيأة طبيعياً للعملية الجنسية التى هى محور إهتمام البدوى بعامة والمدمن بخاصة .

كما ان الإسرة فى المجتمع البدوى تنظر الى المدمنين نظرة عادية طالما هو ملتزم فى تصرفاته وفى إلتزاماته وقضاء مصالح العائلة وملتزم فى حدود دوره ومركزه على صعيد الاسرة والمجتمع ، بل الاغرب من ذلك ان المرأة لو علمت أن زوجها يشرب او يتعاطى أى مواد مخدرة لا تستطيع أن تحمل له أى شىء او حتى تنصحه فهى تخشى أن يتزوج عليها إذا كلمته فى هذا الامر حتى لو كان رجلاً طيب الشخصية ولا تستطيع أن تقول له «رايح فين او جاى منين » ومرد ذلك لإختلاف النظر لقيم الذكورة والإنوثة ومكانتهما المتباينة فى المجتمع البدوى ، كما أن عملية التنشئة الاجتماعية قد حددت ادوار الذكر والأنثى ومكانتهما بكثير من التحديدات والقيود عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والي حد كبير فى المجتمع الحضرى .

إلا أن نظرة الاسرة للمدمن البدوى على الخمر تكون نظرة كلها إزدراء وإحتقار خصوصاً لو كان هذا الشخص دائم الشجار وأحداث نزاع وقلقلة فى المجتمع ، ومرد ذلك ان الخمر محرمة شرعاً كما أن البدو يرفعون الوصاية والحماية عن مدمن الخمر وقد يصل الامر الى البراوة وكما سنتعرض لذلك تفصيلاً فى الفصل الخاص بالضبط الاجتماعى .

وتختلف نظرة المدمن القروي لأسرته حسب المادة التي يدمن عليها فإن كان مقتدراً فنظرته لأسرته نظرة عادية وبخاصة مدمن الحشيش أو متعاطى الحشيش وقد لا يخل بإلتزاماته الاسرية الى حد كبير لو كان لديه من الثروة والمكانة والجاه ، كما أنه يحافظ على طبيعة العلاقات الطيبة السائدة فى الاسرة بل وعلى صعيد العائلة ثم علي صعيد المجتمع ككل ، إلا أن الصورة تختلف كثيراً بالنسبة لمدمن الحبوب المخدرة والهيروين خاصة من الشباب الذى يبدأ فى الإنعزال والإنطواء وينظر للأمور بنظرة أنانية ذاتية ويبحث عن مصلحته الخاصة وقد يصل الامر فى بعض الأحيان الي سرقة بعض متعلقات الاسرة او الاسرة الممتدة لشراء احتياجاته من المواد المخدرة مما يثير قلقلة وإستقرار الاسرة وبالتالى المجتمع .

وتنظر الاسرة فى المجتمع القروى الي المدمنين او حتى متعاطى المواد المخدرة وبصفة خاصة المواد المؤثرة تأثيراً ضاراً وبليغاً بالانسان كالحبوب المخدرة والهيروين والخمر نظرة إزدراء وإحتقار وتهتز مكانته ولا يبادلونه الحب والود والحنان وبخاصة لو كان من الطبقات العمرية الصغرى بل يعامل بمنتهى القسوة والعنف فى أغلب الاحوال حتى يقلع عن تعاطى هذه المواد ، بل وصل الحد فى بعض الاسر الى حبس الابناء المدمنين حتى يقلعوا عن التعاطى ، ولا يعتد برأيه وتسحب منه كثير من المسئوليات التى كانت ملقاه على عاتقه ولا يكون محل ثقة الأسرة بل يثير دائماً شكواها .

ولا تختلف نظرة المدمن للأسرة فى المجتمع الحضرى وخاصة لمتعاطى الحشيش إلا اذاكانت ظروفه وأحواله المادية بسيطة فيبدأ فى التأثير على تحمل مسئوليات اسرته والانفاق عليها ، ولا يعاني مثله المقتدرون من أصحاب الاعمال الحرة ورجال المقاولات بل فى أغلب الاحوال يتكفلون

بالإنفاق بصورة أكبر على جماعة التعاطى

إلا أننى لمست أن نظرة المدمن من الطبقات العمرية المختلفة وبخاصة الشباب للأسرة يشوبها كثير من الشك والخوف وعدم الإنتماء والسخط والكراهية تجاه اسرته بل وتجاه المجتمع بصفة عامة وبخاصة مدمن الحبوب المخدرة والهيروين ومرد ذلك عدة أسباب أجملتها تفصيلاً فى الفصل الخاص بأسباب الدخول الى دائرة الإدمان .

وتبين أن نظرة الأسرة للمدمن يشوبها كثير من الخوف عليه والحرص على العودة للحياة الطبيعية وبخاصة لو كانت الاسرة وإنشغالها عن تربية الابناء ومتابعتهم وسفر الوالدين من الاسباب الرئيسية وراء الدخول الى دائرة الإدمان وبخاصة على الأنواع المدمرة ، ويبدأ المدمن فى الإنعزال عن أسرته وتتخطىءالأسره فى عزله وعدم إحاطته بمزيد من العناية والرعاية والدفء العائلى حتى يعود سليماً معافاً بعد رحلة الشفاء الطبى التى لابد وأن يتكامل معها العلاج النفسى والإجتماعى .

٥ - الترابط والتوافق داخل الاسرة وتحمل المسئولية قبل وبعد الإدمان فى الانماط المجتمعية المختلفة :

وتبين أن الإرتباط والتوافق داخل الاسرة وتحمل المسئولية قبل وبعد الادمان لم يتأثر إلا قليلاً فى نمط المجتمع البدوى حيث أن العادات والتقاليد البدوية تحتم على البدوى أن يكون ملتزماً إلتزاماً كاملاً بإعالة كل أفراد أسرته أو حتى عائلته وأن يلبى جميع إحتياجاتهم ومطالبهم .

كما أن البدوى وكما سبق القول يخشى من الفضيحة وأن يلام من قبل المجتمع ولذا فإنه دائماً حريص على أن تكون حياته الخاصة وأسرته ولا

يعلم أحد عنها شيئاً وحريص أن لا يعلم أحد شيئاً عن أحواله المالية خصوصاً أقاربه ، كما أنه يحرص علي أن لا يبدو أمام ابناء مجتمعه ضعيفاً أو شارداً أو عليه أعياء إلا إذا كان مريضاً ، وقد يصل الامر الى أن يحبس البدوي نفسه لو أحس بأن أمره سينكشف أو ستظهر عليه ملامح غير عادية أو غير طبيعية هذا من ناحية ، كما أن البدوى يحرص على أن لا يعرف أحد من أقاربه أوّ أهله أو حتى أبناء مجتمعه جميعاً أنه يعالج من أى مرض يتعلق بالحياة الجنسية ومن هنا أصبح أى أمور تتعلق بالإدمان أو الضعف الجنسى من الأمور التى يتكتم عليها البدوى بصورة واضحة .

بناء عليه لم تتأثر طبيعة الترابط والتوافق داخل الاسرة خاصة لمدمن الحشيش البدوى شارب البيرة أو حتى الحبوب المخدرة سواء الشاب المتزوج أو كبار السن أو حتى الشباب المتعلم وغير المتعلم الغير متزوجين .

إلا أن الوضع يختلف تماماً بالنسبة للمدمن البدوى للخمر حيث أن الخمر اساساً لا يقبل البدو على شربها إلا نادراً وينظرون بإحتقار وإزدراء لمن يتناولها لأنه قد يأتى بأفعال وأنماط سلوكية تحرم من قبل المجتمع ولذا فهم لا يساندون ويقفون بجوار السكران إذا إرتكب أى خطأ ، عكس الحال بالنسبة للعقاقير الأخرى .

كما أن مدمن الهيروين من البدو رغم قدرته حريص على الكتمان وتحرص عائلته على عدم إفشاء هذا السر إذا علموا ويحاولون علاج هذا المدمن بكافة الصور ويحيطون كل شيء بسرية تامة حتى لا يفشى سره الى باقى أبناء المجتمع عكس الحال تماماً فى المجتمع القروى الى حد بسيط و الحضرى الي حد كبير .

وتبين أن الترابط والتوافق وتحمل المسئولية داخل الأسرة النووية حيث أن المسئولية تقع بصورة كبيرة على عائل الأسرة فلو أدمن خصوصاً على الأنواع المخدرة فبالتالى تتأثر ميزانية ووسائل الإنفاق فى الأسرة وبالتالى تصرفاته مع أخوته او أبنائه او جيرانه وبخاصة عند إدمان الخمر او الأفيون أو الحبوب المخدرة ويكون أكثر إزعاجاً وتسبب فى المشاكل والنزاعات اذا ادمن الهيروين . وتقل الصورة فى الاسرة الممتدة حيث أن مسئولية اعالة العائلة تقع على عاتق كبار رؤوس هذه العائلات .

ولما كانت كل انواع المواد المخدرة وبخاصة المدمرة مثل الهيروين والمورفين وحقن الماكس والخمر والحبوب المخدرة وتنتشر بصورة كبيرة للغاية بين أبناء المجتمع الحضرى من الجنسين وأن هذه المواد لها تأثير فى فى غاية الخطورة علي الانسان من جميع النواحى النفسية والإجتماعية والاقتصادية فتتأثر بذلك الترابط والتوافق داخل الاسرة الحضرية التى يوجد بها مدمن على أى مادة مخدرة وبخاصة الانواع الخطيرة ، ووصل الحد الى أن اصبح وجود الانسان المدمن فى الاسرة كعدم وجوده ليس له أدنى تأثير سوى فى إحداث قلقلة وتوتر وإزعاج ومشاكل داخل محيط الاسرة وعلى صعيد المجتمع وبخاصة مدمن الهيروين والحبوب المخدرة .

٦ - الاندماج والانعزال داخل الاسرة قبل وبعد الادمان

مما هو جدير بالذكر أن علاقات المدمن البدوى لا تتأثر قبل وبعد الادمان على جميع انواع المخدرات عدا الخمر والهيروين داخل الاسرة ، حيث أن البدوى اساساً علاقاته داخل الاسرة محدودة ، فهو دائماً خارج المنزل فلا يجالس إمرأته إلا وقت الجماع الجنسى وأما أولاده فلا يجتمع

بهم إلا عند تناول الطعام لذا فعلاقاته داخل الاسرة تتم داخل سياج من التحديدات الاجتماعية تحتمها العلاقات والتواصل بين الأجيال .

إلا أننا نجد أنه فى المجتمع القروى الصورة تختلف الى حد ما عن البدوي خاصة وأن أمور الاسرة قد لا تتركز فى يد سلطة الأب او الجد كما هو الحال فى المجتمع البدوى إلا فى حالة العائلات الممتدة ، وقد يمارس المدمن القروى حياته بصورة طبيعية الى حد كبير بخاصة متعاطى الحشيش ، إلا أن الأمر يختلف بالنسبة لمدمن الخمر او مدمن الحبوب المخدرة الذى يميل الي العزلة والوحدة فى أغلب الاحوال ولا يجالس سوى المدمنين مثله وهذا بعكس الحال تماماً قبل دخوله الى دائرة التعاطى ومن ثم الادمان .

وتبين أن درجة عدم الاندماج والانعزال تزداد بين المدمنين فى المجتمع الحضرى وبخاصة على الانواع المدمرة مثل الهيروين والحبوب المخدرة وبصفة خاصة الشباب الذين أصبحوا لا يعيشون حياتهم بصورة طبيعية فليلهم نهار ونهارهم ليل ، لا يميلون للحديث ، يؤثرون الوحدة والعزلة والبعد عن الاهل والاقارب والاصدقاء الاوفياء ولا يجالسون الا اصدقاء السوء لتعاطى المخدر او المادة المخدرة سوياً .

٧ - دور ومركز المدمن فى الاسرة والمجتمع قبل وبعد الادمان فى الثقافات المختلفة:

ومما لاشك فيه أن كل إطار ثقافى يتضمن تنظيمات معينة تتحدد فيها مراكز الافراد والادوار التى يقومون بها ، والمركز هو أبسط عناصر التكوين الاجتماعى ، والجماعات على إختلاف أنواعها تتألف من شبكة من

المراكز تأخذ اهميتها الاجتماعية من نظام المعايير السائدة فى المجتمع ، كما تتأثر بالفلسفة الاجتماعية التى تميز أسلوب حياة الجماعة ، هذا وتتعدد المراكز فى المجتمعات المعقدة عنها فى المجتمعات البسيطة ، وذلك لزيادة التخصص والتوسع فى مجالات الاعمال مما يغير فى معناها وأهميتها الاجتماعية وكذلك تتدرج المراكز فى القيمة الاجتماعية تبعاً لما تتضمنه من خدمات تقدم لباقى الافراد ، وكثيراً ما يحدد هذه الخدمات عوامل معينة مثل الجنس (ذكر أو أنثى) وعمر الفرد ففى أى مجتمع لا يقدم الاطفال خدمات ما بينما هم يحتاجون الى الكثير منها ، كما أن مسئولية الدفاع تلقى عادة على الشباب وهكذا .

كما أن الدور هو الجانب الديناميكى للمركز ، فبينما يشير الى نموذج السلوك الذى يتطلبه المركز ، ويتحدد سلوك الفرد فى ضوء توقعاته وتوقعات الآخرين منه ، وهذه تتأثر بفهم الفرد والآخرين للحقوق والواجبات المرتبطة بمركزه الاجتماعى (١) .

كما يتضمن حدود الدور تلك الافعال التي تتقبلها الجماعة فى ضوء مستويات السلوك فى الثقافة المعينة وعادة ترسم الجماعة حدود الادوار التى يقوم بها الافراد سواء أكان ذلك شعورياً من خلال التنظيمات المختلفة او لا شعورياً من خلال المعايير والقيم السائدة فى المجتمع ، وبناء عليه تختلف حدود الادوار ومضموناتها من ثقافة الى ثقافة ومن جيل الى جيل نتيجة التغيرات التى قد تطرأ على التقاليد والمعتقدات والآراء والاتجاهات القائمة فى الاطار الثقافى المعين .

---

(١) إنتصار يونس ، السلوك الإنسانى ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ، ص ص ٢٢٤-٢٢٥ .

واذا كانت مضمونات الدور تتحدد إجتماعياً ، فمعنى ذلك أن هناك نشاطاً أمثل تستجيب له الجماعة مع العلم بأن بعض الادوار تحدد تحديداً واضحاً كدور مدير شركة مثلاً ، فى حين ان أدواراً أخرى لا يمكن تحديدها بنفس الوضوح كدور الاب ، فمع أنه يقوم بتربية أولاده إلا أن اسلوب التربية يختلف من أب الى آخر وتخطى الفرد لحدود الأدوار التى يقوم بها قد يقابل بالإعتراض أو الرفض أو بتجاهله إذا لم يكن ملحوظاً ، والفرد لا يخرج عن حدود الأدوار التى يقوم بها إلا إذا ضاق مجال حركته داخل هذه الحدود ،لأن شخصية الفرد ليست من الجمود بحيث تتحرك كالآلة وبقوة الدفع الاجتماعى دون التعبير عن نفسها .

كما نجد ان ثبات الادوار على مدى إتفاق متضمناتها مع أهداف الجماعة وبخاصة إذا كانت تحقق للفرد أهدافاً معينة ،وفى هذه الحالة توجه الأهداف نشاط الجماعة وتعطى قوة للأدوار التى يقومون بها ، وإستقرار الأدوار فى حماية ما يسير الى تماسك الجماعة وإستقرارها ، وعلى العكس من ذلك فإن كثرة التغيير فى حدود الأدوار ومتضمناتها يعنى زيادة مستوى التوتر الاجتماعى وزيادة عمليات الصراع (١) .

كما نجد أن الفرد في خلال مراحل حياته يبحث عن الحياه والمكانه يكون لديه الشعور بالإقبال على الحياه والتفاؤل ومحاولته لتحقيق ذاته من خلال أشياء كثيرة ومتعددة كالتعليم وشغل وظيفة ذات شأن أو إنجابه أولاداً صالحين ، فكل هذه الأمور تجعل الانسان يشعر بالمكانه الكبيرة وأنه قد حقق الهدف من وجوده وأثبت ذاته وأدى دوره فى الحياة وتجعله يرضى

---

(١) فؤاد البهى السيد ، الاسس الفنية للنمو ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣٩ .

عن نفسه وعن المجتمع وعن الآخرين ، وإذا لم يحقق أى شىء من هذه الامور نجده يتوارى بعيداً عن الأضواء ويبعد عن بريق الحياة ويعيش فى عزلة عن أفراد المجتمع ويحس بأنه فاقد لحبه وإقباله على الحياة وأهمية الحياة بالنسبة له ، ويعيش مكتئباً ويحسب الثوانى الباقية فى عمره .

كما نجد ان العلاقات التى يمر بها الانسان فى مراحل حياته المختلفة والادوار التى يؤديها من خلال تلك العلاقات والمراكز التى يشغلها من خلال تلك العلاقات الاجتماعية المتعددة والمتشعبة تؤثر تأثيراً فعالاً فى طبيعة حياته من جميع النواحى عند بلوغه سن الشيخوخة . فالعلاقات الإجتماعية للإنسان فى مراحل وأطوار نموه المختلفة من الطفولة الى الشيخوخة تبدو فى صورتها الاولى فى إطار الأسرة عندما يرتبط الطفل بأمه إرتباطاً بيولوجياً وسرعان ما تتحول الصورة والصلة الى علاقة إجتماعية وينتشر مدى هذه العلاقة حتى الأسرة كلها ، فعندما يكبر الطفل يتصل بأطفال الحى وتصل العلاقات الإجتماعية الى أقصى حدود نشاطها ذلك نتيجة رغبة الطفل فى اللعب مع أقرانه ولكثرة أوقات فراغه ثم تمضى الحياة بالفرد ويتغير مدى هذا التفاعل ونوعه وحدته تبعاً لتطلبات هذا التغير خاصة فى مرحلة المراهقة .

إلا أننا نجد أن الفرد فى مرحلة الرشد يكتمل النضج ويبلغ رشده خاصة وقد إنتهى من تعليمه ووجد العمل الذى يناسبه ويبدأ يستقل عن أسرته بل قد يرحل عن الإقليم الذى نشأ فيه الى الأقليم الذى يعمل به ، هكذا يجد الإنسان نفسه بعيداً عن أهله وذويه وأصدقائه وأحبابه ويجد الناس من حوله فى سباقهم مع الزمن لا يأبهون له ولا يأبه لهم ، وينظر من حوله فيجد نفسه غريباً فى مجتمعه الجديد ، وتفرض عليه أنماط حياته

إسلوباً من العزلة لم يألفها من قبل وهكذا تهبط العلاقات الاجتماعية فى بدء الشباب الى أضيق مجال مرت به فى حياة الفرد منذ طفولته ، لذا يجب على الفرد ان يكيف نفسه او يكيف سلوكه لهذه الوحدة التى يعيشها فى باكورة شبابه ويقتضى هذا التكيف تغييراً فى ميوله وإتجاهاته وقيمه ونوع الجماعـات التى ينتمى إليها او الافراد الذين سيختارهم او يختارونه للصداقة(١) .

وبناء عليه نجد ان التفاعل الاجتماعى أى السلوك الإرتباطى الذى يقوم بين فرد وآخر وبين مجموعة من الافراد ، أى تأثر الشخص بأعمال وأفعال وآراء غيره وتأثيره فيهم ، وهذا يعنى أن هناك تأثيراً وتأثراً وفعلاً وإنفعالات فى أى موقف إنسانى ، وعليه فإن التفاعل الاجتماعى يشكل الاساس فى أية حياة إجتماعية بما يتضمنه من علاقات إجتماعية بسيطة ومعقدة ، وبدون التفاعل الإجتماعى تفقد حياة الإنسان طابعها الإجتماعى وتصبح عبارة عن تجمع لا جماع .

ويختلف التفاعل الإجتماعى عن التفاعل بين الظواهر الطبيعية او العضوية فى أنه يتضمن مفاهيم ومعايير وأهداف فالفرد حين يستجيب لأى موقف إنسانى إنما يستجيب لمعنى معين يتضمنه هذا الموقف بعناصره المختلفة ، أى أن أبعاد التفاعل الإجتماعى المتمثلة فى المعانى والمفاهيم وقدرة الفرد على تناولها مع غيره عن طريق اللغة ، وإدراك الفرد للمعانى وتعلمه التعبير عنها لا يحدث فى فراغ وإنما فى إطار إجتماعى ، أى نتيجة التأثر بالآخرين والحاجة الى إرتباطهم والإنتماء إليهم ، ولذلك ففهم أى

---

(١) إنتصار يونس ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٩ — ٢٣٠

موقف إجتماعى يعتمد على ما تضفيه الجماعة من معنى على هذا الموقف وكذلك تفسير الفرد له ، وبهذا تصبح شخصية الفرد عاملاً مؤثراً فى نفس الوقت نتيجة التفاعل الإجتماعى .

وبناء عليه نجد ان الادوار التى يقوم بها الفرد جزءاً هاماً فى التفاعل الإجتماعى حيث أنها تعتمد على عملية التوقع ، إذ أن قيام الفرد بأى دور يكون فى ضوء ما يتوقعه منه الآخرون وما يتوقعه هو منهم والتوقعات التى يستجيب لها الافراد إنما هى فى أساسها أنماط من السلوك يتوقعها الفرد من الآخرين ومدى فهم الفرد لهذه الأنماط يمكنه من توجيه سلوكه فى المستقبل وتقييمه ، ولذلك تعتبر الجماعة الإطار المرجعى لعملية النقد الذاتى وهى فى أساسها عملية نقد إجتماعى ، لأن حكم الفرد على خبراته وسلوكه يكون عادة فى ضوء علاقاته الإجتماعية مع بقية افراد الجماعة وعلى أساس معاييرهم وأهدافهم (١) .

ولهذا نجد أن الإنسان عندما يصل الى سن الثلاثين فإنه يكون قد آلف حياته الجديدة سواء كان قد تزوج او عازباً ويتسع دائرة علاقاته الإجتماعية ، وتبدأ تخف حدة العزلة التى كانت تسيطر عليه فى باكورة حياته ويعود بحياته نشاطها الطبيعى الصاخب وينتهى طور من أطوار حياة الفرد .

وتحتل مرحلة منتصف العمر مرحلة من أخطر المراحل التى تمر بها الاسرة وتمثل أنماطاً متمايزة من التفاعل الإجتماعى خاصة لأولئك الذين تزوجوا فى سن مبكرة فيحس الفرد بأن حياته أصبحت رتيبة ومملة ويشعر

(١) إنتصار يونس ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

بأنه فى حاجة الى لون جديد من الإثارة والمخاطرة حتى يضفى على حياته الراكدة ألواناً جديدة من المتعة والعطف [١] .

وتتمثل العلاقات الإجتماعية فى مرحلة الشيخوخة فى زيادة إهتمام الفرد بنفسه كلما تقدمت به السن وتضعف صلته شيئاً فشيئاً بالمجالات الإجتماعية البعيدة عن دائرته الضيقة ويصبح المسن عندئذ أنانياً نرجسياً وكأنه يحافظ بذلك على حياته من مضايقات الناس فى العالم الخارجى [١] .

وتنكمش تبعاً لذلك علاقاته خارج أسرته الصغيرة ولذا تصبح مرحلة الشيخوخة مرحلة العزلة والوحدة ويزداد هذا الاحساس عند موت أحد الشريكين أو موت أحد الأصدقاء المقربين .

وتعانى السنات من الوحدة أكثر من الرجال ، حيث أن النساء عموماً يمتد بهن العمر حتى يتجاوزن مدى حياة الرجال ، وتقتصر علاقتهن داخل محيط أسرتهابأولادهن وأحفادهن إذا كانوا يتزاورون معها .

وبناء عليه نجد ان فترة الصبا والشباب من الفترات الحيوية فى حياة الإنسان حيث تتسع شبكة العلاقات الاجتماعية وتتعدد وتتنوع تلك العلاقات ومن ثم نجد التفاعل الاجتماعي فى هذه المرحلة يكون اقوى من المراحل العمرية الاخرى ولهذا كانت هذه المرحلة او الفئة العمرية مستهدفة أكثر من المراحل العمرية الاخرى .

لما كانت العادات والتقاليد البدوية قد حددت الادوار والمراكز التى يشغلها البدو من الجنسين ، ولقد كان من حسن حظ المجتمع البدوى ان المواد

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ص ٤٧٢

المخدرة المنتشرة به ليست من الانواع المدمرة التى تؤثر فى كيان الفرد الجسمى والنفسى والاجتماعى كما ان البدوى بصفة عامة حريص كل الحرص وكما سبق القول ان يفى بمطالب اسرته خشية ان يفضح امام المجتمع ، وبناء عليه لا نجد إختلافاً ملحوظاً على طبيعة دور الرجل البدوى بخاصة قبل وبعد الادمان وبالقطع لا تبديل في المراكز التي يشغلها الا في الحالات القليلة التي ظهرت لمدمنى الهيروين وتم احتواءها ومعالجتها فى سرية ومنهم من توفى وهى فى النهاية حالات نادرة للغاية على صعيد الصحراء الغربية .

ونجد الوضع يختلف الى حد ما فى المجتمع القروى نظراً للتمايز المهني والاجتماعى والثقافى الواضح بين أبناء القرية بخاصة بعد انتشار التعليم وخروج المرأة الى العمل في مختلف المجالات التى اتيحت لها بعد حصولها علي المؤهلات العلمية المختلفة أو تعلمها مهنة أو حرفة معينة ، كما أن انتشار وتنوع المواد المخدرة الى حد ما في المجتمع القروى عن المجتمع البدوى وزيادة نسبة ادمان الهيروين في القرية عن المجتمع البدوى خصوصاً بين الاثرياء ان جعل طبيعة دور المدمن علي أى الأنواع حتى الحشيش والبيرة قد اختلف فى الاسرة قبل وبعد الادمان نظراً لعدم معرفة اهله او خوفه من نظرة المجتمع او احترامه للعادات والتقاليد والتزامه بها خصوصاً بعد موجه الاتصال الواسع للقروى عامة بمجتمع المدينة والعالم الخارجى نتيجة الهجرة المؤقتة وتفتت الاسرة الى اسر نوية فى اغلب الاحوال الخ .

ولكن نجد الامر مختلفاً تماماً فى الاسر الممتدة فى القرية ، حيث يحرص كبير العائلة على تلبية حاجات العائلة المتعددة الاسر وهنا نجد

المدمن يفقد دوره في وجود الدور الاكبر لكبير العائلة واعتقد انه فى بعض الاحيان قد يكون عدم احساس الفرد فى الاسر الممتدة باهمية دوره أو وجود دور اساسى له في الاسرة أثره فى الدخول فى دائرة التعاطى ومن ثم الادمان .

الا ان الوضع نجده يختلف الى حد كبير في المجتمع الحضرى خصوصاً فى حالات ادمان الهيروين التى تنتشر بكثره فى مجتمع المدينة عن المجتمع البدوى والقروى حيث أن دور هذا الانسان داخل الاسرة يقوض تماماً بل انه يسعى الى تدمير كل شيء ويفرط في كل شيء العرض والمال حتى يحصل على الجرعة المطلوبة ومن هنا يكون مدمن الهيروين له دور كبير للغاية في انحراف اسرته في اغلب الاحوال ، كما ان مدمن الحبوب المخدرة والخمور يفقد دوره ومكانته بعد الدخول في هذه الدائرة اللعينة ويحدث فجوة في العلاقات الاجتماعية رويداً رويداً بين اعضاء الاسرة والمدمن سواء أكان الاب أو الام او الإبن او الإبنة أو العم أو الخال .. الخ .

كما أننا نجد أن المدمن الحضرى يتأثر دوره ومركزه لإخلاله بالإلتزامات الاسرية والإجتماعية وتحلله من بعض الواجبات والإلتزامات والحقوق بينة وبين عائلته بل والمجتمع بصفة عامة .

٨ - المدمن وإتخاذ القرار داخل وخارج الأسرة قبل وبعد الإدمان في الثقافات المختلفة :

وتبين أن إتخاذ القرار للمدمن البدوى لم يتأثر كثيراً خاصة وإنه كما سبق القول يدمن على المواد التقليدية كالحشيش وكذلك الأفيون عندما يتقدم

به العمر والبيرة وهذه المواد تأثيرها على الإنسان بصفة عامة وتوازنه النفسى والإجتماعى أقل بكثير من الهيروين والمورفين والحبوب المخدرة ، كما أن السياج الإجتماعى والثقافى الذى يعيش من خلاله الإنسان البدوى بصفة عامة أحدث سداً منيعاً حصيناً ضد إنتشار الأنواع المدمرة إلا نادراً وكذلك أحدث إنضباطاً لعدم الخروج عن القواعد السلوكية المألوفة فى المجتمع .

وبناء عليه نجد أن إتخاذ القرار بالنسبة للمدمن البدوى لم يدخل عليه كثير من التعديل طالما هو ملتزم ويقوم بدوره على ما يرام ولم يأتى بأفعال او أنماط سلوكية تؤثر وتقلل من شأنه ووضعه ومكانته فى المجتمع ، ولهذا نجده يدير شئون العائلة لو كان مكلفاً ويحضر مجالس الصلح ويتخذ القرارات على صعيد الاسرة بل وعلى صعيد المجتمع ، ولكن لاحظت أن الثقة تسحب من مدمن الخمر الذى يصبح أضحوكة فى المجتمع وينظر له بنظرة إزدراء وإحتقار كما سبق القول وتقابل تصرفاته بالردع ويصل الأمر الى "البراوة" .

وتبين أن إتخاذ القرار بالنسبة للمدمن القروى حتى لو كان مدمناً على المواد المخدرة التقليدية يتأثر كثيراً طالما انه غير قادر مادياً حيث أن تمركز الثروة والملكية فى يد كبار رؤوس العائلات ومن ثم إدارتها لكافة شئون العائلة وإتخاذ أى قرارات تخص العائلة أو على صعيد المجتمع .

إلا أن الوضع يصبح أكثر سوءاً لو أدمن القروى على المواد المدمرة كالهيروين والمورفين وكذلك الحبوب المخدرة بالنسبة للكبار والشباب والصبية حيث يصبح المدمن فى هذه الحالة غير متوازن نفسياً وإجتماعياً غير مبالياً

بمن حوله وبخاصة لو كان المدمن عضواً فى الأسر النووية التى بدأت تنفصل عن الأسر الممتدة فى المجتمع القروى .

وتبين أن عملية إتخاذ القرار بالنسبة للإنسان فى المجتمع الحضرى قد تطرأ عليها كثير من التغيير والتجديد بعد دخول الإنسان الحضرى الى دائرة الإدمان وبخاصة الأنواع المدمرة كالمورفين والهيروين والماكس فورت كذلك الخمر والأفيون حيث نجد أن دوره كأب او كإبن او كأخ او كعم او كخال بدأ يدخل عليه كثير من التغيير والتجديد وبالطبع المراكز التى يحتلها المدمن ومن ثم مجموعة الحقوق والواجبات المترتبة على المراكز والأدوار التى يشغلها الفرد فى المجتمع الحضرى . ومرد ذلك أن الفرد المدمن أصبح غير متوازن جسمياً ونفسياً وإجتماعياً لا يملك من أمر نفسه هو شيئاً فكيف يدبر أمر الآخرين .

كما نلمس عدم إستطاعة المدمن القيام بدوره على ما يرام فى عمله وعلى صعيد المجتمع ككل ومن ثم يفقد دوره ومركزه ووضعه فى المجتمع مهما كان شأنه فيصبح إنسان غير عادى ، إنسان دمر نفسه بنفسه وأصبح لا يستطيع أن يسيطر على نفسه فكيف يسير أمور الآخرين خصوصاً لو كان يشغل موقع قيادى فى شركة أو مصلحة أو هيئة ويصل به الأمر فى النهاية خصوصاً على الأنواع المدمرة أن يفقد نفسه وعمله ويفقد معنى الحياة نفسها .

٩ - المعايير التى يحتكم إليها المدمنون فى تقسيم بعضهم البعض :

ويقسم المدمنون بعضهم البعض حسب المادة المخدرة ، بل أن نظرتهم لبعضهم البعض تختلف حسب نوع المادة المخدرة وكما سيتضح بعد

قليـل .

ويطلق الناس بصفة عامة على مدمن الهيروين « الشمام » ويطلقون على مدمن الحشيش « الحشاش » أو « المسطول » ويطلقون على مدمن الخمر « السكران » ويطلقون على مدمنى الحبوب المخدرة « البرشمجية » .

ولا يحتكم المدمنون فى تقسيمهم لبعضهم البعض الى فئات معينة حسب المادة المخدرة فقط بل وحسب الوضع الإحتماعى والمركز الأدبى والوضع العائلى والطبقة الإجتماعية والوضع المادى حيث نجد أن الحشاش على سبيل المثال قد يكون ضابطاً كبيراً أو دكتوراً أو مستشاراً او رجل أعمال او ميكانيكياً او موظفاً ويسود بين الجميع خلال مجلس التعاطى إحترام متبادل عكس الحال بالنسبة لمدمنى الحبوب المخدرة فيشكلون فئة إجتماعية معينة وكذلك الماكس فورت ، وهنا نرى أن عوامل مثل الوضع الإجتماعى المهنى والطبقة الإجتماعية كانت وراء عدم إنتشار المواد المخدرة وبخاصة المدمرة بين أبناء المجتمع المصرى إلا إذا كانوا مستهدفين .

١٠ - رؤية مدمنى المواد المخدرة لأنفسهم ولبعضهم البعض فى الثقافات المختلفة :

تختلف نظرة مدمنى كل مادة مخدرة لأنفسهم عن باقى مدمنى المواد المخدرة كما أنهم ينظرون الى بعضهم البعض بنظرة مختلفة تحكمها المادة المخدرة ومجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والإقتصادية ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

أ - رؤية مدمنى الحشيش لأنفسهم ولمدمنى الهيروين والخمور والحبوب المخدرة :

ونجمل أهم الصفات التى يراها مدمنو الحشيش فى الثقافات المختلفة فى أنفسهم وينفردون بها عن مدمنى المواد المخدرة الاخرى من واقع الخبرة الميدانية فى النقاط التالية :

* طيبون
* غير أشرار
* يمتازون بالهدوء القاتل
* التصرف فى أى شىء أو موقف بعقل
* عدم الميل الى المشاجرة والمشاغبة وإحداث القلق والإزعاج كما هو الحال فى الخمر .
* الكرم والعطف وحب الناس وتقريبهم من الناس وتظهر تلك الصفات بوضوح فى حالة القادرين .
* يتدخلون من تلقاء أنفسهم فى حل مشاكل الناس متطوعين حيث يميلون الى الهدوء ويحبون أن يكون كل شىء من حولهم هادئاً وساكناً .
* يميلون للصحبة وعدم العزلة .
* يقبلون على تناول الأطعمة بكثرة مع بعضهم البعض .
* لا يخونون بعضهم البعض نسائياً إلا نادراً .
* ينسون المشاكل ويأخذون كل شىء بالحكمة .
* يكونون دائماً فى حالة خمول .
* يخدمون بعضهم البعض ويحلون مشاكل بعضهم البعض ويخدمون بعضهم البعض ويقضون مصالح الناس حيث أن كيف الحشيش يجمع كافة المستويات والطبقات والمناصب الاجتماعية والقيادية المختلفة .

* دائماً يؤنبهم ضميرهم .
* دائماً يفكرون .
* ملتزمون بمواعيد حضورهم الى مجالس التعاطى وتركهم لها
* لا يميلون الى إستخدام القوة بأى حال من الاحوال ولكن بالحكمة والعقل وبدافع الخير دائماً ولهذا وصف مدمن الحشيش بالجبن من جانب مدمنى المواد المخدرة الاخرى .
* يرتادون المساجد ويميلون الى الاحاديث الدينية .
* لا يميلون الى الوشاية او النميمة وبخاصة أثناء جلسة التعاطى
* يعتادون على قوالب معينة فى حياتهم او نظام او روتين معين سواء فى الحضور او الإستئذان من مجلس التعاطى والإلتزام بطبيعة الأدوار المنوطة لكل منهم داخل مجلس التعاطى .
* لا يمكن أن يرتكبوا أى جرائم بأى حال من الاحوال حيث أنهم لا يميلون الى العنف بأى شكل من أشكاله .
* يذهبون الى أنه فى حالة إنتقال بعضهم وهم قلة الى تعاطى الهيروين يكون دخولهم الى هذه الدائرة يكون بدافع السيطرة عليهم وبخاصة لو كانوا يحتلون مناصب مرموقة لإستغلالهم فى قضاء المصالح .
* يحافظون على مظهرهم وأناقتهم وهندامهم ونظافة ملابسهم فى أغلب الاحوال .

ولا يميل مدمنو الحشيش الى الحبوب المخدرة ولا يمكن أن يكون فى صحبتهم او رفاق التعاطى أى فرد يتعاطى الحبوب المخدرة او «برشمجى» كما يذهبون ، حيث أنه من العار ان يخرج الحشاش من جيبه «برشامة» فى حين أنه من الممكن ان يخرج من جيبه قطعة حشيش ، ويذهبون الى أنه

"كيف" البسطاء والشباب الحرفى والسواقين .

وينظر مدمنو الحشيش الى مدمنو الماكس فورت نظرة إزدراء وإحتقار ويذهبون الى انه كيف " العربجية " والمستويات الدنيا من الناس من جميع النواحى .

كما ينظر مدمنو الحشيش الى مدمن الهيروين نظرة أكثر إحتقاراً وإزدراءاً ويطلقون عليه " الشمام " او " البدرجى " ويذهبون الى أنه أصبح كيف شعبى من عام ١٩٨٤ حيث انه كان كيف الملوك والباشوات وكان يستخدم فى سباق الخيول .

وينظر مدمنو الحشيش الى مدمنو الافيون نظرة إحتقار ويعللون ذلك بالنظر الى مدمن الافيون " الافيونجى " فى الصباح حيث يكون شكله غير طبيعى ومقريف ولا يجب أن يكلمه أحد وعيناه منتفختان أى بإختصار شكله غير مريح ، كما يذهبون الى أنك " لو حطيت له الفولة على منخاره يفرقع " ويقصدون أنه يكون ضيق الخلق لا يحتمل اى شىء ولا أى إنسان .

وينظر مدمن الحشيش الى مدمن الخمر على أنه مشاكس وغير محترم ومجنون وغير طبيعى ولا يميل الى الحديث معه ويتلاشاه حتى لو تعرض له مدمن الخمر " السكران " .

ويذهب مدمنو الحشيش الى أن نظرتهم اقل إحتراماً للمدمنين الاخرين لأنهم يخرجون دائماً عن القواعد السلوكية المألوفة فى المجتمع ويميل أغلبهم الي أحداث الشغب وإثارة المشاكل والقلق للناس وبالتالى المجتمع ، كما يذهبون الى أن مدمن المواد المخدرة كالهيروين والخمر والحبوب والافيون

من الممكن ان يرتكبوا الجرائم ويعتدون على الحرية الشخصية وممتلكات الآخرين عكس الحال بالنسبة لمدمنى (معتمدى) الحشيش الذين يعوق تصرفاتهم تماماً .

وينظرون لمدمن الماكس فورت نظرة أكثر إحتاراً لأنه كيف "العربجية" وكيف يقبل إنسان أن يشوه جمسمه عن طريق الحقن التى يتعاطونها مع بعضهم البعض وتنقل إليهم الأمراض المختلفة .

ب - رؤية مدمنى الهيروين لمدمنى الحشيش والخمر والحبوب المخدرة :

ويمكن إجمال أهم الصفات التى يتصف بها مدمن الهيروين " الشمام " فى الثقافات المختلفة من واقع الخبرة الميدانية فى النقاط التالية :

* اللامبالاه وبلا دة الحس .
* القلق والشك والحذر .
* العصبية .
* دائماً يتردد على الأماكن المشبوهة ولذلك عرضة للقبض عليه فى أى وقت .
* خائن لأقرب الناس إليه .
* كيف لا يحفظ المراكز ولا الاوضاع المهنية والإجتماعية .
* يبيع نفسه وعرضه وشرفه وكرامته فى سبيل الجرعة .
* يرتكب أى فعل مناف للقواعد السلوكية المألوفة كأعمال السرقة والسطو المسلح والأعمال المنافية للآداب ويصل الأمر الى القتل حتى لأقرب الناس اليه .

* الأنانية المطلقة (أنا ومن بعدى الطوفان) .
* يكون دائماً فى حالة يقظة ويفكر بإستمرار فى كل شىء .
* يحاسبون بعضهم البعض مادياً ويشكون فى بعضهم البعض بعكس الحال فى الحشيش .
* يكره نفسه ويكره الناس ويتمنى أن يدخل كل الناس الى الدائرة اللعينة مثله .
* لا يقبل النصح او الإرشاد من أى فرد مهما كان صلته به .
* ليس بين مدمنى الهيروين روابط حقيقية مثل مدمنى الحشيش ولكن علاقات مصلحة .
* يحتال على الناس وعلى التاجر .
* يحاول دائماً إستدراج عناصر جديدة الى الدائرة لإستغلالها .
* عدم الإقبال على الطعام كمدمن المواد المخدرة الاخرى .
* الميل الى العزلة والإنطواء والوحدة ولا يتعامل إلا مع أصحاب المزاج فى حدود ضيقة .

ويذهب مدمنو الهيروين الى أنهم اصحاب (الكيف السريع) وكيف البكوات والباشوات برغم انه اصبح كيف شعبى فى الثمانينات ، ويحسون بالبغض نحو الناس وبخاصة الذين ادخلوهم الى هذه الدائرة ومتحفزون دائماً للإنتقام من الناس ومن المجتمع وبناء عليه كانت خطورة هذه المادة المدمرة للإنسان وعقله وشخصيته ومدمرة للمجتمع فى النهاية .

وينظرون الي مدمنى الحشيش على أنهم أناس لديهم وقت وعندهم صبر ويحبون الصحبة فى حين انهم يتعاطون الجرعة بسهولة جداً فى أى ثانية وفى أى مكان ولا يكلفهم ذلك الجهد الكبير الذى يبذل من جانب جماعة التعاطى فى الحشيش .

وينظر مدمنو الهيروين الى مدمنى الحبوب المخدرة على انهم شباب صغار سواء أكانوا متعلمين أو حرفيين وإن إمكانياتهم المادية بسيطة او محدودة ولا يستطيعون الادمان الا على الحبوب حيث أن الهيروين مكلف للغاية ولا يقدر عليه الا الأثرياء أو من لهم إتصال بعمليات الترويج والإتجار فى هذه المادة المخدرة .

جـ - رؤية مدمنى الخمر لمدمنى الحشيش والهيروين والحبوب المخدرة :

ويمكن إجمال أهم الصفات التى يتميز بها مدمن الخمر فى الثقافات المختلفة من واقع الخبرة الميدانية فى النقاط التالية :

* هائج .
* لديه ثورة داخلية .
* توهان .
* يخلق المشاكل .
* السكران يحل مشكلته بالقوة والعنف .
* غير مهذب .
* مجنون .
* لا ينسى المشاكل ولو بعد سنوات طويلة .
* يحدث إزعاجات وقلاقل فى أى منطقة يحل بها بعد تناول الخمر .
* يرى نفسه أقوى رجل فى العالم ولا يقدر عليه أحد .
* متعنت .
* لا يحترم الآخرين .
* ثرثار يتكلم فى كل شىء .

لا يميل الى الهدوء

* لا يميل الى الخير ويفضل الشر والحقد .

وتبين أن مدمن الخمر يرى مدمن الحشيش أضعف منه وجباناً وكسولاً ، كما يرى أن كيف الحشيش يحتاج الى عدة عمليات حتى يتم تعاطيه عكس الخمر الذى يشرب فى الكأس مباشرة (أى لا يحتاج الى وقت طويل وغلبه) وهو ما يضيق به صبره .

كما يرى مدمن الخمر أنه أحسن وأفضل من مدمن الهيروين الذى من الممكن أن يضحى بكل شيء العرض والمال لأنه أصبح لا يهمه سوى نفسه وسوى الجرعة التى يتعاطاها وأصبحت حياته محصورة فى أضيق حدود .

وينظر مدمن الخمر إلى مدمن الحبوب المخدرة نظرة كلها إحتقار وأنه كيف الطبقات العمرية الصغيرة والشباب والطبقات ذات الإمكانيات المحدودة أو الطبقات الإجتماعية الدنيا وينظر لهم على أنهم مستويات متدنية إجتماعياً وأدبياً ومادياً .

د - رؤية مدمنى الحبوب المخدرة لمدمنى الحشيش والهيروين والخمر :

ويمكن إجمال أهم الصفات التى يتصف بها مدمنو الحبوب المخدرة فى الثقافات المختلفة من واقع الخبرة الميدانية فى النقاط التالية :

* ذو الإمكانيات البسيطة .
* الطلبة والشباب الحرفى الصغير .
* المصابون بالأمراض النفسية .
* يتهافتون دائماً على المنبهات مثل الشاى والقهوة .
* دائماً يعانون من الكبت واليأس .
* يكون معظمهم ضعفاء الشخصية ويحاولون إثبات وجودهم .
* يقبل عليها البنات والسيدات فى المجتمع الحضرى خاصة لسهولة الحصول عليها وسهولة تناولها عكس الحال فى المواد المخدرة الأخرى

كالحشيش والخمر والهيروين

* قد تكون نهايته الإنتحار لأنه يصبح غير متوازن نفسياً وإجتماعياً غير مبال أو مقبل على الحياه

* سهولة إرتكابه أنماط سلوكية غير مألوفة للحصول على الحبوب وبخاصة السيدات كالسرقة والأعمال المنافية للآداب وقد يصل الأمر لإستخدام العنف وأحياناً القتل .

* سهولة الإدمان عليها لرخص ثمنها بالنسبة لكثير من المدمنين

* مرتبط بفئة إجتماعية وأدبية محددة حيث لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تقعد مع دكتور بيحشش ويكون " برشمجى" أو شيخ حشاش ويكون "برشمجى" أو رتبة عسكرية أو فنان أو موظف ولهذا إرتبط الإدمان على الحبوب المخدرة بالسواقين والحرفيين والشباب المتعلم الطائش غير المنضبط وغير المتوازن إجتماعياً ونفسياً

وينظر مدمنو الحبوب المخدرة لمدمنى الحشيش على أنهم اناس لديهم وقت وصبر وعايشين فى عالم اخر عالم إيقاع الحياه بسيط بالنسبة لهم وأن كيف تعاطى الحشيش يحتاج لمراحل وعمليات متعددة ولابد من الصحبة والجماعة أما هم فيمكنهم تناول الحبوب المخدرة فى لحظة واحدة

وينظرون لمدمنى الخمر على أنهم أشرار ومجانين ويحدثون مشاكل وإنهم يميلون الى العنف وإحداث الشغب وهذا لا يقبله مدمن الحبوب المخدرة حيث يميل الى الهدوء والإنعزال والوحدة ولا يميل لإحداث أى مشاكل مع الآخرين .

وينظر مدمنو الحبوب المخدرة الى مدمنى الهيروين نظرة إحتقار وإزدراء ويخافون من التعامل معهم أو حتى الإقتراب منهم ويحسون بخطورة هذا العقار وأثره على هدم الإنسان من جميع النواحى

١١ - رؤية المدمنين على كل مادة مخدرة للتجار في الثقافات المختلفة :

تختلف نظرة المدمن على كل مادة مخدرة الى تاجر المخدرات فى الثقافات المختلفة ، حيث نجد ان نظرة المدمن على المواد المخدرة التقليدية فى الثقافات المختلفة تكون نظرة عادية ولا يحس بأى حقداو كره لهذا التاجر وبخاصة ان المدمنين على المواد التقليدية يعتقد غالبيتهم ان هذه المواد لا تسبب الادمان بقدر ما هى تعوّد وبالرغم من تحريمها شرعا وقانونا وبالرغم من اضرارها الصحية وآثارها الاجتماعية والنفسية والإقتصادية على الاسرة وبالتالى على المجتمع .

إلا أننى لمست ان نظرة المدمن على الهيروين والمورفين وحقن الماكس تختلف اختلافا جوهريا عن المدمن على المواد التقليدية لانه اصبح عبدا ذليلا ينفذ كل رغبات التاجر ويعمل مروجاً لتاجر المخدرات نظير الجرعة التى يتعاطاها وبخاصة جيل الشباب من طلبة وطالبات الجامعات والذين ينظرون بكره وحقد نحو التاجر ولكن لا يستطيعون التخلص منه حيث انهم يحتاجون اليه ويشعرون بان طلباته واوامره يجب ان تطاع وبخاصة وقت الاحتياج للجرعة ومن هنا وقعوا فى براثن الجريمة والانحلال الخلقى والاعمال المنافية للآداب وتحطم تبعا لذلك مستقبل الكثير من الشباب وبالتالى اصبحوا مصدر قلق وازعاج لاسرهم وللمجتمع .

وينظر التاجر على العكس من ذلك للمدمن فيرى انه مستهلك للسلعة التى يبيعها كأى مستهلك لأى سلعة وان سلعته تخضع لعوامل العرض والطلب واسعار السوق والمنفعة المكانية والزمنية وعنصر الندرة والوفرة ، كما انه ينظر الى بعض المدمنين على انهم مروجون لسلعته ومساعدون له وبخاصة

الشباب الفقير من الجنسين

١٢ - نظرة المدمن للمجتمع فى الثقافات المختلفة :

وتبين ان نظرة المدمن البدوى للمجتمع نظرة عادية وبخاصة انه لا يدمن المواد المخدرة المدمرة إلا نادرا ، كما انه محاط بسياج اجتماعى وثقافى لا يستطيع ان يتمرد عليه بل يلتزم بما يقرره هذا السياج من مجوعة الحقوق والواجبات اللازمة والواجبة له ، ولذا نجد ان المدمن البدوى على الانواع التقليدية كالحشيش والافيون وبعض الحبوب المنشطة لكبار السن او المتزوجين من الشباب لا يشكل عنصر قلق او مصدر ازعاج للمجتمع بل يحرص على تلبية احتياجات الاسرة والقيام بواجباته داخل وعلى صعيد العائلة بل والمجتمع ككل بصورة عادية ويكون اشد حرصا فى عدم ذيوع خبر ادمانه على مستوى المجتمع

ويقترب من هذه المشاعر نحو المجتمع المدمن القروى وبخاصة أولئك الذين لا يدمنون المواد المدمرة كالهيروين وحقن الماكس والحبوب المخدرة بالرغم من ان تعاطيهم قد يأخذ طابع الانتشار الى حد ما وقد تهتز صورة المدمن القروى وبخاصة الفقير فى اسرته وقدرته على اتخاذ القرار فى شتى نواحى الحياة والمواقف التى تتعلق بامور ومتطلبات اسرته ، ما ان هذا النوع من المدمنين يكون من المكلفين فى اغلب الاحوال باعداد مكان لديه لتعاطى المدمنين نظير ما يحتاجه وقد يتعرض لمشاكل كانحراف الاسرة وما يترتب على ذلك من نظرة حقد او خضوع او يأس واحباط ولا مبالاه نحو الاسرة والمجتمع

وتبين ان نظرة المدمن فى المجتمع الحضرى على الانواع التقليدية

كالحشيش نظرة عادية ويمارس دوره فى الاسرة والحياه بصفة عادية الى حد ما ويتوقف ذلك على الحالة المادية للمدمن حيث لا يحس المدمن الثرى بأى اعباء ستقع على الاسرة . وفى الغالب هذا النوع من المدمنين لا ينظر المجتمع اليه بعين الاحتقار والازدراء طالما لا يخلق أي مشاكل داخل الاسرة والمجتمع ، عكس الحال بالنسبة للمدمنين على المواد الخطرة وبخاصة فى الاجيال الصغرى والشباب أولئك الذين فى الغالب كانت هناك عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وراء دخولهم فى دائرة الادمان وبالقطع هذه العوامل كانت من افرازات التحضر والبعد عن التوازن الطبيعى فى الشخصية المصرية القومية .

كما نجد ان المدمن البدوى يحب مجتمعه ولا يكرهه ويكون حريصاً على ألا يسبب أى ازعاج لقبيلته بل ومجتمعه فى النهاية بل ان البدوى وكما سبق القول قد يحبس نفسه بحجة انه مريض عندما يحس انه اصبح اسيرا لاى مادة مخدرة حتى يستطيع التخلص منها وهذا يدل على انه يملك ارادة قوية ورغبة اكيدة فى التخلص من قيد وعبودية واذلال الادمان لانه اولا واخيرا شخص يفضل القوة ويكره الضعف ويعتز بالشجاعة والعزوة كما انه شخصية منطلقة تحب الحرية وتعشق الحياه ودائما متوكلا على الله ومتفائلا وهذه اهم المقومات التى يعتبرها المتخصصون كدعائم للعلاج والوقاية من الادمان .

كما تبين ان المدمن القروى على الانواع التقليدية من المواد المخدرة يحب مجتمعه ولا يكرهه عكس الحال بالنسبة للمدمن القروى على الهيروين او الحقن الماكس الخ حيث ان هذه المواد المدمرة تجعل الانسان يكره نفسه ويكره كل من حوله داخل دائرة القرابة او خارجها ونجده يحقد على الآخرين

ويكره المجتمع ويتمنى ان يصبح جميع افراد المجتمع مدمنون على هذه المواد المخدرة لذا يعد هذا المدمن مصدر ازعاج وقلق للمجتمع ويعتمد عليه التجار فى استقطاب عناصر جديدة الى دائرة الادمان .

إلا ان الامر يزداد سوءاً فى المجتمع الحضرى حيث ان عدم الانتماء والاقتناع والصبر والجلد والصمود لكثير من شباب اليوم من الجنسين والطموح المادى الجانح والاندفاع بالاضافة الى مشاكل كالبطالة وتأخر سن الزواج ومشاكل الاسكان ... الخ . كل هذه العوامل وغيرها قد خلقت فجوة فى العلاقة بين الانسان الحضرى والمجتمع ونظرا لضعف التكوين النفسى والاجتماعى لكثيرين من ابناء الحضر وبخاصة الشباب كان ذلك احد الركائز فى دخول كثير من هذه الفئات الى دائرة الادمان خصوصا على الانواع المدمرة وما يتبع ذلك من انغلاق حياه الفرد وانعزاله عن نفسه واغترابه عنها ومن ثم عن الاسرة وعن المجتمع فى النهاية ، بل عدم الاقبال على الحياه وبالتالى عدم الحرص على مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع فى النهاية .

وتبين ان المدمن البدوى ليس له مجتمعه الخاص كما هو الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى والى حد بسيط فى المجتمع القروى بل انه يعيش مجتمعه بكل ظروفه وبكل ضوابطه واعرافه ولا ينزع نفسه من السياج الاجتماعى ولا الالتزامات والمسئوليات الملقاه على عاتقه تجاه عائلته ومجتمعه عكس الحال الى حد بسيط فى مجتمع القرية والى حد كبير فى المجتمع الحضرى وذلك لزيادة انتشار الادمان على الانواع المدمرة كالهيروين والحبوب المخدرة على مختلف الانواع وحقن الماكس وللاسف فقد ابتليت طبقات اجتماعية ومهنية متنوعة بتلك المواد المخدرة وتزداد نسبة

ادمان تلك المواد بين الشباب من مختلف الطبقات العمرية والمهنية بل والمراحل التعليمية المختلفة .

كما تبين ان مدمن الهيروين والمورفين بصفة خاصة سواء كان فى المجتمع القروى او المجتمع الحضرى له مجتمعه الخاص حيث انه يعيش فى عزلة تامة عن المجتمع فهو لا يسعى كما سبق القول فى مواضع كثيرة إلا للحصول على الجرعة المطلوبة بل لا ينام إلا وهى تحت وسادته ولذا نجده يعيش مجتمعا خاصا به ولا يتعامل مع الآخرين إلا لمصلحته الخاصة او للابتزاز او النصب او الاستجداء او السرقة بغية توفير الاموال اللازمة لشراء احتياجاته من المادة المخدرة .

وتبين ان مشاركة المدمن كعضو فعّال فى المجتمع البدوى لا تتأثر إلا فى حدود ضيقة للغاية وبالذات لمدمن الخمر إلا ان مدمن الانواع التقليدية فهو حريص ألا يعرف احد عنه أى شئ وحريص ان يجعل كل اموره داخل الاسرة وعلى صعيد المجتمع تتم بصورة طبيعية حتى لا يتعرض لازدراء واحتقار وسخرية المجتمع فى النهاية . وبناء عليه يقوم بدوره المرسوم له فى المجتمع وفقا للمعايير المحددة لتقسيم العمل داخل الاسرة وعلى صعيد المجتمع .

إلا أننى وجدت ان مشاركة المدمن فى المجتمع القروى تتأثر بصورة اكبر من المجتمع البدوى ومرد ذلك تنوع وتعدد المواد المخدرة عن المجتمع البدوى وبخاصة المؤثرة على حالة الانسان نفسيا واجتماعيا واقتصاديا وهذا ما يجعل مشاركة المدمن القروى تقل بصورة واضحة عن المجتمع البدوى ومرد ذلك زيادة تكفكك الأسر الممتدة وعدم حرص المدمن القروى على افشاء سر

ادمانه كما هو الحال فى المجتمع البدوى

ووجدت ان مشاركة المدمن الحضرى فى المجتمع وبخاصة مدمن المواد التقليدية تتأثر من حيث التزامه بمواعيد وانجاز الاعمال سواء أكان صاحب اعمال حرة او يعمل بوظائف حكومية لانه يبحث عن مصلحته الخاصة وهنا لا يشارك ويعمل من اجل مصلحة المجموع ، كما ان المدمن فى هذا المجتمع لا يهمه ان يعرف الناس انه ادمن او يخشى من تعرضه للسخط والازدراء والاحتقار الاجتماعى وما الى ذلك ، ووجدت ان مشاركة مدمن الهيروين والماكس فورت والمورفين تكاد تكون معدومة حيث ان اهم لحظات عمره لحظة تعاطيه الجرعة ولذا يسعى جاهدا لكى تمر لحظة الاحتياج للجرعة بسلام وعدا ذلك يعيش منعزلا ومنفصلا ومنطويا عن الاسرة وعن المجتمع ككل .

١٣ - رؤية المجتمع للمدمن فى الثقافات المختلفة :

وتبين ان نظرة المجتمع البدوى للمدمن بصفة عامة نظرة عادية طالما لم يبدو عليه أى اخلال بالتساند والتكامل والاستقرار السياسى والامنى بالمجتمع وطالما يؤدى دوره فى المجتمع ككل ، بل ان بعض الحالات النادرة لادمان الهيروين تم علاجها فى سرية تامة حتى لا تكون وصمة عار فى جبين القبيلة .

ولما كان المدمن البدوى حريصا على سمعته وحريصا على اسراره واموره الخاصة لذا لا نجد أى ازدراء واحتقار من الاهل والاصدقاء والرفاق والجيران بل والاسرة والمجتمع ككل إلا فى حالة ادمان الخمر المحرمة شرعا والتى لا يقبلها المجتمع البدوى اجتماعيا وثقافيا حيث ان مدمنها قد يرتكب افعالاً تجلب عليه العار وعلى عائلته وقبيلته وكما سبق القول وتعرضه للعقاب

الذى قد يصل الى حد البراوة فى حالة تكرار حدوث مخالفات واعتداءات على حقوق وامن باقى افراد المجتمع وسيرد ذلك تفصيلا فى الفصل الخامس بالضبط الاجتماعى وظاهرة الادمان .

وتبين ان نظرة المجتمع القروى للمدمن وبخاصة على الانواع التقليدية والتى تشكل خطورة نسبية على المجتمع ينظرون إليه وبخاصة محيط الرفاق والاصدقاء والاهل والجيران واسرته بنظرة اشفاق واحتقار فى بعض الاحيان وبخاصة لو كان يخل بالقيام بواجباته نحو اسرته ويفضل دائما مصالحة عن مصالح اسرته وهنا يواجه بكثير من عوامل اللوم الاجتماعى ويختلف الامر بالقطع بالنسبة للمدمن البدوى الثرى الذى فى جيل الكبار بالذات .

إلا ان نظرة المجتمع القروى للمدمن على الهيروين رغم قلتهم وكذلك مدمن الحبوب المخدرة والخمر وحقن الماكس نظرة ازدراء واحتقار ويخافون من التعامل مع اغلبهم ولا يدخلون معهم فى أى نوع من العلاقات ، كما ان هولاء قد يعاملون بقسوة وشدة من جانب اهلهم واسرهم وبخاصة لو كانوا ينتمون الى عائلات قوية حتى يقلعوا عن التعاطى .

إلا اننى لمست ان نظرة المجتمع تختلف اختلافا واضحا فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التى يعيشها ابناء المجتمع الحضرى بصفة عامة ويقاسى من صعوبة الحياه فيها كل الفئات والطبقات العمرية بصورة او باخرى وبناء عليه نجد ان الاسر الحضرية التى يكون لديها مدمن على أى نوع من المواد المخدرة وحتى التقليدية يشكل عنصر هدم وقلقلة لاستقرار الاسرة وتساندها ويقف حجر

عثر فى طريق سعادة الاسرة باكملها سواء أكان هذا المدمن أب أو إبن أو ابنه وبناء عليه يجد المدمن من مشاعر البعض والكراهية والشك والحذر منه من جانب الاهل والاصدقاء والرفاق وكافة ابناء المجتمع الحضرى ويصبح منبوذا وبخاصة مدمن الخمر والهيروين والحبوب المخدرة وحقن الماكس .

كما ان المجتمع يرى المدمن البدوى عنصراً فعّالاً فى المجتمع وبخاصة المدمن على الانواع التقليدية والتى لا توثر تاثيرا واضحا على سلوكه والادوار المرسومة والمحددة له وفقا للاعراف والقواعد السلوكية المألوفة تبعا للسياج الاجتماعى والثقافى والذى يقف بحزم وبقوة لمدمن الخمر والحالات النادرة لادمان الهيروين لخطورتهما فى التاثير على الفرد وجعله يخرق القواعد المألوفة ويكون مصدر قلق وازعاج لامن واستقرار المجتمع البدوى .

كما تبين ان المجتمع القروى لا ينظر بعين القلق إلا فى حدود بسيطة الى مدمن المواد المخدرة التقليدية وبخاصة أولئك الذين يقومون باداء الادوار المحددة لهم ولا يخلون بأي التزامات واعباء اسرية ، حيث نجد ان الامكانيات المادية دائما لا تتوفر لدى غالبية القرويين وهنا يكون الادمان وبالذات على الانواع الخطرة من حظ اثرياء القرية وابنائهم المتهورين بالذات أولئك الذين يحطمون مقدرات وكفاح الاباء والاجداد دون وعى وعدم حرص مستقبلهم وطبيعة الادوار المطلوبة منهم كأعضاء فى المجتمع القروى وهؤلاء فى اغلب الاحوال يكونوا معروفين على صعيد المجتمع القروى ودائما تحذر الاسر ابناءهم من الاختلاط بهم .

ونجد الصورة تختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك صعوبة ظروف الحياه الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع الحضرى وما

تتطلبه مسئوليات الحياه فى هذا النمط المجتمعى ، وبناء عليه فلا يعبأ أى انسان بالاخر سواء أكان مدمناً أم غير مدمن إلا اذا كان هناك ثمة خطورة ستقع على الفرد مباشرة ، والسقوط فى دائرة الادمان فى المجتمع الحضرى حتى على الانواع التقليدية يعتبر بداية للدخول فى دائرة الانحراف والاحرام من اوسع ابوابها والتدرج للغالبية من المدمنين على الانواع المختلفة للمواد المخدرة وبالتالى اخلالهم بكل متطلبات حياتهم وادوارهم ومراكزهم داخل الاسرة وعلى صعيد المجتمع الحضرى ككل .

كما تبين ان تقبل المجتمع البدوى للمدمن بعد الشفاء او البعد عن احتساء الخمر امرا عاديا ومقبولا ويحتضن الشخص المدمن ثانية وتعاد الثقة فيه واحترامه ومنحه كافة الحقوق الواجبة له على صعيد الاسرة بل وعلى صعيد المجتمع ومن ثم الزامه كذلك بالحقوق الواجبة عليه نحو اسرته ونحو مجتمعه ، حيث ان البدو بصفة عامة يميلون الى الهدوء والبساطة والامن والاستقرار الاجتماعى والنفسى ومن هنا لا يحبون أى نشاذ فى سيمفونية الحياه البدوية ولذا يبعدون أى نشاذ عن هذه السيمفونية ولكنهم قد يستقبلون بالترحاب ما يضيف الى سيمفونية الحياه البدوية قوة وعزوة .

ولا يختلف الامر كثيرا بالنسبة لتقبل المجتمع القروى للمدمن بعد الشفاء او بعد توقفه عن شرب حتى الانواع التقليدية للمواد المخدرة فيقولون ان فلانا الله سبحانه وتعالى كرمه واصبح لا يتعاطى أى مواد مخدرة ، وبناء عليه نجد ان عودة المدمن على أي مادة مخدرة فى نمطى المجتمع البدوى والقروى الى دائرة الحياه الاجتماعية امر عادى والى دائرة النشاط الاقتصادى امرا مألوفا ، حيث ان شبكة العلاقات القرابية وامتداد المسئولية السياسية يلعبان دورا هاما فى اعادة التوازن والاستقرار للمجتمع حتى لو

وصل الامر لاستخدام مبدأ القهر والقسر خاصة بالنسبة للمدمنين من الشبان .

وتبين ان الامر فى المجتمع الحضرى يختلف اختلافا واضحا فى ذلك حيث تسحب الثقة من المدمن حتى لو تم شفاؤه وابدى رغبته فى ممارسة حياته العملية العائلية بصورة عادية ، ومرد ذلك افتقاده لعمله اولا ان كان يعمل وافتقاده لارتباطه الدراسى ان كان طالبا وتصبح عودته الى هذه المجالات امرا صعبا للغاية وكذلك يواجه بكثير من التحديات والمشاعر المتناقضة من المحيطين من حوله وفى الغالب ما تكون هذه المشاعر تتراوح ما بين الخوف والحذر والشك وعدم الاهتمام او الاحترام من المحيطين وبخاصة خارج نطاق الاسرة وعلى صعيد المجتمع الحضرى وهنا يكمن السر فى انتكاسة الحالة وعودة المدمن الى دائرة الادمان ثانية بعد ان اغلق المجتمع وابناء المجتمع الباب فى وجهه فى حين يجد اصدقاء السوء وتاجر المخدرات اذرعهم مفتوحة تماما لاستقباله من جديد ويصدق هذا على مدمنى المواد الخطرة كالهيروين والمورفين والماكس أولئك الذين ما احوجهم الى الرعاية الطبية والنفسية والاجتماعية وهنا يجب ان تتغير نظرة المجتمع لهم على انهم مرضى وضحايا اكثر من كونهم مذنبين ، فقد اثبتت الدراسة التى بين ايدينا على انهم كانوا مستهدفين وبخاصة الشباب .

الفصل الخامس

الثقافة والادمان فى الانماط المجتمعية المختلفة

١ - مفهوم الثقافة من وجهة النظر الانثروبولوجية

مما هو جدير بالذكر ان علماء الانثروبولوچيا يختلفون فيما يتعلق بمستوى الحقيقة المتضمنة فى العادة فى استعمالهم لمفهوم الثقافة فالبعض يتضمن كل المستويات والبعض الآخر معيارى او افتراضى . كما يختلف البعض الاخر فى مجال العادة ويرجع البعض منها فقط الى تلك الدراسات او المجموعات من العادات المميزة للمجتمعات التى فيها الدراسات الانثروبولوچية الحقلية ، كما نجد البعض الآخر يتضمن كل العادات التى تشارك فيها تلك المجتمعات متضمنه ما فيها من عادات عالمية .

كما نجد بعض الكتاب لايضمنون مفهوم الثقافة فقط العادات ولكن ايضاً المنتجات المادية لمثل تلك العادات اى أنهم لايعنون بها فقط كطريقة لتشكيل رأس الحربة . ولكنها أيضاً تضم الحربة ذاتها كنوع من الثقافة المادية (١) .

كما نجد فى معظم تلك الاستعمالات لمفهوم الثقافة ان العادات التى تاتى فى ثبت لمكوناتها مفهوم الثقافة إنما تتضمن العادات المكتسبة عن طريق التعلم ، ولعل هذا يكون إفتراضاً معقولاً مثلاً فى معظم الخطوات المتبعة فى عملية صناعة الفخار او العرافة ، ولكن ماذا عن تلك التكوينات من العادات التى تتمثل فى التفاعل الاجتماعى المتضمنة فى إلقاء المسئولية

---

(١) محمد عبده محجوب ، مقدمة فى الانثروبولوچيا ـ المجالات النظرية والتطبيقية ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الثالث ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ص ص ١٩١ - ١٩٢ .

على الآخرين او الجبر فى مواقف معينة ، واذا كانت الثقافة تحمل فقط على العادات المكتسبة بالتعلم فعلى المرء اذن ان يتأكد من العادة إنما تنتمى فى الواقع الى تلك الفئة من العادات قبل ان يضمها ذلك الكل المعقد الذى نعبر عنه بالثقافة ، وهو قرار ليس دائماً من السهل ان ننتهى اليه .

كما يعتبر مفهوم المنطقة الثقافية من أكثر الاستعمالات الانثروبولوجية إنتشاراً وهو يشير الى تلك السمات التى تتمثل فى العادات والمنتجات المعتادة او التكوينات من السمات المميزة لمجال جغرافى يتفاوت مداه ، وهى تضم صيد الجاموس واستخدام الخيل والملبس والمسكن المصنوع من جلود الحيوانات والتصميم الهندسى وإتحادات المحاربين وغيرها (١) .

ولما كان لكل مجتمع من المجتمعات مهما إختلفت درجة تحضره او تخلفه ثقافته الخاصة به ، تلك الثقافة التى ورثتها الاجيال السابقة الى الاجيال الحاضرة ، وهذا الارث يختلف من حيث المحتوى من مجتمع الى آخر ، الا ان هذا التراث الموروث يمكن تعديله اما بالاضافه او الحذف او التحكم فيها طبقاً لمجموعة العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية فيمكن على سبيل المثال للشعوب البدائية او التقليدية او تتغير ثقافياً بفعل عوامل معينة كالهجرة والاحتكاك الاجتماعى والثقافى .

فى ضوء ذلك نجد ان الموروثات الثقافية يمكن تعديلها بعكس الموروثات البيولوجية والتى لايمكن بأى حال من الاحوال تعديلها او تغييرها ، وهذا ما أكده هارولز فى كتابه ماوراء التاريخ من ان الثقافة هى كل تلك الاشياء التى لايمكن ان تورث بيولوجياً وإنما هى كل ما يعلمه الانسان للانسان بأى

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٩٢

من طرق التعلم المعروفه والمتنوعه كالارتباط الشرطى ، المحاوله والخطأ ، الاستبصار

واذا كان هذا يعنى من الناحية الاخرى ان الثقافة ككم متراكم من العادات والفولكلور والتقاليد والآداب الشعبية الخ . تنتقل من جيل الى جيل عن طريق الاكتساب والتعلم ، فليس كل كائن يتعلم ذا ثقافة . فالحيوانات تتعلم أنماطاً متعددة من السلوك للتأقلم مع البيئة التى يعيشها ولكنها مع ذلك ليست ذات ثقافة ، حيث ان تعلم الانسان للثقافة يختلف تماماً عن تعلم الحيوان لسلوك ما ويسوق هارولز مثالاً فى كتابه ماوراء التاريخ لتوضيح هذه المسألة من أننا قد نجد لدى القرده العليا عصا الحفر ، تلك التى يستخدمها الانسان فى اقتلاع الخضروات البرية بقصد أكلها ، فضلاً على ذلك فقد ترتدى الجلود طلباً للدفء شأنها فى ذلك شأن الانسان تماماً ولكن يجدر بنا هنا توضيح أمر فى غاية الاهمية فبينما تعد عصا الحفر وإرتداء الجلود ثقافة بالنسبة للأنسان ، لأنه لم يستخدم العصا لكونها عصا وإنما لادراكه أنها نمط للسلوك حيث أن النمط الذى ينتج عنه الحفر بالعصا هو العنصر الثقافى الحقيقى لاسيما وأن الانسان لديه القدره الفائقة على حفظ هذه الافكار وتعديلها إما بالحذف أو بالإضافة ، بينما لا نجد مثل هذا الاسلوب لدى الشمبانزى ينشأ عمداً كما لايحتفظ به أو يورث [1] .

ويجعلنا هذا نتساءل لماذا يختلف الانسان على هذا النحو مع الحيوان ؟ وهل الانماط السلوكية للمدمن وخاصة على الانواع المدمره تجعله يبعد عن انماط السلوك الانسانى السوية وتقربه كثيراً من السلوك الحيوانى .

---

(١) وليم هاولز ، " ماوراء التاريخ " ترجمة احمد ابو زيد ، دار النهضة ، ١٩٦٥ ص ص ٦٠،٦١

مما هو جدير بالذكر ان الانسان يمتلك وحدة حاجزاً إضافياً يفصل بين دوافعه الفطرية وبين أفعاله هذا الحاجز أصبح بمثابة وسادة تقوم بين الانسان وبيئته ، وهذه الوساده ترق وتتضخم طبقاً للبناء الثقافى نفسه ، وهذا يعنى أنه كلما رقت الوساده أو ضعف الحاجز كان الانسان أقرب إلى مباشرة دوافعه الفطريه بطريقة تلقائية كما هو الحال فى المجتمعات البدائية ، وإلى حد ما فى المجتمعات التقليدية .

ونجد عكس ذلك تماماً بالنسبة للمجتمعات المعقده التى تفرض حاجزاً سميكاً أو وسادة متضخمة تعبر عن بيئة الانسان ، ولقد ظهرت أخيراً إتجاهات تنادى برفض الحواجز والأقنعه الحضارية لتطبيق عملى للفلسفة الوجودية المعاصرة والتى يتزعمها سارتر ، حيث أنها تنادى أن الوجود سابق للماهية وأن الأنسان فى رأيهم صانع مصيره وخالق قدره وليس هو شيئاً آخر غيرنا يصنعه بنفسه ، وعليه أن يؤكد وجوده بما يراه هو لا بما يملى عليه من قوالب أو حلول ثقافية جاهزة (١) .

وبناء عليه فعندما نشير الى ثقافة المجتمع المحلى التقليدى سواء أكان هذا المجتمع المحلى قرية أو نجع أو تجمع ، فلا يهمنا فى هذا الصدد أن نشير إلى حجم المجتمع سواء أكان كبيراً أم صغيراً ، بسيطاً أم معقداً ، مجتمعاً تقليدياً أم متقدماً أو على درجة عالية من الحضارة أو غير ذلك ،

ولكن ما يهمنا هو أن جميع الافراد يشاركون فى نفس نمط الحياه والموجهات القيمية للسلوك داخل المجتمع ، وأن جميع الناس يتصرفون فيما بينهم ، ويتميزون عن اعضاء المجتمعات الاخرى ، هذا وقد وصف بعض

(١) زكى اسماعيل ، انثروبولجيا التربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٠. ص٢٤٩

العلماء الاجتماعيين ثقافة تلك المجتمعات المحلية بقولهم ، أنها الثقافة التى لاتحتاج الى قدر من التفكير عندما يقبل على ممارستها أعضاء نفس المجتمع ، لانها تكون متطابقة تطابقاً تاماً مع إتجاهاتهم وميولهم[1] .

وإذا كان لنا من تعقيب على ذلك ومع إعترافنا الكامل بأن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به والتى تختلف مع الثقافات الفرعية للشعوب المختلفة ومع اشتراك كل هذه الثقافات فى النهاية فى سمات مشتركة (عموميات الثقافة) وإن اختلفت فى بعض الخصوصيات (خصوصيات الثقافة) ، وأن الانسان عندما يولد يجد تراثاً ثقافياً متراكماً يستجيب له ، ولكن يجدر بنا ان لا ننسى حقيقة فى غاية الاهمية وهى أن لكل مجتمع ظروفه المتجددة بصورة مستمرة تبعاً لظهور متغيرات جديده قد يكون لها شأن فى غاية الأهمية فى تغيير ما هو كائن كلية أو النيل منه بقدر ما .

ولهذا السبب نجد ان توجيهات الثقافة بشأن كافة أنماط السلوك الحياتيه وما يرتبط بها من أنماط السلوك والتوجيهات القيمية تجاه الاسرة والعمل والاستهلاك لاتحتاج والادخار لاتحتاج الى قدر من التفكير حيث ان افراد المجتمع من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية يتلقونها أجيالاً عبر أجيال عن طريق النقل الشفهى وبناء عليه يكون هناك تحديداً قاطعاً وحازماً لكافة الحقوق والواجبات والالتزامات تجاه مختلف الامور التى ترتبط بحياة الانسان فى المجتمع المحلى البدوى ، كما تقبل بعض المتغيرات يكون بالقدر الذى يسمح بالاستمرار والتواصل الثقافى وتحديث السمة او تطوير وظيفتها وهذا لمسته بوضوح فى المجتمع المحلى

---

(١) محمد عباس إبراهيم ، *الثقافات الفرعية* ، *السلسة السوسيوانثروبولوجية* ، *الكتاب الخامس* ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٤٤ – ١٤٥ .

البدوى بالعامرية الذى يعد من أنماط المجتمعات شبه البدوية .

فتقبل الثقافة كتحصيل حاصل لاتنطبق الا على المجتمعات المنزوية البسيطة التركيب والتى لايظهر بها اثر للتغير البنائى ، وذلك لعدم تعرضها لأى مؤثرات خارجية من شأنها أن تؤثر فى بنائها الأجتماعى بقدر ما ، وهذا نجد عكسه تماماً بالنسبة للمجتمعات التقليدية او التى تخضع بصورة متكررة أو مستمرة لمؤثرات خارجية ، تخلق معها ظروف وأوضاع جديدة تحتم التخلى بعض الشىء عن بعض من تلك الموروثات الثاقفية ، وقد ينتج فى هذه الحالة إزدواجية فى الثقافة ، ويعنى ذلك أن السمات المأخوذة من الجديد قد تعيش جنباً الى جنب مع ما هو قديم مادام من شأنه أن يجعل عجلة الحياه تستمر .

وبناء عليه نجد ان الانسان يمتاز عن الحيوان بعملين هامين فى مجال إكتساب الثقافة هما (١) .

١ - عامل استخدام اللغة كوسيلة للاتصال السوسيو ثقافى وما يصاحبها من تجريدات وترميز فى مجال الاتصال .

٢ - القدرة الانسانية على التعلم بلا حدود أو قيود لاكتساب المعرفة

ويرى كول وكوكس أنه إذا كانت الحيوانات تستطيع أن تتواصل عن طريق سلوكها واصواتها فإن معظمها يتم تواصله أى تعلمه عن طريق المحاولة والخطأ وإن أمكن للحيوانات العليا ان تتعلم بوسيلتين هى الملاحظة والتقليد ، الا أن الانسان وحده الذى يستخدم كل وسائل التعليم بطريقة ينفرد بها عن سائر الكائنات الحية وهذا يعنى أن الثقافة سمة انسانية فى

(١) زكى محمد اسماعيل ، مرجع سابق ص ٢٥١ .

صميمها

وإذا اتصفت الثقافة بأنها تعتمد على التعليم المتراكم فذلك لانها تعد مستودعاً هائلاً من الخبرات والتجارب والمعلومات التى يكون ذلك التراكم وبالتالى فهى تقدم للإنسان الحلول الجاهزة لما يصادفه من مشكلات يواجهها عند احتكاكه بالعالم الفيزيقى لاسيما وأن لديه صفة التوقع والتنبؤ ، توقع ردود الفعل المقبله نتيجة النماذج السلوكية التى سبق أن عايشها من قبل ودرسها واستقرت فى خبرته وميدان تجاربه ، ولذلك يمكن له أن يؤلف من مجموعة الاختبارات والبدائل الثقافية المتعددة ما يمكنه فى النهاية من الوصول الى القرارات والاحكام الاجتماعية (١)

يتضح مما سبق كيف ان التعلم والتعليم اساسان هامام لنقل الانماط والسمات الثقافية عبر الزمان والمكان ، حيث ان التعليم والتعلم هما وسيلتان لانتقال الثقافة او الحضارة وهذه خاصية مميزة للانسان ينفرد بها عن غيره من الكائنات الذى ينتمى اليه ، فنجمل وظائفها للفرد فيما يلى (٢) .

٢ - وظائف الثقافة

ونجمل وظائف الثقافة بالمسبة للفرد فى النقاط التالية :

١ - توفر الثقافة للفرد صورة السلوك والتفكير والمشاعر التى ينبغى أن يكون عليها ، ولاسيما فى مراحله الاولى ، فالطفل فى بداية حياته يتقبل الثقافة التى ينشأ فيها تقبله للهواء ، فالاسرة وجماعة الرفاق او المسجد او الكنيسة كلها تقدم بعض افكار الثقافة وتقاليدها واساليبها وتنتظر منه

(1) *Earl-H-Bel, Social Foundations of Human Behavior, Harper&Row. N.Y, 1961 P 115 .*

(٢) محمد الهادى عفيفى " التربية والتغير الثقافى " الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ ، ص ص ٧٩-٨٢

قبولها وتشربها .

٢ – توفر للفرد وسائل اشباع حاجاته البيولوجية ، فليس على الفرد ان يتعلم فى بداية حياته كيف يجلب الدفء لنفسه ، او يوفر لنفسه الامن . اذ ان الانماط التى توفر هذه الوظائف الاولية وتوجهها توجد فى الثقافة ويتفاعل معها الفرد منذ طفولته ، وهو يتعلم منها السلوك الخلقى بالنسبة للعلاقات الجنسية ، ويقدر اهمية الملبس والمركز والملكية وغيرها .

٣ – توفر للأفراد تفسيرات جاهزة لطبيعة الكون واصل الانسان ، دور النسان فى هذا الكون ، وقد تكون هذه التفسيرات غيبية او عملية ، وقد يتشبعون بهذه التفسيرات او تلك فتؤثر على نظرتهم الى طبيعة الكون وعلاقتهم به وهم اذ يقومون بالتعبير والتفسير فى حياتهم ، انما يقع مثل هذا كله على هذه التفسيرات والتصورات .

٤ – توفر للافراد المعانى والمعايير التى يميزون فى ضوئها بين الاشياء والاحداث فما يعتبره الفرد طبيعياً او غير طبيعى ، منطقياً او غير منطقى عادياً او شاذاً الخ . يشتق من معانى الثقافة واسس التمييز فيها .

٥ – تنمى الضمير عند الافراد ، فمن المسلم به اجتماعياً ان الضمير غير فطرى فقد يكون صوتاً ضعيفاً ، او ساكتاً داخل الفرد ، ولكنه يتحدد فى ضوء تحديات الجماعه للصواب والخطأ ، وينمو عند الفرد بتمثيله الداخلى لقيم الجماعه ومعاييرها ، وتشربها وامتصاصها واذا ما أخطأ فى أمر من الامور ، وخالف ما تنتظره منه الجماعه بحسب مستوياتها الثقافية . شعر بالخزى والعار ويصبح للضمير رقابه قوية على سلوك الأفراد ، وتنظيم علاقتهم مع بعض فالصوم فى مجتمعنا فى شهر رمضان قيمة

اجتماعية ثقافية ، ويحرص الافراد على احترامها ، ومن ينحرف عنه يتستر على نفسه ، حتى يتجنب لوم الجماعه ونفورها منه .

٦ - يكتسب الفرد عن طريقها حريته باعتباره فرداً ، باعتباره عضواً فى مجتمع خاص وفى مجتمع انسانى كبير ، فالانسان لايولد قادراً على الاختيار بين بديلات الحياة ومواجهة مشكلاتها ، وذلك ان قصوره من الناحية البيولوجية والاجتماعية يحتم عليه قبول ما تفرضه عليه الثقافة من انماط عامة ، وبناء عليه يصبح الفرد مسلماً او مسيحياً او هندياً لنشأته فى مجتمع اسلامى او مسيحى او هندى ، غير ان تشكيل الثقافة للفرد على هذا النحو لايعنى فرديته اذ بواسطتها تنمو امكانياته ، وتتحرر قواه ويكتسب قدراته التى يسميها عقلاً وذكاء ، ومن ثم يصبح قادراً على الاختيار والتمييز الواعى (١) .

ومما هو جدير بالذكر ان الثقافة البدوية بعموميتها وخصوصياتها استطاعت ان توفر للبدوى فى المراحل العمرية المختلفة كافة صور وانماط السلوك والمشاعر التى ينبغى ان يقوم بها ويحسها نحو نفسه ونحو الآخرين من مختلف الطبقات العمرية والاجتماعية واستطاعت ان تحدد له مجموعة من الحقوق والواجبات والالتزامات الملقاه على عاتقه تبعاً للتقاليد والعادات والاعراف السائده خاصة فيما يتعلق بالمناسبات المختلفة والمتعدده فى المجتمع البدوى مثل هذه المشاعر بين الطبقات العمرية نلمسها بوضوح فى المجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتده بينما تتفاوت وتتمايز هذه المشاعر فى المجتمع الحضرى .

كما لمست كيف استطاعت الثقافة البدوية ان تقنن اشباع الفرد من

(١) محمد الهادى عفيفى ، مرجع سابق ص ص ٨٢ - ٨٣ .

الجنسين لحاجاته البيولوجية وتقنين نظرة كل من الذكر والانثى لتلك الاجات البيولوجية ونظرتهم بصفة خاصة للعلاقات الجنسية والتحريمات المفروضة بصددها وتحديد وسائل العقاب المختلفة المرتبطة بالخروج على القواعد والانماط السلوكية والشرعية والطبيعية وبناء عليه يقبل البدو على زواج ابنائهم فى سن مبكر سواء أكانوا ذكوراً ام اناثاً كما اوضحت الثقافة البدوية النظرة لقيم الذكوره والانوثه واثرها على طبيعه العلاقات والتفاعل فى المجتمع البدوى عبر الاجيال المتعاقبه وهذه الامور لاتختلف الا فى حدود بسيطة فى المجتمع القروى ولكنها تختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى.

ولمست كذلك كيف ان الثقافة البدوية قدمت للفرد البدوى من الجنسين تفسيرات جاهزة لطبيعة الكون وعوامل البيئة والاحوال الجوية ومعرفة المواقيت المختلفة من خلال النظر الى السماء وكذلك معرفة الاحوال الجوية على مدار السنة ولقد استطاعت الثقافة البدوية كذلك ان تصقل من خبرة البدو من مختلف الاعمار والاجناس على مدار السنين الطويله بطبيعه العلاقة بين البيئة الطبيعية والعوامل الجوية وانعكاس ذلك على حياتهم الاجتماعية وطبيعة الاستقرار والرخاء فى مجتمعهم وهذا نلمسه الى حد كبير فى المجتمع القروى والى حد بسيط فى المجتمع الحضرى لاختلاف الظروف البيئية والمجتمعية

ونجد فى نصوص ودرايب القانون العرفى والذى يعد نتاجاً حياً وواقعياً للثقافة البدوية موقفاً محدداً لشتى امجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتى يتحدد بناء عليها كافة الحقوق والواجبات المناط بها فى مختلف المواقف والاحداث والقدرة على التمييز بينها ومن ثم تحديد طبيعة

التواصل والتفاعل الاجتماعى بين ابناء البدو بعضهم البعض او حتى بين البدو الغرباء وقد تحدث فى القرية بعض المجالس العرفية القليلة اسوة بالبدو ولكنها فى الغالب غير منصفة ولكن فى المجتمع الحضرى لانجد سوى القانون الوضعى الذي يحكم وينظم العلاقات الاجتماعية بين الناس .

وتبين كيف ان الثقافة البدوية استطاعت ان تنمى الضمير الخلقى لدى أبناء البدو وتصبغ شخصيتهم من خلال عمليتى التنشئة الاجتماعية والثقافة عبر الاجيال المختلفة بالتواصل والتراحم بين كبار والصغار وتنمى قيم ومعايير الجماعه وتوضيح ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب وتحديد الصواب والخطأ ويتجلى هذا بوضوح فى حل كافة منازعات البدر داخل مجتمعهم وان خروج اى مشكلة ووصولها الى مركز البوليس ومن ثم المحاكم يعد من الامور المخزية التى تجلب العار لجميع ابناء المجتمع وبناء عليه نجد القانون العرفى عن طريق العواقل والمشايخ يلعب دوراً هاماً فى ترسيخ وتدعيم القيم الثقافية الاصلية فى المجتمع البدوى والمحافظة على استمراريتها من اجل استقرار وتساند ورخاء المجتمع .

كما نجد ان الثقافة القروية استطاعت الى حد كبير تنمية الضمير الخلقى والاحساس الجماعى لدى الشخصية القروية وبخاصة فى الاسر الممتدة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية وتحديد اسس وسبل التواصل والتراحم والتفاعل بين الاجيال المختلفة وتحديد الحقوق والواجبات المخولة للافراد ولكن الملاحظ هنا ان السلطة الرسمية تتدخل الى حد كبير فى حل النزاعات بين الاهالى بعضهم البعض بعكس الحال فى البادية وهذا نتيجة انتشار الاسر النووية وتفتت الملكية الجماعية وانتشار الملكية الفردية وزيادة الاتصال بالمدينة وعوامل التحضر بصفة عامة وهذه العوامل اثرت

الى حد كبير فى تغيير وتبديل كثير من السمات التقليدية للشخصية القروية وكما سنرى بعد قليل .

ولست كذلك كيف ان الثقافة البدوية اكسبت الشخصية البدوية ذكراً كان ام انثى مقومات شخصية خاصة فيميل البدوى الى الحرية والانطلاق والسعى وعدم تحديد الرزق والقناعه والبساطة والصدق وقول الحق والنمو والشجاعه والمروءة والصبر والجلد ولقد كان لهذا اثره فى تمييز وتفرد الشخصية البدوية من الجنسين عن الانماط المجتمعية الاخرى سواء اكانت قروية او حضرية .

حيث نجد ان الثقافة القروية بعد ان تناولها بعض عوامل التغير والتطور بصورة او بأخرى ان اكسب الشخصية القروية بعض سمات الشخصية الحضرية والتى فى اغلب الاحوال تتناقض مع طبيعة الشخصية القروية التقليدية ولذا وجدنا سمات بدأت تدخل فى سياج الشخصية القروية مثل القناعة المتغيره والطموح الجامح ، الارتباط النسبى بالارض ، البساطة المتغيره ، الصدق المتغير وعدم الاعتماد الكلى على الله سبحانه وتعالى كما كان وضعف مشاعر الارتباط العائلى وعدم الجساره والشجاعة المعهودة فى قول الحق وعدم الصبر والجلد المعهود فى مواجهة الصعاب والمشاكل .

بينما الحال هكذا فى الانماط المجتمعية التقليدية نجد ان الثقافة الحضرية ذات الثقافات الفرعية المتباينه والمتصارعه والمتناقضه احياناً قد اصبغت الشخصية الحضرية بخليط او مزيج من السمات الشخصية التى تحمل كل خصائص الحياة الحضرية بكل معنى الكلمة مع التفاوت النسبى والقروى من شخصية الى اخرى ، فتزداد مشاعر عدم الثقة الى حد كبير وعدم البساطة ، مشاعر القلق والخوف من المستقبل واللاتجانس وعدم

القناعه فى اغلب الاحوال ، والطموح المادى الجانح . وسيادة مشاعر المنفعه اساس التعاون ، والرغبة الملحة دائماً فى التنقل المهنى والاجتماعى وسيادة المشاعر الفردية مثل هذه السمات جعلت الشخصية الحضرية بصفة عامة يعيش قلقاً ، متوتراً غير متفائل فى اغلب الاحوال غير منبسط ، غير امناً ومطمئناً فى أغلب الاحوال ، يحمل هموم الماضى وآلام المستقبل ، غير متوازن اجتماعياً ونفسياً فى أغلب الاحوال ، مثل هذه الصفات كانت من الاسباب النفسية والشخصية وراء دخول نسبة كبيرة من ابناء المجتمع الحضرى فى دائرة الادمان بصورة او بأخرى او فى دائرة الامراض النفسة والعصبية .

وبالرغم من أن الثقافة لها كل هذا التأثير على الفرد ، فإن هذا لا يعنى أن التأثير يتم تلقائيا بغير حساب أو دون وسيط ثقافى - فالمعروف أنه لا ثقافة بدون مجتمع ولا مجتمع بدون أفراد وأنظمة ومؤسسات وهذه الأنظمة تعبيرات ثقافية أو حملة الثقافة هم هؤلاء الأفراد وعن طريقهم يتم النقل الثقافى للأجيال الصاعدة والوافدة .

فضلا على ذلك فإن القول بأن الفرد يتشكل بالثقافة لا ينفى أنها تتشكل بدورها بالفرد وتنفعل به ، فالعلاقة بين الفرد والثقافة علاقة عضوية ديناميكية ونمو الثقافة وتطورها لا يأتى جزافا ، إنما هو من فعل الأفراد أنفسهم .

ونعرض لطبيعة العلاقة بين الثقافة والإدمان من خلال مدى تأثير الثقافة فى تلك الأنماط المتباينة ثقافيا فى شخصية البدوى والقروى والحضرى وعلاقتها بالوصول الى مرحلة الإدمان من دونه ومن ثم أثر الشخصية فى الأنماط المجتمعية المختلفة فى خرق القواعد السلوكية والأنماط المألوفة فى

تلك الثقافات المتباينة بالدخول فى دائرة الإدمان ورؤية هذه الشخصيات المتباينة فى تلك الأنماط المجتمعية المختلفة للمحيط الثقافى فى كل منها ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

أولاً: رؤية المدمن للثقافة فى الأنماط المجتمعية المختلفة :

وتبين أن الشخصية البدوية بعامة والمدمن البدوى على الانواع التقليدية بخاصة يفتخر بثقافته البدوية بكل مضامينها وعناصرها وقلما نجد بدويا ساخطا أو يقف موقفا عدائيا من العادات والتقاليد بل نجده يحرص كل الحرص على الإلتزام بكافة الأنماط السلوكية والقواعد المألوفة اتى تقننها العادات والأعراف البدوية وتتخلل كافة المناشط الحياتية وهذا كان السبب وراء عدم إنتشار الأنواع المدمرة فى المجتمع البدوى وبخاصة الهيروين والمورفين وحقن الماكس وقلة الحبوب المخدرة ومرد ذلك أيضا أن عمليات التنشئة الإجتماعية والثقافية فى ذلك النمط المجتمعى قد أوجدت مقومات شخصية بدوية عامة تكاد تتفق الى حد كبير فى كثير من الصفات وقلما تختلف فى بعض السمات الشخصية نتيجة الفروق التى لا تظهر إلا فى حدود بسيطة

ويوجد هذا الإلتزام والحرص على العادات والتقاليد فى المجتمع القروى من جانب القرويين بصفة عامة والمدمنين على الأنواع التقليدية خصوصا فى الأسر الممتدة أو الأسر الثرية لا يختلف إختلافا كبيرا عن المجتمع البدوى ، حيث نجد فى تلك الحالات يعيش المدمن القروى السياج الإجتماعى والمحيط الثقافي القروى ويحرص على عدم الخروج عن العرف والقواعد السلوكية المألوفة إلا فى غيبة المجتمع أو بعيدا عن عيون الناس حتى لا يتعرض للوم والإزدراء الإجتماعى خصوصا أن أى مخالفة تكون

مشينة لموقف العائلة بصفة عامة وعليه تحرص العائلة على إمتثال الاعراب للقواعد المألوفة داخلها وعلى صعيد المجتمع القروى .

إلا أن الأمر يختلف بالنسبة للأسر النووية والتى يوجد من بين أعضائها مدمنين والتى إنفصلت لدواعى التعليم والعمل الوظيفى أو الأعمال الحرة ورغبة منها فى التحرر من قيود الأسرة الممتدة أو التحرر نسبيا من تحديدات العادات والتقاليد والأعراف القروية وبخاصة أن مثل هذه الأسر تقترب فى أنماطها الحياتية النمط الحضرى من حيث زيادة الطموح المادى والتطلعات المادية الجانحة وحب السفر والمغامرة والفردية وتأصل المشاعر الفردية والبعد عن الجماعية الى حد كبير ، مثل هذه المشاعر كانت من وراء الأسباب لدخول بعض فئات هذه الأسر الى دائرة الإدمان وبخاصة على الأنواع المدمرة لعدم الالتزام الكلى للمحيط الثقافى القروى .

ونجد الأمر مختلفاً إختلافا واضحا فى المجتمع الحضرى محل الدراسة ومرد ذلك تنوع الجماعات العرقية التى تغطى ذلك النمط المجتمعى وبالتالى تعدد الثقافات الفرعية لتلك الجماعات داخل المجتمع الحضرى ككل ومن ثم معيشة تلك الجماعات أثناء إختلاطها بالجماعات الأخرى فى ضوء خصوصياتها الثقافية وتدخل فى عمليات الصراع والتنافس والتكييف الثقافى ومن ثم التمثيل الثقافى بصورة أو بأخرى من أجل دواعى الاستقرار فى ذلك النمط المجتمعي .

بناء عليه وجدنا المحيط الثقافى الذى يحيط بتلك الجماعات يأخذ طابع الثقافة الحضرية ويحيا من داخل هذا الاطار الثقافى العام الثقافات الفرعية ذات الخصوصيات المحددة والتى تلقن بصورة أو بأخرى من خلال

عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية ولذا وجد الشخص فى ذلك النمط المجتمعى يدخل فى علاقات إجتماعية متعددة ومتنوعة ويتفاعل بصورة شتى حسب المواقف المختلفة ويمارس أنماطاً سلوكية متفاوتة بين الاعتدال وعدم الاعتدال ، وعليه تكونت الشخصية فى ذلك النمط المجتمعى من خلال هذا المزيج الغير متجانس فى أغلب الاحوال ولقد كانت مثل هذه العوامل من الاسباب الرئيسية وراء تعدد وتنوع المواد المخدرة ، بل وإنتشار الانواع المدمرة بصورة أكبر جداً عن الانماط المجتمعية التقليدية الاخرى .

ثانيا: رؤية المحيط الثقافى للمدمن فى الانماط المجتمعية المختلفة :

كما تبين من قبل وفى أكثر من موضع فى متن هذا البحث أن الثقافة البدوية ترى البدوى عامة والمدمن بخاصة على أنهم أبناء هذا المجتمع بل لا تميز بينهما طالما لم يحدث أى إشاعة أو خروج المدمن البدوى عن القواعد السلوكية المألوفة أو أخل بالارتباطات العائلية والالتزامات الاسرية وكما رأينا من إلتزام المدمن ذاته بالتواؤم مع كل هذه القواعد العرفية ووصل الامر فى بعض الاحيان الى إضطرار المدمن البدوى إلى حبس نفسه بالمنزل بحجة المرض حتى لا يراه المجتمع فى حالة سيئة ينكشف فيها سره ، أو فى بعض الحالات النادرة لادمان المواد الخطرة يتدخل كبار العائلة فى سرية لعلاج هذا المدمن حتى لو بالسفر الى الخارج المهم فى ذلك حرص هذا المجتمع من خلال الخصوصية الثقافية البدوية أن لا ينتشر أى خبر عن إدمان أحد أعضائها ويحاط الامر فى سرية من جانب الافراد والمجتمع ذاته .

كما نجد أن المجتمع البدوي من ناحية أخرى وكما سبق فى موضع أخر

.يتقبل أنواع معينة من المواد المخدرة مع عدم تعاطيها علناً وتحاط حالات التعاطى حتى فى الافراح والمناسبات المختلفة بثمة قواعد وأنماط سلوكية لا تسمح بإختلاط الحابل بالنابل ، ولذا نجد المحيط الثقافى البدوى وحتى تجار المخدرات البدو أنفسهم ينظرون الى المواد المخدرة الخطرة كالهيروين بأنها دمار ويستحرمون العمل بها ويمكن تأكيد هذه الحقيقة من خلال الانواع المنتشرة ميدانياً فى ذلك النمط المجتمعى وكذلك من خلال مضبوطات إدارة المخدرات فى ذلك النمط المجتمعى والتى تكون فى غالبيتها العظمى من المواد المخدرة التقليدية ، ولو تم ضبط أى من الانواع الخطرة والمدمرة ففي أغلب الاحوال يكون التاجر فيها ومتعاطيها من النمط القروى الى حد بسيط والنمط الحضرى الى حد كبير .

ولا نجد الامر يختلف كثيراً فى رؤية الثقافة القروية للمدمن القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة مع التفاوت النسبى فى معرفة أبناء القرية حتى بجماعات التعاطى على المواد التقليدية أو إدمان أفراد على المواد الخطرة ومرد ذلك الظروف الفيزيائية التى يحيا خلالها القرويين والبعد الاقليمى . والتصاق المنازل تماماً فى المجتمع القروى وسهولة الاتصال بين أبناء المجتمع لعوامل القرابة والجوار والصداقة وضيق المساحة المأهولة عكس الحال فى المجتمع البدوى . إلا أنه يمكن القول أن الثقافة القروية تنبذ المدمن وبخاصة الخمر والهيروين والحبوب وتختلف نظرتها الى مدمن الحشيش والبيرة والكينا أحياناً ، وما يجدر ذكره هنا هو أن مدمنى المواد التقليدية فى القرية معروفين وقد يواجهون بمشاعر التبويخ والازدراء وبخاصة المدمنين الفقراء دون الاثرياء منهم .

إلا أن الامر يختلف إختلافاً كبيراً فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك

وتمايز وتنوع وتعدد العلاقات بين الجماعات التى تقطن المجتمع الحضرى بل تمايز وإختلاف العلاقات والعادات والتقاليد داخل تلك الجماعات وخروج الرجل والمرأة الى حياة العمل والحياة عامة بدون قيود وتحريمات إلا فى أضيق الحدود وإنتشار التعليم للجنسين ومن ثم يكون رب الاسرة أو أحد أعضائها لفترات طويلة خارج المنزل بعيداً عن عوامل المراقبة والضبط الاجتماعي العائلى والتواصل والتفاعل والدفء الاجتماعى والدفء العاطفى

وبناء عليه تشعبت وتعددت العادات والتقاليد والاعراف ومدى تقبل أبناء الجماعات المتباينة ثقافياً لذلك المحيط الثقافى وعليه إختلفت الرؤية المجتمعية والثقافية للمدمن على كل أنواع المواد المخدرة ولهذا إنتشرت المواد المخدرة بكافة أنواعها فى النمط المجتمعى .

وهكذا يمكن القول أن الثقافة البدوية لم تكن عامل مساعد بل عامل معوق للوصول الى مرحلة الادمان وبخاصة على الانواع المدمرة عكس الحال الي حد بسيط في المجتمع القروى وعكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى .

كما يمكن القول أن الثقافة البدوية بكل مضامينها وعناصرها المختلفة كانت تشكل عوامل هامة فى الضبط الاجتماعى لسلوك البدو بعامة والمدمنين بخاصة وكانت وراء عدم خروج البدو بعامة عن القواعد السلوكية والاعراف المألوفة قبل وبعد الادمان ، عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة ، وعكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى .

الفصل السادس

الضبط الاجتماعي وظاهرة الادمان في الثقافات المختلفة

مما هو جدير بالذكر ان الاتجاهات والمداخل النظرية في دراسة الضبط الاجتماعي قد تعددت وتنوعت ولكل منها رؤيتها الخاصة في عملية الضبط الاجتماعي في المجتمع .

إلا أن المدخل الانثروبولوجي في دراسة الضبط الاجتماعي له من التميز والتفرد والشمولية حيث نظر الباحثون الانثروبولوجيون الذين اتيحت لهم فرصة الدراسات الميدانية الى الأنساق الاجتماعية الفرعية الداخلة في البناء الاجتماعي للمجتمع بوصفها انساق ضابطة هذا بالاضافة الى الوظائف التي يؤديها كل نسق في البناء الاجتماعي للمجتمع فأضافوا وظيفة الضبط وتدعيم النظام الاجتماعي (١) .

ويعد النسق الاقتصادي والنسق الديني والنسق القرابي من الانساق الضابطة لسلوك الاشخاص والعلاقات القائمة بين بعضهم البعض وتصرفاتهم نحو المجتمع ، كما نجد أن النسق السياسي والقانوني يعتبران من الانساق الاساسية عند دراسة الضبط الاجتماعي في أي مجتمع من وجهة النظر الانثروبولوجية .

وبناء عليه فإن دراسة الضبط الاجتماعي من جانب الانثروبولوجيين تعني التعرف بالتفصيل على الوسائل او الاساليب التي يلجأ اليها المجتمع لتحقيق المواءمة بين أعضائه وأنماط السلوك والقيم المؤثرة والمواقف التي

انظر لمزيد من التفاصيل

(١) سامية محمد جابر ، القانون والضوابط الاجتماعية ، مدخل علم الاجتماع الى فهم التوازن في المجتمع ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٦٦ - ١٦٧

تستخدم فيها كل وسيلة من هذه الوسائل ومدى فاعليتها والدور الذى تلعبه فى هذا الصدد ، فتتوقف وسائل الضبط الخاصة بكل مجتمع على طبيعة هذا المجتمع وظروفه الخاصة ومدى بساطته أو تعقده ونوع الثقافة السائدة وما الى ذلك فما يعتبر وسائل ناجحة من وسائل الضبط الاجتماعى فى أحد المجتمعات قد لا يكون كذلك فى مجتمع آخر ، فالثرثرة والاقاويل واطلاق الشائعات وتناقلها تعتبر وسائل فعالة ومجدية لتقويم سلوك الشخص وبالتالى تحقيق التوائم فى المجتمع القروى الصغير بينما تعتبر كل هذه اموراً عادية جداً فى مجتمع المدينة الواسع وبالذات فى المدن الكبرى حيث لا تلعب الاراجيف دوراً واضحاً فى الضبط الاجتماعى لأن العلاقات بين الناس ليست علاقات مباشرة أو شخصية كمـــا هـــو فى مجتمـــع القرية (١) .

ويمكننا الاشارة الى عدة ملاحظات هامة نتيجة استعراض مختلف الآراء والنظريات التى وجهت الدراسات الانثروبولوجية فى عملية الضبط الاجتماعى مثل دراسات مالينوفسكى وايفانز بريتشارد للانساق السياسية فى افريقيا ، ودراسة جاليفر فى مجتمع الاورشا فى شمال تنجا نيقا ، ودراسة مالينوفسكى لجزر التروبرياند ودراسة راد كليف براون للنسق الدينى وتحديد الوظيفة الاجتماعية للدين واثرها فى الضبط الاجتماعى ودراسات فورتس وشابيرا ونادل واودرى ريتشارد التى تضمنها كتاب " الانساق السياسية فى افريقيا " وأجمل هذه الملاحظات فى النقاط التالية :

١ – اهتم الباحثون الانثربولوجيون بالانساق الاجتماعية كلها بوصفها

(١) أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعى ، " الأنساق " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٤٢٨ .

نسهم فى الضبط الاجتماعى

٢ - ركز معظمهم على دراسة النسقين السياسى والقانونى بوصفهما انساق الضبط الاساسية

٣ - اختلفت دراسة النسق السياسى باختلاف نموذج المجتمع محل الدراسة فاذا كان المجتمع يكون دولة أو بتعبير آخر اذا كان لديه سلطة مركزية تمثلت موضوعات الدراسة فى دور الرئيس أو الملك ، والنظم الضريبية والقضائية ، والسلطات المشتركة مع الحاكم فى التنفيذ إذا كان المجتمع لا يملك سلطة مركزية فإن دراسة الضبط تتركز على الاهتمام بمكونات البناء الاجتماعى ، والنظام الاقتصادى والدينى ونسق طبقات العمر ونسق الانحدار الابوى أى النسق القرابى بوجه عام [١]

٤ - فيما يتعلق بالنسق القانونى حاول " مالينوفسكى " أن يقضى على الفكرة التى مؤداها أن سلوك الأعضاء فى المجتمع البدائى يعتبر تلقائياً وذاتياً وأنه لا ينحرف عن القواعد السائدة وبالتالى فليست لدى هذا المجتمع حاجة الى قانون بالمعنى الحديث للكلمة ، وذهب مالينوفسكى الى أن الانسان البدائى مثله مثل الانسان الحديث يخضع لقواعد محددة وقد ينحرف عن تلك القواعد وأن هذا الانحراف يمكن أن يعرضه للجزاء المدنى أو الجنائى ، ولذلك صنف القانون البدائى الى قسمين مدنى وجنائي بالمعنى الحديث للكلمة أما براون فقد انتقد هذا الموقف وحل المشكلة عن طريق الاستعانة بمصطلحين آخرين وهما : قانون الذنوب العامة ، وقانون

انظر :-

(١) سامية محمد جابر ، مرجع سابق ص ص ١٧٣ - ١٨١

الذنوب الخاصة ، والواقع أنه كان لكل من مالينوفسكى وبراون إتجاهان متعارضان فى تعريف النسق القانونى وتصنيف القوانين وربما يمكن ارجاع كل المحاولات الأخرى فى هذا الميدان إما الى الأول أو الى الأخير .

٥ – كان معظم الباحثين الانثروبولوچيين يجرون دراسات ميدانية ولم يكتفوا بترديد آراء الباحثين السابقين عليهم .

٦ – تركزت كل الدراسات الانثروبولوچية للضبط فى المجتمعات البدائية وخصوصاً فى افريقيا واستراليا (١) .

ويمكن اضافة ان الانثروبولوجيين المعاصرين عندما يدرسون الضبط الاجتماعى فانهم يتعرضون لنوعين من الضبط الاجتماعى وهما : الضبط الاجتماعى الرسمى المتمثل فى الهيئات الادارية والحكومية والتنظيمية للدولة والضبط الاجتماعى غير الرسمى والقائم على تنفيذه كبار السن (المسنون) عند دراستهم للضبط الاجتماعى فى اى نمط مجتمعى مهما كانت تقليديته أو تحضره حيث نجد أن الضبط الاجتماعى غير الرسمى يتفوق الى حد كبير عن الضبط الرسمي فى المجتمعات التقليدية خاصة القبلية فى إحداث التوازن والاستقرار والتوائم فى المجتمع على العكس تماماً فى المجتمع الحضرى الذى يتفوق أعمال الضبط الرسمى عن غير الرسمي فى أحد الاستقرار والتساند والتوازن فى المجتمع وهو ما سيرد ذكره تفصيلاً عن عرض نتائج الدراسة الميدانية فى الثقافات المختلفة .

ولما كان المدمنون جزءاً من ابناء تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً لهم

---

(١) سامية محمد جابر ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٣ – ١٨١

ادوار يلعبونها ومراكز يشغلونها قبل الادمان ومن ثم حدث فيها كثير من التغيير والتبديل لذا اثرنا عرض انساق الضبط الاجتماعي المتعددة من وجهة النظر الانثروبولوجية وعلاقتها بضبط سلوك المدمنين فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً بقصد الوقوف على خطورة وعمق الظاهرة فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة والدور الوقائى والعلاجى لإنساق الضبط الاجتماعي الرسمى وغير الرسمى ويتضح ذلك من خلال المعالجة التالية :

١) النسق الاقتصادى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى الثقافات المختلفة :

ونعرض للدور الذى يلعبه النسق الإجتماعى فى عمليات الضبط الإجتماعى لظاهرة الإدمان فى الأنماط المجتمعية المختلفة على النحو التالى

أ- النسق الاقتصادى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع البدوى

هناك عدة ملاحظات بالنسبة لعمليات النسق الاقتصادى فى المجتمع البدوى دورها فى عملية الضبط الاجتماعى لسلوك المدمنين نجملها فى إيجاز شديد على النحو التالى :

١ - لما كان تقسيم العمل فى المجتمع البدوى يقوم بناء على مجموعة من المعايير الذاتية (الجنس - الطبقة - العمر) فى أغلب الاحوال ، بينما تتحكم المعايير الموضوعية (الشهادة - الخبرة - الكفاءة - التدريب) بصورة اقل بكثير من المعايير الذاتية فقد اثر ذلك على عدم اقبال البدو على الاعمال الشاقة او الاعمال التى تستدعى التدريب ، وعدم الاقبال على الاعمال المهنية والحرفية ووضعها فى مرتبة ادنى من العمل بالانشطة الاخرى سواء اكانت زراعية او رعوية او تجارية وكذلك ندره الورش وعدم

الإقبال على التعليم الفنى والمهنى وعدم إقبالهم على تعليم ابنائهم وبخاصة الاناث وعدم مواصلة غالبية الذكور تعليمهم حتى مراحل متقدمة ، ولقد أدى ذلك الى عدم وجود التنوع والتمايز المهنى فى المجتمع البدوى وعدم وجود تمايز اجتماعى واضح وبالتالى عدم تمايز وتنوع وتعدد المواد المخدرة التى يمكن أن يتعاطاها أبناء البادية تبعاً لذلك .

٢ – لقد كان تحديد الادوار تحديداً قاطعاً وجازماً للذكور والاناث فى المجتمع البدوى وتحديد تلك الادوار وطبيعتها فى مختلف الانشطة الانتاجية المتاحة والدور الاشرافى والتوجيهى والرقابى لكبار السن اثراًبالغ الاهمية فى الاستقرار الاجتماعى والتوازن النفسى لمختلف الطبقات العمرية من الجنسين ومن ثم قلة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية فى ذلك النمط المجتمعى وبالتالى عدم انتشار انواع المواد المخدرة عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

٣ – لقد كان لتمركز السلطة والثروة فى يد كبار السن ومن ثم قيامهم بدور المنظم والمستثمر فى أغلب الاحوال فى كافة الانشطة الانتاجية المتاحة أثر بالغ الاهمية فى سهولة متابعة ومراقبة سلوك الطبقات العمرية المختلفة وبخاصة ان كبار السن من البدو يحرصون على متابعة انفاق ابنائهم من بعيد الى بعيد وقد يحجبون عنه المال فى حالة الانفاق غير المجدى ، كما ان كبار السن هم قادة العائلات وهم المنفذون لكافة الاساليب المتعلقة بالضبط الاجتماعى .

٤ – تلعب انماط التبادل للبدو بعامة والمدمنين بخاصة فى المناسبات المختلفة دوراً هاماً فى الضبط الاجتماعى حيث يحرص المدمنون قبل

الآخرين على الايفاء بالإلتزامات الاجتماعية الواجبة عليهم اسوة بباقى ابناء المجتمع خشية الفضيحة واللوم والازدراء الاجتماعى .

٥ – تلعب العادات الغذائية وعادات الملبس دوراً هاماً فى ضبط سلوك المدمنين البدو ، حيث يحرص البدو بعامة والمدمنون بخاصة على الايفاء بمطالب العائلة المسئولة منهم وكذلك تقديم الاطعمة للضيوف سواء أكانوا من أبناء مجتمعه او من الغرباء عن المجتمع ، ويحرص البدو بعامة أن تكون بيوتهم دائماً على أتم الاستعداد لإستقبال الضيوف وتقديم الواجب الذى تحتمه العادات والتقاليد والاعراف البدوية ، وهذا بعكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

٦ – لا يمكن للبدوى بعامة والمدمن بخاصة ان يخرج عن القواعد المقبولة اجتماعياً ليمارس نشاطاً يشبع دافعاً ذاتياً ، حيث أن لكل فرد دوره المحدد له وأن الخروج عن هذه التحديدات يعد خروجاً عن الجماعة ، وبذلك ترى الجماعة بشأنه من الجزاء وفقاً للقواعد العرفية السائدة فى المجتمع البدوى .

٧ – الاستفادة من ناتج العمل فى المجتمع البدوى يتم بصورة جماعية كما ان توزيع ناتج العمل يتم حسب عدد أفراد الاسرة داخل العائلة الممتدة بغض النظر عن جهد الاعضاء المشتركين فى العمليات الانتاجية المختلفة ولهذا لا تؤثر عملية الادمان على إعالة ابناء المجتمع البدوى من مختلف الطبقات العمرية حيث أن مقاليد الامور كلها فى يد كبار السن .

٨ – ملكية الاراضى والاشياء العينية المختلفة جماعية ومشاعة بين جميع افراد العائلة وهى فى أغلب الاحوال فى يد كبار السن وبخاصة

الذكور وقد لا توزع فى حالة وفاة الجد أو الأب بل تنقل إدارتها الى الأخ الأكبر فى العائلة وهذا من شأنه أن يحد من تصرف المدمنين فى الممتلكات حيث أنها جماعية وهى فى يد من يحسن التصرف فيها وهذا بعكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى وإلى حد بسيط فى المجتمع القروى وكما سيتضح بعد قليل .

٩ – عدم إنتقال ميراث الارض الى النساء بأى حال من الاحوال وقد تعوض عنها بالمال ان قبلت او تظل الارض فى حوزة أخيها الاكبر محافظة علي الارض من إنتقالها للغير حتي داخل دائرة القرابة العاصبة هذا من ناحية ومخافة المرأة من طلاقها من زوجها فتعود الى عز اهلها وميراثها ، ولعدم ضعف العائلة بتفتت الارض وتوزيعها الخ وهذا من شأنه أن جعل السلطة والثروة متمركزة في يد كبار العائلات وبعيدة كل البعد عمن لا يحسن التصرف فيها مثل المدمنين .

١٠ – وجود بنود فى القانون العرفى تحدد تحديداً قاطعاً ولازماً كيفية الاستغلال والانتفاع بالاراضى والآبار وكذلك طرق المحافظة عليها بين البدو بعضهم البعض عن طريق حدود معينة معروفة بينهم ، وكذلك الوسم الخاص بالحيوانات الذى يبين والعائلة المالكة لهذه المواشى والإبل ويصبح هذا الوسم معلوماً لدى أبناء البادية على صعيد مصر كلها ولهذا يحرص البدو بعامة والمدمنون بخاصة من عدم الخروج على هذه القواعد العرفية حتى لا يعرض للجزاء والعقاب الصارم بشأن الإعتداء على الموارد والثروة الموجودة بالمجتمع بأى حال من الاحوال .

وبناء عليه نجد أن العلاقات والعمليات والانشطة الاقتصادية فى المجتمع

البدوى لها أثر بالغ الاهمية فى ضبط سلوك أعضاء المجتمع وعدم الدخول فى دائرة الادمان خاصة على الانواع المدمرة وهذا له اثره على إستقرار وتساند المجتمع البدوى فى النهاية .

ب - *النسق الاقتصادى ودوره فى الضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع القروى*:

لا يختلف الوضع فى المجتمع القروى الى حد كبير على تلك العلاقات والعمليات الاقتصادية فى المجتمع البدوى وبخاصة فى حالة الاسر الممتدة وإن إختلفت الى حد بسيط فى حالة الاسر النووية ونجمل اهم ملاحظات الاختلاف بين النمط البدوي والقروى فى النقاط التالية :

١ - تفوق المعايير الموضوعية (الشهادة - الخبرة - الكفاءة - التدريب) فى تقسيم العمل بنسبة اكبر منها فى المجتمع البدوى خصوصاً لو أخذنا فى الاعتبار النسبة والتناسب فى تعداد السكان بين النمطين ومرد ذلك وجود تقسيم عمل حقيقى بدرجة أكبر فى المجتمع القرى عن المجتمع البدوى لإنتشار بعض الاعمال الحرفية والمهنية وإنتشار التعليم العام والفنى للذكور والإناث ، خروج المرأة المتعلمة وغير المتعلمة الى مجال العمل وزيادة الإعتماد الواسع على المدنية فى سد إحتياجات القرية ، ولمست ان المعايير الذاتية تتحكم بدرجة أكبر فى المجتمع القروى ولاحظت أن كبار المسنين من الجنسين خصوصاً فى الاسر الممتدة يقومون بتحديد الادوار المهنية والاشراف عليها خاصة مع تمركز الارض والثروة فى أيديهم ، وهذا جعل ظاهرة الادمان تقل كثيراً نسبتها بين أبناء الاسر الممتدة عكس الحال بالنسبة للأسر النووية .

٢ - تلعب أنماط التبادل الشعائرى او العملى دوراً هاماً فى ضبط سلوك القرويين بعامة والمدمنين بخاصة حيث يحرص المدمنون على الحشيش والبيرة والخمر فى بعض الاحيان على الايفاء بالإلتزامات والواجبات الواجبة عليه داخل النسق القرابى وخارجه ويمارس حياته بصورة طبيعية خشية اللوم وخوفاً من مشاعر الاحتقار والإزدراء فى حالة عدم الالتزام بالرد ويستثنى من ذلك مدمنو الهيروين والحبوب المخدرة .

٣ - لما كان الانتاج فى المجتمع القروى والاستفادة منه تتم بصورة جماعية خاصة فى الاسر الممتدة عكس الحال فى غالبية الاسر النووية ، فقد كان لكبار رؤوس العائلات فى تلك الاسر الممتدة دور هام فى توزيع الانتاج على أفراد العائلة او شراء لوازمهم جميعاً بناء على معايير العدالة فى التوزيع والاحتياج الفعلى وهذا كان له اثره البالغ الاهمية فى ضبط سلوك الابناء والاحفاد عن الخروج على القواعد المألوفة فى المجتمع او الدخول فى دائرة التعاطى ومن ثم الادمان للمواد المخدرة .

٤ - لقد كان لتمركز ملكية الاراضى والاشياء العينية جماعية وتقع مسئولية ادارتها وحيازتها فى يد كبار السن داخل الاسر الممتدة حتى بعد زيادة تدفق تيار الهجرة من القرية الى الخارج وزيادة عمل الابناء والاحفاد بالأعمال الحكومية والحرفية وهجرة النشاط الزراعى ومن ثم تكوين أسر نووية والاستقلال اما فى القرية او المدن القريبة تبعاً لظروف العمل اثر كبير فى عدم انتشار ادمان المواد المخدرة من أى الانواع الا نادراً بين أولئك الذين يعملون بالعمل الزراعى ولكن تنتشر بصورة اكبر بين الحرفيين من أبناء القرية والطلبة الذين يصادقون هذه الفئة خاصة الحبوب المخدرة والخمرة .

٥ لقد أدى احتكاك المرأة القروية على مدى واسع بأبناء المدينة وخروجها اما للتعليم او للعمل سواء اكانت متعلمة او غير متعلمة وبخاصة اللائى يعملن بالانشطة الحرفية وتحتم ظروف عملهن الاختلاط بالذكور فى سن الشباب ان وقع بعضهن فى دائرة التعاطى ومن ثم الادمان للحبوب المخدرة والبيرة والخمر وبخاصة سيئات السمعة حيث ان الانحرافات الجنسية كانت الشرارة الاولى لدخولهن الى تلك الدائرة اللعينة ومن ثم محاولة استقطاب عناصر جديد لدائرة الادمان ولكن فى الغالب يكون مصير هؤلاء الطرد من العمل خوفاً من أصحاب تلك الاعمال على منشأتهم من انتشار الشائعات والاقاويل حولها وهناك اماكن تم بالفعل اغلاقها نتيجة تستر اصحابها وراء تلك الاعمال المنافية للآداب عن طريق هيئات الضبط الرسمية

ونلمس مما سبق كيف ان العلاقات والانشطة الاقتصادية برغم تمايزها الي حد ما عما هو سائد فى المجتمع البدوى فهى تؤدى دوراً هاماً فى ضبط سلوك الافراد داخل العائلات الممتدة او الاسر النووية بل على صعيد المجتمع القروى وأدت الى قلة مشكلة الادمان فى ذلك النمط المجتمعى عن النمط الحضرى خاصة علي الانواع المدمرة لخوف القرويين من إنتشار الشائعات ومن ثم تعوضهم لمشاعر السخط والكراهية والبغض والازدراء والاحتقار من الآخرين .

جـ - النسق الاقتصادى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع الحضرى .

وأجمل اهم الملاحظات بصدد دور النسق الاقتصادى وعلاقته بعملية

الضبط الاجتماعى لسلوك المدمنين فى المجتمع الحضرى فى النقاط التالية

١) لقد أدى تحكم المعايير الموضوعية (الشهادة – الخبرة – الكفاءة – التدريب) فى تقسيم العمل فى المجتمع الحضرى بدرجة اكبر من المعايير الذاتية (الجنس – الطبقة – العمر) وأدى ذلك الى وجود تقسيم عمل حقيقى وزيادة عدد المتخصصين فى كل المجالات الانتاجية وتمايز الادوار المهنية والاجتماعية بدرجة تفوق كثيراً نمطى المجتمع البدوى والقروى وبالتالى احتياج ابناء المجتمع لبعضهم البعض من مختلف التخصصات ، ولقد كان لهذا اثره الواضح فى زيادة انتشار وتنوع المواد المخدرة فى ذلك النمط المجتمعى عن الانماط المجتمعية الاخرى .

٢) الدخول الي الحياة العملية يكون متأخراً للغاية فى هذا النمط المجتمعى نظراً لإنتشار التعليم حيث يبدأ الشاب او الفتاه بعد الانتهاء من دراستهما فى الدخول فى حياة العمل ، كما ان الاحالة الي التقاعد يكون مبكراً عن نمطى المجتمع البدوى والقروى ويكون سن التقاعد فى أغلب الاحوال سن الستين عاماً وعدم وجود فرص عمل وإنتشار البطالة خاصة بين الشباب من الجنسين ولقد كانت مثل هذه العوامل وراء وقوع نسبة كبيرة من شباب المجتمع الحضرى من الجنسين من الانماط المجتمعية الاخرى فى دائرة التعاطى ومن ثم الادمان علي مختلف الانواع المخدرة .

٣) يوجد إلتزام الى حد كبير بالنسبة لأنماط التبادل بين المدمنين بعضهم البعض وبين المدمنين وأبناء المجتمع داخل دائرة القرابة وخارجها وخصوصاً مدمنى الحشيش حيث انه كيف يعتمد أساساً على المجاملة وتوثيق الصلة

بين جماعة الرفاق ، كما أن أى مشاكل تتعلق بالعمل يمكن ان تحل خلال جلسات التعاطى نظراً لأن جلسة التعاطى تجمع شخصيات ذات مراكز متباينة ، كما أن مصالح العمل المختلفة يتم انجازها وسط هذه الجلسات والمعارف التى تضمها . الا ان الالتزام برد الهدايا سواء داخل دائرة القرابة او خارجها تكون سلبية فى أغلب الاحوال بالنسبة لمدمنى الخمر والهيروين.

٤) عندما تتمركز ملكية الأراضى والاشياء العينية فى يد كبار السن وتظل هكذا حتى تؤول بالميراث بعد وفاة الاباء والاجداد او عن طريق الهبة والتنازل ، بناء عليه نجد غالبية كبار السن يتمتعون بالقوة والسلطة فى إتخاذ القرار والسيطة على الابناء والاحفاد ومتابعتهم ومراقبتهم ويكون لهم دور هام فى ضبط سلوك الافراد وعدم انحرافهم ٥) تؤدى اللوائح والقوانين الخاصة بتنظيم العمل فى المصالح والشركات والهيئات الحكومية وكذلك الجزاءات الخاصة بالخروج على القواعد الادراية والتنظيمية والسلوكية فى محيط العمل الى ضبط سلوك العاملين والمحافظة عليهم من الدخول فى دائرة الانحرأفات وبخاصة التعاطى ومن ثم الادمان للمواد المخدرة حفاظاً منهم على أوضاعهم ومراكزهم وخشية الطرد من العمل . وهنا تكون سلطة الضبط الاجتماعى الرسمى اقوى وأشد فى ضبط سلوك الافراد داخل وخارج المؤسسات والمصالح التى يعملون بها .

٢) النسق الدينى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى الثقافات المختلفة .

يميل علماء الانثروبولوجيا المحدثين الى اعتبار الدين والسحر جزءاً مما

يسمونه بالنسق الايديولوچى والمقصود بالايديولوجى نسق المعتقدات التى تفسر طبيعة علاقة الانسان بالكون والممارسات والشعائر المتصلة بهذه المعتقدات ، فالنسق الايديولوچى هو اذن نوع من الاستجابة للحاجة التى يشعر بها الناس جميعاً لتحديد معني وجوده فى الحياة ، ومن هنا كانت الانساق الايديولوچية تحاول البحث عن تفسير لأصل الانساق داخل الكون وتقريب الحاضر الى الافهام ورسم صورة للمستقبل ، ويعتبر الدين بالذات اهم مكونات النسق الايديولوچى ، ثم يأتى السحر بعد ذلك حيث يلعب دوراً هاماً فى الحياة " البدائية والتقليدية " (١) .

ولما كانت فكرة الضبط الاجتماعى تتضمن فكرة القسر والقهر ، وان لم يكن من الضرورى أن يتخذ القسر دائماً صورة القوة المادية أو الفيزيقية ، وإنما قد يظهر فى الصورة الأدبية أو المعنوية ، وبذلك أدخلنا السخرية والتهكم والمقاطعة ضمن أساليب الضبط الاجتماعى الفعالة ، فالدين بتعاليمه وأوامره ونواهيه يعتبر من اقوى عوامل تحقيق التوائم فى السلوك الاجتماعى ، كما أن فكرة العقاب والعذاب التى تؤلف ركناً هاماً فى الدين من ناحية ، والخوف من استخدام السحر فى الحاق الأذى والضرر بالشخص الذى يخرج عن القواعد العامة للسلوك تلعب دوراً هاماً فى تحقيق التوامم واقرار النظام في المجتمع .

وعلى الرغم من أن تأثير النسق الشعائرى الذى يضم الممارسات الدينية والسحرية أقل وضوحاً فى مجال الضبط الاجتماعي من تأثير النسق

(١) أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعى ، " الانساق " جـ ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٥٣٠ .

السياسى الذى يستند إلى أجهزة وهيئات متخصصة فالواقع أنه يعتبر مكملا له ومتكاملاً معه ، بل ويؤدى نفس الوظيفة فى الحالات التى يخفق فيها النسق السياسى بأجهزته الرسمية وغير الرسمية في اقرار النظام ، فاذا كان نظام الحكم والرؤساء والوسطاء « والمراضى » يفشل فى بعض الاحيان في الوصول الى نتيجة أو حكم نهائي فى بعض حالات النزاع نتيجة لعدم توافر الادلة مثلاً ،فإن القوى الغيبية والاعجازية تستطيع أن تصل دائماً – فى اعتقاد الناس في المجتمعات التقليدية الى اكتشاف الشخص المعتدى بل وانزال العقوبة التى يستحقها .

بناء عليه فاذا كنا نميز النسق السياسى والنسق الايديولوچى بالمعنى الذى نستخدمه هنا ، فإن هذا لا يعنى الفصل القاطع بينهما ، حيث رأينا كيف أن المجتمعات التقليدية تعجز على سبيل المثال الى القسم « حلف اليمين » كوسيلة لاثبات صحة أو بطلان الاتهام ، وهذا يعنى أنه حين تخفق الوسائل العلمية فإن المجتمع كثيرَ ما يلجأ الى الاستعانة بوسـائل غيبية أو إعجازية ، وهذه الوسائل تختلف من مجتمع الى اخر وتصل فى بعض الأحيان الى الاستعانة بالأرواح وإستعدائها على الجانى وإستنزال اللعنات عليه ، فكأن القوى الغيبية تتدخل إذن فى الحياة القانونية ذاتها ، ليس فقط كمصدر للقواعد والقوانين والتشريعات كما يذهب بعض العلماء ، بل وأيضاً كأداه للحكم والتنفيذ حين تخفق الوسائل العادية الملموسة فى العثور على شواهد وأدلة قاطعة (١) .

ويمكننا فى مجال الضبط الاجتماعي ان نميز بين نوعين من الجزاءات

---

(١) أحمد أبو زيد ، مرجع سابق ، ص ص ٥٢٨ – ٥٣٩ .

وهما الجزاءات المادية والعينية الملموسة التى توقعها على الشخص الجانح او المعتدى مصادر خارجية محسوسة ملموسة ، سواء إتخذت شكل المحاكم او المجالس العرفية او مجالس الشيوخ وكبار السن او البدنات والوحدات القرابية التى ينتمى اليها الجانى نفسه ، والجزاءات الغيبية او الفائقة للطبيعة وهذه تتمثل فى العقوبة التى تنزلها القوى الروحية بالجانى وتتراوح هذه العقوبات بين المرض وفرض بعض القيود العنيفة القاسية عليه بحيث لا تزول هذه القيود الا بعد تطهيره عن طريق ممارسة بعض الشعائر التطهيرية والتكفيرية عليه (١) .

وإذا كان علماء الاجتماع والانثروبولوچيا الذين اهتموا بدراسة الدين كظاهرة إجتماعية او نظام إجتماعى ، واجهوا حقيقة فى غاية الاهمية وهى وجود السلوك الدينى فى كل المجتمعات على مختلف أنماطها المجتمعية فما هى إذن الوظيفة المشتركة التى يمكن أن يؤديها ؟

وحاول بعض هؤلاء الباحثين مثل إدوارد سابير Edward Sapier أن يوضح أهمية الدين أو وظيفته بالنسبة للفرد ، إلا أن الوظيفة العامة للدين هى أن يزود الانسان بشىء من الهدوء النفسى وسلامة العقل ، فعالم البشر ملىء بالمخاطر الجسمية وبالشكوك وبالاوهام ، وهناك حاجة ماسة الى الاحساس بالأمن والطمأنينة ، ولذلك فإن مختلف الناس فى مختلف مراحل التطور ومختلف الثقافات يحققون هذه الرغبات ويشبعون حاجتهم الى الامن بطرق عديدة منها الالتجاء الى الدين وممارساته العديدة (٢) .

---

(١) أحمد أبوزيد ، مرجع سابق ، ص ٣٩٥

(٢) سامية محمد جابر ، القانون والضوابط الاجتماعية ، مدخل علم الإجتماع الى فهم التوازن فى المجتمع ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٢ ، ص ص ٢٠٦ - ٢٠٧

ويرى راد كليف براون Rad - Cliffe Brown أن الدين له وظيفة هامة بالنسبة للنظام الاجتماعى وتدعيمه ، كما يرى أن الوظيفة الاجتماعية لدين من الاديان ليست لها صلة بأن هذا الدين حقيقى او وهمى ، لأن هذه الاديان التي تنظر لها على أنها وهمية لاتزال تلعب دوراً ولها أهميتها فى المجتمعات البدائية او التقليدية التى ظهرت فيها بصفة عامة ، ويبرر براون وجهة نظره فى أن الحياة الاجتماعية المنظمة لدى الكائنات الانسانية تعتمد على وجود بعض المشاعر او الاحساسات الدينية ، تلك التى تقوم بضبط سلوك الفرد فى علاقته بالآخرين ومن ثم بالمجتمع [١] .

ويرى دور كايم ان الشعائر الدينية هى تعبير عن وحدة المجتمع او النظام الاجتماعى ، وعن طريق تدعيمها وتقويتها للمشاعر والاحساسات التى يتوقف عليها تضامن المجتمعى والنظام الاجتماعى .

ويذهب "جورج لندبرج" الي أن الضبط الاجتماعى يعتبر أحد الوظائف الهامة للنظم الدينية وأن هذه الوظيفة تختلف الى حد كبير بإختلاف الاديان والعصور والمجتمعات ، ويعتقد ان رجال الدين يعتبرون طبقة إجتماعية كاملة من أهم وظائفها هى تربية الشباب وتعليمهم المحافظة علي تقاليد المجتمع والإشراف على ممارستها وتدعيم القيم والاعراف ، ولرجال الدين فى كل وقت ومجتمع مكانتهم كمعلمين وموجهين كما يمارس رجال الدين فى بعض الثقافات المهام السياسية والقضائية والتنفيذية ، وبناء عليه فإن الضبط الاجتماعى الرسمى يعد وظيفة كبرى للدين [٢] .

(1) See
Radcliffe Brown, Structure and Function in Primitive Society, Routelege & Kegan, London, 1965, pp. 151 - 157 .

(٢) سامية محمد جابر ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

وتختلف وتتعدد اساليب الضبط الدينى بإختلاف الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وكما سيتضح فى ضوء الخبرة الميدانية على النحو التالى :

أ - النسق الدينى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع البدوى

ويمكن اجمال اهم الملاحظات بصدد دور النسق الدينى فى عمليات الضبط الاجتماعى لظاهرة الإدمان فى المجتمع البدوى فى النقاط التالية :

١) الشخصية البدوية بصفة عامة متدينة بطبعها متوكلة علي الله ، مقبلة على الصلاه والعبادة مؤمنة بالقدرية وراضية عما تحمل الاقدار لها وأن الارزاق بيد الله وحده سبحانه وتعالى وبناء عليه فإن البدو من مختلف الطبقات العمرية يتلقون على كبار السن والعواقل من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية حب العبادة والاقبال على الصلاة فى مواعيدها وحب الخير للناس والتمسك بالتعاليم الدينية وإحترام الكبار وعطف الكبار على الصغار ولذا كان التراحم والتفاعل والتواصل الاجتماعى بين الاجيال المختلفة اشد قوة ، وهذا ما جعل نسبة الادمان بسيطة للغاية فى المجتمع البدوي عن النمط القروى إلى حد بسيط وعن النمط الحضرى إلى حد كبير وهذا أثر فى النهاية على إستقرار وتساند المجتمع وضبط الانماط السلوكية وحرص وخوف الأبناء والأحفاد من تفشى سر ادمانهم لأهلهم او من أبناء المجتمع بصفة عامة .

٢) يوجد لدى البدو عامة بعض التحريمات وبخاصة لشارب الخمر فهو منبوذ وإذا تكرر حدوث مشاكل من شارب الخمر يسارع كبار العائلة وعواقلها برفع الوصاية والحماية عنه ، بل قد يصل الامر الى حد "البراوة" والطرد من المجتمع وكذلك فى حالة تكرار السرقة من شخص واحد ، وهنا

.نجد ان المشاكل التى تنجم عن ادمان المواد المخدرة مثل الاعتداء على العرض او السرقة وما تطالعنا به الجرائد اليومية فى المجتمع القروى والحضرى يقابل بالجزاءات والتحريمات السالف ذكرها والتى كان لها اثر فى عدم انتشار انواع المواد المخدرة فى المجتمع البدوى عكس المجتمع الحضرى تماماً والقروى الي حد بسيط .

٣) عدم احساس البدو بصفة عامة بالفراغ الدينى ، ونجد أن البدو بصفة عامة يتميزون بتقربهم ومعرفتهم بغالبية تعاليم الدين الاسلامى ويتمسكون بها الى حد كبير عن الانماط المجتمعية الاخرى خاصة المجتمع الحضرى .

٤) الوصول الي مرحلة الادمان على أى من المواد المخدرة خصوصاً الحشيش والبيرة فى المجتمع البدوى لم يكن هروباً او تمرداً على التعاليم الدينية السامية حيث ان البدوى بعامة والمدمن بخاصة حريص ان يعيش فى بساطة وهدوء ولا يعرف أحد أى شىء عن احواله وبخاصة المالية حتى أقرب المقربين ولا يميل الى الاقتراض الا عند الضرورة القصوى وبحذر شديد .

٥) احتلال رجال الدين مكانة متميزة فى المجتمع البدوى وشدة ارتباط البدو بعامة بهؤلاء المشايخ او الوعاظ وكذلك العواقل الورعين من أبناء المجتمع ومن ثم فيشكلون قدوة لأبناء البادية يلجأون اليهم فى كثير من أمورهم الحياتية وغالباً ما تحل بما بعيد الانسجام والتكامل فى المجتمع .

٦) يحتل المرابطون من المرضى مكانة هامة فى مجالس الصلح فى المجتمع ويكون لهم دور هام فى الترضية للمعتدى عليهم وبخاصة فى حالة

تكرار انعقاد مجالس الصلح فى نفس الحالة ويحاول البدو بصفة عامة التقرب الى هؤلاء المرابطين تبركاً ويحاول الآخرون ان يكونوا قدوة لأبناء المجتمع البدوى ، هذا ان دل على شيء انما يدل على مدى تبجيل البدو بصفة عامة لأهل الدين او الرجال الصالحين عامة .

٧) هناك عدة عمليات تحدث فى المجتمع البدوى من شأنها اعادة التوازن والاستقرار وضبط سلوك اعضاء المجتمع مثل "أداء القسم" و "لقمة الزقوم" و "البشعة" وبناء عليه يخشى البدو بعامة ان يقع فى دائرة الادمان حتي لا ينفق قوته وثروته ومن ثم يقع فى براثن الجريمة والانحراف الذى قد يعرضه للمرور بمثل هذه العمليات التى تلعب دوراً هاماً فى إعادة التوازن والاستقرار فى المجتمع .

ب - النسق الدينى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع القروى

ويمكن إجمال اهم الملاحظات بصدد دور النسق الدينى فى عمليات الضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى النقاط التالية :

١) الشخصية القروية متدينة بطبعها فى أغلب الاحوال ومقبلة على الصلاة والعبادة وتقترب الى حد كبير من الشخصية البدوية فى الورع والتقوى والتمسك بالتعاليم الدينية والحرص علي التكافل الاجتماعى لجميع ابناء المجتمع ويحرص كبار السن فى القرية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية على غرس القيم والتعاليم الدينية ولقد كان لهذا أثره البالغ الاهمية فى عدم انتشار الادمان خاصة على الانواع المدمرة الا بنسبة قليلة للغاية فى المجتمع القروى .

٢) يوجد لدى أبناء القرية عامة والشباب خاصة بعض التحريمات

المتعلقة بالانحرافات السلوكية وشرب الخمر ولعب القمار ويقابل صاحب هذه السلوكيات بمشاعر الإزدراء والإحتقار والمقاطعة فى أغلب الاحوال وبناء عليه يحرص كثير من أبناء القرية على عدم الدخول فى دائرة ادمان الخمر لتحريمها شرعاً وعدم قبولها إجتماعياً .

٣) عدم إحساس غالبية أبناء القرية بالفراغ الدينى ، ونجد أن غالبية القرويين يتميزون بتوددهم الي رجال الدين والوعاظ وكبار السن من المتدينين ولقد كان لهذا اثره البالغ الاهمية فى عدم إنتشار الادمان بين معظم شباب القرية ورجالها خصوصاً الانواع المدمرة مثل الهيروين والماكس فورت .. الخ .

٤) يقوم القرويون بعدد من الطقوس والممارسات فى الاحتفالات الدينية والاعياد كنحر الذبائح وتوزيعها علي الفقراء وهذا له اثره البالغ الاهمية فى زيادة التواصل الاجتماعى والتكافل الاجتماعى وإعادة توزيع الفائض من الثروة تمسكاً بالتعاليم الاسلامية ومن ثم تحقيق ثمة الاستقرار والتوازن النفسى والاجتماعى للشخصية القروية عامة .

٥) الوصول الى مرحلة الادمان علي المواد المخدرة وبخاصة الحشيش والكينا والبيرة فى المجتمع القروى لم يكن هروباً من التعاليم الدينية او تمرداً عليها كما هو الحال فى الانواع الاخرى مثل الخمر والهيروين والحبوب المخدرة وانتشار الادمان على هذه المواد بين نسبة قليلة للغاية من الشباب الحرفى وبخاصة الذين سافروا للخارج او من لديهم فراغ دينى وعاطفى وإجتماعى او من لديهم مشاكل اجتماعية وبخاصة بعد إزدياد اتصال القرية بالمدينة بصورة او بأخرى .

٦) احتلال رجال الدين الورعين لمكانة متميزة فى المجتمع القروى وبخاصة فى نفوس الشباب والصبية والاطفال ومتابعة الدروس الدينية والندوات من خلال التليفزيون للمتعلمين وغير المتعلمين كان له اثر بالغ الاهمية فى ضبط سلوك ابناء القرية وعدم الدخول فى دائرة الادمان وبخاصة على الانواع المدمرة بعد متابعتهم للبرامج التليفزيونية التى توضح المخالفات السلوكية والجرائم التى قد يرتكبها من يصل الي مرحلة الادمان

جـ- النسق الدينى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع الحضرى

ويمكن إجمال أهم الملاحظات بصدد دور النسق الديني فى عمليات الضبط الإجتماعى لظاهرة الإدمان فى المجتمع الحضرى في النقاط التالية:

١ - يحتل كبار السن ذو النزعة الدينية وضعاً متميزاً داخل الأسرة وخارجها خاصة وأن كثيراً من المسنين فى تلك المرحلة العمرية يتفرغون للحياة الدينية تماماً ويعيشون حياتهم فى هدوء إنفعالى وعقلى مما يكون له أثره على حياتهم من جميع الجوانب وحياة المحيطين بهم ويكون لهؤلاء دور إرشادى فى أغلب الأحوال للشباب من الجنسين بضرورة الإلتزام بالقواعد السلوكية المألوفة ولكنه غير مقرون بنوع من السلطة إلا فى بعض الأسر التى تنتمى الى جذور قروية وبخاصة وأن سلطة كبار السن فى نمطى المجتمع البدوى والقروى تتخلل كل نواحى الحياة الى حد كبير .

٢ - يحرص أبناء المجتمع الحضرى بخاصة القادرون من مختلف الطبقات العمرية بالقيام ببعض الطقوس والممارسات فى الاحتفالات الدينية والمناسبات الاجتماعية المختلفة بنحر الذبائح بكثرة وتوزيعها على الفقراء

وتوزيع الأموال على الفقراء بقصد الزكاة وتقرباً الى الله ودائماً يحث كبار السن القادرون فى العائلات خاصة ذات الجذور القروية على البر والاحسان للفقراء سواء داخل دائرة القرابة أو خارجها .

٣ – يلعب نظام " اداء القسم " دوراً قليلاً جداً فى ضبط سلوك الافراد ويكون فى أقل الاحوال داخل الاسرة عكس الحال تماماً فى المجتمع البدوى والقروى وهذا الدور فى المجتمع الحضرى يقتصر على الأسر والعائلات المتمسكة بالتعاليم الدينية السامية .

٤ – تلعب المؤسسات الدينية المختلفة دوراً هاماً فى الارشاد والوعظ لمختلف الطبقات العمرية وهنا نجد بعض رجال الارشاد يحتلون مكانة فقهية علمية متميزة لدى الناس ويكون لوعظهم وإرشاداتهم الدينية أثر فى ضبط سلوك أبناء المجتمع الحضرى فى الخروج عن القواعد السلوكية الشرعية وبالذات إجتناب المحرمات وبخاصة تعاطى المواد المخدرة سواء أكان ذلك من خلال المساجد والكنائس المنتشرة فى المجتمع أو الوسائط التربوية الاخرى كالاذاعة والتليفزيون والمجلات الخ .

٥ – عدم تمسك الشخصية الحضرية الى حد كبير بالتعاليم الدينية سوى المسنين وبعض الأطفال والشباب من الجنسين الذين نشأوا فى بيئة سوية دينية وأولئك الذين دائماً يجدون أهلهم يؤدون الفرائض الدينية فى مواعيدها وهؤلاء بعيدون تماماً عن الدخول فى دائرة التعاطى ومن ثم الإدمان على أى نوع من المواد المخدرة .

٦ – يوجد بعض التحريمات فى المجتمع الحضرى متعلقة بتعاطى المواد المخدرة وبخاصة الخمور وكذلك الانحرافات السلوكية المختلفة وقد تواجه

بيعض الازدراء والاحتكار من قبل بعض ابناء المجتمع ولكن دون القدرة على ممارسة أى نوع من العقاب ، وهنا يكون العقاب عن طريق المؤسسات الرسمية وفى الحالات التى يقننها القانون الوضعى المصرى .

نلمس مما سبق إختلاف درجة تأثير الدين فى أعمال الضبط الاجتماعى والحد من ظاهرة الادمان فى الانماط المجتمعية المختلفة ذات الثقافات المتباينة فبينما نجد تأثيره فى غاية الاهمية فى النمط البدوى والقروى الى حد كبير ويقل حتماً كلما أخذ المجتمع بالحضرية كأسلوب للحياة .

٣ - النسق القرابى والضبط الإجتماعى لظاهرة الإدمان فى الثقافات المختلفة:

مما لاشك فيه أن في مصطلحات القرابة أموراً تحدد المنزلة الإجتماعية وليس مجرد علامات مميزة لبعض أجزاء البناء الإجتماعى أو مجرد أمور خاصة بتحديد النسب والإنحدار يحتم علينا الإهتمام بدراسة المنزلة الإجتماعية والمبادىء التى تقوم عليها العوامل المؤثرة فيها ، وبخاصة العوامل التى لها صلة وثيقة بالقرابة ، فالتمايز أو التفاضل الإجتماعى يقوم على عدد من العناصر أو المبادىء التى تختلف من مجتمع لآخر ، ولكن يبدو أن كل المجتمعات الإنسانية تجمع على مبدأين أساسيين للتمايز هما مبدأ الجنس ومبدأ السن ، ولسنا نقصد هنا الجنس والسن من حيث هما عاملان بيولوجيان ، وإنما المقصود هنا هو الإعتبارات الإجتماعية والثقافية التى ينطوى عليها هذان المبدأن ، وقد نشأت هذه الإعتبارات نتيجة لادخال بعض الخصائص الإضافية على هذين المبدأين ، وهى خصائص لها صلة قوية بقواعد السلوك المتبعة فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، بحيث أصبح

هذان المبدأن ليس فقط « معيارين » للمنزلة الإجتماعية بل وأيضاً « نوعاً » من المنزلة الإجتماعية فى ذاتها (١) .

وربما كان التمييز بين المنزلة التى يحتلها كل من الرجل والمرأة أوضح من المنزلة التى تقوم على أساس التفرقة تبعاً لاختلاف السن ، وهذا يتضح لنا بصورة جلية فى نمط المجتمع البدوى الى حد كبير للغاية والمجتمع القروى الى حد كبير حيث نجد هنا إعلاء للمكانة التى يحتلها الذكر من مختلف الطبقات العمرية وتفضيل لقيم الذكورة عن الأنوثة وما يترتب على ذلك من مجموعة الحقوق والواجبات نحو الجنسين من أبناء المجتمع وبين الجنسين بعضهما البعض .

وهناك من الشواهد الميدانية التى سنعرضها بعد قليل ستوضح ذلك ، وكيف تختلف تلك النظرة الى حد كبير فى نمط المجتمع الحضري بخاصة بعد خروج المرأة إلى مجال العمل والتخصص في تخصصات وقتية وإحتلالها لمراكز مرموقة وإشتغالها بالنواحي السياسية والخدمة العامة إلخ

وهذا إن دل على شىء إنما يدل على أن منزلة ومكانة ودور المرأة يقل أهمية فى الانماط المجتمعية التقليدية بينما تكاد تتقارب تلك المراكز والأدوار فى المجتمعات الأكثر تقدماً .

كما نجد أن مبدأ السن يلعب دوراً هاماً فى تحديد أنماط السلوك بين الأقارب وينعكس ذلك الي حد كبير فى مصطلحات القرابة وبخاصة القرابة التصنيفية ، وإذا كانت القاعدة العامة فى ذلك هى إظهار الإحترام نحو

---

(١) أحمد أبو زيد ، البناء الإجتماعى ، الانساق ، جـ ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧

الأشخاص الأكبر سناً فإن هذه القاعدة العامة تخضع هى ذاتها لكثير من العوامل التي تتحكم فى السلوك الفعلي أو الواقعى ، كما أن لها بعض الإستثناءات الهامة التى تجد لها تعبيراً فى مصطلحات القرابة ولا نقصد بالسن هنا السن الفسيولوجية التى تقاس بعدد السنين ، وإنما المقصود هو " الجيل " فالكلمة " جيل " دلالة إجتماعية معينة تتغلب على إعتبارات السن الحقيقية وذلك نظراً لان إنتماء الشخص الى جيل معين يحدد له نوع سلوكه وتصرفاته إزاء الأشخاص الآخرين الذين ينتمون الى الأجيال الأخرى بغض النظر عن فوارق السن الحقيقية ، فقد يتفق إثنان من الأقارب فى السن ، ومع ذلك يعتبران منتمين الى جيلين مختلفين كما هو الحال مثلاً بالنسبة للشخص وعمه الأصغر الذى قد يماثله أو حتى يصغر عنه فى السن (١) .

وبناء عليه يتحتم فى مثل هذه الحالات على هذين الشخصين وبخاصة في المجتمعات التقليدية (مثل البدوية والقروية) أن يتصرف أحدهما إزاء الآخر بطريقة تتفق مع المنزلة الإجتماعية التى يحتلها الجيلان اللذان ينتميان إليهما ، ولكن الصورة تختلف الى حد كبير فى نمط المجتمع الحضرى وهذا ما ستوضحه الدراسة الميدانية .

كما نجد أن كبار السن يحتلون مركزاً اجتماعياً ممتازاً فى كل المجتمعات الانسانية مهما تغايرت أبنيتها الاجتماعية والثقافية وينعكس ذلك فى قدرتهم على ممارسة نوع من السلطة التقليدية التى تنتمى بصورة أو بأخرى الى نمط السلطة القرابية التى يمارسها الاب أو الخال .

وعلى تنوع أنماط السلطة التقليدية التى يمارسها كبار السن والتى تأخذ

---

(١) أحمد أبو زيد ، مرجع سابق ص ٤٠٨ .

شكلا رسمياً وواضحاً فى المجتمعات القبلية بصفة خاصة ، فيعرف أولاد على كثيراً من الحقوق التى يتمتع بها أبناء الجيل الواحد إزاء أبناء الاجيال التى تسبقهم أو تليهم فى الظهور فى نسق التفاضل الاجتماعى للأجيال المتعاقبة فى القبيلة أو الوحدة السياسية القبلية الواحدة ، والتى تمتد لتشمل أبناء الاجيال الموازية أو المناظرة لها فى العائلات الاخرى (١) .

وبالرغم من وحدة الجيل التى تتمثل من مناداة أبناء الجيل الواحد كل منهم للآخر بلقب " أخى " مهما كانت درجة القرابة التى تربط بينهما وحيث يعبر أبناء الجيل الواحد عن وحدتهم وتمايزهم فى علاقاتهم بأبناء الاجيال الاخرى من خلال مصطلحات القرابة التصنيفية ، فان هناك فرصة لقيام نوع من الترتيب التفاضلى للمراكز التى يحتلها ابناء الجيل الواحد ، ليس بناء على مدى المسافات القرابية التى تفصل بين كل منهم والآخر ، ولكن بناء على مدى العمر الزمنى الذى يبلغه كل منهم ، فقد يحتل ابن العم من الدرجة الثانية أو الثالثة مركزاً اجتماعياً أعلى من المركز الذى يحتله الأخ الاكبر وذلك بالنسبة لابناء الجيل الواحد ، إذا كان ابن العم يكبر هذا الأخ سناً .

كما ان لوحدة الجيل فى النسق التفاضلى أهمية فيما يتعلق بالضبط الاجتماعى ونسق السلطة التقليدية حيث يتوقع من الشخص ان يحترم ويخضع لسلطة ابناء جيل الآباء والاجداد ، كذلك فالتعويض الذى يدفعه الشخص إذا قام بالاعتداء على ابناء الجيل الذى يسبقه ، هذا التعويض

---

(١) محمد عبده محجوب ، الضبط الإجتماعى فى المجتمعات القبلية " دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية " الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية ١٩٧٣ ص ١٨٠ - ١٨١ .

المادى يزيد كثيراً عن التعويض الذى يدفعه إذا قام بنفس الاعتداء على شخص من جيله ، كما يستطيع الشخص ان يعنف ابناء الاجيال التى تليه إذا رأى خروجهم على الانماط المثالية والتقليدية للسلوك فى المناشط الاجتماعية المتنوعة (١) .

فضلا عن ذلك يلعب نسق التفاضل القائم على وحدة الجيل فى مجتمع أولاد على دوراً هاماً فى توسيع مدى السلطة القرابية التقليدية ، حيث تربط وحدة الجيل بين الشباب والرجال والشيوخ من العائلات أو الوحدات القبلية السياسية المختلفة وهذا ما يعطى الحق للرجال والشيوخ فى القيام بممارسة نوع من الضبط والرقابة على سلوك الشبان على إختلاف الوحدات القبلية السياسية التى ينتمون اليها (٢) .

ويلعب نظام طبقات العمر دوراً هاماً فى نسق الزعامة والقيادة التقليدية فى مجتمعات شرق افريقيا ، كما ان وظائف القضاء والتشريع ترتبط فى الدرجة الاولى بانتماء الشخص الى طبقة من طبقات العمر خصوصاً إذا كان التنظيم القضائى يقوم على أسس انقسامية ، حيث يحدد مدى البعد القرابى الذى يفصل بين اطراف النزاع ، مدى ونوع الهيئة التى تختص بالنظر فى التسوية ، فنجد أنه إذا كان المتنازعون ينتمون الى عائلة وحدة ، فان كبار السن فى هذه العائلة هم الذين يقومون بتحديد نوع الترضية أو التسوية التقليدية للنزاع ، أما إذا خرج النزاع عن حدود العائلة الواحدة فان جميع الوحدات القرابية من نفس الدرجة يكون لها حق الاشتراك والادلاء

---

(١) محمد عبده محجوب ، مرجع سابق ص ١٨٢ .

(٢) محمد عبده محجوب ، مرجع سابق ص ١٨٢ - ١٨٣ .

بالرأى عن طريق كبار السن فيه . فى مجلس الصلح وتكون السلطة العليا للقرية كتجمع لوحدات قرابية مختلفة ، لقائد القرية الذى يستطيع بمساعدة المراضى الذين يرتضيهم المتنازعون من الجماعات القرابية المحايدة ، والذين يمثلون الجماعات المتنازعة وينظرون فى التسوية التى قد لا يرضى عنها أحد الطرفين ، وفى هذه الحالة يستأنف نظر النزاع أمام جماعة أو مجلس آخر يضم مزيداً من المحايدين الذين يصلون الى تسوية ترضى كل الاطراف ، ويقتصر دور القائد أو الزعيم التقليدى فى هذه الحالة على محاولة الحفاظ على التوازن بين الوحدات المتنازعة حتى يستمر نظر النزاع والوصول الى التسوية دون ان يؤدى الصراع الى تدمير وحدة الجماعة (١) .

وبناء عليه تأتى مصلحة الفرد فى الدرجة الثانية من مصلحة الجماعة ككل فى تسوية المنازعات داخل الجماعة أو بين الجماعتين من نفس الدرجة اللتين ترتبطان بصلة الجوار والمصاهرة حتى ان الجماعة التى ينتمى اليها المعتدى نفسه قد توقع عليه العقاب الذى يتراوح بين الضرب أو العزل أو الموت ، إذا رأت الجماعة ان اعتداء هذا العضو على الجماعات الاخرى سوف يؤدى الى الوقوع فى مشكلات مع تلك الجماعات المقابلة ، وتستطيع الجماعة ان تتفادى هذه المشكلات بالتخلص من هذا العضو وعن طريق كبار السن الذين يمثلون الجانبين والمراضى الذين يتفقون على مقدار الدية التى يعنى قبولها إلتزام الجماعة المعتدى عليها بعدم المطالبة بالثأر أو

---

(١) محمد عبده محجوب ، الضبط الإجتماعى فى المجتمعات القبلية . " دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية " الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٧٣ . ص ١٨٦ – ١٨٧.

القصاص من الجاني . ويكون المراضي دائماً من كبار السن الذين بلغوا من العمر مرحلة تخلصوا فيها من اندفاع الشباب وتميزوا فيها بالقدرة على التفكير المحايد وغير المنحاز

أ - النسق القرابي والضبط الاجتماعي لظاهرة إدمان المواد المخدرة في المجتمع البدوي

ونلمس من واقع الخبرة الميدانية وظيفة النسق القرابي في الضبط الاجتماعي وإعادة التماسك والتوازن داخل المجتمع البدوى من خلال النقاط التالية:

١ – تميز كبار السن من نفس الجيل بنوع من التفاضل على الاجيال التي تليها ويكون لهم الحق في الارشاد والتوعية وممارسة نوع من السلطة التقليدية على تلك الاجيال التي تدنوها من ناحية العمر سواء داخل دائرة القرابة أو خارجها وخوف الاجيال من الكبار عامة .

٢ – خوف الشباب من كبار السن من نفس الاجيال التي ينتمي اليها جيل الآباء والاجداد داخل دائرة النسق القرابي أو خارجه بل على صعيد المجتمع ككل ، بل نجد ان الانحدار الابوى له من الاهمية بمكان في حرص الطبقات العمرية الصغرى من أولاد العم الكبار اكثر من الانحدار القرابي في خط الامومي ، وهنا يلعب الانحدار الابوى دوراً هاماً في تماسك وضبط سلوك الافراد نحو بعضهم البعض والالتزام بعدم الخروج على القواعد السلوكية التي قننها المجتمع البدوى وبصفة خاصة في مجال التدخين وتعاطي المواد المخدرة بصفة عامة

٣ – يحدث نوع من التفاضل بين قيم الذكور والانوثة فى المجتمع البدوى حيث يتم إعلاء قيم الذكور عن الانوثة ويبدو ذلك واضحاً وجلياً فى طبيعة الاعمال التى تقوم بها المرأة من مختلف الاعمار ولا يمكن ان يقوم بها الرجل من مختلف الاعمار وكذلك الاعمال التى يقوم بها الرجل من مختلف الاعمار دون المرأة ، فضلا عن المراكز والمكانة التى يحتلها كل من الجنسين فى النسق القرابى ، بل وعلى صعيد المجتمع وهنا نلمس كيف ان معيار الجنس قد حدد مجموعة من الالتزامات والحقوق الواجبة للطبقات العمرية نحو بعضها البعض من الجنسين كما سبق القول ، وهذا جعل سلطة الذكور على الإناث من مختلف الطبقات العمرية تقلل كثيراً من الخروج على القواعد السلوكية المألوفة أو أى إنحرافات سلوكية ومن ثم الدخول فى دائرة التعاطى لأى من المواد المخدرة وبالتالى الإدمان ..

٤ – يفضل البدويون الزواج الاندوماجى أى الزواج من داخل المجتمع أى من نفس القبيلة أو حتى من نفس العائلة حيث ان المستوى الاجتماعى والمادى فى أغلب الاحوال يكون متوازياً والزواج الأكسوجامى (أى من خارج العائلة والمجتمع) ، وإذا كان لابد من الزواج فيكون فى أغلبه من حظ الذكور حيث يمكنهم الزواج من الوافدات خاصة من وادى النيل أو المدن الكبرى ، أما البنات ففى أقل الاحوال يتزوجن من غير البدو ويفضل البدو إذا تم ذلك أن يكون الازواج من أبناء الصعيد نظراً لتقارب الطباع والعادات والتقاليد الى حد كبير .

٥ – تأتى مصلحة الجماعة فى المرتبة الاولى عن مصلحة الفرد فى كل الامور الحياتية التى تمس افراد المجتمع البدوى بصفة عامة .

٦ - حدد المجتمع البدوى مجموعة من التحريمات بشأن الزواج والعلاقات الجنسية وفقاً للاعراف البدوية المستقاه من الشريعة الاسلامية السمحاء ويبدو ذلك واضحاً فى مسألة " مسك بنت العم " والتى لا تزال موجودة فى الغالبية العظمى من المجتمعات البدوية حيث لا يتم زواج بنت العم إلا بعد أخذ موافقة أبن عمها وله الحق فى المطالبة بالزواج منها حتى وهى فى طريقها الى بيت زوجها ، ثم القواعد والنصوص العرفية المقررة بصدد المخالفات السلوكية الجنسية وحالات الاعتداء على العرض الخ . وهذا كله من شأنه ان أحدث نوعاً من الضبط الاجتماعى لخروج الافراد عن القواعد السلوكية المألوفة فى المجتمع البدوى وبالتالى قلة العوامل والدوافع الموصلة الى الدخول فى دائرة الإدمان بخاصة على الانواع المدمرة .

٧ - يلعب نظام تعدد الزوجات دوراً هاماً فى الضبط الاجتماعى وعدم إنتشار المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالدخول فى دائرة التعاطى ومن ثم الإدمان حيث آن تعددالزوجات لا يشكل مشكلة فى المجتمع للرجل خاصة كبار السن حتى لو كانت الزوجة موجودة حيث تلعب الزوجة الاولى دور الحماة لباقى الزوجات وحتى عندما يود الزوج ان يتخلص من أى الزوجات فيبقى دائماً على الزوجة الاولى والاخيرة حيث ان الاولى هى الجدة والام الكبرى للجميع أما الصغيرة لكى تنجب له ما يحمل اسم العائلة ويحافظ على استمرار الانحدار فى الخط الابوى .

٨ - حرص البدو عامة والمدمنين بخاصة على عدم الاقتراض من ذويهم

داخل النسق القرابى فيفضل البدوى عامة الاقتراض من خارج درجات القرابة العاصبة بالذات حتى لا يتعرض للوم والازدراء والاحتقار وقد ينال مثل هذه العقوبات لو فضح أمره خاصة لو كان اقتراضه من خارج العائلة.

٩ - يلعب نظام طبقات العمر دوراً هاماً فى مجتمع البحث فى الضبط الاجتماعى فلقد لاحظت ان انتماء المتنازعين الى عائلة واحدة يجعل المسنون من نفس العائلة هم الذين يقومون بتحديد نوع الترضية أو تسوية النزاع ، أما إذا كان المتنازعون من أكثر من عائلة فإن جميع الوحدات القرابية من نفس الدرجة أو الطبقة العمرية أو الجيل الواحد لها حق الاشتراك والادلاء بالرأى عن طريق كبار السن فى مجلس الصلح ، كما يمكن الاعتراض على رأى المجلس ومطالبة عقد مجلس صلح آخر يكون فيه الاطراف المحايدون عددهم أكثر وهذا النظام ما يسمى فى النظام القانونى الحديث (رد المحكمة) وفى أغلب الاحوال يصلون فى النهاية الى ترضية يوافق عليها كل أطراف النزاع وبناء عليه نجد المسنون يشكلون صمام الأمان فى المجتمع البدوى .

١٠ - يلعب نظام طبقات العمر دوراً هاماً فى تقسيم العمل فى المجتمع البدوى وتوزيع الادوار والمراكز بناء على ذلك بصورة محددة وقاطعة وحاسمة وبالتالى عدم الجواز على حقوق الغير والإستقرار الإجتماعى والتوازن النفسى وبالتالى ممارسة الطبقات العمرية داخل النسق القرابى نوع من الضبط كل الطبقات التى تدنوها .

١١ – يلعب نظام طبقات العمر دوراً هاماً فى أداء الواجبات والالتزامات الاجتماعية فى المناسبات المختلفة حيث نجد ان كبار السن هم الذين يقومون بأداء الواجبات والالتزامات ويكون لهم الصدارة فى حالة تقديم الهدايا سواء أكانت ملزمة أو غير ملزمة ، كما ان حضور الافراح يلزم الطبقات العمرية بالجلوس فى أماكن دون أخرى ويكون الطبقات العمرية المختلفة على مسافات من بعضها خاصة المناسبات التى يتم فيها تعاطى البيرة أو المخدرات وهذا من شأنه المحافظة على عدم الخروج على الأنماط السلوكية المألوفة بعد تلك الممارسات .

١٢ – يوجد فى المجتمع البدوى نظام " البراوة " وهذا يحدث فى حالة السرقات المتكررة من جانب الفرد أو حالة تناول الخمور وتكرار احداث مشاكل بعد الوصول الى حالة السكر كالاعتداء على البيوت خاصة بيوت العائلات الاخرى التى لا تدخل فى درجات القرابة التصنيفية وهنا تضطر العائلة الى رفع الوصاية والحماية على هذا الشخص ويحدث نظام "البراوة" ويصبح الشخص عرضة لأى عقاب أو انتقام من العائلات الاخرى دون ان تطالب عائلته بأي ترضية أو أخذ الثأر له أو الدفاع عنه .

ب - النسق القرابى والضبط الاجتماعى لظاهرة الإدمان فى المجتمع القروى

ويمكن إجمال وظيفة النسق القرابى فى الضبط الاجتماعى لظاهرة إدمان المواد المخدرة وإعادة التماسك والتوازن داخل المجتمع القروى من خلال النقاط التالية :

١ – تميز كبار السن من نفس الجيل بنوع من التفاضل على الاجيال التى تليها ويكون لهم الحق فى الارشاد وممارسة نوع من السلطة التقليدية

على الاجيال التى تدنوها من ناحية العمر ويظهر ذلك بصفة خاصة فى العائلات القوية وكذلك الاسر الممتدة .

٢ – خوف الصغار والشباب من كبار السن من نفس الاجيال التى ينتمى اليها جيل الآباء والاجداد داخل النسق القرابى بصفة خاصة فى الاسر الممتدة ، ونجد ان الانحدار القرابى فى خط الذكور يلعب دوراً هاماً يفوق الانحدار الامومى فى تماسك وضبط سلوك الافراد نحو بعضهم البعض والالتزام بعدم الخروج على القواعد السلوكية التى قننها المجتمع ، ولكن قد يلعب الانحدار الامومى دوراً هاماً فى الضبط فى بعض الا... التى يتفوق فيها الانحدار الامومى فى الثروة والجاه والسلطة عن الانحدار الابوى وبخاصة فى الاسر الفقيرة .

٣ – وجود نوع من التفاضل بين قيم الذكورة والانوثة فى المجتمع القروى ، بل ان إنجاب الذكور يعطى مكانة متميزة للمرأة عن تلك التى تنجب إناثاً فقط ، بل قد يتكرر زواج الرجل من إمرأة أخرى فى حالة إنجاب المرأة لإناث فقط ، ونجد هذا التمايز واضحاً كذلك فى طبيعة الاعمال التى يقوم بها الرجل والمرأة من مختلف الاعمار وكذلك الحقوق والواجبات التى تقع على كل من الجنسين تجاه بعضهما البعض وهذا ساعد كثيراً على ممارسة الذكور لنوع من السلطة ومراقبة سلوك الإناث من الذكور بصفة عامة حتى ولو كانت الانثى أكبر سناً .

٤ – يفضل القرويون الزواج الداخلى من نفس العائلة خاصة فى العائلات ذات الجاه والثروة خوفاً من انتقال الثروة للعائلات الاخرى ولكن بعد تدفق تيار الهجرة من القرية والسفر للخارج وتحقيق إنجاز مادى

لبعض الشباب وبناء عليه بدأت علاقات النسب والمصاهرة تأخذ الطابع المادى فى أغلب الاحوال دون النظر لاعتبارات اجتماعية أو ثقافية وهذا شجع البعض على الخروج عن القواعد السلوكية المألوفة .

٥ – تلعب الشائعات والاقاويل دوراً هاماً فى ضبط سلوك الافراد بخصوص المخالفات والانحرافات السلوكية (السرقة – الزنا – تعاطى المواد المخدرة)، بل قد تصل الامور فى بعض الاحوال الى العقاب البدنى والقتل وبخاصة حالات الزنا ووصل الحد فى بعض حالات الإدمان الى الحبس فى البيوت حتى تماثل المدمن للشفاء .

٦ – تقل مكانة كبار السن فى حالة تكرار زواجهم خاصة فى حالة وجود الزوجة الكبرى على قيد الحياة وهنا يواجه بجحود الابناء والاحفاد خوفاً من انتقال الميراث للزوجة الجديدة وابنائها . وهنا نجد إختلافاً واضحاً ففى حين ان نظام تعدد الزوجات يجعل المسن البدوى يعيش حياة أكثر استقراراً وتفاؤلاً نجد على النقيض فى المجتمع القروى الى حد كبير والمجتمع الحضرى الى حد كبير للغاية وتبدأ المشاكل تدب داخل الأسر الممتدة وتتفكك ومن ثم ينجرف الأبناء والحفاد عن القواعد السلوكية المألوفة .

٧ – عدم حرص القرويين على الاقتراض من خارج نسق القرابة ، فالقروى يقترض من الشخص الذى يثق فى أنه لا يرد طلبه سواء كان جاراً أو قريباً أو صديقاً الخ ويكون هناك إلتزام شفوي ولكنهم الآن يفضلون ان يكون التزاماً مكتوباً ويحرص القروى على عدم الدخول فى دائرة الانحراف من أى نوع وبخاصة دائرة التعاطى على أى نوع من المواد

المخدرة حتى لا يضطر الى الإقتراض والإحتياج للغير

٨ – يلعب نظام طبقات العمر دوراً هاماً فى تقسيم العمل فى المجتمع القروى وتوزيع الادوار بناء على ذلك بصورة جازمة وقاطعة وحرص الطبقات الصغرى على الإلتزام بالقواعد السلوكية المألوفة داخل دائرة القرابة وخارجها .

٩ – تحتل مصلحة الجماعة المرتبة الاولى عن مصلحة الفرد وبخاصة فى الاسر الممتدة ، وعدا ذلك فمصلحة الفرد توضع فى المرتبة الاولى خصوصاً لأولئك الذين يعيشون فى أسر نووية أو بعيداً عن القرية .

١٠ – يلعب نظام طبقات العمر دوراً هاماً فى أداء الواجبات والالتزامات الاجتماعية فى المناسبات المختلفة حيث نجد ان كبار السن من العائلات المختلفة فى القرية هم الذين يقومون بأداء الواجبات والالتزامات ويكون لهم الصدارة فى حالة تقديم الهدايا سواء أكانت هدايا ملزمة أو غير ملزمة ولا يقعدهم عن أداء الواجب سوى المرض العضال وفى الغالب يوكلون من ينوب عنهم وهذا له أثره فى إلتزام الطبقات الصغرى بالانماط السلوكية المألوفة وعدم الخروج عليها خوفاً من العقاب .

جـ - النسق القرابى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع الحضرى

ويمكن اجمال وظيفة النسق القرابى فى الضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان واعادة التماسك والتوازن داخل المجتمع الحضرى من خلال النقاط التالية :–

١ – يتميز كبار السن من نفس الجيل الى حد بسيط بنوع من التفاضل على الاجيال التى تليها ويكون لهم الحق فى الإرشاد وممارسة نوع من السلطة التقليدية خاصة فى الاسر التى تنتمى الى جذور قروية ، ولكن عدا ذلك لا نجد نوعاً من السلطة او ابسط صور القسر الا داخل نطاق الاسرة الصغيرة وبالذات عندما يحتل الكبار مركزاً ادبياً ومادياً مرموقاً فى المجتمع وكذلك فى حالة احتياج الابناء والاحفاد لاعالة الاباء والاجداد .

٢ – خوف الصغار والشباب من كبار السن فى محيط الاسرة النووية فقط وعلى مستوى العائلة الى حد بسيط فى حالة الاسر التى تنتمى الى جذور قروية مرتبط بالاحتياج للكبار والخوف من ضياع الثروة والحقوق خاصة فى حالة وجود ممتلكات للعائلة ذات ملكية جماعية وهذا الخوف مقرون بالمصلحة فقط وليس بناء على الإلتزام بالمعايير والقيم الخلقية فى أغلب الأحوال .

٣ – عدم وجود نوع من التفاضل بين قيم الذكورة والانوثة فى المجتمع الحضرى إلا فى اضيق الحدود خاصة فى الأسر التى تنتمى الى جذور قروية خاصة بعد زيادة الاقبال على تعليم الاناث اسوة بالذكور وعملها بمختلف الاعمال التى يعمل بها الذكور ومن التخصصات المختلفة ، بل بدأت المرأة تزاحم الرجل فى مختلف قنوات العمل المتاحة فى المجتمع الحضرى ، ويخضعون جميعاً لنظام الضبط الاجتماعى الرسمى من خلال مختلف الهيئات الرسمية التى يتبعونها فى شتى المجالات وهذا قد أعطى مزيداً من الحرية للمرأة فى التصرف فى شئونها وعدم ممارسة نوع من السلطة التقليدية عليها فى أغلب الأحوال وهذا كان أحد الأسباب الرئيسية وراء زيادة نسبة ادمان النساء فى المجتمع الحضرى عن الأنماط المجتمعية

الأخرى وبالذات الأنواع المدمرة

٤ – عدم تفضيل الزواج من داخل العائلة بل بدأت تظهر معايير جديدة تؤثر على نظام الزواج كالمركز الادبي والمركز المادى وعوامل مثل الجمال والمصلحة والمنفعة المتبادلة وطمعاً في ثروة الرجل او المرأة .

٥ – تلعب الشائعات والاقاويل دوراً بسيطاً في ضبط سلوك الافراد بخصوص المخالفات والانحرافات السلوكية بصفة خاصة لمن ينتمون الى جذور قروية وفيما عدا ذلك لا يكون لها الا اثر قليل للغاية وهذا يعد من العوامل التى أدت الى زيادة نسبة الادمان بين الذكور والإناث فى المجتمع الحضرى عن الأنماط المجتمعية الأخرى

٦ – تقل مكانة وتبجيل واحترام كبار السن عند زواجهم وبخاصة فى حالة وجود الأم الكبرى أو الجدة خوفاً من انتقال الثروة للزوجة الجديدة وابنائها ويظهر جلياً فى الاسر التى تنتمى الى جذور قروية ، اما إذا كان الآباء او الاجداد لا يملكون ثروة يخشى عليها فيفضل الابناء والاحفاد وزواج الأب أو الجد وبخاصة لوكانت امهم أو جدتهم متوفاه حتى لا يشكل عبء عليهم فى تقديم العناية والرعاية له .

٧ – تحتل مصلحة الفرد المرتبة الاولى عن مصلحة الجماعة حيث يعيش كل انسان فى هذا المجتمع فى اغلب الاحوال من منطلق المنفعة المادية ويعطى الاعتبارات الاجتماعية مرتبة ثانية فى اهتماماته .

٨ – يحتل كبار السن الاثرياء مكانة متميزة داخل نسق القرابة وخارجه بل وعلى صعيد المجتمع ككل ، وهنا نجد لقراراتهم صدى فى اى مكان يحلون به ويعد هذا من العوامل الهامة فى ضبط سلوك الطبقات العمرية التى تدنوهم

٤ - النسق السياسى والضبط الاجتماعى لظاهرة إدمان المواد المخدرة فى الثقافات المختلفة

تتطلب دراسة النسق السياسى فى أى مجتمع من المجتمعات التعرف على الدور الذى يقوم به كل نسق من الانساق الاجتماعية الاخرى فى توطيد واقرار النظام فى المجتمع وفى إتخاذ القرارات وتشكيل العلاقات بين الناس فى الداخل والخارج ، ولكن هناك مع ذلك فرقاً كبيراً بين ان نقول ان لكل نسق ، وان لكل نظام اجتماعى جانبه السياسى الذى يقوم به ، وبين ان نميز فئة من الظواهر والعلاقات والمناشط الاجتماعية على أنها ظواهر وعلاقات ومناشط سياسية فى المحل الاول ، ثم ندرس ذلك النوع من التنظيم على أنه تنظيم سياسى ، فالمهم إذن هو الكشف عن الخصائص الاساسية التى تميز ذلك التنظيم السياسى عن غيره من التنظيمات الاجتماعية ، حتى تلك التى تؤدى وظيفة سياسية واضحة فى حياة المجتمع . فالمسألة هنا إعطاء الاوليات وهو الاساس الذى يقوم عليه فى الاصل التصنيف بين النظم ، فالعائلة فى المجتمعات القبلية تقوم بوظيفة هامة فى النسق السياسى نظراً لانها هى التى تشرف على فض المنازعات بين افرادها ، ومع ذلك فان العائلة تعتبر جزءاً من نسق القرابة وليست جزءاً من النسق السياسى وهكذا (١) .

ويمكن تلخيص العناصر الاساسية المميزة للسياسة والتنظيم السياسى التى تعكس لنا على العموم وجهة نظر معظم علماء الانثروبولوجيا فى النقاط التالية:

---

(١) احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعى ، الانساق ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ص ٤٧٥

١ – فكرة المحافظة على النظام فى المجتمع كهدف للسياسة ، وربما كانت هذه الفكرة عامة وغير محددة تماماً ويشوبها بعض الغموض وذلك على أساس ان كل الانساق والنظم الاجتماعية تهدف بشكل أو بآخر الى تماسك المجتمع وتقوم بوظيفتها المحددة نحو تلك الغاية ، ولن يتسنى لأى نسق من العلاقات الاجتماعية ان يؤدى هذه الوظيفة إلا عن طريق الاسهام فى المحافظة على النظام واقراره داخل المجتمع . فالمصالح الاقتصادية والعلاقات القرابية وما اليها لها وظائفها المباشرة فى الميدان الاقتصادى والعائلى على التوالى ، ولكنها فى الوقت ذاته تساعد على توطيد الاوضاع القائمة فى المجتمع وتعمل على تدعيمها ، إلا أن هذا الدور الذى تقوم به الانساق الاجتماعية المختلفة فى مجال المحافظة على النظم والاوضاع السياسية السائدة فى المجتمع لا يعطينا الحق فى اعتبارها انساقاً سياسية بمعنى الكلمة أو أن وظيفتها الاساسية وظيفة سياسية ، وذلك بعكس مجموعة العلاقات والمناقشات التى تهدف بصورة مباشرة ومنذ البداية الى تحقيق ذلك النظام والمحافظة على تلك الاوضاع وتدعيمها ولذا فانها تؤلف ما نسميه بالنسق السياسى [1] .

٢ – فكرة الاقليمية ، بمعنى ان النسق السياسى يرتبط بالضرورة باقليم معين بالذات وبالناس الذين يعيشون فى ذلك الاقليم ، فالتنظيم السياسى لا يقوم فى فراغ وإنما يقوم فى مجتمع محلى له معالمه وخصائصه الواضحة المميزة . وهذا هو ما يقصده رادكليف براون حين يوجه النظر فى تعريفه الى الاطار الاقليمى الذى يعمل التنظيم السياسى على إقرار وتوكيد النظام

(١) احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعى ، الانساق ، ج٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ص ص ٤٧٥ – ٤٧٦ .

فيه . فكل الانساق السياسية بغير استثناء لها إطار إقليمى وينطبق ذلك على المجتمعات البسيطة مثلما ينطبق على المجتمعات المتقدمة وإن كان أكثر وضوحاً فى الاخيرة ، ولقد كان من السائد ان البدو الرحل مثلا والجماعات التى تعيش على الجمع والالتقاط أو على قنص الحيوان تتألف من قبائل أو حتى من زمر اجتماعية صغيرة متناثرة لا تكاد ترتبط بأى إقليم محدد بالذات نظراً لكثرة إنتقالها من مكان لآخر ، ولكن الواقع أن لكل قبيلة من قبائل البدو الرحل كما هو الحال بين عشائر أولاد على فى الصحراء الغربية وكذلك قبائل السعادى فى برقة (ليبيا) - أقاليمها وأراضيها الخاصة (الوطن) التى تعود اليها من رحلاتها الطويلة ، كما ان لها علاقات قوية بهذا " الوطن " تتمثل فى استغلالها لأرضه والمنازعات التى تنشب بين العشائر المختلفة على هذه الارض وحقوقها فى تلك الاراضى وعدم السماح لغيرها من القبائل والعشائر الاخرى باستغلالها إلا بإذن منها ، وهذه العلاقات كلها تؤلف جزءاً من النسق السياسى [١] .

وتبدو أهمية عنصر الاقليمية بالذات عند دراسة العلاقات السياسية المجردة بل " الوحدة السياسية " لنتعرف على خصائصها ومقوماتها وعلاقتها بغيرها من الوحدت كما هو الحال فى النظام الانقسامى وبخاصة فيما يتعلق بفكرة الانشقاق والالتحام ، ولا يعنى هذا ان العلاقات السياسية هى مجرد انعكاس للعلاقات الاقليمية أو تعبير عنها ، فالنسق السياسى على العكس من ذلك يتضمن فى ذاته علاقات اقليمية ثم يضفى عليها المعنى السياسى الخاص [١] .

(١) احمد أبو زيد ، مرجع سابق ص ٤٧٦ - ٤٧٧

٣ - فكرة استخدام القوة الفيزيقية أو التهديد باستخدامها لتحقيق النظام فى المجتمع ، وهذا العنصر لم يجمع عليه كل علماء الاجتماع والانثروبولوجيا . إلا ان هناك من العلماء من يعتبرون ان استخدام القوة الفيزيقية هو اهم عنصر مميز للتنظيم السياسى من غيره من أشكال التنظيم الاجتماعى الاخرى ، وعلى الرغم من أنه قد يكون من المبالغة والمغالاه قبول هذا الرأى فانه من الصعب انكار أهميته أو التهوين من شأنه ، وربما كان أهم مايؤخذ على الاهتمام الزائد بهذا العنصر هو أن الالتجاء الى القوة الفيزيقية المنظمة لا يتحقق إلا بوجود بناء يتألف من مجموعات وهيئات ووحدات سياسية متخصصة هى التى تستخدم هذه القوة فى المجتمع ، وهذا معناه بالضرورة قصر وجود التنظيم السياسى على نوع معين بالذات من المجتمعات التى تؤلف دولة State Societies - بحسب التعبير الشائع فى الكتابات الانثروبولوچية - وأن أى وسيلة أخرى من وسائل إقرار النظام لا تعمد على القهر لا تعتبر بذلك داخلة فى نطاق السياسة والتنظيم السياسى ، وإذا كان ڤيبر Weber يرى ان من الصعب تعريف السياسة بمجرد الهدف إلا ان هناك انساقاً اجتماعية أخرى تساعد على تحقيق واقرار فى المجتمع دون ان تلجأ الى القوة ، وأنه ليس من الضرورى ان تكون كل سلطة قاهرة فى المجتمع جزءاً من التنظيم السياسى إلا إذا كانت فى الوقت نفسه معبرة عن رأى المجتمع (١) .

وبوجه عام تميل حياة الاشخاص فى علاقاتهم وفى تفاعلهم مع بعضهم

---

(١) أحمد أبو زيد ، مرجع سابق ، ص ص ٤٧٧ - ٤٨٨ .

البعض كأعضاء فى جماعة واحدة يتخذون من إقليمها مسرحاً للأدوار التى يقومون بها فى المناشط الاجتماعية المتنوعة ، وكذلك حين يكون هؤلاء الاشخاص ينتمون الى جماعات متمايزة فان حياتهم تميل الى ان تتخذ الطابع النمطى دون ان يعنى هذا ان يكون الشخص عبداً لمجموعة معينة من العادات والتقاليد التى يحددها العرف أو القانون اللذين يصنعان قيماً معينة تحدد الانماط المثالية للسلوك وأنواع التوقعات ، وذلك لأن الشخص يستطيع دائماً ان يمزق قواعد العرف والقانون التى تنظم ذلك السلوك وتحدد تلك التوقعات (١) .

ولكن هناك انماطاً معينة من العلاقات التى تقوم بين الاشخاص فى المراكز المتمايزة حيث تنطوى هذه العلاقات على مشروعية قيام بعض من هؤلاء الاشخاص بممارسة سلطة منظمة لقسر غيرهم على الخضوع لبعض المعايير أو القواعد العامة ، وخاصة حين يصدر عن هؤلاء ما من شأنه أن يهدد النظام والأمن فى الجماعة ككل . وانطواء مثل تلك العلاقات على مشروعية القسر يجعلها ذات طابع خاص يميزها عن بقية العلاقات الاجتماعية الاخرى التى قد تقوم بين نفس الاشخاص لاحتلالهم مراكز اخرى فى مجال التنافس الاقتصادى أو من خلال روابط القرابة أو المصاهرة مثلا ، فتلك العلاقات تتميز بكونها علاقات سياسية ، وهذا يعنى بقول آخر اعتبار قيام مشروعية القسر كشرط أساسى فى قيام العلاقات السياسية بين أشخاص الجماعة المتمايزة . فالوحدة الاقليمية قد تكون إطاراً لتجمع إنسانى قد يتمتع بوجود مثل هذه السلطة أو قد يفتقر الى

---

(١) محمد عبده محجوب ، الضبط الاجتماعى فى المجتمعات القليلة ، ودراسة فى الانثروبولوجيا السياسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢ .

وجودها ، ولكن هذا التجمع يتسم فقط بكونه تجمعاً سياسياً حين تمارس فيه هذه السلطة المنظمة (١) .

ولما كانت الدولة أو الجماعة السياسية إنما تحافظ على نظامها الاجتماعى حين تعاقب هؤلاء الاشخاص الذين يعتدون على القوانين التى تنظم مظاهر السلوك والتفاعل الاجتماعى بين أعضاء الجماعة المحلية ، ومن ثم فيجب أن تملك هذه الدولة أو الجماعة السياسية سلطة القمع ضد هؤلاء الخارجين على القانون والنظام من أعضائها ، كما يجب عليها أن تقف دائماً مستعدة لاستخدام القوة ضد الوحدات الاخرى المماثلة إذا أتت تلك الوحدات ما من شأنه أن يهدد استمرار نظامها السياسى وهى تفعل هذا إما لكى تحافظ على نظامها القائم أو لتوجد نظاماً جديداً ، فهذا يعنى أنه فى دراسة التنظيم السياسى لمجتمع معين على الباحث أن يعنى بدراسة القانون والحرب كمظهرين من مظاهر التنظيم والتعبير عن العلاقات السياسية(٢) .

وتختلف وتتعدد اساليب الضبط فى النسق السياسى بإختلاف الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة ويتضح ذلك من المعالجة التالية :-

أ - النسق السياسى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع البدوى:

ويمكن اجمال اهم الملاحظات المتعلقة بدور النسق السياسى فى الضبط الاجتماعى لعملية الادمان فى المجتمع البدوى فى النقاط التالية :-

---

(١) محمد عبده محجوب ، مرجع سابق ، ص ٢٤

(٢) محمد عبده محجوب ، مرجع سابق ، ص ٢٥

١ – ارتباط القبائل او العائلات فى المجتمع البدوى بوطن معين او اقليم معين وتضع القبيلة او العائلة يدها على الارض والآبار والمراعى التى تقع فى حوزتها ويكون لها حق الاستغلال والانتفاع بها ولا يمكن لأى فرد او عائلة استغلالها او الانتفاع بهذه الموارد الا بعد الاستئذان من القبيلة او العائلة ويوجد بالقانون العرفى درايب ونصوص تقنن تلك النواحى وبما يحقق التوائم الاجتماعى والاستقرار والامن فى المجتمع وبناء عليه لا يستطيع أى فرد فى المجتمع البدوى حتى لو كان مدمناً الاعتداء على حقوق الغير كما هو الحال فى المجتمع الحضرى .

٢ – يمكن أن يحتل شاب عنده ٢٥ – ٣٠ عاماً مركزاً هاماً فى قبيلته نتيجة تصرفه الواعى وادراكه لكافة الامور الحياتية فى المجتمع البدوى ويحضر مجالس الصلح فى حضور الكبار ويعتبرون ذلك شرفاً لهم وتؤول الى هذا الشاب مقاليد السلطة السياسية ويأخذ مركز الزعيم وبناء عليه يجبر الشباب على إمتثال القدوة من هذا الشاب وعدم الخروج عن القواعد السلوكية المألوفة .

٣ – يحتل المسنون وضعاً متميزاً لما يقومون به من ادوار لها اهميتها فى النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية وهذا يجعلهم يحتلون طبقة متمايزة ويتمتعون بنفوذ وسلطة اعلى من الطبقات العمرية المختلفة فى المجتمع البدوى حيث ان مقاليد السلطة والثروة تتمركز فى ايديهم ولذا يحرص الصغار والشباب من شرب السجائر أمام المسنين او الكبار بصفة عامة .

٤ – يسعى العواقل والمشايخ من البدو عند سماعهم بوجود مشكلة ما

فى اى مكان ولا ينتظرون ان يأتى لهم المتنازعون ولا يهدأ بال لكبار السن الا عند عودة الوئام والتفاهم والتساند فى المجتمع وهذا إن دل على شىء إنما يدل على مدى حرص الكبار على ضبط أنماط السلوك لمختلف الطبقات العمرية حتى لا يحدث ما يعكر صفو الحياه فى ذلك النمط المجتمعى .

٥ - يراقب البدوى دائماً ابنه وحفيده بل وجميع ابناء القبيلة من بعيد ودائماً يكون الصغير تحت اعين الكبار ومن هنا يكون الطفل والشاب حريص فى أن يأتى بأى أنماط سلوكية تخرق القواعد المألوفة الا فى الخفاء وبعيداً عن أعين الكبار ولهذا لا يمكن بأى حال من الاحوال ان نجد بعض الشباب يدخنون او يتعاطون الحشيش او البيرة او الخمر على مسمع ومرأى من الكبار داخل النسق القرابى او خارجه وهنا نحس بإمتداد المسئولية السياسية للوحدة الثأرية فى المجتمع البدوى عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى ، والى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

٦ - تلعب عملية " النزالة " دوراً هاماً فى حقن الدماء واعادة الاستقرار والوئام الى المجتمع البدوى ، نظراً لما تضعه من شروط وبنود تقنن الحدود الاقليمية التى يتحرك فيها النازلون والانماط السلوكية التى يجب ان يتبعونها عند رغبتهم فى قضاء بعض المصالح كالذهاب للمستشفى بعد استئذان المنزول عليهم لهم من عائلة او قبيلة المعتدى عليه ، وكذلك السوق لهم محدود .. الخ من الشروط التى فى اتباعها تساعد كثيراً العواقل والمشايخ فى اتمام الصلح بين الطرفين المتنازعين .

٧ - يتم عمل احتفال كبير فى حالة الصلح ويحضرون هلوب من بقرة

وعشر نعجات والدية المتفقون عليها وتنحر الذبائح ويأكل الجميع ، وفى حالة اخذ الثأر من جانب المعتدى عليه بعد الصلح يدفع الدية التى أخذها وهلوب بقرة وعشر نعجات ولا يجوز له نزالة حيث ان البادى اظلم ويتم هذا الجزاء حتى تحسم الخلافات بصورة فورية والعمل على حقن الدماء ونشر الامن والاستقرار فى المجتمع .

٨ – تلعب عملية " البراوة " دوراً هاماً فى استتباب الامن والإستقرار وضبط سلوك الافراد نحو بعضهم البعض ونحو المجتمع حيث ترفع وصاية القبيلة او العائلة عن الشخص فى حالة ارتكابه المتكرر لاحداث الجرائم المخلة كالسرقة المتكررة او السكر المتكرر المصحوب بأحداث مشاكل وقلقلة والاعتداء على بيوت اعضاء المجتمع .

٩ – امكانية رد المجلس العرفى كما هو الحال فى رد المحكمة فى المجتمع الحضرى ، عند الاحساس بالظلم لاحد الطرفين ويتم عقد مجالس صلح عرفية اخرى تضم عدداً كبيراً من المراضى والعواقل من العائلتين المتنازعتين والمهم ان يصلوا فى النهاية الى الصلح واعادة الاستقرار للمجتمع .

١٠ – استعانة هيئات الضبط الرسمية فى اغلب الاحوال بكبار السن من العائلات لو كان احد الاطراف المتنازعة لاتمت للمجتمع البدوى بصلة ، ويحل بالفعل كبار السن والمراضى المشكلة وتبارك الهيئات الرسمية هذا التصرف وهنا تتفوق وسائل واساليب الضبط غير الرسمى عن اساليب الضبط الرسمى

١١ – يصبح من العار والخزى فى جبين المجتمع البدوى وصول اى

مشكلة لمراكز الشرطة او الهيئات الرسمية وبالتالى المحاكم وما يتبعها من اجراءات روتينيه معقدة ولذا يحرص المسنون بعدم خروج الامور من زمام ايديهم .

١٢ – ترك بعض القضايا للنظر فيها من قبل جهات وهيئات الضبط الرسمية مثل قضايا السرقة والاتجار بالمخدرات فقط ولكن باقى القضايا تحل من خلال بنود ونصوص القانون العرفى .

١٣ – قدرة العواقل وكبار العائلات عى متابعة وتنفيذ القرارات التى يصل اليها المجلس العرفى واستخدام القسر والاجبار على تنفيذ الجزاءات والعقوبات التى اقرها المجلس وهنا يلعب المسنون من كبار العائلات والعواقل دوراً هاماً كسلطة تشريعية وتنفيذية فى الآن عينه تسهيلاً للإجراءات وعدم تشتت الامور بين السلطتين كما يحدث فى المجتمع القروى والمجتمع الحضرى .

ب - النسق السياسى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع القروى

ويمكن اجمال اهم الملاحظات عن دور النسق السياسى فى الضبط الاجتماعى فى المجتمع القروى فى النقاط التالية :

١ – بدأت تتقوض الى حد كبير سلطة كبار السن فى العائلات المختلفة فى المجتمع القروى وبخاصة العائلات التى فتت الى اسر نووية وبالتالى الى تفتت ملكية الاراضى الزراعية والمواشى .. الخ ، الا ان سلطة كبار السن لاتزال لها وضع فى الاسر الممتدة الى حد كبير ، وكذلك بداية ظهور طبقة جديدة من الملاك بدأت تحتل مكانة هامة فى القرية المصرية لتمركز الثروة

فى يد هذه الفئة ونمارس نوعاً من السلطة على الطبقات العمرية التى تدنوها او تكبرها داخل النسق القرابى او خارجه وللأسف ان هذه الطبقة هى التى تخرج عن القواعد السلوكية المألوفة وبالذات التعاطى ومن ثم الادمان على الحشيش والخمر والحبوب المخدرة وحالات قليلة للغاية الهيروين

٢ - تلعب مجالس الصلح التى يتم انعقادها فى القرية اسوة بما يتم فى المجتمع البدوى دوراً بسيطاً ولكن الملاحظ ان معظم هذه المجالس تلعب فيها المصالح الخاصة وسلطة فئة الملاك الجدد وبخاصة من جيل الشباب ومتوسطى العمر دوراً هاماً فى فرض قراراتهم على احد المتنازعين خاصة لو كان فقيراً وبناء عليه فقد الشباب القروى القدوة والمثل الاعلى ومن ثم أخذ طريقه للإنحراف والدخول فى دائرة التعاطى ومن ثم الادمان

٣ - عدم خوف الصغار الشباب بصورة كبيرة عن ذى قبل وبخاصة فى الاسر النووية وإن كان يوجد بعض الخوف من سلطة الكبار فى الأسر الممتدة فهى لدواعى اقتصادية مثل المحافظة على الميراث والثروة وعدم الحرمان منها فى حالة العصيان والتمرد على سلطة الكبار ، وعدا ذلك لا نجد التزاماً إلا أدبياً فى أغلب الأحوال ولا يكون مقروناً بسلطة فعلية إلا فى أحوال قليلة كما سبق القول

٤ - إختفاء بعض العادات الراسخة فى القرية المصرية التى كانت تدل على الاحترام والتبجيل والخوف والحرص على مرضاة الكبار وجذب عطفهم مثل الخوف من التدخين أمام الكبار بصفة عامة داخل النسق القرابى او خارجه . بل المشكلة الآن ان بعض الشباب قد يتعاطى المخدرات والبيرة

والخمر احياناً مع الطبقات العمرية التى تكبره وبخاصة أولئك الذين أتيحت لهم فرص السفر الى الخارج وتحقيق ثمة إنجاز مادى وممارسة بعض الانماط السلوكية التى تدل على الخروج على القواعد السلوكية المألوفة فى القرية فى البلدان التى سافروا اليها ومن ثم استمرارية هذه الانماط السلوكية ، وأكاد أجزم أن بعض هؤلاء الشباب كانوا وراء كثير من الانحرافات السلوكية والجنسية والدخول فى دائرة التعاطى والادمان وبخاصة للحبوب المخدرة بين بعض شباب للقرية والاقبال على مشاهدة الافلام المخلة بالآداب العامة عن طريق اجهزة الفيديو التى احضروها معهم ، وبالتالى بدأت تتقوض سلطة الكبار ومن ثم تدهور بعض القيم والعادات والتقاليد الاصيلة التى كانت تشكل سمات اساسية للقرية المصرية .

٥ – توجد بعض النظم التى من شأنها اعادة الاستقرار والأمن وحقن الدماء او تحقيق التوائم الاجتماعى فى المجتمع القروى مثل "نظام الثأر" و "نظام دفع الدية" .. الخ .

٦ – استعانة هيئات الضبط الرسمية فى بعض الاحوال بكبار السن من العائلات وبخاصة اولئك الذين يمتازون بالسمعة الطيبة وقوة النفوذ والتأثير بالإضافة الى عمدة القرية فى اعادة الاستقرار والتوازن خاصة فى تكرار حالات القتل والأخذ بالثأر بغية اعادة التوازن والاستقرار والامن فى المجتمع القروى .

٧ – تدخل هيئات الضبط الرسمية فى اغلب المنازعات التى تقوم بين ابناء المجتمع القروى وبالتالى تتفوق سلطة هيئات الضبط الرسمى عن

سلطة الضبط غير الرسمى فى اعادة الاستقرار والتوائم فى المجتمع القروى عكس الحال تماماً فى المجتمع البدوى .

جـ - النسق السياسى والضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع الحضرى

ويمكن اجمال اهم الملاحظات بصدد النسق السياسى ودوره فى الضبط الاجتماعى فى المجتمع الحضرى فى النقاط التالية :-

١ - تقل سلطة كبار السلطة داخل النسق القرابى وخارجة وبخاصة الفقراء او اصحاب المعاشات البسيطة ولكن سلطة كبار السن من الاثرياء واصحاب المعاشات الكبيرة واولئك القادرون صحياً ومادياً تزداد داخل الاسرة وخارجها خصوصاً لو كان الابناء والاحفاد محتاجين لهم وهذا يحدث نوع من الضبط الاجتماعى غير الرسمى لسلوك الابناء والاحفاد وعدم الخروج عن القواعد السلوكية المألوفة خاصة امام الكبار ويحرص الكبار هنا بمراقبة سلوك الصغار والشباب لتمتعهم بنوع من السلطة عليهم .

٢ - عدم إمتداد المسئولية السياسية لأفراد العائلة جميعاً ، بل تأخذ المسئولية الجنائية الطابع الفردى للخروج عن القواعد السلوكية المألوفة خاصة فى حالة المدمنين ، حيث انهم يكونوا منبوذين داخل النسق القرابى وخارجه بل على صعيد المجتمع ، وبناء عليه تكون مسئوليتهم عما يقومون به من أشكال تخرج عن القواعد السلوكية العامة مسئولية فردية يعاقب عليها من خلال السلطات الرسمية .

٣ - عدم خوف الصغار والشباب من الكبار داخل الاسرة وخارجها كما

هو الحال فى المجتمع البدوى والمجتمع القروى وإنتشار التدخين أمام الكبار فى كثير من الاحوال ومن ثم الدخول فى دائرة الادمان كما ان تعاطى بعض الآباء والكبار أمام اولادهم للمواد المخدرة من شأنه أن أحدث شرخاً فى جدار التمسك بالقيم والعادات والتقاليد التى تحث على احترام الكبار من مختلف الطبقات العمرية ، وبناء عليه أصبحت أساليب الضبط غير الرسمى عقيمة ولا جدوى من دورها فى ضبط سلوك الافراد ، كما ان اساليب الضبط الرسمى تمارس دورها فى ضوء صعوبات وسلبيات كثيرة لا أجد المجال هنا متسعاً لذكرها .

٤ – لا تعقد أى مجالس صلح فى المجتمع الحضرى الا بصورة نادرة وإن عقدت مثل هذه المجالس تكون غالبيتها العظمى بين اولئك الذين لهم جذور قروية حيث لا تزال سلطة كبار السن بخاصة الأثرياء لها القوة والإلزام والتقدير فى أغلب الأحوال .

٥ – لا يوجد وطن خاص او منطقة بعينها تقع فى حوزة عائلة معينة وتفرض سلطانها فيما عدا حالات الملكية الخاصة لبعض الأسر وهى فى عمومها ملكية مسجلة من قبل الجهات الرسمية فى الدولة ، ومن فلجميع افراد المجتمع حق الانتفاع بالملكيات العامة للدولة فى ضوء القوانين المنظمة لحق الانتفاع والإستغلال ويتعرض من يخرج على ذلك لجزاءات وعقوبات متعددة يحددها القانون الوضعى المصرى .

٦ – تتوقف سلطة ونفوذ أبناء المجتمع الحضرى بصفة خاصة على المراكز التى يشغلونها ولكن فى أغلب الأحوال تفقد هذه المكانة بمجرد إحالة شاغل الوظيفة الى التقاعد ، حيث أن الخروج من الحياة العملية فى

المجتمع الحضرى محدد بسن معين عكس الحال فى المجتمع القروى والبدوى حتى لو كان الشخص قادرا على العطاء

٧ - لا توجد عمليات مثل " النزالة " و " البراوة " او " البشعة " فى المجتمع الحضرى اسوة بالمجتمع البدوى والتى تحقق نوعاً من الضبط الاجتماعى لسلوك الافراد ، حيث أن السلطات والهيئات الرسمية ينوط بها عمل الاجراءات والتدابير التى من شأنها إعادة الإستقرار والأمن والتوائم الاجتماعى فى المجتمع .

٨ - غلبة أساليب الضبط الاجتماعى الرسمى بصورة منقطعة النظير على أساليب الضبط الاجتماعى غير الرسمى عكس الحال فى المجتمع البدوى الى حد كبير والقروى الى حد بسيط ومرد ذلك تعدد وتمايز الجماعات ذات الثقافات المتباينة وتضارب مصالحها وتنوع وتمايز المصالح والهيئات وكافة قطاعات الدولة .

٩ - يؤدى إستخدام القوة الفيزيقية او التهديد بإستخدامها دوراً هاماً داخل مراكز البوليس فى ضبط سلوك بعض الخارجين عن القانون او أخذ اعترافات ترتبط بإعادة الأمن والإستقرار فى المجتمع ولابد من التنويه الى دور رجال الأمن بصفة عامة والشرطة المتخصصة فى مجال مكافحة المخدرات فى محاولة الاقلال بصورة كبيرة وبجهود مضنية من دخول مستهلكين جدد الى دائرة الإدمان عن طريق ضبط الخارجين على القانون ومن تجار المخدرات .

مما سبق نستنتج عدة نتائج نجمل أهمها فى النقاط التالية :

١ - المدمن بصفة عامة مهما إختلف إنتماؤه الاجتماعى والثقافى عبارة عن شخص غير عادى وغير سوى لم يستطع ان يتفاعل ويتكيف مع ظروف حياته الاجتماعية خصوصاً وأن المخدرات بدأت تنتشر بين كل الطبقات الاجتماعية والمهنية والعمرية المختلفة مما جعلها تشكل ظاهرة خطيرة تعصف بحياة المجتمع المصري عامة .

٢ - المدمن على المواد المخدرة وبالذات الانواع المدمرة له نفسياً وجسمياً وإجتماعياً وإقتصادياً مثل الهيروين والمورفين والافيون والكوكايين مريضاً وليس مجرماً ويحتاج الى علاج نفسى وإجتماعى وتضافر جهود متعددة تعمل فى معية وتناسق وتناغم من أجل إنقاذه .

٣ - المدمن فى المجتمع البدوى هو مدمن البيرة فى المحل الاول ثم يأتى الحشيش فى المرتبة الثانية يعقبها الحبوب المنشطة والافيون خصوصاً كبار السن ثم الخمرة الى حد بسيط ، إلا أن مدمن الهيروين لا يوجد إلا فى حالات قليلة للغاية ، إلا أن المدمن الشاب البدوى ليس له مزاج أو كيف محدد فقد يدمن على البيرة والحشيش والحبوب المنشطة خصوصاً الاثرياء وبناء عليه لا يشكل المدمن البدوى أى خطورة على المجتمع فيما عدا مدمن الخمر ولما يحدثه من قلاقل وإضطرابات فى بعض الاحيان لاهله وجيرانه ونادراً ما يدمن البدوى على الانواع المدمرة لخوفه منها ولشدة إعتزازه بنفسه وكرامته وتقديره لذاته وخشية من الاذلال والضعف وكذلك خشيته من المجتمع والمحيط الثقافى البدوي .

٤ - يأتى إدمان الحشيش فى المرتبة الاولى فى المجتمع القروى ثم

الافيون ويأتى بعد ذلك مدمن الخمر والبيرة وينتشر إدمان الحبوب المخدرة بين شباب القرية خاصة ، كما تزداد نسبة مدمنى الهيروين عن مثيلها فى المجتمع البدوى وبخاصة بين الحرفيين وطبقة الاثرياء من الشباب وهنا يشكل المدمن خطورة لامكانية إرتكابه جرائم جديدة على القرية المصرية .

٥ – إزدياد نسبة ادمان الحبوب المخدرة والهيروين فى المجتمع الحضرى بصورة كبيرة عن الانماط المجتمعية الاخرى ويأتى بعدها الحشيش والافيون وهنا تكمن خطورة المدمن فى المجتمع الحضري نظراً لاتساع المدينة والتنوع والتمايز الاجتماعى والثقافى والعرقى بين أبنائها .

٦ – التكوين الاجتماعى للمدمن فى المجتمع البدوى أكثر إستقراراً كما أنه أشد إرتباطاً بأهله وذويه عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى وعكس الحال تماماً بالنسبة للمجتمع الحضرى وهذا يعد أحد الاسباب الاساسية والجوهرية وراء إزدياد خطورة المشكلة فى هذا النمط الحضرى عن الانماط المجتمعية الخرى .

٧ – إختلاف أسباب ودوافع الوصول الى مرحلة الادمان فى الثقافات المختلفة وهذا مرده الاساسى إختلاف التوجيه الثقافى والنظرة الاجتماعية للمدمن نفسه على مختلف المواد المخدرة وقد تم ذكر الاسباب والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية المختلفة التى أدت الى إنتشار الادمان فى كل نمط مجتمعى على حده .

٨ – إختلاف العوامل التى أدت الى إنتشار مواد مخدرة دون أخرى فى المجتمع البدوى والقروى والحضري كالعوامل الطبيعية والعوامل الثقافية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. إلخ .

٩ – عدم إنتشار الادمان على أي مادة مخدرة بين الاناث من كل الطبقات العمرية في المجتمع البدوى فيما عدا شرب البيرة لدواعٍ صحية حيث يشربها الكبار والصغار كما لو كانت شاياً وهذا بالعكس الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير في المجتمع الحضري حيث نجد إنتشار تعاطى مختلف أنواع المخدرات بين الاناث من مختلف الطبقات العمرية ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها إنتشار الطلاق وخروج المرأة الى العمل والاحتكاك المباشر بمختلف وسائل الاتصال السمعية والبصرية وزيادة الجنوح والطموح المادى للمرأة فى ذلك النمط المجتمعى عن النمطين الآخرين .

١٠ – عدم إنتشار المواد المخدرة بين الشباب البدوى خصوصاً على الانواع المدمرة كالهيروين أسوة بشباب الانماط المجتمعية الاخرى ومرد ذلك العادات والتقاليد ونظرة المجتمع للهيروين وعدم إقبال البدو على الاتجار فيه وعدم التنوع والتمايز العرقى والمهنى ووجود الشباب دائماً تحت دائرة المراقبة مادياً وإجتماعياً عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروي والى حد كبير في المجتمع الحضرى .

١١ – عدم إنتشار أى أنواع للمواد المخدرة في المجتمع البدوي خصوصاً الحبوب المخدرة بين تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية عدا بعض حالات تدخين السجائر رغم إنتشارها بين تلاميذ تلك المراحل في المجتمع القروى عنها فى المجتمع البدوى وتزداد بنسبة كبيرة بين قرنائهم فى المجتمع الحضرى .

١٢ – إرتباط الادمان على مواد مخدرة دون أخرى بالمهنة والتنقل المهنى والتنقل الاجتماعى وقد ورد ذكر ذلك تفصيلياً فى متن البحث .

١٣ – لقد أدى إختلاف أساليب وأماكن التعاطى فى الثقافات المختلفة الى قلة إنتشار الادمان على المواد المخدرة وبخاصة المدمرة فى المجتمع البدوى الى حد كبير وكذلك في المجتمع القروى ، فى حين إنتشارها بصورة أكبر فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك الاحتياطات والتحذيرات المرتبطة بالقيم والمعايير والتقاليد البدوية والتى تقترب منها الى حد كبير مضامين الثقافة القروية فى حين تختلف تلك الامور فى المجتمع الحضرى الى حد كبير .

١٤ – الثقافة البدوية حددت تحديداً واضحاً وحاسماً طبيعة الادوار والمراكز بين الاجيال المختلفة عكس الحال الى حد بسيط فى الثقافة القروية والى حد كبير بالنسبة للثقافة الحضرية وهكذا أبعدت أبناء البادية عن عوامل الصراع والمنافسة والتناحر والفردية وعدم التجانس وعدم الثقة والشك والريبة والتى أصبحت تصبغ طابع العلاقات الاجتماعية فى الانماط المجتمعية الريفية الى حد ما والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

١٥ – الثقافة البدوية كانت وراء عدم إنتشار المواد المخدرة الخطرة كالهيروين والمورفين وحقن الماكس والخمر عكس الحال الى حد بسيط بالنسبة للثقافة القروية وعكس الحال تماماً بالنسبة للثقافة الحضرية التى سمحت بمتناقضتها لكل انواع المواد المخدرة من الانتشار ولكل الفئات العمرية .

١٦ – الثقافة البدوية لم تكن عاملاً مساعداً ، بل عامل معوق فى الوصول الى مرحلة الادمان وبخاصة على الانواع المدمرة عكس الحال الى حد بسيط بالنسبة للثقافة القروية وعكس الحال تماماً للثقافة الحضرية .

١٧ – أن الثقافة البدوية بكل مضامينها وعناصرها المختلفة كانت تشكل دائماً عوامل هامة في الضبط الاجتماعي غير الرسمي لسلوك الافراد وتنمية الوازع الديني والضبط الداخلي للبدو عامة والمدمنين بخاصة وكانت وراء عدم خروج البدو بعامة عن القواعد السلوكية والاعراف المألوفة قل ويعد الادمان عكس الحال الى حد بسيط بالنسبة للثقافة القروية وبخاصة في الاسر الممتدة وعكس الحال تماماً فيما أحدثته الثقافة الحضرية من خلل وعدم توازن نفسي وإجتماعي للشخصية الحضرية بصفة خاصة .

١٨ – أثبتت الدراسة أن المجتمعات التقليدية خصوصاً البدوية والقروية وبناء على أنساق الضبط الاجتماعي المتمثل في القواعد العرقية وإتساق القيم والعادات والتقاليد تلعب دوراً هاماً وحاسماً في الحد الى درجة كبيرة من إنتشار الانواع المدمرة من المواد المخدرة مثل الهيروين والكوكايين وهذا يعني أن هناك أنواع معينة دون أخرى مقبولة إجتماعياً وأخرى غير مقبولة إجتماعياً وهذا يرجع الى إختلاف رؤية أبناء تلك الانماط المجتمعية المختلفة الي خطورة بعض المواد دون الاخرى .

١٩ – يلعب النسق الاقتصادي دوراً هاماً في الضبط الاجتماعي لظاهرة الادمان في المجتمع البدوي بصورة أكبر عنها في المجتمع القروي وبالعكس تماماً في المجتمع الحضري من خلال نظام تقسيم العمل بناء على مجموعة المعايير الذاتية والموضوعية وإختلاف غلبة أحدهما على الأخرى من نمط مجتمعي الى آخر وكذلك نظام تمركز السلطة والثروة في يد كبار السن والعواقل في الانماط المجتمعية التقليدية عكس الحال في المجتمع الحضري ، كما أن نظام ملكية الاراضي وطبيعة الحقوق والواجبات المترتبة على ذلك وتحديد حقوق الإنتفاع والاستغلال وعدم إنتقال ميراث الارض

الى النساء بأى حال من الاحوال فى المجتمع البدوى عكس الحال فى المجتمع القروى والحضرى الى حد كبير مثل هذه الامور كان من شأنها عدم إنتشار وتعدد المواد المخدرة وبالذات الانواع المدمرة فى المجتمع البدوي عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروي والى حد كبير فى المجتمع الحضري .

٢٠ - يلعب النسق الدينى دوراً هاماً فى الضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى المجتمع البدوي بصورة أكبر عنها في المجتمع القروى الى حد بسيط وعنها فى المجتمع الحضرى الى حد كبير ويرجع ذلك لعوامل منها إتصاف الشخصية البدوية والقروية بالتدين والورع والتقوى بصورة أكبر عن الشخصية الحضرية وعدم إحساس البدوى والقروى بالفراغ الدينى كما هو الحال بالنسبة لاغلب الحضريين ، وعدم تمرد غالبية البدو والقرويين بصفة عامة على التعاليم الدينية ، كما أن الضبط الاجتماعى الداخلى يلعب دوراً هاماً في إلتزام البدوى والقروى بصفة عامة بالالتزام السلوكى والمحافظة على التعاليم الدينية السامية والالتزام بأداء القسم وتبجيل رجال الدين والابتعاد عن المحرمات عكس الحال الى حد كبير عن الحضرى وهنا نلمس تأثير الدين في الضبط الاجتماعى فى المجتمع البدوى والقروي الى حد كبير ويقل حتماً كلما أخذ المجتمع بالحضرية كأسلوب للحياة .

٢١ - يلعب النسق القرابى دوراً هاماً فى الضبط الاجتماعي لظاهرة الادمان فى المجتمع البدوى بصورة أكبر الى حد بسيط في المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى من خلال إختلاف دور ومركز المرأة من مختلف الاعمار في الثقافات المختلفة وكذلك مبدأ السن وأثره فى تحديد أنماط السلوك بين الاقارب وإنعكاسه فى مصطلحات القرابة وبخاصة

القرابة التصنيفية وإحتلال كبار السن فى الانماط التقليدية مكانة ومركز أكثر أهمية عن قرانائهم فى المجتمع الحضرى وكذلك نظام طبقات العمر ونسق التفاضل القائم على وحده الجيل وأثره في توسيع مدى السلطة القرابية التقليدية فى الانماط المجتمعية التقليدية عكس الحال فى المجتمع الحضري ونلمس ذلك جلياً فى خوف الشباب من جيل الكبار بصفة عامة والتفاضل بين قيم الذكورة والانوثة وغلبة مصلحة الجماعة عن مصلحة الفرد وتفضيل الزواج الاندوجامى عن الزواج الاكسوجامى وكذلك التحريمات المتعلقة بشأن الزواج والعلاقات الجنسية وكذلك نظام تعدد الزوجات وتختلف هذه المور في الانماط المجتمعية المختلفة وبناء عليه يلعب النسق القرابى دوراً أكثر أهمية فى ضبط سلوك أبناء تلك المجتمعات التقليدية البدوية والقروية الى حدذ كبير عن المجتمع الحضرى .

٢٢ - يلعب النسق السياسي دوراً هاماً فى الضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان في المجتمع البدوىُ بصورة أكبر عنها فى المجتمع القروي عنها فى المجتمع الحضرى وذلك من خلال إرتباط القبائل أو العائلات فى نمط المجتمع البدوى والقروى الى حد ما بوطن معين أو إقليم معين تضع القبيلة يدها على الارض والآبار والمراعى عكس الحال فى المجتمع الحضري وما يتبع ذلك من حق الاستغلال والانتفاع ، وكذلك دور المشايخ والعواقل وكبار رؤوس العائلات فى حل المشاكل المختلفة فى الانماط التقليدية عكس المجتمع الحضرى ، كما نجد أن عملية " النزالة " والبراوة " ودور المجلس العرفى له القدرة على حل كافة النزاعات وبالتالى غلبة الضبط غير الرسمى عن وسائل الضبط الرسمى عكس الحال في المجتمع الحضرى .

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية للمدمنين في الثقافات المختلفة

تمهيد

الفصل السابع : أنماط العمل والإنتاج للمدمنين في الثقافات المختلفة

الفصل الثامن : أنماط التبادل بين المدمنين في الثقافات المختلفة

الفصل التاسع : أنماط الإستهلاك والإدخار للمدمنين في الثقافات المختلفة

الفصل العاشر : أنماط الملكية للمدمنين في الثقافات المختلفة

الحياه الاقتصادية للمدمنين فى الثقافات المختلفة

تمهيد:

اجد من الضرورى قبل الخوض فى غمار الحياه الاقتصادية وعمليتها المتعددة والمتنوعة للمدمنين من الجنسين فى الثقافات المختلفة ان نعرض لخصائص الحياه الاقتصادية للانماط المجتمعية المحلية المختلفة التى اخترت نماذج منها للدراسة الميدانية حتى يتسنى لنا فهم ابعاد الحياه الاقتصادية وعلاقتها بالبناء الاجتماعى الذى يحيا بداخله المدمنون فى كل نمط مجتمعى حده على النحو التالى :

أولا: خصائص الحياه الاقتصادية فى المجتمع المحلى شبه البدوى:

١ - التعقيد :

ولاحظت من خلال دراستى للمجتمع المحلى شبه البدوى بمنطقة العامرية والذى يقع ضمن مجتمعات المنطقة السياحية أنه مجتمع شبه بدوى فلم يعد الرعى هو الحرفة او المهنة الرئيسية اسوة بسكان النجوع ، ثم ان الزراعة بدأت تتنوع وتتبع نظام الدورة الزراعية ، وبدأ يظهر انشطة اخرى كالتجارة على مختلف انواعها ، ثم اتجاه بعض البدو للعمل فى الهيئات والمؤسسات التى اوجدتها الدولة جنبا الى جنب مع عمال وفنيين الوادى ، وبدأ الاهتمام بالاعمال الحرفية واليدوية والتى لا نجد لها أي اهتمام لدى سكان النجوع الداخلية .

٢ - التكنولوجيا وتقسيم العمل :

لقد بدأ استخدام التكنولوجيا الحديثة التى دخلت المنطقة عن طريق مؤسسة تعمير الصحارى والهيئات الاخرى من المحراث الميكانيكى والجرارات الزراعية وماكينات الرى والحصاد والسيارات بمختلف انواعها وخلافه ، بل الغريب ان بعض البدو من اصحاب رؤوس الاموال والذين استطاعوا شراء بعض من هذه المعدات الحديثة واستصلحوا مساحات كبيرة من الاراضى واستعانوا الى جانب المعدات الحديثة بالعمال الوافدين من الصعايدة والفلاحين ومرد ذلك خبرتهم ومهاراتهم العالية فى العمليات الزراعية المتنوعة والتى يفوقون فيها البدو .

فضلا عن ذلك فقد لمست اثر المعايير الموضوعية التى بدأت تتحكم فى تقسيم العمل الى جانب المعايير الذاتية بعد تعليم البدو لابنائهم وبناتهم فى بعض الاحوال الى ان وصلوا للجامعة ، ثم اقبالهم على تعليم ابنائهم الحرف والمهن وتشجيعهم على ذلك ، فلقد كان يعتبر البدو على سبيل المثال قسم الميكنة الزراعية وما يتبعه من جراجات وورش فى مؤسسة تعمير الصحارى بمنطقة برج العرب بمثابة مدرسة لتخريج المهنيين المهرة والسائقين من البدو ومنهم من استمر فى العمل بالمؤسسة ومنهم من عمل لحسابه الخاص بعد التدريب .

انظر :

(١) محمد يسرى إبراهيم دعبس ، تنمية الموارد البشرية فى المجتمع البدوى ، دراسات فى الانثروبولوجية الاقتصادية ، دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ ، ص ص ٢٣ - ٣١ .

(٢) محمد يسرى إبراهيم دعبس ، أوضاع المسنين فى الثقافات المختلفة ، دراسة انثروبولوجية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ .

٣ – الاعتماد المطلق على السوق :

يعتمد المجتمع شبه البدوى خاصة فى المناطق الساحلية على السوق اعتماداً كلياً بل أن الذهاب الى السوق فى أيامه المحددة والمتعددة حسب تنوع السلع من الأهمية بمكان إقتصادياً فلكل سلعة سوق محدد تباع فيها ويوم محدد لكل سوق ، لذا فلابد من الذهاب لكل الأسواق لشراء مختلف السلع التى يحتاج اليها البدو – فضلاً عن أهمية الذهاب للسوق من الناحية الاجتماعية بإعتبارها وسيلة سهلة لنقل الاخبار ومكان لعقد الزيجات وحل المشاكل والمنازعات كما سلف الذكر ، بل أن هؤلاء البدو باتوا يعتمدون إعتماداً كبيراً على المدن القريبة خاصة الاسكندرية سواء بالنسبة للتجار خاصة أو البدو عامة وكان لسهولة المواصلات أثر كبير للغاية فى سهولة انتقال السلع من تلك المناطق للأسكندرية وبالعكس .

٤ – الملكية الفردية

لقد كان لقوانين الدولة المتتابعة بشأن تنظيم ملكية الأرض فى الصحراء الغربية خاصة القانونين ١٢٤ لسنة ١٩٥٨ ، ١٠٠ لسنة ١٩٦٤ أثرهما الواضح فى إنتشار الملكيات الفردية بصورة كبيرة فى المناطق الساحلية القريبة من المواصلات والطرق العمومية عن النجوع البعيدة ، بل بات الكثير من هؤلاء البدو يملكون ملكية فردية لمساحات كبيرة يزرعونها بإستخدام المعدات الحديثة وخبرات المزارعين الوافدين كما سلف الذكر .

٥ – من كلمة الشرف الى التعاقد المكتوب :

يتعامل هؤلاء البدو الآن بالكمبيالات والشيكات . وتكتب العقود على مختلف انواعها عن العمليات الاقتصادية كافة كبيع الأرض والمواشى كسمة

مميزة وحفظاً للحقوق بعد أن كانت كلمة الشرف تكفى والتى لا يزال البعض متمسكاً بها ، الا أنه من المؤكد انها ستختفى فى القريب العاجل تماماً مع إتساع دائرة علاقات اشباه البدو وزيادة اتصالهم الثقافى وإزدياد تعاملاتهم الإقتصادية والاجتماعية بالغرباء من مختلف الاصول العرقية .

٦ – إختفاء المفهوم التقليدى للدبيحة

لم تعد الدبيحة بالنسبة لأولئك البدو تمثل قيمة إجتماعية كما هو الحال بالنسبة لبدو النجوع البعيدة عن العمران والإتصال الثقافى ومرد ذلك عدم توفر الماشية وغلو أسعارها ، ولقد تم إحلال النقود محل الدبيحة فى كثير من الأحوال ، فالتحول الذى حدث للبناء الاسرى من العائلة الممتدة الى الأسر النووية – خاصة مع حالات الزواج من خارج نطاق المجتمع البدوى وإحلال القانون المدنى فى حل بعض المنازعات التى قد لا يستطيع العواقل

أنظر :

(١) محمد عبده موسى محجوب ، مقدمة فى الإتجاه السوسيوانثروبولوجى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ط٢ ، ١٩٨١ ، ص ص٥٧ ، ٩٥ .

(٢) محمد عبده موسى محجوب ، البترول والسكان والتغيير الاجتماعى "دراسة انثروبولوجية فى المجتمع الكويتى" ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الثالث ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٤ ص ص ١١٧ ، ١٣٤ .

(٣) فاروق مصطفى اسماعيل ، العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية "دراسة فى التكييف والتمثيل الثقافى" الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٥ ص ص ١٩٨ ، ٢١٤ .

(٤) فوزى رضوان العربى ، نظام الحياة فى المجتمع البدوى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص ص ١٢١ ، ٢٢٧ .

(٥) محمد يسرى ابراهيم دعبس ، تنمية الموارد البشرية فى المجتمع البدوى ، دراسة فى الانثروبولوجيا الاقتصادية ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب السابع ، ١٩٩١ .

حلها حسب القانون العرفى لأولاد على ، بالرغم من أن هذا فى حد ذاته بمثابة عار على المجتمع القبلى عامة ولكن للضرورة أحكام على تعبيرهم .

٧ – زيادة التنقل المهنى والجتماعي

يشهد المجتمع شبه البدوى تنقلاً مهنياً بالغ الاهمية حيث بات هؤلاء يتنقلون من المهن التقليدية الى المهن الأخرى خاصة فى جيل الأبناء . هذا فضلاً عن أن التنقل الإجتماعى الواسع نتيجة إنتشار الملكية الفردية التى جعلت بعضاً من هؤلاء البدو يشكلون الآن طبقة متميزة فى المجتمع البدوى ذاته .

ولما كانت القرية المصرية قد تناولها التغير الاجتماعى والثقافى بصور متفاوتة بين القرى بعضها البعض على مستوى الجمهورية فى جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كافة . فقلما نجد الآن قرية مصرية بالذات لم تتأثر بالتغيرات العميقة التى حدثت فى المجتمع المصرى عامة نتيجة تنوع وتعدد عوامل التغير بصفة عامة لذا أثرت أن أعرض الخصائص العامة للحياة الإقتصادية فى القرية الآن بوصفها نموذجاً متميزاً من المجتمعات المحلية كما يلى .

ثانياً - الخصائص العامة للحياة الاقتصادية فى المجتمع المحلى الريفى:

١ – التعقيد النسبى :

لم يعد العمل الزراعى هو العمل الوحيد ، بل انضم اليه اعمال متعددة ومتنوعة كالأعمال التجارية والصناعات التحويلية والنقل والبناء والنجارة والأعمال الإدارية على مختلف الأنواع بالإضافة الى الأعمال التخصصية

بين أبناء القرية كالمدرسين والأطباء والمهندسين والضباط عامة وكان مراد ذلك إنتشار التعليم على مختلف انواعه فى القرى المصرية عامة كما أن الإنتاج الزراعى بات متنوعاً هو الآخر وموجه الى السوق أكثر منه الى الإستهلاك وبناء على التوجيهات العامة لسياسة الدولة فى المجال الاقتصادى عامة والزراعى خاصة .

٢ – اللاتجانس النسبى :

تزايد عدد غير المشتغلين بالزراعة كالتجارة والصناعات المتعددة ولم تصبح ملكية الارض حكراً على المزارعين فقط بل دخلت عناصر أخرى غير مقيمة ايضاً فى ملكيتها كما أن زيادة عدد الذين لا يملكون ارضا جعلت المراكز الاجتماعية والاقتصادية تتمايز الى حد كبير اختلفت الاخذ بالحياه المدنية حسب الطبقة والمستوى بسن الناس ادى الى اللاتجانس وازدياد الفوارق بين القرويين او ان صح التعبير كل من يقطن على ارض القرية .

٣ – الفـــــردية :

لقد ادى ظهور النزعة الفردية فى كل مظاهر الحياه الى ان جعل باعث العمل فرديا وليس لصالح العائلة كما كان من قبل فيسعى القروى لتخطيط متكامل مع دائرة القرابة ، او خارجها بناء على مصلحته الخاصة ، ولقد ساعد على ذلك تفتت ملكية الارض خاصة وظهور الملكية الفردية سواء بقوانين الأصلاح الزراعى وما تلاها او نظام التوريث حسب الشريعة الاسلامية حيث نجد الاسرة اصبحت هى الوحدة الاقتصادية الآن وليست العائلة كما كان من قبل ، فاختفت ظاهرة العائلة الممتدة ، حيث انه كلما زاد الاستقلال زادت الفردية وكانت المصلحة اساس العلاقة وليست القوة .

٤ – ازدياد أثر السوق والاعتماد على المدينة :

بعد ان كانت اطراف الانتاج تتمركز فى الحاجة والسوق والمركز لذا كانت العائلة تركز فى انتاجها على نوعين من المحصيل ، محاصيل السوق ، ومحاصيل الاستهلاك إلا ان الاتجاه الغالب الآن وبعد تفتت الملكية وظهور اسر عديدة ليس لها ملكية اتجه الانتاج تبعا لذلك فى اغلبه نحو السوق (المحاصيل النقدية) ليس فضلا عن ان الانتاج لم يقتصر على الزراعة بل اتجه الى الانتاج الحيوانى او المنزلى المهم ان الانتاج الآن موجه فى اغلبه الى الربح المادى أكثر من الاستخدام الأسرى أو العائلى كما كان من قبل كما أن إزدياد أثر السوق نتيجة إزدياد الاقبال من جانب القرويين على النشاط التجارى والحرفى الى حد كبير .

٥ – من كلمة الشرف إلى التعاقد المكتوب :

وبدأ الناس بإزدياد المعاملات الاقتصادية وغلبة النشاط التجارى وإزدياد أثر السوق يتخلون تباعا عن كلمة الشرف فى هذا التعامل وبدأت الأوراق المالية هى التى تحكم العمليات الاقتصادية كافة الى جانب النقود ، وكان ذلك نتيجة إتساع حجم المعاملات الاقتصادية والاتصالات الاجتماعية والتفكك الاجتماعى عامة والعائلى خاصة .

٦ – المصلحة اساس التعاون :

لقد بات التعاون مع اختفاء الملكية الجماعية (المشاعة) ومع اختفاء ظاهرة العائلة الممتدة وتفتت العائلة الى اسر نووية ثم تفتت الارض نتيجة الميراث الخاص يقوم اساسا على مصلحة الفرد وليس كمظهر للتضامن العائلى والقرابى وصلة الجوار والصداقة .. الخ ولم يكن هناك الزام فى

التعاون بل دخل فيه عامل المصلحة أولا فوق كل اعتبارات ولهذا تقيس الاسرة فى العادة فوائد التعاون من اطراف التعاون .

أما الهدايا الملزمة فقد خرجت عن نطاق العائلة والقرابة وامتدت الى علاقات الجوار والنسب والصداقة واصبحت ذات أهمية إقتصادية أكثر منها إجتماعية ولهذا بات ينظر لها من حيث الكم والكيف .

٧ – القناعة المتغيرة :

لقد تغيرت نظرة القروى للمستقبل والحياه بعد أن تفتت العائلة واصبح رب الأسرة النووية هو المسئول عن أسرته الصغيرة ، يكافح ويخاف المجهول ويتنافس مع القرويين الآخريين فى كل من مجالات العمل الأخرى غير الرسمية لأنه يريد أن يحقق فائضا عما تحتاجه الأسرة لتحقيق الأمن لها ولقد كانت هذه السمة للحياه الاقتصادية من أهم العوامل التى أدت الى زيادة تيار الهجرة وزيادة الإتجاه نحو التعليم كتأمين لمستقبل الأولاد .

أنظر :

(١) صلاح العبد وآخرون ، " الكتاب السنوى الأول فى التنمية الريفية " ، دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية ، د.ت ، ص ص ١٩٣ – ٢١٤ .

(٢) غريب سيد أحمد ، علم الإجتماع الريفى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٠٩ – ١٤٠ .

(٣) محمد عاطف غيث ، " التغير الإجتماعى فى المجتمع القروى " دراسة فى محافظة الدقهلية القيطون وهلا وكفر الشيخ ، الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٥ .

(٤) محمد عاطف غيث " علم الاجتماع – النظم والتغير والمشاكل " دار المعارف ح ٢/١٩٦٧ ص ص ١٤٢ – ١٧٧ .

(٥) على فؤاد أحمد ، علم الإجتماع الريفى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ص ٥١ – ٦١

٨ – الإعتماد المتسع :

بدأت القرية الآن تعتمد على القرى المجاورة ، بل وتعتمد فى المقام الأول على المدينة فبدأ الإعتماد الواسع على السوق ليس فى القرية فحسب بل إمتد الى سوق المدينة فى الغالب وكلما زادت صلات القرى بالعالم الخارجى كلما كان هذا الإعتماد أصبح واسع النطاق وغير محدود .

ثالثا: خصائص الحياة الاقتصادية فى المجتمع المحلى الحضرى:

١ – زيادة التنوع :

يتميز المجتمع المحلى بكثرة وتنوع الأنشطة المتعددة ، إذ لا يوجد به نشاط زراعى او رعوى نظرا للظروف الايكولوچيةفى هذه المجتمعات ، إلا أننا نجد تنوعا واسع النطاق فى الأنشطة الإنتاجية الأخرى كالتصنيع على مختلف أنواعه وكذلك الأعمال التجارية الواسعة ثم الأعمال الحرفية على مختلف أنواعها والأعمال التخصصية والأعمال الإدارية على مختلف أنواعها ومرد ذلك إنتشار التعليم والتخصص فى شتى الميادين .

٢ – الإعتماد الواسع والتخصص وتقسيم العمل :

يكون الإعتماد فى مثل هذه المجتمعات قائما فى أساسه على الأخذ بأحدث الأساليب التكنولوچية وخلق الكفاءات والتخصصات المناسبة للإستفادة منها ، هذا فضلا عن أن المعايير الموضوعية (الشهادة – الخبرة – الكفاءة – التدريب) تتحكم فى تقسيم العمل بدرجة كبيرة تفوق المعايرد الذاتية (الجنس – الطبقة – العمر) .

٣ – اللاتجانس

وتعد خاصية اللاتجانس مردها الأساسى تزايد عدد المشتغلين بالمهن غير التقليدية سواء أكانت زراعية أو رعوية كما سلف الذكر وزيادة عدد المتخصصين فى مختلف المجالات وزيادة عدد المتعلمين وإنفتاح المجالات المهنية المتعددة وزيادة الإقبال عليها كل هذا أدى الى زيادة الفوارق بين أبناء المجتمع المحلى الحضرى وإختلاف وتمايز المستوى المعيشى والطبقى والثقافى فيما بينهم بما يستتبعه بالضرورة من ظهور سمة اللاتجانس .

٤ – الفردية

باتت الفردية هى سمة الحياه الاقتصادية والاجتماعية على السواء فالانسان مسئول عن نفسه ومسئول عن أخطائه ويعمل من اجل مصلحته الخاصة وليس من أجل مصلحة العائلة أسوة بالمجتمعات المحلية البدوية والقروية كما سلف الذكر ولقد ازدادت هذه النزعة تبعا لاختلاف نظرة الناس للثروة والملكية عامة كما ان الاستقلالية وانتشار الاسرة النووية كانت من أهم عوامل ظهور هذه النزعة فى المجتمع المحلى الحضرى .

٥ – الإعتماد المطلق على السوق :

يعتمد الناس فى المجتمع المحلى الحضرى إعتمادا كليا على السوق لسد إحتياجاتهم ومطالبهم وتتعدد المنشآت وتتنوع المؤسسات التى تقوم بين البائع والمشترى حيث ان السوق من وجهة النظر الاقتصادية هو كل مؤسسة تعمل على تقريب وجهات النظر بين البائع والمشترى لذا يلعب السوق دورا بالغ الأهمية فى حياة أبناء تلك المجتمعات .

٦ – الإعتماد المطلق على النقود والأوراق المالية :

لا يوجد إلا فى أحوال نادرة للغاية الإعتماد على كلمة الشرف ، بل أن الاقتصاد فى هذا النمط المجتمعى يقوم على المدفوعات النقدية أو الأوراق المالية التى يقوم محلها كالشيكات والكمبيالات والتى لها الصبغة القانونية ، ومرد ذلك عدم تجانس وتمايز الجماعات التى تقطن مثل هذه المجتمعات مما كان له أثر واضح فى ظهور الشك والريبة والخوف من الآخرين نظرا لاتساع دائرة العلاقات بين الناس جميعا .

٧ – الطموح المادى :

لقد بات الطموح المادى من أهم مميزات الحياة الاقتصادية فى المجتمع المحلى الحضرى بل أن هذا الطموح بات هو الدافع لأبناء تلك المجتمعات فى الإنجاز والدافعية فى العمل على مختلف أنواعه ، حيث تغيرت نظرة الفرد للمستقبل واصبح شغوفا بتحقيق الأمن والأمان له ولأسرته طوال العمر ، من هنا نجد أن القناعة كسمة مميزة للحياة الإقتصادية فى المجتمعات المحلية التقليدية الأخرى لا تظهر فى مثل هذه المجتمعات إلا بصورة قليلة جدا .

٨ – المنفعة أساس التعاون :

يقوم التعاون فى المجتمع المحلى الحضرى على أساس المنفعة وأن الفرد يسعى بكل ما يملك من أساليب لتحقيق منفعة خاصة ، بل أن الدخول فى مبادلات من أى نوع يكون الإعتبار الأساسى فيها هو المنفعة أو المصلحة بالإضافة الى الإعتبارات الإجتماعية التى تكون فى المرتبة الثانية . أقصد أن التعاون موجود ولكن بدافع المصلحة أو المنفعة الفردية بعيدا عن المنفعة

الجماعية .

٩ – زيادة التنقل المهنى والإجتماعى :

تتسم الحياة الإقتصادية والإجتماعية فى ذلك النمط الإجتماعى بزيادة التنقل المهنى بين الأفراد سواء فى المنشأة الواحدة أم التخصص الواحد أو بين كثير من الأعمال نظرا لتوفر فرص العمل بكثرة تبعا لتقدم الفرد وإنجازه ، وتعامله وكفاءته مما ساعد الفرد على أن يكون دائما فى موقف إختيار للأعمال المناسبة له فى أغلب الأحوال ثم أن الطبقة فى هذا المجتمع مفتوحة ومرنة يسهل الخروج منها والدخول إليها .

أنظر :

(١) محمد يسرى إبراهيم دعبس ، اقتصاديات مجتمع الإنفتاح ، السلسلة السوسيوانثربولوجية ، الكتاب السادس ، دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ ، ص ص ٢٨ ، ٣٠.

(٢) محمد يسرى إبراهيم دعبس ، أوضاع المسنين فى الثقافات المختلفة ، دار أم القرى للطباعة ، الاسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ص ٥٠ ، ٥١.

(٣) محمد عاطف غيث ، علم الإجتماع الحضرى ، مدخل نظرى ، دار النهضة العربية ١٩٨٢ .

الفصل السابع

أنماط العمل والإنتاج للمدمنين فى الثقافات المختلفة

مما هو جدير بالذكر أن معنى الإنتاج قد إختلف على مر العصور ، فنجد أن الطبيعيين فى فرنسا يعتبرونه خلق للمادة ومن هذا المنطلق نظروا للأرض على أنها عنصر الإنتاج الأوحد وإن العمل أو النشاط الزراعى هو العمل المنتج على أساس أنه يعطى إنتاجا أزيد مما قد يبرز فى الأرض .

وإنتقد أدم سميث آراء الطبيعيين فى نظرتهم للزراعة على أنها المصدر الوحيد للإنتاج ، فذكر أن الزراعة لا تخلق مادة جديدة وإنما تقوم بتحويل البذور الى ثمار ، ومن ثم فالصناعة من الأعمال المنتجة شأنها فى ذلك شأن الزراعة إلا أننا نلاحظ أن سميث قد قصر العمل المنتج على الإنتاج المادى فقط وتبعا لذلك الخدمات غير المنتجة كما أنه إعتبر إنتاجية الزراعة أكثر من إنتاجية الصناعة وأرجع ذلك الى تضافر قوى الطبيعة مع القوى البشرية فى الإنتاج الزراعى فقط إلا أننا لو تطلعنا الى الإنتاج الصناعى الحديث فسيثبت خطأ هذا الرأى حيث أن قوى الطبيعة تتضافر ايضا مع القوى البشرية فى هذا الإنتاج بشكل لا جدال فيه (١) .

فضلا عل ذلك فلو نظرنا الى أن الهدف من العمليات الإنتاجية هو إشباع حاجات الأفراد وإن الكثير من المواد الأولية لا يصلح لإشباع هذه الحاجات دون أن يتناولها الإنسان بالتغيير أو التعديل ولإتضح لنا أن الإنتاج لا يعنى إطلاقا خلق المادة وإنما يعنى خلق منفعة وزيادتها سواء الموجودة فى المواد الأولية وجعلها قادرة على إشباع الحاجات إنتاجا إذ أن

(١) العشرى حسين درويش ، الموارد الإقتصادية ، دار النهضة ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢١ - ٢٢ .

تغيير شكل المادة يجعلها صالحة لإشباع الحاجات فيخلق منفعتها وزيادة وتصبح المنفعة فى هذه الحالة منفعة شكلية .

أما لو إعتبرنا تغيير شكل المادة من قبيل الإنتاج فإن نقل السلعة عن مكان يقل فيه الطلب عليها الى مكان آخر يكثر فيه الطلب عليها هو أيضا من قبيل الإنتاج طالما أدى ذلك الى خلق المنفعة أو زيادتها وتسمى فى ضوء ذلك بالمنفعة المكانية .

فضلا على ذلك فإن تخزين السلعة يعد عملا منتجا إذ يخلق أو يزيد منفعة السلعة عن طريق نقلها من وقت يقل فيه منفعتها الى وقت آخر تشتد الحاجة اليها وبالتالى تزداد منفعتها الزمنية .

ويعد كذلك عمل كل من الوسطاء والمضاربين هو الآخر عملا منتجا وتعتبر الخدمات الشخصية ايضا من الأعمال المنتجة مثل خدمات الطب والقضاء والتعليم .

إلا أنه يكون من الصعب جدا تقسيم مختلف الأعمال حسب أنواع المنفعة السابقة مع ذلك يمكننا أن نفرق بين الأعمال التى تحقق المنفعة وتزيدها وبالتالى تزيد صلاحية السلع لإشباع الحاجات والأعمال غير المنتجة وهى لا تخلق المنفعة أو تزيدها .

ولقد مر التنظيم الاقتصادى بمراحل مختلفة ، وإختلفت نماذج الحياه الاقتصادية باختلاف درجة الحضارة وإتفق العلماء على أن المرحلة الأولى هى مرحلة الصيد ، وتبعها مرحلة الرعى ثم مرحلة الزراعة البدائية ، ثم

---

(١٠) العشرى حسين درويش ، مرجع سابق ، ص ٢٣

مرحلة الزراعة الراقية التى إستخدم فيها الإنسان الوسائل الصناعية ، ويمكن أن نضيف الى هذه المراحل الصناعية الحديثة التى بدأت على أثر إستخدام قوة البخار ، ومرحلة التجارة العالمية التى ترتبت على ما أطلق عليه إسم الإنتاج الضخم *Mass Production* (١) .

ومما هو جدير بالذكر أن طبيعة الأعمال وأنماطها تختلف من نمط مجتمعى الى أخر حسب التوجهات الثقافية وإقبال أبناء كل مجتمع على أعمال دون غيرها وكذلك إختلاف المعايير التى تتحكم فى تقسيم الأعمال وتمايزها بناء على مجموعتى المعايير الذاتية والموضوعية وزيادة تحكم أحدهما على الآخر فى الأنماط المجتمعية المختلفة وكذلك نظرة الناس للأعمال ودوافع العمل وإختلاف كل ذلك بإختلاف الثقافات وهذا ما سيتضح فى النقاط التالية ومن واقع الخبرة الميدانية .

١ - مفهوم العمل عند المدمن فى الثقافات المختلفة

لقد كان للعمل قيمة معينة فى كل مراحل التطور الانسانى فكانت قيمته فى الماضى من حيث هو وسيلة لكسب القوت والعيش ، ثم أصبح قيمة فى ذاتها فى الوقت الحالى ، ولقد كان الإنسان ولا يزال فى المجتمعات البدائية والمتخلفة يمضى معظم وقته وينفق معظم جهده وطاقته فى الصيد والقنص وجمع الثمار والحروب والإغارات وما إليها من إشباع الرغبات الملحة السريعة ، ثم إزدادت أهمية العمل تدريجيا بالنسبة للإنسان حيث لم يعد العمل مجرد وسيلة لإشباع تلك الحاجات الفيزيقية بل أصبح الى جانب ذلك

---

(١) السيد محمد بدرى ، علم الاجتماع الاقتصادى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ٤٩

وسيلة للتنفيس عن الطاقات المخزونة والتعبير عن القوى الذهنية المشحونة ومصدراً للإشباع الإجتماعي والشعور بالمكانة والرتبة أو المنزلة الإجتماعية (١) .

وليس من شك في أن قلة الآلات والأدوات في تلك المجتمعات البدائية والمتخلفة كانت تؤدي دائما الى الإعتماد على قوى الإنسان العضلية كما أن التخلف التكنولوجي في تلك المجتمعات يستعاض عنه بمهارة العامل ودقته وكفاءته وفي الواقع أن هذا يعد نوعا من التكنولوجيا غير الآلية (٢)

وتختلف نظرة الشعوب المتقدمة تمام الإختلاف عن نظرة المجتمعات المتخلفة أو البدائية لأن العمل يعطي إشباعا مباشرا ، أهمية إجتماعية ، إحترام الذات ، المركز الإجتماعي ، إشباع الهواية ، الرغبة في خدمة الغير ، مثل هذه الأمور لا نلمسها بوضوح في المجتمعات البدائية لان طلبهم على العمل طلبا مشتقا من أجل الإشباع أولا ، أما طلب العمل في المجتمعات المتقدمة طلبا مستقلا .

ولما كانت أنواع المواد المخدرة التي يدمن عليها البدو ليست من الأنواع المدمرة - كالهيروين والمورفين . . الخ هذا من ناحية ، كما أن طبيعة السياج الإجتماعي والثقافي يحيط المدمن بشئ من السرية والكتمان خشية أن يفتضح أمره هذا من ناحية ثانية ، لذا يحرص المدمن البدوي على أن يبدو طبيعيا أمام المجتمع وأبناء مجتمعه ويحرص على العمل والإيفاء بمطالب أسرته .

---

(١) أحمد أبو زيد " الظاهرة التكنولوجية " في عالم الفكر ، مجلد ٣ ، ع٢ ، ص ١٦٦

(٢) أحمد أبو زيد مرجع سابق ، ص ص ١٥٥ - ١٥٦

ولما كانت طبيعة الأنشطة الإنتاجية المتاحة فى المجتمع البدوى ليست من التعدد والتنوع والتمايز ، كما أن تقسيم العمل بين الجنسين من مختلف الأعمار يقوم فى غالبيته العظمى بناء على مجموعة المعايير الذاتية (الجنس – الطبقة – العمر) أكثر بكثير من المعايير الموضوعية (الشهادة – الخبرة – الكفاءة – التدريب) من الناحية الثالثة فنجد أن فرص التنقل المهنى والإجتماعى بعد الإدمان قليلة إذا ما قيست بالأنماط المجتمعية الريفية والحضرية وما قد يحدث من عمليات التوافق والرضاء عن العمل والرغبة فيه أو عدم الرغبة وما قد يحدث من مشكلات قد تكون دافعاً على الدخول فى دائرة الإدمان .

وبناء عليه فإن نظرة المتعاط البدوى إن جاز التعبير وبخاصة على الأنواع التقليدية (الحشيش – الأفيون) ومن مختلف الأعمار بالنسبة للعمل تدخل فى الإطار الإقتصادى والإجتماعى والثقافى المقنن فى المجتمع البدوى ويخرج عن ذلك مدمن الخمر والحالات النادرة لإدمان الهيروين وبخاصة أن هذه الأنواع لا تجد قبولا إجتماعيا وثقافيا بأى حال من الأحوال ، بل قد يصل الأمر الى البراوة لمدمن الخمر ، كما سبق القول عندما يكون مصدر إزعاج وقلقلة للمجتمع البدوى .

ولا تختلف نظرة المدمن على الحشيش للعمل فى المجتمع القروى عن البدوى بصفة عامة إلا قليلا وكذلك الحال بالنسبة لمدمن الخمر وقد لا يهتم بالعمل ويهمل قليلا فى أداء العمل .

وتختلف طبيعة نظرة المدمن للعمل فى المجتمع القروى عن المجتمع البدوى ومرد ذلك تنوع وتمايز الأنشطة الحرفية وإنتشار بعض منها بالقرية

وإقبال أبناء القرية الشباب على العمل بمثل هذه الحرف مثل أبناء المجتمع الحضرى نظرا لإرتفاع دخول هذه المهن .

وتبين أن معظم حالات الإدمان فى المجتمع القروى تنتشر بين الحرفيين من أبناء القرية وأصدقائهم من الأثرياء وقلما نجد مزارعين من الطبقات الوسطى يدمنون وبخاصة على الأنواع المدمرة كالحبوب المخدرة ، والهيروين . فى حين ينتشر ذلك بين الحرفيين بصفة خاصة .

وبالقطع تتبدل أحوال الشخص الحرفى الذى يدخل فى دائرة الإدمان خصوصا أن هذه المهن تعتمد على التركيز والإنضباط العصبى والتوازن النفسى . وهذا ما يفقده المدمن على أى من المواد المخدرة تدريجيا وبالتالى يؤثر على عمله .

وتبين أن نظرة المدمن للعمل فى المجتمع الحضرى تتبدل وتتغير وبصفة خاصة لو أدمن الشخص الهيروين أو الحبوب المخدرة التى تزداد جرعاتها وأنواعها بالتدريج حتى تفى بالغرض وكذلك إدمان الخمر ولذا نجد أن هذه الأنواع من المواد المخدرة عندما يدمنها عليها الأشخاص من مختلف الطبقات الإجتماعية والمهنية والعمرية تتبدل أحوالهم ، ولقد وصل بعض القضاه وضباط الشرطة وأشخاص يشغلون مناصب هامة الى مستوى متدنى من الإنضباط والالتزام بما يقتضيه وضعهم الوظيفى وما تضفيه هذه الأعمال من إحترام وتبجيل وتحقيق الذات وباعوا ضمائرهم وتقاضوا رشاوى وإرتكبوا كثيراً من المخالفات القانونية وساعدوا كثيراً من المنحرفين على تنفيذ أنشطتهم الإجرامية وعدم المثول أمام العدالة ولقد أصبح المدمنون الحرفيون لا يقبلون على أعمالهم ، كما هو الحال قبل الدخول الى

دائرة الإدمان وأصبح أى من المواد المخدرة وبخاصة الهيروين والماكس فورت والحبوب المخدرة وبدأ شغلهم الشاغل هو الحصول على الأموال بأى طريقة وبأى صورة ومن ثم شراء إحتياجاتهم من المواد المخدرة دون النظر للأضرار التى يلحقونها بالآخرين لعدم الوفاء بمقتضيات إرتباطاتهم بالأعمال التى يحتاجها المترددون عليهم ، وأصبح العمل لا يحقق سوى حصولهم على الأموال اللازمة لشراء المواد المخدرة .

٢ - طبيعة الأعمال التى يقوم بها المدمنون فى الثقافات المختلفة

وتختلف طبيعة الأعمال التى يقوم بها المدمنون فى الأنماط المجتمعية المختلفة ، فبينما نجد أن طبيعة الحياه الإقتصادية والإجتماعية للمدمن البدوى على مختلف أنواع المواد المخدرة فيما عدا الخمر والهيروين والحبوب المخدرة لا تتغير ولا تتبدل إلا قليلا ويحيط السياج الإجتماعى الثقافى كما سبق القول بشئ من السرية التامة ، فنجد أن البدو من أصحاب الإمكانيات وبخاصة كبار السن الذين يدمن الكثير منهم الأفيون والحشيش بخاصة قد تمكنوا من استصلاح مساحات كبيرة من الأراضى وشراء المعدات والآلات الزراعية اللازمة لها لممارسة النشاط الزراعى لأنه بالنسبة لهم أجدى وذا عائد مادى مجزى عن الأنشطة الإنتاجية الأخرى ، بالرغم من أن غالبيتهم يزاوجون بين الزراعة كنشاط أساسى مع واحد أو إثنين من الأنشطة الإنتاجية الأخرى المتاحة بالمجتمع .

كما لا يفضل البدو بعامة العمل بالأعمال المهنية كالورش الميكانيكية ، وما شابه ذلك وينظرون لهذه المهن كأنشطة إنتاجية ذات مرتبة أدنى من الأنشطة الإنتاجية الأخرى ، ويعد هذا السبب الرئيسى وراء القصور الشديد

لمثل هذه الحرف وأن العاملين بها دائما من غير البدو ، كما أن عدم إنتشار هذه الحرف والمهن بين البدو كان عاملا هاما وراء عدم إنتشار الإدمان على مختلف المواد المخدرة وبخاصة الخمر . والحبوب المخدرة والهيروين والذى ينتشر فى أغلب الأحوال بين ما يقومون بممارسة هذه المهن فى نمط المجتمع القروى والحضرى على السواء .

كما لا يفضل البدو بعامة والمدمنين بخاصة العمل فى الأعمال الحكومية لأنهم لا يميلون الى القيود والسيطرة ، حيث يفضلون الحرية فى العمل والسعة فى الدخل والرزق ولا يحبذون تحديد الرزق وإنما من الممكن أن يقبل بعض البدو على مثل هذه الوظائف وبصفة خاصة المكلفون والمتعلمين أو الأشخاص الذين يريدون تأمين مستقبلهم ومستقبل أولادهم بممارسة هذه الوظائف الى جانب أنشطتهم التقليدية بعد العمل الرسمى وذلك لزيادة الدخل وفى الغالب لا تتعدى مثل هذه الأعمال أعمال الغفارة والعمالة العادية والأعمال الكتابية للمتعلمين وهم قلة وقدر بسيط للغاية من العمالة الفنية الماهرة .

كما يرفض البدو عمل المرأة فى النشاط الزراعى والتجارى بأى حال من الأحوال وقد يسمح لها بالرعى ولكن فى حدود ضيقة جدا داخل المجتمع وخصوصا فى حالة الأسر الفقيرة فقط فالتقاليد البدوية لا تسمح للمرأة بإدارة المقاهى أو محلات البقالة ولا الذهاب الى السوق للبيع أو الشراء وقد تسمح التقاليد فى الوقت نفسه للمرأة الكبيرة بالذهاب للسوق لبيع الطيور ولشراء لوازم الأسرة والعائلة وذلك فى الأيام المحددة فى السوق للنساء وعند الضرورة فقط . وقد تعمل المرأة المتعلمة فى حدود ضيقة للغاية فى بعض الأعمال الحكومية ولكنها ما تلبث أن تستقر بالمنزل وتترك العمل فى حالة

الزواج وفى أغلب الأحوال .

ولقد كان للموقف المجتمعى والثقافى من عمل المرأة أثره الواضح والكبير فى تحديد عمل المرأة داخل المنزل فى أغلب الأحوال وفقا للمعايير الذاتية (الجنس ، الصفة ، العمر) وأثره الواضح كذلك فى عدم إحتكاك المرأة بالغرباء والعمل بالمهن التى توثر على كسر حياء المرأة وعزلتها ومن ثم إمكانية دخولها فى دائرة الإنحراف السلوكى ومن ثم الإدمان وما يتبع ذلك من مشكلات تبتعد عنها المرأة البدوية كل البعد عكس الحال بالنسبة للمرأة الريفية المتعلمة وغير المتعلمة وكذلك المرأة الحضرية الى حد كبير وكما سنرى بعد قليل .

وتبين أن الأعمال وطبيعتها لا تتبدل بالنسبة لمدمن الحشيش والأفيون في المجتمع القروى كثيراً إلا أنها قد تختلف لمن يعملون بالأنشطة الحرفية وبصفة خاصة القادمون من الدول العربية خصوصا الشباب والذين فى أغلب الأحوال قدموا وهم يتعاطون مختلف أنواع المواد المخدرة أو أدمنوها داخل القرية أو نتيجة الإختلاط الواسع بالمدينة وما بها من مغريات ويظل هؤلاء للأسف بلا عمل إلا أن ينفقوا مدخراتهم من القرية ثم ما لبثوا أن يدبروا الأموال اللازمة للإدمان عن طريق النصب فى أعمالهم الحرفية أو السرقة ... الخ .

أما المدمنون الذين يعملون بالزراعة وبصفة خاصة من خلال الأسر الممتدة فهؤلاء ليس أمامهم سوى العمل الزراعى وإن كان إلتزامهم بالأعمال المكلفين بها من قبل الاباء والأجداد يخلون بها تماما ، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك أسر قوية إستطاعت أن تدرأ خطر الإدمان عن أبنائها بممارسة

أنواع معينة من القسر والضغط مع الإشراف الطبي وفي شيء من السرية وتم شفاء هذه الحالات .

ونجد أن الصورة في المجتمع الحضري أسوأ خصوصا إذا كان المدمنون على الهيروين وبخاصة الذين يشغلون مناصب ، ووظائف قيادية ويتضل المدمنون في هذه الحالة إستغلال وظائفهم وسلطاتهم في الحصول على الأموال لشراء المخدرات بأي وسيلة وفي الغالب ما تكون هذه العناصر مستهدفة من قبل المنحرفين والمتسلقين من أبناء المجتمع وما يلبثون أن يفقدوا أعمالهم ووظائفهم ويدخلون في دائرة الإنحراف بصورة أكبر وتطالعنا الصحف مرارا من خلال عرضها للحوادث المختلفة لما وصلت اليه مختلف الطبقات الإجتماعية والمهنية والعمرية من إنحرافات سلوكية وإرتكاب جرائم على مختلف الأنواع وصلت الى القتل والسرقة وممارسة الأعمال المنافية للاداب وبصفة خاصة مدمني الهيروين والماكس والمورفين ... الخ ، وقد لمست ذلك بوضوح في مجتمع البحث .

إلا أنني لاحظت أن مدمني الحشيش والخمر قد يحدث بعض الإهمال وعدم الالتزام منهم تجاه أعمالهم وبخاصة مدمني الخمر ، إلا أن مدمني الحشيش لا تتأثر أعمالهم إلا قليلا وبخاصة أصحاب الإمكانيات المحدودة .

٣ - دوافع العمل لدى المدمنين في الأنماط المجتمعية المختلفة

لقد ذكر جورج سانتانا ثلاثة دوافع للعمل وهي [1] :

١ - الرغبة

---

(1) *Nels Anderson , Work and Leisure , London , Routledge & Kegan Paul , 1980 pp 27 - 28 .*

٢ – الطموح

٣ – حب المهنة

وتعد الرغبة من أول هذه الدوافع وأقدمها كما يعتقد الكاتب أنها على وشك الإختفاء ، ولقد كان سانتانا محقا حينما فكر فقط فى المجتمع الغربى ، فالرغبة فى أقطار العالم الآخرى بخاصة المجتمعات التى يطلقون عليها مجتمعات تقليدية لا تزال باعثا قويا على العمل لأبناء تلك المجتمعات من مختلف الأعمار .

كما أن حب العمل أو المهنة يعد من أسمى هذه الدوافع ولكن لسوء الحظ وكما ذكر سانتانا أن أعداداً قليلة فى المجتمعات الصناعية توفق لمهن تجعلهم يفقدون فيها أنفسهم لعملهم إياها .

وفى الغالب ما يحتوى كل نوع من العمل على ميزة للعامل حتى معظم أعمال المصانع الضارة ، وبالفعل فإن هذه الأعمال قد تحتوى على مميزات كثيرة عن بعض الأعمال الأخرى التى قلما يذكرها النقاد .

فضلا عن ذلك فإن كل مهنة لها مكانتها فى العمل المنظم ولهذا السبب بالذات فإن العمل يخضع لدرجة معينة من إلتزامات هذه المهن وهذه المهن ما هى إلا جزء من العمليات الإنتاجية ، وكل عمل كما يصفه الويث جاكويس له قاعدته وعناصره المختارة التى تحتوى إطارا معينا حول المهنة وتضع حدودا لما يمكن للشخص أن يفعله من داخل هذه المهنة وهى تقرر ما يجب ألا يفعل كما تقرر ما يجب أن يفعل ، كما أن القوانين والأنظمة واللوائح والروتين ما هى إلا أنظمة يجب أن يعمل بموجبها هذا الشخص ، وداخل هذه الحدود للشخص حرية التصرف والإختيار ، وعليه يستخدم حقه

الشرعى ولكن عليه أن يختار الأفضل عندما يواجه الإختيار بين الإمكانيات المتاحة[١] .

كما يتردد تعبير " الرضاء عن العمل " *Job Satisfaction* " والروح المعنوية " " ودوافع العمل " *Motives* على ألسنة الكثيرين للتعبير عن مشاعر الرضا والسرور ، وأن تعبيرات مثل الروح المعنوية والرضا تعنى أشياء مختلفة للأفراد المختلفين ، لذلك يجب أن نبذل محاولة لتحديد معانى واضحة لتلك المفاهيم ، مثلا يقودنا الإتجاه العام للتفكير الى أنه فى مجتمع صناعى فإن الشخص العامل كلما زاد رضاؤه عن عمله فإن المنطق يقول بأن الشخص سيكون أعلى وأكثر ولكن هل هذا التفكير أو التعليل سليم ؟

وتنبع أهمية الموضوع من كونه يتعلق بمشاعر الناس وإتجاهاتهم حيال الأعمال التى يقومون بها والتى لا تقل أهمية عن الناحية المادية فى العمل (الأجر وخلافه) .

ولقد كان الإتجاه السائد فى فترة من الوقت أن ظروف العمل المادية (الضوضاء الإضاءة ، الحرارة ، الأمن ، وما الى ذلك) هى المحدد الأساسى لمدى تقبل العامل لعمله وبالتالى لمستوى إنتاجيته ، ولكن نتائج البحث والدراسة فى هذا الميدان أثبتت أن النواحى المختلفة لظروف العمل المادية لا تمثل أهمية كبيرة فى مدى تقبل العامل لعمله وإنتاجيته طالما أنها تبلغ مستوى معين ، أى أن درجة الإضاءة مثلا ليست عاملا جوهريا فى رضاء العامل عن عمله وإنتاجيته طالما أنها قد بلغت مستوى معقولا يسمح بالرؤية المريحة ، وهذا ينطبق على كافة العناصر المكونة لظروف العمل المادية .

---

(1) Ibid p , 29 .

ثم إتجه تفسير الدارسين الى إتجاه اخر يوكد أهمية جماعات العمال والجو الإجتماعي وعلاقات العمل كأساس لتحديد مدى تقبل الأفراد لأعمالهم ولمستوى إنتاجيتهم بحيث أن العامل قد يكره جو العمل المادى ويشعر بعدم الرضا عنه ، ولكنه يحب عمله نظرا لعلاقات الصداقة التى تربطه بزملاء العمل .

ونجد الأجر وملحقاته من مزايا إقتصادية التى يحصل عليها العامل لها تأثير على إتجاهاته نحو عمله ورضائه عنه

وبناء عليه يتضح أن العوامل المؤثرة على معنوية الأفراد ورضائهم عن أعمالهم (وهى خطوة فى سبيل تفهم محددات إنتاجيتهم) كثيرة ومتعددة وتشمل ما يلى

١ - ظروف العمل المادية

٢ - الجو الإجتماعى

٣ - العوامل الإقتصادية (١)

تبين أن دوافع العمل لدى المدمنين البدو لا تختلف عن البدو بصفة عامة خاصة وأن المدمنين البدو وكما سبق القول لا يدمنون على الأنواع المدمرة إلا نادرا وبناء عليه لا تتبدل أحوالهم من جميع النواحى خشية نظرة الإحتقار والإزدراء من المجتمع .

إلا أنه تبين لنا أن معظم الذين دخلوا دائرة الإدمان وبخاصة الأنواع

(١) على السلمى السلوك الانسانى فى الإدارة مكتبة غريب ص ص ١٢٩ ١٢

المدمرة من الجنسين فى المجتمع القروى هم فى الغالب شريحة من أبناء ذلك المجتمع مما لا يرضون عن حياتهم وطموحهم يتخطى حدود القرية بالنسبة للذكر والأنثى ويحلمون بالثراء والجاه وهؤلاء فى الغالب يسعون دائما للاتصالات والعلاقات خارج القرية وهؤلاء فى الغالب يكون مصيرهم الإنحراف على نطاق واسع .

كما تبين أن ظروف العمل الحرفى والعوامل المادية والربح المجزى كانت من العوامل المساعدة على دخول معظم الحرفيين فى القرية الى دائرة الإدمان وإستقطابهم الكثير من أثرياء القرية من الكبار والشباب الى هذه الدائرة اللعينة .

ولقد تبين ان عوامل الفراغ وعدم الرضا عن العمل وعدم وجود العمل المناس كانت من العوامل والدوافع الهامة وراء دخول الكثير من الشباب من الجنسين فى المجتمع الحضرى الى دائرة الإدمان ومن ثم الإنحراف السلوكى .

كما نجد أن المدمنين من مختلف الطبقات العمرية ليست لديهم دوافع للعمل ولا يكون هدفهم من العمل إلا الحصول على المال اذا كانوا لا يزالون يرتبطون بأى أعمال .

٤- نظرة المدمن للوقت وأهميته فى الثقافات المختلفة

مما هو جدير بالذكر أن الوقت فى المجتمعات المتقدمة يعد عنصرا نادرا ، كما أن الفراغ الحقيقى لا يوجد ، لان الوقت دائما مشغول إما بالعمل أو إستهلاك السلع والخدمات التى يحصل عليها نتيجة العمل ، أما الفراغ بمعنى الوقت المتاح للتأمل فإنه يكاد لا يوجد وهذا ما يوصلنا الى حقيقة

هامة وهى أنه على الرغم من التقدم الهائل فى الإنتاجية وتقصير بساعات العمل اللازمة للإنتاج ، فإن الأفراد لا يجدون الآن الوقت الحر الكافى ، وتصبح مشكلة الجميع فى هذا العصر هى أنهم لا يجدون وقتاً لأن الكسب المتحقق قد إستغرق فى إستهلاك هذا الإنتاج .

إلا أن هذا الوضع يختلف تمام الإختلاف فى المجتمعات التقليدية والمجتمعات البدوية بخاصة ، حيث أن الوقت لا يعد فى نظر غالبية البدو عنصرا نادرا وإنما الذين يعملون له حساب هم أصحاب المسئوليات أو المكلفين على حد تعبيرهم وكذلك أصحاب الإمكانيات ممن يديرون أكثر من مشروع فى وقت واحد ، كما أن الفراغ الحقيقى متغلغلا فى حياه الغالبية بخاصة الذين ليس لديهم مسئولية أو غير المكلفين لأن الوقت ليس دائما مشغولا بالعمل عندهم أو إستهلاك السلع والخدمات المترتبة على عملهم ، ونصل فى هذا الصدد الى حقيقة فى غاية الأهمية وهى أنه كلما زادت درجة التخلف كلما زاد الوقت الحر (١)

وبناء عليه فإن مشكلة غالبية البدو بعامة والمدمنين بخاصة تكمن فى أنهم يجدون وقتاً لأن الكسب المتحقق فى الإنتاج لم يستغرق فى إستهلاك هذا الإنتاج .

كما أن البدو بعامة والمدمنين بخاصة فيما عدا (حالات إدمان الخمر والهيروين النادرة) ينظرون الى العمل من الناحية الأخرى كطلب مشتق وليس مستقلا ، طلب مشتق على السلع والخدمات ، وإنما ينظرون الى الفراغ

---

(١) محمد يسرى على ابراهيم دعبس ، تنمية الموارد البشرية فى المجتمع البدوى ، دراسة فى الأنثروبولوجيا الاقتصادية ، دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ ، ص ص ٤٢٠ - ٤٢١

كطلب مستقل على أساس أنه مجموعة من الأنشطة والخدمات ، ولا ينظرون للعمل على أنه واجب إجتماعى كالأخلاق البروتستانتية إنما من أجل الإعاشة ، وتختلف تلك النظرة تماما عن نظرة المجتمع الحضرى ، حيث أن المجتمعات البدوية هى فى النهاية مجتمعات تحب الإستهلاك عكس الحال الى حد كبير بالنسبة للمجتمعات القروية وكذلك الحال بالنسبة للمجتمعات الحضرية وكما سنرى فيما بعد .

كما لمست أن الوقت بالنسبة للمدمنين فى المجتمع القروى لا يكون عنصرا نادرا ويبدأون فى إهمال اعمالهم سواء أكانت حرفية أو زراعية ولا يدركون عنصر الوقت ادراكا واعيا وكذلك أهميته حيث أن حياتهم هى فى حد ذاتها لم يصبح لها أهمية حيث أن كل ما يهمه هو وقت الجرعة وهذه اللحظات بالنسبة له تساوى أهم لحظات حياته خاصة مدمنى الهيروين والمورفين وحقن الماكس .

كما أن الفراغ لدى المدمنين فى المجتمع القروى متغلغلا فى حياتهم لأنهم لا يعون أي مسئولية تقع على عاتقهم ويكون فى أغلب الأحوال الوقت عندهم غير مشغول بالعمل وإنما فى إستهلاك السلع والخدمات وبصفة خاصة المواد المخدرة حتى لو على حساب إستهلاك الأسرة بصفة عامة ، ولكن هذا الوضع يختلف الى حد كبير بالنسبة لمدمن الحشيش الذى يعى قيمة الوقت والعمل ولكن قد يهمله وهذا يتوقف على امكانيات المدمن .

ونجد أن المدمنين فى المجتمع الحضرى وبخاصة مدمنى الهيروين والمورفين وحقن الماكس لا يحسبون للوقت حساباً ولا يعون أهمية الوقت حيث أن عنصرى الزمن والوقت أصبح غير منتظم لديهم فأصبحوا متحللين

من أى إلتزامات تخص العمل أو الدراسة وغير مقبلين على الحياه من أساسه وأصبح معظم الوقت لديهم يعد فراغا وإنهم يعيشون من أجل لحظة الحصول على الجرعة المخدرة من أى الأنواع وخير دليل على ذلك أن مدمن الهيروين لا ينام إلا وتذكرة الهيروين تحت وسادته لكى يضمن "الاصنباحية" كما يقولون . ويقضون فى أغلب الأحوال وقتهم إما فى النوم والإسترخاء أو فى السعى وراء الحصول على الأموال اللازمة بأى طريقة للحصول على الجرعة المطلوبة سواء بالسرقة أو القتل أو النصب وفى الغالب ما يكون أساسا "إبن ناس" أو موظفاً كبيراً أو طالباً جامعياً ولكن تدهور وضعه ومركزه بعد الدخول فى دائرة الادمان .

ونجد الوضع يختلف بالنسبة لمدمن الحشيش والخمر الذين يدركون قيمة الوقت وقيمة العمل وإن كان يحدث شيء من الإهمال وعدم الإكتراث ، إلا أن الوقت بالنسبة لهم له قدر من الأهمية يختلف كثيرا عن مدمنى الهيروين والماكس والمورفين ... الخ .

٥ - طبيعة العلاقة بين وقت العمل والفراغ لدى المدمنين فى الأنماط المجتمعية المختلفة

لم تعرض مشكلة العمل ووقت الفراغ بصورة واضحة إلا منذ الثورة الصناعية ، كما أن فكرة أن الزمن عنصر نادر ينبغى محاولة إستخدامه أحسن إستخدام فيما يتعلق بكيفية توزيعه بين العمل والفراغ حديثه وترتبط بوجه خاص بالآلة .

وبناء عليه فإن التمييز بين العمل والفراغ ليس تمييزا عاما وواضحا فى كافة المجتمعات الانسانية كما هو حادث فى المجتمعات الصناعية الحديثة

ومرد ذلك تأثير العمل على وقت الفراغ وكذلك إستغلال وقت الفراغ وإستثماره فى الأنماط المجتمعية المختلفة .

ولقد دلنا التراث الأنثروبولوچى كيف أن وقت العمل دائما يختلط بوقت الفراغ فى المجتمعات البسيطة وبهذا تتداخل الأنشطة جميعا داخل سياق الحياه اليومية فى تلك الأنماط المجتمعية التقليدية وهذا ما دعى روزالى فاكس *Rosalie Wax* الى القول بأنها لا تعتقد أنه يوجد إنسان ما فى قبيلة البوشمان يستطيع أن يخبرنا عن أن هذا الجزء من نشاطه يدخل فى نطاق العمل بينما الجزء الآخر يعد لعبا (١) .

كما أننا نجد هذا التداخل والتكامل فى بعض أنشطة معينة كما ذهب رايت ميلز *Mills* فنجد مثلا أن النشاط الفنى الذى يؤديه الفنان ويستمتع بوقته كما لو كان يقضى وقت فراغه فى اللعب تماما .

وعليه فلا يوجد تحديد فاصل إلا فى المجتمعات الحديثة وتوجد ثلاث مداخل أساسية لتمييز العلاقة بين الفراغ والعمل وهى :

أ - المدخل الذى يتبنى وجهة النظر الدينية ويذهب الى أن العمل هو المهمة الجادة الرئيسية في الحياه وأن الفراغ شئ جانبي أو ليس له وجود .

ب - المدخل الذى ينظر للفراغ بوصفه هدفا للحياه ، والعمل هو مجرد وسيلة لتحقيق هذا الهدف .

---

(1) *Parker, S, Future of work and leisure, London Pala Din, 1972 p . 61 .*

جـ – المدخل التكاملى الذى ينظر الى كل من الفراغ والعمل بإعتبارهما جانبان متفاعلان يثرى كل منهما الآخر .

وهكذا فى ضوء نظرة الناس للعلاقة بين العمل والفراغ نميز بين ثلاثة أنماط رئيسية هى :

أولوية العمل ، اولوية الفراغ ، والتعادل بين العمل والفراغ (١) .

ولقد تم إنقاص ساعات العمل وزيادة وقت الفراغ المتاح للإنسان نتيجة للتقدم الفنى او التكنولوجى بعدة صور إستخدمت كلها أو بعضها فى نفس الوقت أو بالتتابع فنجد أن ساعات العمل اليومية إتجهت الى النقصان وبالمثل ساعات العمل الاسبوعية كما أنه من الناحية الأخرى ازدادت الأجازات المدفوعة التى يحصل عليها العامل سنوياً ، وإتجهت الحياة العملية للفرد من الناحية الثالثة الى النقصان المستمر سواء بتأخير الدخول فيها أو الاعتزال المبكر منها (٢) .

ويمكن النظر كذلك الى الطلب على العمل كمستقل يطلب لذاته ، فمن الجدير بالذكر أنه بعد حد معين من تخفيض ساعات العمل بما يحقق ظروف انسانية للإنتاج ، ويحمى الصحة البدينة والنفسية للعامل ، فإن كل فراغ للإنسان بعد ذلك يجدر أن يكون فى صورة تمكنه من الإفادة به على أحسن وجه ، وسيكون ملحوظاً أن الإفادة من الفراغ يعد الحد الأدنى تزداد كلما زادت كمية الفراغ المتاحة دفعة واحدة (٣) .

---

(1) Parker, S, op, cit pp 62 - 63 .

(2) George J, Sitigler, The Price Theory, 3ed edition, Macmillar, N.Y. ١٩٥٠, p 267.

(3) Ibid, p. 287

ويكون المقصود من تخفيض ساعات العمل الاسبوعية تحقيق ظروف عمل مناسبة ومتوازنة من حيث العمل والراحة وبعض المتع المعقولة التى تساعد على العمل ، ولكن الاستمتاع بوقت الفراغ فيما جاوز ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أتيح للعامل فترات طويلة نسبياً من الوقت ، فالرحلات والسباحة ومزاولة الكثير من الهوايات يستلزم أوقاتاً طويلة ومتصلة ولا يمكن توزيعها على فترات قصيرة لمدد متكررة إلا أن التقدم التكنولوچى أدى الى زيادة فى حجم الفراغ المتاح فى السنة وليس فى الإسبوع فى شكل إجازات مدفوعة ، ويعنى ذلك أن الإتجاه هو نحو زيادة الفراغ المتاح للعامل (الفرد) فى السنة وليس فى الإسبوع (١) .

بل أن الإتجاه المتقدم قد جاوز النظر الى الفراغ فى السنة وليس فى الإسبوع الى تقصير فترة الحياة العملية ذاتها بحيث يتأخر الدخول الى الحياة العملية من ناحية ويتم الإعتزال منها بسوء من الناحية الأخرى ، لاننا نلاحظ الآن سنوات التعليم الإلزامى تزداد بإستمرار فى معظم دول العالم ، بل أن هناك إتجاهات تطالب بجعل التعليم إلزامياً حتى سن الثامنة عشر ، كما أن خريج الجامعة يدخل الى الحياة العملية وهو دون الثلاثين بقليل ويحتاج الى دورات تدريبية كل عدد من السنوات ليتابع التطورات العملية فى ميدانه (٢) .

فضلاً على ذلك فإن سن الإعتزال يتقدم بإستمرار ، فكان ينظر قديماً الى سن الإعتزال كإجراء يتم بقصد المساعدة على زيادة العمالة وإفساح

---

(1) Nels, Anderson, op. cit, p 267 .

(٢) حازم الببلاوى ، الأتوميشن والإقتصاد ، فى عالم الفكر ، ج ٢ ، العدد ٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٨٩ .

المجال امام الشباب إلا أنه مع التقدم وتزايد وسائل الراحة أصبح الإعتزال المتقدم من الوسائل الضرورية للتمتع بينما لا يمكن التمتع به فى ضوء وقت الفراغ القليل ، رغم أن الإعتزال المبكر قد يؤدى الى خلق مشاكل جديدة مع تطور حاجات الانسان .

ولقد جرت العادة على أن الإختيار بين العمل والفراغ يتم بناء على متغيرات هى الدخل والثمن النسبى لكل منهما ، فينظر عادة الى الطلب للعمل كطلب مشتق من الطلب على السلع والخدمات بعكس الفراغ الذى يطلب لذاته الا أن ذلك ليس صحيحاً دائماً ، إذ أن العمل يعطى إشباعاً مباشراً أهمية إجتماعية كإحترام الذات ، إشباع الهوية ، الرغبة فى خدمة الغير الخ كذلك فإن الطلب على الفراغ قد يكون طلباً مستقلاً إذ نظر اليه كمجموعة من الأنشطة والخدمات ومع ذلك فقد يكون طلباً مشتقاً إذا أخذنا فى الإعتبار أن الإستهلاك يأخذ وقتاً ، لذا فإن الرغبة فى إستهلاك السلع والخدمات التى يوفرها الدخل تتطلب طلباً على الفراغ .

بيد أن النظر الى طلب العمل كطلب مشتق أو مستقل يتعقد مع التفرقة التى قال بها ماكس ڤيبر *Max Weber* من أن هناك مجتمعات تخضع للأخلاق البروتستانتية وحيث يكون العمل فيها واجباً ومن ثم فإن الإنتاج يكون نتيجة لهذا العمل *by product* فى مثل هذه الحالة يكون الطلب على العمل مستقل ولكن هناك مجتمعات تحب الإستهلاك ، بحيث يكون الطلب على العمل طلباً مشتقاً [١] .

(١) حازم الببلاوى ، الاتوميشن والاقتصاد ، فى عالم الفكر ، المجلد الثانى ، العدد الرابع ، [illegible]٠٢ ، ص ٩٠ .

ونود أن نتساءل هنا ما هو تأثير الدخل وتغيير الثمن على العمل والفراغ والإجابة على هذا التساؤل يمكن فى البداية التمييز فى تأثير الدخل على إستهلاك السلع والخدمات بين نوعين :

١ – السلع العادية *Normal Goods* وهى السلع التى تزيد إستهلاكها مع زيادة الدخل وتنقص بنقصنه .

٢ – السلع الرديئة *Inferior Goods* وهى السلع التى ينقص إستهلاكها مع زيادة الدخل .

إلا أن الإقتصاديين بصفة عامة يرون أن الفراغ سلعة عادية وليست سلعة رديئة ويعنى ذلك أن زيادة الدخل تؤدى الى زيادة الطلب على الفراغ ، أى نقص العمل المفروض .

أما بالنسبة للثمن وتأثيره فإن زيادة أجر العمل يعنى أن التضحية بالأجر للحصول على ساعة فراغ ، ومن ثم يقل طلب الفراغ مع زيادة الأجر ويتم احلال العمل محل الفراغ (١) .

وبناء على ذلك يميز الإقتصاديون بين اثر الدخل *Income Effect* وبين أثر إحلال *Subsitution* ، فطبقاً لأثر الدخل ، فإن إرتفاع الأجر يؤدى الى نقص المعروض من العمل (زيادة طلب الفراغ) وطبقاً لأثر الإحلال فإن إرتفاع الاجر يؤدى الى زيادة المعروض من العمل (إحلال العمل محل الفراغ) ويتوقف الأثر النهائى على مدى أهمية أثر الدخل بالنسبة لأثر الإحلال .

---

(1) Tibor Scoloivisky, Welfare and Competion, Unwin University, 1962, pp 86 - 87

إلا أننا نجد أن آدم سميث له رأى مخالف لرأى الإقتصاديين التجاريين فقد رأى أن زيادة الأجر تؤدى الى زيادة المعروض من العمل ، أى أثر الإحلال له الغلبة على أثر الدخل ، ونجد ما يشابه هذا الرأى عند الإقتصادى الفرنسى *J.B.Say* والإقتصادى الإنجليزى *A.Marshall* بينما يرى مالتس عكس ذلك إذ أن زيادة الدخول تؤدى الى نقص عرض العمل [١] .

وهذا يجعلنا نتساءل كيف يعمل أثر الإحلال بين الفراغ والدخل ؟

وللإجابة على هذا التساؤل نقول أن هناك نوعيم من السلع سلع متنافسة *Competitive* وسلع مكملة *Complementary* ، أما السلع المكملة فهى سلع يجب إستخدامها معاً لإشباع نفس الحاجة ، فالمستهلك عليه أن يختار السلعة الاولى والسلعة الثانية معاً ، وعلى ذلك ففى حالة السلع المتنافسة فإن زيادة إستهلاك الواحدة منها يعنى زيادة إستهلاك الأخرى ايضاً .

وفى النهاية نتساءل هل الدخل والفراغ سلعتان متنافستان أم متكاملتان ؟

إذا كانتا متنافستين ، فإن ذلك يعنى أن زيادة الدخل يعنى نقص طلب الفراغ ومن ثم زيادة العمل ، أما إذا كانتا متكاملتين فإن معنى ذلك أن زيادة الدخل تعنى زيادة الطلب على الفراغ ومن ثم نقص العمل . وهنا نجد أن الدخل والفراغ سلعتان متكاملتان بالنسبة للمدمنين وبخاصة رجال الأعمال الحرة والمقاولات والحرفيين فى المجتمع الحضرى والقروى عكس الحال فى المجتمع البدوى .

---

(1) CH. A Smith Wealth of Nations, University paper bakes, London, p 9?

ومما هو جدير بالذكر أن الوقت محدود سواء نظرنا فى ذلك الى عمر الإنسان أى الى يومه لأن الإنسان لديه كمية محدودة من الزمن لكى يوزعها بين العمل والفراغ ، كما أن الدخل من الناحية الثانية وهو منفعة العمل عبارة عن مجموعة من السلع والخدمات يستطيع أن يحصل عليها الفرد وإن إشباعه يأتى من إستهلاك السلع والخدمات ، ويعنى الإستهلاك من الناحية الثالثة انه ليس عملية مادية ولا زمنية وإنما هى عملية ممتدة فى الزمن وهذا يعنى أن لها بعداً زمنياً ، فالإستهلاك يتطلب وقتاً ومزيداً من الإستهلاك يتطلب مزيداً من الوقت ، ويعنى ذلك أن الإفادة من الدخل تتطلب وقتاً لكى يتحقق ذلك (١) .

وبناء عليه يعتبر عنصر الوقت عنصراً نادراً فى المجتمعات المتقدمة كما أن الفراغ الحقيقى لا يوجد ، فالوقت دائماً مشغول أما بالعمل أو بإستهلاك السلع والخدمات التى يحصل عليها نتيجة هذا العمل ، أما الفراغ بمعنى الوقت المتاح للتأمل لا يكاد يوجد ، وهذا يجعلنا نصل لحقيقة هامة وهى أنه على الرغم من التقدم الكبير فى الإنتاجية وتقصير ساعات العمل اللازمة للإنتاج ، فإن الأفراد لا يجدون الآن الوقت الكافى الحر تماماً ، لذا فإن مشكلة الجميع فى هذا العصر الذى زادت فيه الإنتاجية أنه لا يوجد وقت لديهم لأن الكسب المتحقق فى الإنتاج قد إستغرق فى إستهلاك هذه الإنتاجية .

وينظر البدو بصفة عامة والمدمنون بخاصة الى العمل كطلب مشتق وليس

(١) حازم الببلاوى ، الاتوميشن والاقتصاد ، فى عالم الفكر ، المجلد الثانى ، العدد الرابع ، ١٩٧٢ ، ص ص ٩١ - ٩٢ .

مستقلاً ، حيث أن هناك تحديداً قاطعاً وجازماً لتقسيم العمل بناء على مجموعة المعايير الذاتية والموضوعية ، لذا فهو طلب مشتق على السلع والخدمات ، كما أنهم ينظرون الى الفراغ كطلب مستقل على أساس انه مجموعة من الأنشطة والخدمات ولا ينظرون جميعاً الى العمل على أنه واجب إجتماعى كالأخلاق البروتستانتية وإنما من أجل الإعاشة ، وتختلف نظرة تلك المجتمع الى حد كبير عن المجتمع القروى والى حد كبير للغاية عن المجتمع الحضرى حيث أن هذه المجتمعات فى النهاية تحب الإستهلاك .

كما أن البدو بعامة والمدمنين بخاصة لا يميزون بين اولوية العمل وأولوية الفراغ وكذلك الحال للغالبية العظمى من أبناء المجتمع القروى وبخاصة المدمنين حيث أنه لا يوجد تحديد فاصل وقاطع بين وقت العمل ووقت الفراغ ومن ثم فلا يضحون بوقت الفراغ من أجل تحقيق مزيد من الربح كما هو الحال فى المجتمع الحضرى ، حيث أن عنصر الوقت غير محدد بين نشاطات العمل والفراغ بصورة محددة .

كما تبين أن المدمن القروى وبالذات على الأنواع التقليدية كالحشيش ، وكذلك مدمن الخمر والأفيون قد يميز ويعى قيمة الوقت الى حد ما وبصفة خاصة لو كان من الأثرياء القادرين حيث يكون دوره فى أغلب الأحوال بالنسبة للنشاط الإنتاجى إشرافى ، إلا أن الفئة القليلة التى وقفت ضحية إدمان الهيروين فقدت عنصر الزمن والوعى بالوقت بل إدراك معنى وقيمة الحياة فى ذاتها .

كما تبين أن طلب المدمن الحضرى على العمل وبخاصة مدمن الهيروين والحبوب المخدرة وحقن الماكس طلب مشتق وليس مستقل وفى أغلب الأحوال

وبخاصة الحرفيين عندما يتقاضى أى مبلغ من تحت حساب عمله لا يقوم به . لأن هدفهم الأساسى هو الحصول على الأموال اللازمة لشراء العقار بأى وسيلة سرقة ، نصب ، إحتيال .. الخ . فهو لا يعى قيمة الوقت وأهميته واللحظة المهمة فى حياته هو حصوله على الجرعة بأى ثمن عكس الحال بالنسبة لمدمن الحشيش والأفيون والخمر أولئك الذين قد يمارسون أعمالهم بصورة طبيعية برغم تأثير المواد المخدرة على أدائهم لأعمالهم وإلتزامهم ودقتهم فى العمل ويؤدى على الكفاءة والمهارة اللازمة فى أداء الأعمال خصوصاً الأعمال الفنية الدقيقة والمتخصصة وكذلك بعض أصحاب الوظائف القيادية والإدارية العليا مثل القضاه والمستشارين وضباط الجيش والبوليس .. الخ . وقد تضطر بعض هذه الفئات الى تقديم تنازلات بخصوص اعمالهم للحصول على الاموال اللازمة للإنفاق على تعاطى المواد المخدرة وبالتالى يكون طلبهم على العمل طلب مشتق وليس مستقلاً ، فى حين أن طلبهم على الفراغ يكون مستقلاً عكس الحال بالنسبة للمدمنين فى نمطى المجتمع البدوى والقروى .

كما أن المدمن فى المجتمع الحضرى وبصفة خاصة مدمن الهيروين والماكس والحبوب المخدرة أصبح لا يميز بين أولوية العمل أو أولوية الفراغ أو زيادة ساعات العمل على الفراغ لتحقيق مزيد من الكسب والدخل لأن الوقت أصبح لا أهمية له ولا قيمة له وكل الوقت أصبح فراغاً أو يقضيه فى البحث عن الجرعة أو النوم والإنعزالية والإنطوائية وبناء عليه أصبحت مجالات الحياة من حوله تضيق الى أبعد الحدود .

كما نجد أن الكثير من المدمنين على الأنواع المدمرة وبخاصة الذين كانوا يشتغلون إما فى وظائف قيادة وإدارية فى مختلف القطاعات وأعمال حرفية

ومجالات إنتاجية متخصصة قد يتم إحالتهم الى التقاعد فى سن مبكر أو الإقالة الى غيره من وسائل العقاب للمحافظة على سرية الأعمال وكرامتها وعليه يفقد المدمنون كل شيء العمل والأسرة ويصبحون قوة معالة بعد أن كانوا قوة عائلة .

إلا أن مدمنى الحشيش والخمر قد يميزون الى حد كبير عن مدمنى الهيروين والماكس والمورفين بين أولوية العمل أو أولوية الفراغ وكذلك زيادة ساعات العمل الإضافية على حساب الفراغ نظير الحصول على عائد أكبر أو زيادة الدخل للإيفاء بالمطالب المادية المترتبة على الإدمان وبخاصة لمن يعولون وهنا يضطر بعض المدمنين وبخاصة مدمن الحشيش الى العمل لأطول فترة أو العمل لفترتين دون مراعاة لظروفه الصحية والعائلية فالمهم أن يوفر إحتياجاته الشخصية والإيفاء الى حد ما بإلتزامات أسرية والتى حتماً ستتأثر نتيجة التزايد المستمر فى أسعار السلع التى تحتاجها الأسرة .

ومما هو جدير بالذكر أن لزيادة الدخول وبخاصة للحرفيين وأصحاب الأعمال الحرة ورجال المقاولات فى المجتمع القروى والحضرى أثراً بالغاً الأهمية فى زيادة إقبال هذه الفئات وبخاصة على إدمان الخمر والحبوب المخدرة وحالات كثيرة للهيروين والمشكلة هنا أن عامل الفقر والإحتياج أيضاً كان له أثر فى دخول بعض الفئات وبخاصة الحرفيين والطلبة الى دائرة الإدمان لإستقطابهم وإستخدامهم من قبل تجار المخدرات لترويج المخدرات بين الحرفيين والطلبة نظير الجرعات التى يحتاجونها بسبب إدمانهم ولضمان إستمرارية الإستهلاك لفئات وعناصر جديدة خصوصاً أن التجار ينظرون للمواد المخدرة على أنها سلعة شأنها شأن كل السلع التى يحتاجها الإنسان تخضع لعوامل السوق والأسعار العالمية وعوامل الدخل والثمن

وعمليات العرض والطلب ومرونة كل منهما بالإضافة لكافة العوامل المؤثرة في ذلك من تخزين وتلف .. الخ .

٦ - الإستفادة من ناتج العمل للمدمنين وتوزيعه (فردى - جماعى) فى الثقافات المختلفة :

ولما كان المدمن البدوى لا يخل بإلتزاماته الأسرية وبخاصة مدمنو الأنواع التقليدية وكذلك الذين يعيشون فى معيشة جماعية من خلال الأسر الممتدة حيث أن هذا الإستفادة من ناتج العمل وتوزيعه يتم بشكل جماعى حيث أن نمط المعيشة السائد فى مثل تلك الأسرة جماعى .

كما تبين أن البدو الذين إستقلوا فى أسر نووية فالإستفادة من ناتج العمل هى الأخرى على صعيد الأسر النووية ككل حيث يخشى المدمن البدوى عن أن يتفشى سر إدمانه وبالتالى إخلاله بمسئولياته والحقوق الواجبة عليه تجاه أسرته وعائلته بل وقبيلته .

وهنا نجد أن الإخلال بنصيب الأسرة من الدخل فى المجتمع البدوى يقل عن نمط المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

إلا أن الوضع فى المجتمع القروى لا يختلف كثيراً عن نمط المجتمع البدوى وبخاصة للمدمنين على الأنواع التقليدية وأولئك الذين يعيشون من خلال الأسر الممتدة حيث نجد أن نمط المعيشة السائد فى تلك الأسر جماعى ويكون كبير العائلة مسئولاً عن جميع أفراد العائلة حتى لو نمى الى علمه بأن أحد أفراد العائلة قد أدمن فإنه يكون مسئولاً عن أسرة المدمن ويبدأ فى رعايتهم رعاية مباشرة وبناء عليه نجد الإستفادة من ناتج العمل جماعية حيث أن نمط العمل جماعى وتوزيع ناتج العمل جماعى عكس

الحال بالسبة للأسر النووية وبخاصة المدمنين القرويين الذين يعملون بالأعمال الحرفية والمهن والأنشطة غير الزراعية حيث يغلب طابع الإستفادة الفردى على الجماعى وبخاصة فى حالة الإدمان على الأنواع غير التقليدية .

إلا أن الوضع بالنسبة للمجتمع الحضرى يختلف الى حد كبير عن الأنماط المجتمعية الأخرى فنجد أن نمط الأسر النووية هو النمط الغالب فى المجتمع والإستفادة تكون على مستوى الأسرة الصغيرة ولكن بعد الإدمان حتى على الأنواع التقليدية تبدأ إستفادة الأسرة من الإنتاج تقل تدريجياً حسب تملك المادة المخدرة من المدمن ويبدأ فى المفاضلة دائماً بين إحتياجاته وإحتياجات الأسرة وتزداد عملية المفاضلة الى أقصى حد فى حالة الإدمان على الأنواع المدمرة كالهيروين والمورفين وحقن الماكس حيث يفضل دائماً المدمن نفسه عن الآخرين عن أبنائه وزوجته وإخوته ووالديه . الخ . ويتحلل من كافة المسئوليات الإجتماعية والمادية المرتبطة بوضعه ومركزه ودوره فى الأسرة بصفة عامة .

٧ - العلاقة بين المهنة وإدمان أنواع دون أخرى من المواد المخدرة فى الثقافات المختلفة :

مما لا شك فيه أن العلاقة بين المهنة وإدمان أنواع معينة دون أخرى علاقة وطيدة بل أن نظرة أرباب المهن لمواد مخدرة دون أخرى تختلف بالقطع من مهنة الى أخرى .

ولقد تبين نتيجة عدم تنوع وتميز المهن فى المجتمع البدوى وعدم إقبال البدو بصفة عامة الى المهن الحرفية والأعمال الشاقة وإن كان معظم حالات

إدمان البدو على الأنواع التقليدية من المواد المخدرة وبصفة خاصة الحشيش والأفيون والحبوب المنشطة وبصفة خاصة للمتزوجين من الشباب وكبار السن

إلا أننا وجدنا أنه مع تنوع وتمايز الحرف والمهن والأنشطة فى المجتمع القروى بصورة أكبر من المجتمع البدوى وكذلك بعد زيادة موجات الهجرة من القرية ثم العودة اليها أن تنوعت وتعددت المواد المخدرة فى المجتمع القروى بصورة أكبر عنها فى المجتمع البدوى فنجد أثرياء القرية من الشباب وكبار السن يدمنون الحشيش والأفيون وبعضهم وقع فى دائرة الهيروين اللعينة ، ويدمن الحرفيون على الحبوب المخدرة والماكس بالإضافة الى تعاطى الخمور فى حين نجد مدمنو القرية من الموظفين يتعاطون الحشيش بخاصة أو الطلبة فيتعاطون الحبوب المنشطة والمنبهة ، كما تبين أنه تزداد نسبة تعاطى الأفيون بين سائقى النقل الثقيل والخفيف من أبناء القرية وذلك لدواعى العمل وما يتطلبه من سهر .

وجدير بالذكر أن هناك علاقة وطيدة بين التمايز المهنى والاجتماعى فى المجتمع الحضرى وما ترتب عليه من تعدد وتنوع المواد المخدرة لإعتبارات إجتماعية وإقتصادية ونفسية وثقافية بين مختلف الطوائف المهنية والإجتماعية وورد ذكر تلك الإعتبارات فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث .

ولقد لمست بوضوح العلاقة بين المهنة والإدمان على مادة مخدرة دون أخرى حيث يدمن الصيادلة فى أغلب الأحوال على المواد التخليقية من الحبوب بمختلف أنواعها وبخاصة الكوداين والريهيبنول ويشترك معهم فى

ذلك الطلبة فى مراحل التعليم المختلفة بالإضافة الى إنتشار كثير من حالات ادمان الهيروين بين طلبة وطالبات الجامعة بقصد السيطرة والإستغلال والترويج على نطاق واسع من جانب التجار ، ووجدت عمال المقاهى وعمال المخابز يدمنون على الافيون لمساعدتهم على السهر ، كما يدمن أغلب عمال وموظفو الجمارك على الأفيون والحشيش ، كما لاحظت إدمان المحامون والقضاه فى أغلب الأحوال على الحشيش رحالات قليلة للهيروين ، بينما يتعاطى المقرئون الحشيش والأفيون ، ويدمن رجال الأمال الحرة على الحشيش والهيروين والخمور ، ويدمن بعض ضباط الشرطة والجيش الخمر والحشيش وظهرت بعض حالات الهيروين ويدمن النشالون والعربجية على حقن الماكس دون عن الأفيون وكذلك الكحول المطفى بأى مادة غازية ، وبناء عليه نلمس مدى العلاقة بين المهنة والإدمان على نوع دون آخر أو الجمع بين أكثر من مادة فى المجتمع الحضرى الى حد كبير .

٨ - العلاقة بين التنقل والإستقرار المهنى والإجتماعى وإدمان المواد المخدرة فى الانماط المجتمعية المختلفة :

مما هو جدير بالذكر ان التفرقة بين مدلول العمل *Job* والذى يستخدم مرة بمعنى المهنة *Occupation* وأخرى بمعنى يختلف فالمهنة أوسع وأشمل حيث أنها مجموعة من الأعمال المترابطة والمتشابكة فالمهنة الكتابية تشتمل على عدة أعمال ، إجراء الحسابات ، الإحتفاظ بالملفات ، عمل السيكرتارية ، الكتابة على الآلة الكاتبة (١) .

---

(1) Parker, S.R, & others, The Sociology of Industry, London, George Allen & Unwin, Ltd, 1967, pp 217 - 218 .

وفى أغلب الأحوال ما ينطوى الشكل الواحد للتغير على الاشكال الأخرى وكذلك يستخدم لفظ التنقل المهنى أحياناً لوصف المقارنة بين مهنة الأبناء والآباء ، (والتنقل ما بين الأجيال) وفى بهذا التصور تكون عاملاً حاسماً جداً فى التنقل الإجتماعى [١] .

وبناء عليه لا نجد هناك تحديد واضح فى طبيعة النظرة الى مفهوم العمل والفراغ فى المجتمع البدوى بصفة عامة والمجتمع القروى الى حد كبير عكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى ويرد ذلك أنه ليس هناك تحديد فاصل وقاطع بين قضيتى العمل والفراغ فى أنماط المجتمعات التقليدية عكس الحال بالنسبة للمجتمع الحضرى الذى يعى أهمية الوقت وضرورة تحديده تبعاً للتباين والتمايز المهنى الواضح بين مهن الآباء والأبناء عكس الحال تماماً فى أغلب المهن والأنشطة السائدة للآباء والأبناء فى المجتمع الريفى والقروى .

كما يشير مفهوم الدور المهنى الى ما يقوم به الفرد من سلوك معترف به داخل أى تنظيم إجتماعى ويعتبر بناء مجموعات الأدوار وأخرى من خصائص التنظيم الإجتماعى ويشير نطاق أى دور مهنى إلى ذلك الدور الذى يلعبه الفرد فى تنظيم العمل .

ويشير مشمول الدور المهنى الى درجة تغلغله فى عدد من الأدوار الأخرى فى حياة الفرد (العاملون فى مجال الخدمة الاجتماعية عامة والخدمات الاجتماعية السكنية خاصة) وكلما كانت المهنة ذات مكانة عالية تعددت

---

(١) أحمد عزت راجح ، علم النفس الصناعى ، الموائمة المهنية والهندسة البشرية ، والعلاقات الانسانية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٠ .

وتنوعت مصادر دورها لذلك تختلف نطاق ودرجة شمولية الدور المهنى من جهة الى أخرى وحسب إلتزامات وواجبات هذا الدور وما يفرضه هذا الدور من مكانة تلزم ممارس هذا الدور بوضع معين تجاه نفسه وتجاه الحياة وتجاه المجتمع المحلى الذى يعيش فيه بل والمجتمع الكبير ككل .

فتختلف فى مهنة التدريس عن الطب والمحاماه والأعمال التجارية والأعمال اليدوية وأعمال الخدمة عامة (١) .

وفى الحقيقة أن قيم العمل وطرق تداخلها أثناء عملية الإختيار والتدريب المهنى وتكشف العلاقة بين المهنة وطبيعة العمل على أن ما يتطلع اليه الفرد من عمله يحدد ويرسم مستوى المهن التى يهتم بها (٢) .

مما لا شك فيه أن الإستقرار المهنى لدى البدو بعامة وعدم تنوع المهن والحرف والأنشطة الإنتاجية بصفة عامة وكذلك عدم تحديد واضح بين وقت العمل ووقت الفراغ أن أدى ذلك الى رتابة الحياة وروتينيتها فى أغلب الأحوال وأصبح يعانى بعض البدو من تلك الرتابة والروتينية وعليه وجدوا هؤلاء طريقهم الى الإدمان وبخاصة على الأنواع التقليدية خصوصاً الحشيش نظراً لما يحتاج من وقت طويل وعمليات متعددة لإعداده للتعاطى .

كما أن التنقل المهنى لبعض البدو وبخاصة أولئك الذين إستصلحوا الأراضى وعملوا بالنشاط الزراعى وكذلك بعض البدو ممن عملوا بأعمال المقاولات والأعمال التجارية الواسعة أن وقع بعضهم فى دائرة الإدمان للحبوب المخدرة والحشيش والأفيون نتيجة الإحتكاك والإتصال الثقافى

---

(1) Parker, S.R, opcit, pp 208 - 209 .

(2) Parker, S.R, Type of Work, friendship patterns and leisure, human relations, George Allen and Unwin Ltd, 1964, pp 120 - 121 .

بأبناء المدينة وهذه الفئة وقع نسبة ضئيلة منها ضحايا لإدمان الهيروين ولكن عولج بعضهم سراً وتوفيت بعض الحالات .

كما تبين أن التنقل المهنى وعدم الإستقرار المهنى لبعض القرويين الذين عزفوا عن العمل الزراعى وإتجهوا لأعمال المقاولات والأعمال التجارية أن إتجهوا الى إدمان المواد المخدرة التقليدية كالحشيش والأفيون وكذلك إتجه بعضهم الى الخمر .

كما إتضح أنه يحدث تنقل مهنى للمدمنين القرويين بعد دخولهم الى دائرة الإدمان وبصفة خاصة مدمنى الهيروين والمورفين وغالباً ما يتخلون عن مهنهم السابقة ويبيعون كل ما لديهم من ممتلكات ويتجهون الى جرائم السرقة والنصب والإنحراف والدعارة فى أغلب الأحوال .

ولست أن الوضع أكثر خطورة فى المجتمع الحضرى نظراً لإنتشار مزيج من الثقافات الفرعية والجماعات العرقية المختلفة وبالتالى إختلاف أنواع المواد المخدرة المنتشرة فى كل ثقافة فرعية الخ .

كما نجد أن نسبة إدمان الشباب من الجنسين تزداد كثيراً فى المجتمع الحضرى وعلى الأنواع المدمرة الخطرة بالنسبة للمجتمع البدوى والمجتمع القروى حتى لو أخذنا فى الإعتبار النسبة والتناسب ومرد ذلك زيادة عوامل الإتصال الثقافى والحضارة الغربية عبر مختلف الوسائط التربوية وكذلك زيادة الطموح والمنفعة الفردية وسهولة إستقطاب العناصر الفقيرة وإيقاعها فى براثن الإدمان ومن ثم الإنحراف بجميع أنواعه .

والمهم فى هذا الصدد أن نذكر ان التنقل المهنى وعدم الإستقرار المهنى لمختلف الأنشطة الإنتاجية وعدم رضا كثير من أبناء المجتمع الحضرى عن

أعمالهم أو عن حياتهم بصفة عامة وكذلك زيادة فرص التنقل الإجتماعى لكثير من الفئات المعدمة فى فترة الإنفتاح وما تلاها وكذلك عوامل مثل مرونة الطبقة الإجتماعية وسهولة الدخول اليها والخروج منها فى المجتمع الحضرى أن أدى ذلك الى زيادة فرص الادمان مع عدمدور الرقابى داخل الأسرة وخارجها وبخاصة على الأنواع المدمرة للإنسان .

ولقد أدى الدخول فى دائرة الإدمان وبالذات على الهيروين ، والماكس والحبوب المخدرة للشباب أن عزف الشباب عن الدراسة والتحصيل العلمى وإنحرفوا فى تيار الرزيلة والإنحراف من الجنسين وخسر الحرفيون والمهنيون وكذلك رجال القضاه والضباط وكافة الطبقات المهنية والإجتماعية أعمالهم ومناصبهم وهيبتهم وأوضاعهم ومراكزهم داخل الاسرة وخارجها بل وعلى صعيد المجتمع ككل .

وبناء عليه لا توجد علاقة بين المهن والأعمال التى يعمل بها مدمنو الهيروين بخاصة وأعمالهم السابقة حيث أنهم دمروا وفقدوا كل شىء المكانة والثروة والسلطة .

كما نجد أن مدمنو الحشيش والأفيون والخمر والحبوب المخدرة تدهورت أحوالهم المهنية والوظيفية وباتوا أكثر عرضة للعقاب الرسمى من قبل الهيئات والمؤسسات التى يعملون بها ناهيك عن الإزدراء والإحتقار الشعبى

٩ - وظائف الفراغ لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة :

ولقد حدد دومازيدر *Dumazedier* وظائف الفراغ فى ثلاثة هى :

١ - الإستجمام .

٢ – التسلية .

٣ – تنمية الشخصية .

وعندما يكون وقت الفراغ بعد عناء عمل شاق وإرهاق نتيجة للجهد المبذول يعد نوعاً من الاستجمام ، بل أن العمل غير المتصل بالوظيفة والمنجز فى وقت الفراغ يكون فى الغالب تسلية ومن الطبيعى أن تكون التسلية في هذه الحالة تفكيراً لنشاط الفراغ وليس لخدمة أى غرض علمى ، وقد يعمل الفراغ على تنمية الشخصية لو كان مجعولاً عن طريق إثراء الفكر ، ويمكن أن يكون مسلى كالقراءة أو دراسة أشغال فى الفنون .

ويعتبر تحديد دومازيدر أن الفراغ هو ذلك النشاط الذى يمكن أنيمون الفرد فيه حراً يكرس نفسه خارج الحاجات والتزامات عمله وعائلته ومجتمعه بل من أجل الاستجمام وتسليته وتنمية شخصيته .

فكأن الفراغ يمارس تأثيراً كبيراً على الشخصية فى مختلف مراحل نموها فيعمل من الناحية الجسمية على نموها ويثير الإمكانات العقلية والعاطفية ، ويحفز الشخص على إتقان السلوك والعمل وينمى الخلق ويعمل على إكتساب المهارات ويتيح عن طريق خبرات وقت الفراغ فرص عديدة للتعبير عن الشخصية والتعويض عن جوانب النقص ويثير دوافع ورغبات وأمانى وإهتمام الشخص نحو إكتساب مزيد من الخبرات غير التقليدية (١)

وبناء عليه نجد أن نشاط الفراغ للمدمنين فى المجتمع وقته أطول كما سبق القول لعدم تمايز وتنوع الانشطة الانتاجية وعدم إقبال البدو على

---

(1) Nels, Anderson, Work and Leisure, London Routledge & Kegan Paul, 1980, pp 36 - 37 .

الأعمال الشاقة والمهنية وهذا النشاط يكون له وظيفتان أساسيتان هما :

١) الإستجمام ٢) التسلية

فتبين أن المدمن البدوى وبخاصة على الانواع التقليدية والذى لا يزال يؤدى دوره المحدد والمرسوم له فى النشاط الاقتصادى والحياة الاجتماعية يفضل الراحة بعد العمل الذى يقوم به وذلك بالذهاب الى المنزل للراحة حتى يستطيع أن يلتقى بجماعة أصدقاء التعاطى فى المساء وبخاصة الذين يعملون بمهن كالغفارة وأعمال السواقة ، وهذا يعد نوعاى من الإستجمام والإسترخاء.

ومما هو جدير بالذكر أن البدوى بعامة والمدمن البدوى بخاصة (فيما عدا مدمن الخمر والهيروين) يمارس ألواناً من الأنشطة بقصد التسلية وذلك فى وقت الفراغ كالصيد والسيجة وركوب الخيل .. الخ . وهكذا تظهر هاتين الوظيفتان بوضوح .

أما عن الوظيفة الثالثة فى تحديد دومازيدر فلا تظهر بوضوح حتى على مستوى الشخصية البدوية بعامة والمدمن بخاصة حيث أن البدو لا يميلون الى النواحى التثقيفية أو الفكرية أو تناول الموضوعات السياسية التى تنمى شخصية الفرد وذلك لقصور التعليم بالنسبة للطبقات العمرية المختلفة ، هذا فضلاً عن القصور فى وسائل التعليم غير الرسمى الموجه لهذه الجماعات كالمسارح والمجالات والجرائد ودور السينيما والتى لها دور كبير فى تنمية شخصية الفرد .

ولما كان البدوى بصفة عامة والمدمن بصفة خاصة ليس هناك تحديد فاصل بين وقت العمل والفراغ ، كما أن المواد المخدرة المنتشرة فى المجتمع

البدوى هى فى أغلبها من الأنواع التقليدية الأقل خطورة على الإنسان فنجد أن نشاط الفراغ بالنسبة للمدمن فى المجتمع البدوى له وظيفتان أساسيتان بناء على تحديد دومازيدر وهما :

١) الإستجمام ، ٢) التسلية .

حيث أن المدمن البدوى يفضل عند الذهاب للتعاطى فى أماكن الغفارة أو عند أحد العزاب أو فى الخلاء أن تكون شلة التعاطى متجانسة وليس بها ناصح كما سبق القول لأنهم يقضون وقتهم فى التعاطى بقصد التسلية والإستجمام والإسترخاء وقتل الوقت الطويل والحياة الرتيبة التى تحيط بالمجتمع من جميع النواحى كما أن الوظيفة الثالثة فى تحديد دومازيدر للفراغ وهى تنمية الشخصية فلا توجد فى قاموس المدمنين البدو على الإطلاق حيث أن البدو بصفة عامة ونظراً لقصور التعليم بين الغالبية لا يميلون إلى النواحى التثقيفية والإطلاع والبحث والإستزادة كما هو الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

كما لمست أن وظائف الفراغ بالنسبة للمدمنين فى المجتمع القروى وبخاصة على الأنواع التقليدية لا تختلف الا قليلاً عن المجتمع البدوى ونظراً للتقارب الكبير فى كثير من خصائص الحياة بصفة عامة فى تلك الأنماط التقليدية ، وبناء عليه نجد أن وظيفتى الإستجمام والتسلية هما الأساس فى قضاء المدمن مع رفاق أو شلة التعاطى للوقت بصفة عامة حيث أن الوقت بات معظمه فراغاً وإختلط وقت العمل بوقت الفراغ وبخاصة لمن لا يرتبطون بأعمال رسمية .

ولا توجد للوظيفة الثالثة وهى تنمية الشخصية أى أثر بالنسبة للمدمنين

فى المجتمع القروى عدا بعض مدمنى الحشيش من الضباط والمحامين والمستشارين والقضاه ومثقفى القرية الذين يتحاورون ويتناقشون أثناء تعاطى الحشيش والذى يحتاج وقت طويلاً فى عملية الإعداد والتعاطى عكس الأنواع الأخرى .

ولا نجد الأمر يختلف كثيراً بالنسبة للمدمنين فى المجتمع الحضرى حيث أن وظيفة الفراغ لمدمنى الأنواع التقليدية قد تتعدى التسلية والإستجمام وقتل الوقت حيث أن هذا المجتمع يوجد تحديد قاطع وحاسم لوقت الفراغ ووقت العمل ، إلا أن رفاق التعاطى وبخاصة الحشيش يحرصون على الإلتقاء فى مجموعات ومواعيد محددة بعد العمل وفى أماكن معينة تسمح بذلك وهنا نجد أن هذه الجلسات قد تقم بين أفرادها طبقات اجتماعية ومهنية متمايزة جمعهم جميعهم «الكيف» ويتجاذبون الأحاديث والمناقشات فى كل الأمور العامة التى تحيط بهم .

ولكن هذا لا ينطبق بأى حال من الأحوال على مدمن الهيروين والمورفين والماكس حيث أن موعد جرعة الهيروين هى اللحظة والوقت الهام فى حياته وما دون ذلك فقد أسقطه من حسابه .

١٠ - مظاهر استخدام وقت الفراغ لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة :

مما لا شك فيه أن طبيعة النظر الى الفراغ من جانب الأفراد فى مراحل العمر المختلفة وتبعاً لإختلاف الظروف العائلية ، فنجد على سبيل المثال طبيعة الألعاب وأساليب قضاء وقت الفراغ وإستغلاله فى فترة الطفولة عن المراحل العمرية الأخرى مثل مرحلة الشباب ومرحلة الكهولة بناء على معايير ومتغيرات مثل النوع والعمر والطبقة الاجتماعية والمحيط الثقافى الذى يحيا

من خلاله الفرد .

وهناك مجموعة من الأنشطة الرئيسية لقضاء وقت الفراغ التى تختلف من نمط مجتمعى الى نمط مجتمعى أخر بناء على التمايز والتباين الثقافى ومن فئة عمرية الى أخرى ومن طبقة إجتماعية وثقافية الى أخرى داخل المجتمع الواحد وهى القراءة ، التردد على المكتبات ومتابعة وسائل الإعلام الجماهيرى ، الاهتمامات السياسية ، التردد على دور العبادة ، النشاط الرياضى والهوايات ، كما نجد أن هذه الأساليب تتأثر بالحالة النفسية وبالمزاج الشخصى للإنسان وإهتماماته والمستويات الثقافية والمادية للأسرة والفرص والأماكن المتاحة لمزاولة الأنشطة المختلفة للفراغ .

لقد سبق القول أن المدمن البدوى هو مدمن على الأنواع التقليدية وأن السياج الإجتماعى والثقافى المحيط بالمدمن يجعله أكثر حرصا على المحافظة على الأنماط والعادات والتقاليد والإعراف البدوية وبناء عليه نجد المدمن البدوى يقضى وقته إما فى لعب السيجة أو الزيارات الودية أو الجلوس فى ظل الأشجار كعادة معظم البدو حتى يأتى وقت إلتقاء جماعة التعاطى .

إلا أن مدمن الخمر يكون أكثر عزلة وإنطوائية وعلاقاته محدودة حيث أن الخمر منبوذة بالمجتمع البدوى .

كما نجد أن المدمن فى المجتمع القروى وبخاصة على الأنواع التقليدية يقضى معظم وقته مع جماعة التعاطى فى لعب ورق الكوتشينة أو الدومينوأو الطاولة أو مشاهدة التلفزيون أثناء جلسات التعاطى .

إلا أننا لا نجد أى مدمن يمارس أى أنواع من الألعاب الرياضية

والفروسية أو القراءة والإطلاع أو زيارة الأماكن الأثرية والسياحية والحدائق العامة .

إلا أن المدمن الحضرى أسوأ حظا حيث أن طبيعة الحياه الإجتماعية المتغيرة من حوله وظروف الحياه المادية الصعبة وكذلك المواصلات قد فرضت عليه وبخاصة مدمن الهيروين والحبوب المخدرة وحقن الماكس عزله وإنطوائية وأصبح بمعزل عن معترك الحياه ويقضى معظم وقته وحيدا ، شريدا ، غير منتبها لما يدور من حوله .

إلا أن مدمن المواد المخدرة التقليدية فقد يقضى وقته فى لعب الطاولة أو الكوتشينة أو الدومينو أو زيارة الأصدقاء وبخاصة شلة التعاطى .

ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نجد مدمنا يتردد على دور العبادة أو المكتبات للإطلاع والقراءة أو الحدائق العامة .. الخ .

١١ - العوامل المتعددة التى تحول دون عمل المدمنين فى الثقافات المختلفة :

وتتعدد العوامل التى تحول دون عمل المدمنين فى الثقافات المختلفة ما بين عوامل إجتماعية وثقافية وإقتصادية وسياسية ونفسية وصحية .. إلخ . إلا أن تأثير هذه العوامل جميعها يتفاوت ويختلف من ثقافة الى أخرى فنجد أنه لا توجد أى عوامل إجتماعية أو ثقافية أو إقتصادية أو سياسية أو حتى نفسية وصحية تحول دون رجوع المدمن فى مرحلة تالية بعد الشفاء الى حظيرة المجتمع البدوى وممارسة كل الأدوار المنوطة له وشغل المراكز التى يجب أن يحتلها على صعيد المجتمع ودليل ذلك هو أن الإدمان على المواد الخطرة نادراً للغاية كما سبق الذكر فى المجتمع البدوى هذه المواد التى تعصف بتكوين الإنسان الجسمى والاجتماعى والنفسى وتنهى على موارده

المادية الى حد بعيد للغاية وهذه العوامل كان تاثيرها الى حد ما بسيطاً فى مجتمع القرية وبخاصة أن السياج الاجتماعى والثقافى يقف لإدمان المواد المخدرة الخطرة بالمرصاد رغم إزدياد نسبتها فى المجتمع القروى محل الدراسة عن المجتمع البدوى .

الا أننى لمست أثر العوامل الاجتماعية جلياً وواضحاً وبالذات لمدمن المواد المخدرة الخطرة فى المجتمع الحضرى والتى تحول دون إنتمائهم الاجتماعى للاسرة أو العائلة أو المجتمع حيث أن نظرة المجتمع أكثر قسوة فى هذا المجتمع الحضرى عكس الحال تماماً فى المجتمعات التقليدية محل الدراسة التى نجد فيها الترابط القبائلى والعائلى والتساند والتكامل فى العلاقات الاجتماعية وسيادة مشاعر الود والالفة وعلاقات الوجه بالوجه والتى يفتقدها الى حد كبير أبناء المجتمع الحضرى وبالقطع مثل هذه العوامل وإندثارها فى المجتمع الحضرى لها تاثير بالغ الاهمية فى عدم تقبـل المجتمع ثانيـة إلا نادراً وهذا سر إنتكاسة المدمن على هذه المواد ثانية .

كما نجد أن ظروف البطالة وإنتشارها وصعوبة الحياة الاقتصادية وفقد المدمن على المواد المخدرة لعمله أو إهماله له يجعل من الصعوبة الثقة به ثانية أو تقبل الجهات المعنية له وإدراجه ضمن القوى داخل العمل كما كان وبالقطع هذه عوامل لها بالغ الاثر فى العودة للادمان ثانية نظراً للفظ المجتمع والفراغ الذى يحيط بالمدمن .

كما نجد أن العوامل النفسية التى يواجهها المدمن وبالذات على المواد المخدرة الخطرة بعد الشفاء الطبى والتى تحتاج فى أغلب الاحوال الى

إعادة تأهيل نفسى وإجتماعى على درجة عاليه من الدقة والاهمية لاعادة التوازن النفسى والاجتماعى وبث الثقة فى شخصية المدمن ثانية تتقدم الى حد كبير فى المجتمع الحضرى من المحيطين به من كل جانب وقد تكون هذه العوامل هى السبب فى الاصل الى دخوله الى هذه الدائرة اللعينة وهنا نجد مشاعر الحذر والحرص والخوف لا يستطيع إخفاءها أفراد الاسرة الذين يظهرون عكس ذلك ولكن المدمن يحس وكأن جدار الثقة والاحترام والاعتداد بالنفس بدأ يحدث به ثمة شروخ ويبدأ فى الاحساس بالفراغ العاطفى والإجتماعى والعزلة وعدم التكيف والانطواء وعدم الانسجام وهذا يكون لديه أثر سيء فى عودته الى الدخول الى دائرة الادمان ثانية .

كما نجد أن العوامل الصحية والتدهور الجسمى العام الذى قد يعانى منه المدمن على المواد المخدرة له أثر بالغ الأهمية فى بطء إستعادته لقوته الجسدية وحالته الصحية العامة وهذا بالقطع يحتاج الى وقت طويل وبخاصة لو كان المدمن يعمل من قبل فى أعمال تحتاج الى تركيز ودقة ومهارة.

وهنا نجد أن إعادة تأهيل المدمن بعد الشفاء جهد كبير يحتاج الى تضافر العديد من المتخصصين من واقع الخبرة الميدانية ومعايشة الظروف الحياتية والأحاسيس والمشاعر المختلفة التى كان يحسها المدمن قبل وبعد الإدمان ومن ثم صفة هذه المشاعر والأحاسيس والظروف المجتمعية والاجتماعية والثقافية التى يحيا داخلها المدمن على مختلف المواد المخدرة بقصد الخروج بإطار عمل متكامل يتناسب مع الواقع المجتمعى والسياج الثقافى الذى يحيا خلاله المدمن فى المجتمع بعيد عن الأطار والنظم والمناهج الغربية التى نمت فى بيئة مختلفة تماماً عن الواقع العربى .

١٢ - إمكانية عمل المدمن بعد الشفاء وطبيعة الأعمال المتاحة له فى الثقافات المختلفة :

لما كان المدمن فى المجتمع البدوى هو مدمن فى أغلب الاحوال وأن إدمانه على الأنواع الخطرة تكون نسبته قليلة أو تصل الى حد الندرة وكما سبق القول حرص المدمن ألا يعرف عنه أى فرد فى المجتمع أى شيء أو سر إدمانه ، بل حتى الحالات القليلة التى تم علاجها عادت الى ممارسة ادوارها المنوطة بها كما هى وبناء عليه يسهل أن يدخل المدمن البدوى فى سياج الحياة الإقتصادية والاجتماعية الى حد كبير كما سبق القول .

إلا أن الأمر يختلف فى المجتمع القروى وبخاصة بين المدمنين على المواد الخطرة والتى تنتشر بنسبة أكبر عن نمط المجتمع البدوى وهنا تكون إمكانية الشفاء للمدمنين متوسطى الحال أوحتى الفقراء قليلة وإحتمال نجاحها بالنسبة للأغنياء يتوقف على مدى رغبة المجتمع القروى وبخاصة فى الأسر القوية على إدماج المدمن بعد الشفاء فى دائرتها حرصاً منها على ألا يكون مصدر ضعف وإزعاج لكيانها وسيطرتها وسلطتها وهيبتها داخل المجتمع .

بينما الحال كذلك فى تلك الأنماط التقليدية نجد الوضع يختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى حيث أن المدمن الذى يفقد عمله أو الطالب الذى يفقد مقعده فى المدرسة او الجامعة لا يمكن العودة اليه إلا فى أضيق الحدود وهنا يجد أن المدمن بعد الشفاء وبخاصة المدمن على المواد المخدرة باب العمل وإستعادة نشاطه المهنى موصد تماماً ولذا خرجت هذه الدراسة بعدة نتائج وتوصيات هامة أدمجتها فى الرؤية العلاجية والوقائية ولذا يجب

أن تتاح الفرصة كاملة للعامل والموظف والطالب أن يستعيد ثقته بنفسه وقدرته على العطاء فقد تكون البطالة والفراغ الدينى والسياسى والعاطفى وعدم الإنتماء من عوامل دخوله الى هذه الدائرة اللعينة فكيف إذن نتيح لهذه العوامل أن تظهر فى حياته مرة ثانية وتحدث إنتكاسة تكون أكثر خطورة عن إدمانه للمرة الأولى حيث أنه فى الإنتكاسة سيكون ناقماً على نفسه وعلى المجتمع وعلى الناس بل وعلى الحياة من حوله بأسرها وستغلب داخله نوازع الشر على نوازع الخير ومن هنا يكون عنصراً مدمراً للمجتمع ككل فى النهاية .

١٣ - طبيعة العقبات التى تواجه عمل المدمن فى الانماط المجتمعية المختلفة:

مما هو جدير بالذكر أن العقبات التى تواجه عمل المدمن بعد الشفاء فى المجتمع البدوى بسيطة للغاية حيث أن طبيعة الأعمال المتاحة فى المجتمع وعدم تنوعها وتمايزها وتحكم المعايير الذاتية فى تقسيم العمل بصورة أكبر من المعايير الموضوعية يجعل الأمر يسيراً بالنسبة لإدماج المدمن البدوى بعد الشفاء فى دائرة العمل والحياة الاجتماعية ككل .

كما أن الأمر لا يختلف كثيراً فى المجتمع القروى وبخاصة فى الأسر الممتدة والأسر ذات السلطة والقوة والسيادة حيث يسهل عليها إتاحة الفرصة ثانية للمدمن بعد الشفاء خوفاً على عودته للإدمان ، إلا أن الأمر يكون أكثر صعوبة بالنسبة للحرفيين والحرفين وبخاصة الأعمال التخصصية التى تحتاج الى فترة طويلة بعد الشفاء حتى يستعيد المدمن توازنه النفسى والعضلى ومن ثم توازنه الاجتماعى .

إلا أن الأمر يكون أكثر سوءاً بالنسبة للمدمن فى المجتمع الحضرى وبخاصة مدمن الأنواع المدمرة حيث يجد التحديات والعقبات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية والنفسية تحيطه من كل جانب وقد توصد جميع الابواب فى وجهه وبصفة خاصة الفقراء أو أولئك الذين ينتمون الى الطبقات المتوسطة وبالقطع تقل هذه الضغوط والصعوبات والتحديات على أولئك الذين ينتمون الى أسر ذات جذور قروية أو أسر ذات ثروة وسلطة وسطوة حيث يمكنهم تذليل كافة الصعوبات أمام هذا العضو حتى يستعيد مكانته ووضعه داخل الأسرة وخارجها وعلى صعيد المجتمع ككل .

١٤ - إمكانية عمل المدمن بعد الشفاء وطبيعة الأعمال المتاحة له :

مما لا شك فيه أن المدمن وبالذات على الأنواع الخطرة يحتاج الى علاج طويل طبى ثم تأهيل إجتماعى ونفسى ولكن من الأهمية بمكان فى كل الثقافات المتباينة أن يؤخذ فى الإعتبار شعبياً ورسمياً أن إقحام المدمن فى نفس المجالات العملية والمهنية التى كان يعمل بها من قبل طالما ليس هناك خطورة صحية أو نفسية فى المرحلة الأولى حيث أن بث عامل الثقة والرغبة والطموح والإحتياج له من الأهمية بمكان كدوافع للعمل وإندماجه وإنتمائه فى فريق العمل مع الحرص فى أن تكون معاملة زملائه فى العمل معاملة عادية ليس فيها إهتمام متزايد أو تعاطف .. الخ .

أما إذا كان العمل الذى يؤديه فيه ثمة خطورة فى المرحلة الراهنة يجدر إقناعه بأنه محتاج لبعض الراحة والتغذية مع إسنادبعض الأعمال له فى نفس المجال الذى كان يمارسه أو يرغبه وحفزه على أن تقدمه فى العلاج سيجعل بعودته الى العمل وبخاصة لو كان هناك حالات مدمنة قديمة تعمل فى نفس موقعه بصورة تلقائية .

الفصل الثامن

أنماط التبادل بين المدمنين فى الثقافات المختلفة

لقد إختلفت المداخل المنهجية والنظرية فيما بينها فى تفسير تأثير عملية التبادل بإختلاف أبعادها وأطرافها ، حيث تعمد بعض العلماء الماديين الذين قصروا تلك العملية على المبادلات السلعية والخدمية فقط ، فى حين نجد بعض من العلماء الأنثروبولوچيين عندما تناولوا عملية التبادل فإنهم تعاملوا بطريقة أو بأخرى مع جوانب الحياة الإجتماعية فى معية تحليلياً وأمبيريقياً ، وكما ذهب سيريل بيلشو *Belshaw* فى كتابه التبادل التقليدى والأسواق الحديثة ١٩٧٠ من أن التبادل كنظام يتخلل البنية الإجتماعية ويمكن أن ينظر اليه على أنه عبارة عن شبكة تمسك المجتمع بعضه ببعض (١) .

كما نجد البعض يقصر دراسة عملية التبادل على تفاعل العرض والطلب والسعر فى سوق السلع أو الخدمة فقط ، فى حين نجد أن آخرين يضمون كل الأنشطة الإنتاجية (التى تشتمل على عملية الإستثمار من وجهة نظر الإقتصاديين) والإستهلاكية على حد سواء إذ يقول كينث بولدنج *Kenth Boulding* أن دراسة الأنشطة الإنتاجية والإستهلاكية هى جزء من دراسة التبادل وقيل أن دراسة التبادل تشتمل على تسع أعشار الدراسات الاقتصادية (٢) .

---

(1) Cyril, Belshaw, Traditional Exchange and Modern Markets, Prentice - Hall, Inc, London, 1965, pp 15 - 16 .

(٢) عبد الله غانم ، التبادل وعمليات الإستثمار والإدخار فى المجتمع المحلى التقليدى والحضرى «دراسة مقارنة فى الانثروبولوچيا الاقتصادية» المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٢ .

وفضلاً على ذلك نجد فريقاً آخر ينظر الى السلوك الإجتماعى ككل كعملية تبادل وأن كل تفاعل إجتماعى هو عبارة عن نوع من التبادل الإجتماعى ، وأن إنسياب المبادلات فى البناء الإجتماعى هو الذى يوجد فى البناء العائلى وغيره من النماذج الاجتماعية ومن ثم فإن دراسة المجتمع تعتبر دراسة لإنسياب المبادلات (١) .

وفى حقيقة الأمر فإن هذا الإختلاف فى النظر الى التبادل مرده الأساسى هو إختلاف طبيعة نظرة العلماء الى النظرية الإقتصادية بصفة عامة ، حيث أن العلماء إنقسموا فيما بينهم حول فروض ومسلمات تلك النظرية ما بين مؤيدين ومعارضين ، فنجد أصحاب المدخل الصورى يقبلون على ويدافعون عن مبادئ وفروض تلك النظرية ، ومن هؤلاء فريدريك بارث *Fredrik Birth* وسيريل بلشو *Cyril Belshaw* وهارولد سنيدر *Harold Schneider* وإدوارد كليز *Edward Lachaire* فى علم الأنثروبولوچيا ، كما نجد چورج هومانز *George Homans* وبيتر بلاو *Peter Belaw* فى علم الإجتماع .

ونجد كذلك أصحاب المدخل الواقعى أو الواقع الاجتماعى يرفضون هذه النظرية رفضاً تاماً ويذهبون بعدم ملائمتها للتطبيق فى الواقع ومنهم كارل بولانى *Carl Polony* وچورج دالتون *George Dalton* ومارشال سالينز *Marshall Sallins* وبول بوهانان *Paul Pohanan* .

وهناك الأنثروبولوچيون الاجتماعيون يقفون بين الاتجاهين سالفى الذكر فيقبلون النظرية الإقتصادية بشكل جزئى فيرى أصحاب هذا الإتجاه

---

(1) Harold Schneider, H, Economic Man, Free Press, N.Y., 1974 p 135 .

ملائمتها دراسة الجوانب المادية من الحياة فى جميع مستوياتها الثقافية ، وعدم ملائمتها لدراسة الجوانب اللامادية ومنهم ريموند فيرث *Raymond Firth* وماننج ناش *Maning Nash* .

وهنا نجد أن الموقف النظرى من النظرية الاقتصادية على النحو سالف الذكر له أثر كبير فى منهج البحث ومستوى التحليل الذى يصل اليه الباحث ، فيميل أصحاب الإتجاه الصورى الى إبراز كيفية أهمية إتخاذ القرار والهدف منه حيث أنهم يتتبعون عملية تعظيم الربح أو المنفعة وتوقع الخسارة أو الإثنين معاً وفى ضوء ذلك يبعدون كل البعد عن البنية الاجتماعية والظروف وكافة النظم المحيطة بهذه الظاهرة فبينما يعالج أصحاب الواقع الاجتماعى نفس الظاهرة معالجة واقعية فى علاقتها بالبناء الإجتماعى ولا ينزعونها عن البيئة المحيطة بها بإعتبار أن لها دوراً فى الحفاظ على النسق الاجتماعى وفى تأثيرها بالمجتمع ونظمه وكيفية مساندتها له .

ويمكن أن نحدد جوانب عملية التبادل على النحو التالى :

١ - هناك طرفان للتبادل يحدد شخصيتهما وظروفهما موضوع العلاقة بينهما والمبدأ الذى يحكم عملية التبادل فيما بينهما قد يكون هذا المبدأ هو تعظيم المنفعة أو تدنية الخسارة أو مبدأ التناوب أى التبادل العادل *Fair Exchange* على ما أسماه البعض أو مبدأ الإيثار ، ومعالجة وتوضيح هذه النقطة كفيلة بتوضيح نوع العلاقة التى تربط بين طرفى التبادل وهى كفيلة بتوضيح العلاقات داخل الأسرة الواحدة أو وحدة التبادل وكذا العلاقات بين العائلات وبعضها ثم بين القوى المؤلفة للمجتمع كله .

٢ – عملية إتخاذ القرار ويبدو فيها دور الأفراد والوحدات الأخرى عليه طبقاً للظروف الإجتماعية والإقتصادية السائدة وطبقاً لستوى ونوع العلاقات التى تتخلل التبادل .

٣ – أفعال أو عمليات التبادل وتتمثل فى تلك الصور التى تتخذها عملية تبادل المنافع مثل الشراء والبيع ، والإقتراض والإقراض ، الهبة والهدايا ، والمساعدات والمعونات وغير ذلك ، وما يرتبط بهذه العمليات من علاقات اجتماعية تؤثر فيها وتتأثر بها على مختلف المستويات داخل العائلة وبين العائلات وعلى مستوى المجتمع كل .

٤ – الوساطة والسمسرة والمساومة وتعالج هذه العمليات على انها تعكس علاقات القوة بالمجتمع ، كما تعكس نوع من التفاعل القائم على أطراف ثلاثة فى مبادلة واحدة كما تعالج السمسرة بمعناها الاقتصادى حالة قيامها بدور اجتماعى هام (١) .

٥ – خلق شبكة معينة من العلاقات الإجتماعية التى تقوم على تبادل المنافع كما أن شبكة التبادل هذه تتوظف على ما سنرى فى نقل رسائل معينة بين المتبادلين بجانب دورها الاقتصادى ، وهنا ندرس أيضاً أهداف التبادل ودوره من وجهة نظر القائمين به ، وندرس علاقات الفرد بإعتبارها انسياب لتبادل المنافع بينه وبين أطراف محددة .

ونعرض فيما يلى لمختلف عمليات التبادل لدى المدمنين والعوامل المختلفة المؤثرة فيها فى الأنماط المجتمعية على النحو التالى :

---

(١) عبد الله غانم ، التبادل وعمليات الإستثمار والإدخار فى المجتمع المحلى التقليدى والحضرى ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٢ ص ص ١٣٧ – ١٣٨ .

١ - أطراف عملية التبادل للمدمنين في الثقافات المختلفة :

لما كان الادمان فى المجتمع البدوى بصفة عامة ليس على الأنواع الخطيرة إنما على الأنواع التقليدية كالحشيش والأفيون ، فنجد أن المدمن البدوى على تلك الأنواع يؤدى دوره خلال عمليات وأنماط التبادل شأنه شأن البدوى بصفة عامة فى أغلب الأحوال .

وبناء عليه نجد أطراف عملية التبادل الشعائرى أو التناوبى فى المجتمع البدوى فى الغالبية بين رؤوس العائلات وكبار بيوت العائلة بعضهم البعض ويدخل المدمنون فى ذلك الإطار العام حيث أن المجتمع هو عبارة عن مجموعة محددة من العائلات تربطها العلاقات القرابية أو علاقات المصاهرة أو حتى علاقات الجوار ، وهذا جعل طابع عمليات التبادل يأخذ الشكل العائلى عند التهادى وليس الشكل الفردى إلا فى حالات قليلة خصوصاً وأن هذه الهدايا تقدم في الغالب فى صحبة العواقل أو مشايخ العائلات أو من ينوب عنهم لأنها تأخذ في الغالب طابع الهدايا الملزمة .

وبناء عليه نجد أن عملية إتخاذ القرار فى عملية التبادل بكافة أنواعه فى المجتمع البدوى والقروى ودور الأفراد فيه يقع على عاتق كبار رؤوس العائلات ومن ثم يلعب كل فرد فى العائلة أو القبيلة الدور المخول له فى تلك العملية . كما نجد أن عملية تعظيم المنفعة أو تدنية الخسارة لا تظهر جلياً حيث أن العائلات جميعها مرتبطة بعلاقات نسب ومصاهرة وهنا تحديدات وقواعد واضحة بشأن عمليات التبادل داخل النسق القرابى وخارجه بما يضمن سيادة علاقات التساند والتكامل والتكافل الاجتماعى بين أعضاء المجتمع جميعاً فى النهاية .

كما نجد أن مبدأ التناوب أى التبادل العادل يخضع لطبيعة العلاقة بين طرفى التبادل أوأطراف عملية التبادل ومدى العلاقات القرابية وغير القرابية التى تربط هؤلاء الأطراف وكما سيتضح تفصيلاً فى موضوع آخر من هذا البحث .

وتختلف الصورة كثيراً فى المجتمع الحضرى حيث نجد أن الطابع الغالب للهدايا بين المدمنين خاصة القادرين وبقية أفراد المجتمع أو بين بعضهم البعض تأخذ طابع الهدايا غير الملزمة سواء فى العطاء أو فى الأخذ حيث تسود مشاعر الفردية والانانية والبعد عن العوامل الاجتماعية والعمل على تعظيم المنفعة وتدنية الخسارة فى كل عمليات التبادل .

٢ - أسباب الدخول فى عمليات التبادل لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة :

وتتعدد الأسباب التى تجعل أبناء المجتمع البدوى بعامة والمدمنين بخاصة يدخلون فى عملية التبادل ونجملها حسب أهميتها على النحو التالى :

١ - القرابة   ٢ - سد الاحتياجات التى تنقص العائلة

٣ - التخلص بما يزيد عن حاجة العائلة .   ٤ - الجيرة .

٥- الصداقة .   ٦ - توطيد وتعزيز شبكة العلاقات الاجتماعية

٧ - لا يكون عامل تعظيم المنفعة وتدنية الخسارة له أى قيمة كبرى فى عمليات التبادل حيث أن عمليات التبادل الشعائرى والعمل في المجتمع البدوى تأخذ أبعاداً اجتماعية وثقافية ونفسية أما البعد الاقتصادى من التبادل يأتى فى المرتبة الثانية .

وتتعدد الأسباب التى تجعل المدمنين فى المجتمع القروى على المواد

التقليدية وبدون المواد الخطرة مثل الهيروين وحقن الماكس والخمر الي جد كبير يدخلون فى عملية التبادل مع أبناء المجتمع وبخاصة الذين ينتمون الى أسر ممتدة فى النقاط التالية :

١ - القرابة ٢ - الصداقة

٣ - الجيرة ٤ - سد الإحتياجات التى تنقص العائلة

٥ - توطين وتعزيز شبكة العلاقات الاجتماعية

٦ - التخلص بما يزيد عن حاجة العائلة (خاصة للمدمنين الأثرياء)

٧ - لا يكون عامل تعظيم المنفعة وتدنية الخسارة له قيمة كبرى فى عمليات التبادل حيث أن هذه العمليات تتم فى صورة عائلية فى أغلب الأحوال وتأخذ أبعادا إجتماعية وثقافية ونفسية أما البعد الاقتصادى من التبادل فيأتى فى المرتبة الثانية .

ولكن الصورة تختلف الى حد بسيط فى حالة الاسر النووية خصوصا لو أدمن رب الاسرة حتى على الأنواع التقليدية محتماً سيؤثر ذلك على عمليات التبادل بينه وبين أبناء المجتمع ويستبعد من ذلك أثرياء القرية .

ويمكن أن تحدث عمليات تبادل بين المدمنين وبعضهم على الأنواع التقليدية بدافع المجاملة خاصة وأن جلسات تعاطى الحشيش تحتاج دائما الى الصحبة من جميع الاوساط والطبقات وهنا نجد طبيعة توزيع الأدوار والخدمات المترتبة على التعاطى تمثل خير تمثيل تبادل المنافع والخدمات نظير التعاطى خصوصا للمدمنين الموظفين أو الفقراء والذين لابد وأن يشملهم مجلس التعاطى .

إلا أن المدمنين على المواد الخطرة فلا يدخلون فى أى عمليات تبادل مع أبناء المجتمع ولا حتى مع بعضهم البعض إلا فى حدود ضيقة جدا وخصوصا لو فيه عميل أو زبون جديد يحتاج الى مساعدة من مدمن قديم حيث يسهل له عملية الجلب نظير جرعة وهكذا ، لان المدمن على المواد الخطرة يعيش عالم من خياله ويعيش بعدى الزمان والمكان فى معزل تماما عن أبناء المجتمع القروى بعامة .

ونفس الكلام يصدق على المدمنين على المواد التقليدية فى المجتمع الحضرى مع مراعاة ظروف إتساع المدينة وكثرة عدد السكان وتنوعهم وتمايزهم العرقى والثقافى واختلاف المستويات الاقتصادية الى حد كبير ، حيث وجدت أن المدمنين على المواد التقليدية يدخلون وبخاصة المقتدرين فى عمليات تبادل مع أبناء المجتمع بعامة أو المدمنين غير المقتدرين بخاصة ولكن هنا تكون عمليات التبادل قائمة فى المحل الأول على دوافع اقتصادية أو تبادل منافع وخدمات أو حتى محاولة إستدراج أسرة المدمن الفقير الى دائرة الانحراف والرذيلة نظير العطايا المادية والهدايا العينية من جانب المدمنين الأثرياء . ويتضح هذا بصورة جلية فى محاولة إستدراج رجال الأعمال والأثرياء من المدمنين لنساء وبنات المدمنين الفقراء نظير جرعات المواد المخدرة الخطرة بالذات .

وبناء عليه إجمال أهم اسباب الدخول فى عمليات التبادل من جانب المدمنين وأبناء المجتمع وبخاصة الأنواع التقليدية فى النقاط التالية :

١ – الصداقة .

٢ – تعظيم المنفعة وتدنية الخسارة .

٣ – سير الاحتياجات التى تنقص العائلة .

٤ – التخلص عما يزيد عن حاجة العائلة وبخاصة المقتدرين .

٥ – توطيد وتعزيز شبكة العلاقات .

٦ – القرابة .

إلا أنه نادرا ما نجد المدمنين على المواد الخطرة كالهيروين وحقن الماكس والخمر إلا حد كبير ما يدخلون فى عمليات تبادل مع أبناء المجتمع حيث أن المجتمع لا يرغب فى معرفتهم وتكون علاقة أبناء المجتمع بهم علاقة حذر وخوف وإزدراء وإحتقار وكذلك أنهم بطبيعة الحال لا يثقون فى بعضهم البعض كمدمنين ودائما يشكون فى بعضهم البعض وإذا علاقاتهم ببعضهم علاقات يشوبها الحذر والشك والأنانية والمصلحة الذاتية .

٣ - أساليب التبادل لدى المدمنين وأبناء المجتمع فى الثقافات المختلفة:

وتبين أن أساليب التبادل بين المدمنين البدو وأبناء المجتمع البدوى تتم على نطاق المجتمع ككل، وكذلك الحال فى المجتمع القروى وبخاصة فى الأسر الممتدة وبينما يختلف الوضع بصورة كبيرة فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك إختلاف الظروف المجتمعية وإختلاف وتنوع المواد المخدرة بصورة أكبر من الأنماط المجتمعية التقليدية . ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

يتم توزيع ناتج العمل أو السلع والخدمات من مختلف الأنواع فى غالبيتها على مستوى الجماعة أو العائلة ومرد ذلك إنتشار العائلات الممتدة بشكل واضح وهذا إن دل على شئ إنما يدل على مدى الترابط العائلى والترابط الجماعى القائم على أسس إجتماعية وثقافية ودينية وسيكولوجية

متجانسة ومتكاملة فى الوقت نفسه .

وهذا الوضع لانجده يختلف كثيرا فى المجتمع القروى وبخاصة فى الأسر الممتدة التى لا تزال تنتشر فى هذا النمط المجتمعى ومن ثم فالاستفادة بصورة جماعية وتوزيع ناتج العمل بصورة جماعية عكس الحال فى الاسر النووية فى المجتمع القروى .

ولمست أن توزيع ناتج العمل أو السلع والخدمات يتم على مستوى المدمن الفرد وبخاصة الذى لا يعول ، وإذا كان يعول وإمكانياته محدودة حتى لو على المواد المخدرة التقليدية فانه بالقطع سيؤثر على توزيع ناتج العمل على أفراد الأسرة جميعا حيث سيكون هناك سلم تفضيل لإحتياجاته هو أولا ، أما بالنسبة للمدمنين على المواد الخطرة فيسقط من حساباته نهائيا الأسرة أو حتى المجتمع .

كما تبين أن عمليات توزيع السلع والخدمات تتم إما من خلال عمليات التبادل فى الغالب بين العائلات وبعضها أو السوق أم الاثنين معا ، فضلا على ذلك فإن التبادل العملى من خلال السوق يتم بصورة بسيطة حيث باتت النقود تشكل ... أساسى فى التعامل ، كما أن المقايضة تؤدى دورا بسيطا للغاية ويتم التبادل بالسلع على أساس تحديد السعر الودى بين أطراف عملية التبادل وتثمين السلع ، حيث أن القيمة النقدية للسلع محل التبادل ذات أهمية فى إتمام عملية التبادل برضاء جميع الأطراف الداخلة فيها .

هذا الوضع لا يختلف كثيرا فى المجتمع القروى وبخاصة فى حالة الأسر الممتدة بينما يختلف الى حد كبير بالنسبة للأسر النووية التى تكاد تقترب

كثيرا من النمط الحضرى فى كثير من الأمور المتعلقة بأساليب التبادل والتى تتم فى أغلبها عن طريق السوق أو عن طريق المحال التجارية ويكون أساس التعامل فيها السعر النقدى .

ولماكان الادمان فى المجتمع البدوى لا يشكل خطورة على كافة نواحى الحياه المجتمعية فى ذلك النمط المجتمعى فلقد تبين أن العمليات التجارية على مختلف أنواعها سواء من خلال السوق كعمليات البيع والشراء أو تجارة الهدية هى بمثابة أفعال للتبادل ، حيث أن العادات الإجتماعية والتقاليد المتوارثة بين أبناء المجتمع البدوى تحبذ تبادل الهدايا بل تزيدها باستمرار لضمان استمرارية أواصر العلاقات وتدعيمها وتوطيدها بغيةالمحافظة على الكيان الاجتماعى للمجتمع ككل .

كما نجد الامر لا يختلف إلا بصورة بسيطة فى المجتمع القروى وبخاصة بالنسبة لمدمن المواد التقليدية وعمليات التبادل بينهم وبين أعضاء المجتمع القروى حيث أن التقاليد المتوارثة وبخاصة فى الأسر الممتدة لا تزال تحبذ تبادل الهدايا وتزيدها باستمرار وأن هناك إلتزام يقع على رؤوس العائلات يتم بصورة مقننة وفقا للأعراف المقررة بهذا الصدد . ولكن الأمر يختلف كثيرا بالنسبة لمدمنى الهيروين وحقن الماكس والخمر الى حد كبير .

إلا أن الأمر عكسى تماما فى المجتمع الحضرى حيث غلبة النزعة

---

see :
1 - A Committe of the Royal Anthropological Institute of Britian And Ireland, Notes And Queries on Anthropology , Lund Humphries London , Bradford , 1960 , p p 169 - 171 .

(حيث عالج المؤلف كيفية دراسة أسباب التبادل وأساليبه وتوزيع ناتج السلع والخدمات) .

الفردية والطموح المادى والمصلحة الذاتية التي جعلت من أفعال التبادل تتم فى أبعاد إقتصادية فى المحل الأول وتأتى الأبعاد الاجتماعية والثقافية وحتى النفسية فى مراحل متأخرة الى حد كبير .

كما أن طبيعة السلع محل التبادل لدى المدمنين وأبناء المجتمع البدوى عامة لا تتنوع وهى فى أغلب الأحوال إما ذبائح أو أرز أو سكر أو دقيق (سلع غذائية) والمنتجات الزراعية فى مواسمها والأقمشة وحتى النقود حيث أن المستوى الثقافى والإجتماعى والإقتصادى فى هذا المجتمع يكاد يكون متقارباً الى حد بعيد وحالات التفاوت تأخذ فى أغلب الأحوال طابعاً فردياً ولكن فى الإطار الاجتماعى والثقافى للمجتمع فى النهاية .

إلا أن الوضع يختلف قليلا فى المجتمع القروى ومرد ذلك قرب المدينة من هذا النمط المجتمعى وشدة تأثره بمظاهر الحياه المدنية ولذا نجد أن السلع محل التبادل كما هو الحال فى المجتمع البدوى ويضاف اليها بعض السلع المنتشرة فى المدينة كالأدوات المنزلية والكهربائية .. الخ حيث أن المستوى الاجتماعى والاقتصادى يظهر بعض التفاوت الواضح خصوصا فى العائلات ذات السلطة والمكانة والثروة والتى تتمتع بالسلطة السياسية منذ أمد بعيد .

وتبين أن السلع محل التبادل بصفة عامة فى المجتمع الحضرى تتمايز وتتعدد وتتنوع بعكس الحال فى نمطى المجتمع الريفى والبدوى ويمكن الذكر أن عوامل المصلحة والمنفعة تأتى فى مرتبة أولى عن العوامل الاجتماعية فى تبادل تلك السلع بين المدمنين على المواد المخدرة التقليدية وبعضهم البعض أو حتى بينهم وبين أبناء المجتمع الحضرى عامة .

وهذا الوضع لا ينطبق بأى صورة على مدمنى المواد المدمرة الذين إنسحبوا من دائرة الحياه الاجتماعية برمتها ولا يتعاملون مع أى إنسان إلا من خلال الحصول على الجرعة المطلوبة وعدا ذلك فهم فى واد والعالم كله فى واد آخر .

كما يتم التبادل بالسلع فى المجتمع البدوى على أسس مختلفة فهناك من يبادل سلعاً مقابل سلع مماثلة مثل الذبائح أو السلع الغذائية وقد يزيد الأخيرة فى الكم حتى يكون للمهدى منه مدخرات عند المهدى اليه أو نقود مقابل نقود وهذا النوع من التبادل كان يأتى فى المرتبة الثانية بعد الذبائح ومرد ذلك لقيمة الذبائح كمعنى إجتماعى بالرغم من القيمة النقدية العالية للنقود .

ولا يختلف الأمر كثيرا فى المجتمع القروى خصوصا فى الأسر الممتدة والتى تتشابه الى حد كبير فى كثير من الخصائص العامة للحياه فى نمط المجتمع البدوى إلا أن النقود نجدها لا تحتل مركز الهدايا فى المجتمع الحضرى كما هو الحال فى الأنماط المجتمعية التقليدية ونجد الهايا العينية لها السبق ثم تأتى النقود فى مرحلة تالية حيث أن النقود لا تشكل قيمة عالية كما هو الحال فى الأنماط المجتمعية سالفة الذكر .

وتبين أن التبادل الشعائرى أو التناوبى بين المدمنين وأعضاء المجتمع البدوى مرتبطا بالعادات والقيم الاجتماعية والعادات الموروثة والتى ارتبطت بكل المناسبات المختلفة المتنوعة التى تحدث فى المجتمع والتى تبعا لها تختلف وتتنوع السلع محل التبادل من حيث الكم والكيف وتختلف السلع كذلك حسب المستوى المادى والاجتماعى للمهدى منه وإليه وكان لهذا أثره فى

تقنين وتعزيز عمليات التبادل من أجل تماسك المجتمع ككل .

ونجد نفس الوضع بالنسبة لعمليات التبادل الشعائرى فى المجتمع القروى مرتبطا ارتباطا وثيقا وبخاصة فى الأسر الممتدة الى حد كبير والأسر النووية الى حد بسيط بالعادات والقيم الاجتماعية الموروثة خصوصا لو نظرنا الى تعدد المناسبات المختلفة التى تحتم الدخول فى عمليات التبادل .

إلا أننى وجدت أن عمليات التبادل التناوبى أو الشعائرى بين المدمنين وأبناء المجتمع الحضرى على المواد التقليديةلا ترتبط إلا فى حدود بسيطة بالعادات والقيم الاجتماعية وخاصة لمن لهم أصول قروية الى حد كبير ولكن تتم بين الآخرين فى حدود المصلحة والمنفعة والنزعة الفردية والمصالح الشخصية فى أغلب الأحوال .

وتبين أن هناك ثمة قواعد معينة تحكم عملية التبادل بين المدمنين وأبناء المجتمع البدوى عامة حيث أنهم جميعا ينتمون الى سياج اجتماعى وثقافي واحد خصوصا وأن ادمان البدوى فى أغلب الأحوال على أنواع المواد المخدرة التى لا [illegible] يهتز اجتماعيا أو نفسيا إلا فى حدود بسيطة للغاية ، بل أنه فى أغلب الأحوال قد لا يكون معلوما لدى الغالبية عن سر ادمانه شئ ، وتتحكم عدة قواعد أو عوامل هامة فى عملية التبادل مثل القرابة – الجيرة – الصداقة .. الخ .

نجد هذا الوضع لا يختلف إلا فى حدود ضيقة فى المجتمع القروى وبخاصة لمن يعيشون فى كنف الأسر الممتدة وقد يخرج عن هذه القواعد المألوفة أولئك الذين يدمنون على الأنواع الخطرة من المواد المخدرة وبالتالى

يقل كثيرا درجة إنتمائهم الى السياج الاجتماعى والثقافى العام للقرية لانهم يتابلون بمشاعر مثل الازدراء والاحتقار وعدم الثقة والخوف والشك والاغترابية والعزلة الخ من أبناء القرية جميعا .

إلا أن القواعد التى تحكم عمليات التبادل فى المجتمع الحضرى تختلف اختلافا اساسيا عن الأنماط المجتمعية الأخرى لما تحمله الحياة فى المدينة من خصائص عامة تبعد كثيرا عن الترابط والتواصل وعلاقات الوجه للوجه والعمل الجماعى والروح الجماعية والمصلحة الجماعية والقناعة .. الخ واعتقد أن كثيرا من هذه العمليات كانت فى معظمها من إسباب دخول أبناء المجتمع الحضرى الى دائرة الادمان وبخاصة على الأنواع المدمرة .

كما لمست أن المنفعة التى تتحقق من عملية التبادل بمختلف أنواعه بين المدمنين وأفراد المجتمع البدوى يغلب عليها الطابع الاجتماعى أكثر من الطابع المادى ، حيث نجد أن الجميع دون إستثناء مضطرين لذلك وأن المنفعة فى النهاية هى تساند وتشابك وترابط المجتمع .

ونجد الوضع يختلف فى المجتمع القروى قليلا فيما عدا الأسر الممتدة التى لا يزال الطابع الاجتماعى يغلب على تعاملاتها مع الأسر والعائلات الاخرى فى القرية إلا أن الصورة تختلف فى حالة الأسر النووية التى تغلب المنفعة المادية على المنفعة الاجتماعية وهنا يكمن سر إنتشار الانحرافات السلوكية فى شتى الأنواع وبخاصة الجرائم المتطورة (جرائم المرأة والاحداث) فى القرية عن النمط البدوى الى حد كبير للغاية .

إلا أن الوضع هنا فى المجتمع الحضرى يختلف إختلافا جوهريا فنجد أن المنفعة المادية للدخول فى عمليات التبادل تغلب كثيرا على المنفعة

الاجتماعية والتى يمكن أن نجدها تتجسد الى حد ما فى أبناء هذا المجتمع الذين ينتمون الى جذور قروية ، فقد تبين أن المنفعة والاستمتاع بالنساء (زوجات وبنات المدمنين) بدأت تدخل فى عمليات التبادل مثل السلع تماما وقلما نجد العنصر النسائى فى أسر المدمنين على المواد الخطرة وبالذات الهيروين والخمر الى حد كبير لا يضطرون للدخول فى صفقات الرذيلة دون رغبتهم فى بداية الأمر ، ثم الأمر يصبح عاديا لهن بعد ذلك وهنا تكمن خطورة إنحراف هذه الفئة وتنقلها فى إنحرافاتها خارج دائرة المنتفعين الشخصيين الى الدائرة الواسعة لشباب المجتمع الحضرى ومن ثم إستخدامهم فى جذب الشباب من الجنسين الى دائرة الادمان والبغاء وما ينجم عن ذلك من أمراض اجتماعية وعضلية خطيرة كالايدز والذى اثبتت الابحاث الحديثة ان العامل الرئيسى فيه عمليات الادمان وبخاصة على الأنواع الخطرة وبالذات عن طريق الحقن أو نقل الدم من المدمنين .

كما تبين أن هناك إلتزاما اجتماعيا فى عملية التبادل بين المدمنين وأفراد المجتمع لا يمكن الاخلال بقواعدها خصوصا وأن هذه الالتزامات متمثلة المناسبات المتعددة فى المجتمع البدوى كالافراح وحالات الوفاة والاعياد .. الخ ولا يمكن التاخر من جانب المدمنين شأنهم شأن بقية افراد المجتمع بالوفاء بالتزاماتهم أو الادوار المنوطة بهم بصدد عمليات التبادل .

ونجد الصورة تختلف قليلا فى المجتمع القروى وبخاصة فى الأسر النووية إلا أن الوضع يكاد يكون متقارياً لمن ينتمون الى أسر ممتدة حيث رب العائلة الممتدة هو المسئول عن كافة القرارات والتزامات التبادل بمختلف انواعه ، ويستثنى من ذلك مدمنى المواد الخطرة الذين ضلوا الدرب الاجتماعى وخرقوا السياج الثقافى فى المجتمع القروى ككل .

ويمكن أن نجد التزاما اجتماعيا فى عمليات التبادل فى المجتمع الحضرى الى حد ما وبخاصة بين مدمنى الحشيش خصوصا المقتدرين وأبناء المجتمع ككل أو بين بعضهم البعض وهذا مرده لطبيعة التكوين الاجتماعى والنفسي لمتعاطى الحشيش ومقومات شخصيته الذى ذكرت تفصيلا فى بعض مواضع البحث وخطورته النسبية ، إلا أن مدمنى المواد الاخرى الخطرة لا يوجد أدنى قواعد الالتزام الاجتماعى ، فإذا لم يلتزموا مع أنفسهم ولم يعوا لعمليات الاستقطاب والسيطرة والاستدراج التى أحاطت بهم وأوقفتهم فى الدائرة اللعينة فكيف إذن يلتزمون إجتماعيا أو ثقافيا .

وتبين أن القيمة التى تمثلها النقود فى عمليات التبادل كبيرة ومرد ذلك قلتها أو حرص البدو وبخاصة رب العائلة الكبيرة صاحب اتخاذ القرار على انفاقها فى نصابها حتى يستطيع الايفاء بالمطالب المتعددة والحاجات لابنائه واحفاده .. الخ .

كما وجدت الصورة لا تختلف كثيرا فى حالات الاسر الممتدة حيث تمثل النقود أهمية كبيرة وأمانا للظروف المتغيرة فى القرية والمتطلبات المتعددة لذا يكون رب العائلة أحرص فى إنفاقها وفى حالات محددة كشراء الأرض أو زواج أحد الأبناء والأحفاد .. الخ .

إلا أن القيمة التى تمثلها النقود فى عمليات التبادل فى المجتمع الحضرى تقل كثيرا عن الانماط المجتمعية الاخرى ومرد هذا كثرتها وانخفاض قيمتها فى مقابل السلع والمطالب المتجددة فى المجتمع الحضرى وكذلك انخفاض قيمتها فى مقابل اسعار السلع المتغيرة يوما بعد يوم ،

وفى مقابل الطموحات المادية الحازمة للشباب من الجنسين ومطالب المرأة المتزايدة وهنا يكمن سر انحراف كثير من الشباب والنساء بصفة عامة ودخولهم كطرف فى عمليات التبادل أو كسلع محل التبادل فى أسر المدمنين على المواد الخطرة الذين ضحوا بالكرامة والمال ثم بالشرف فى نظير جرعة وقتية سامة له وسامة للمجتمع ككل .

وتبين أن أنماط التبادل التناوبى أو الشعائرى تكون أنماط ايجابية وليست سلبية وهذا مرده كما سبق القول اتساع دائرة القرابة فى المجتمع البدوى وتقارب المستوى الاجتماعى والثقافى والاقتصادى فى هذا المجتمع وكذلك تمسكهم بالاعراف البدوية والعادات والتقاليد البدوية المستقاه فى أغلبها من الشريعة الاسلامية السمحة والتى تحض فى كثير من تعاليمها على التكامل والتواصل والتراحم الاجتماعى بين الاقارب والجيران وبين أبناء المجتمع بصفة عامة .

ونجد الصورة لا تختلف كثيرا فى المجتمع القروى وأن أنماط التبادل ايجابية وليست سلبية فى أغلب الأحوال خصوصا التى تتم على نطاق الاسر الممتدة ، ... ذلك بالطبع تقارب المستوى المادى والاجتماعى والثقافى فى هذا النمط المجتمعى على التساند والتكامل فى ضوء علاقات الجوار – القرابة – الثقافة الواحدة .. الخ .

بينما الحال كذلك فى الأنماط المجتمعية التقليدية نجد الوضع يختلف

---

see :
1 - George D..lton , Primitive Archaic And Modern Economic Essays of Karlpolonyi , Beacon press , 1975 , p p 207 - 209 .

(حيث تناول المؤلف بالتحليل تحرك السلع والنقود نحو المركز واعادة توزيعها)

كثيرا فى المجتمع الحضرى حيث تكون عمليات التبادل فى أغلبها سلبية أكثر منها إيجابية لانها عمليات قائمة على قضاء المصالح والمنافع الذاتية ، ومرد ذلك ايضا أن المستوى الاجتماعى والثقافى والاقتصادى متمايز ومتغاير ومتفاوت بين مختلف ابناء المجتمع الحضرى بصفة عامة ، وكذلك بعد غالبية الناس عن التعاليم الدينية السمحاء وبعدهم كذلك عن التراث الثقافى بما يتضمنه من عادات وتقاليد وعرف وقيم والتشبث للغالبية بالمظاهر الحضرية السلبية التى أودت بهم وذويهم الى براثن الجرائم المتطورة والسافرة والدعارة المنظمة وهذه كلها أنماط سلوكية لا تتفق مع الظروف المجتمعية للمجتمع المصرى بصفة عامة بأنماطه المجتمعية المتمايزة ثقافيا .

كما تبين أن التبادل يحقق قيمة اجتماعية تفوق القيمة الاقتصادية ويرجع ذلك للقناعة والبساطة والاعتدال فى الطموحات الفردية والجماعية والتمسك بالتعاليم الدينية والعادات والتقاليد والقيم الاصلية كما سبق القول وهذا كله ابرز القيمة الاجتماعية والثقافية والنفسية لعملية التبادل عن القيمة الاقتصادية .

وبالرغم من المؤثرات الحضرية التى أخذت تنتشر فى المجتمع القروى

---

see :

1 - Cyril Belshaw , Traditional And Exchange Markets, Prentice Hall , I N C , Englwood Cliffs , New Jersy , 1965 , p p 6 - 10 .

(حيث عالج المؤلف دوافع التبادل وانماطه وقيمة التبادل)

2 - Neil , J , Smeler , The Sociology of Economic life , Prentice - Hall , I N C , Englwood cliffs , New Jersey , 2 nd ed , 1976 , p p 119 - 121 .

(حيث تناول المؤلف تحليل مقارن لانساق التبادل) .

إلا أنه يمكن القول أن القيمة الاجتماعية لا تزال تفوق القيمة الاقتصادية فى عمليات التبادل وبخاصة فى الأسر الممتدة التى لا تزال تتفوق فى تعدادها عن الأسر النووية ولو اخذنا فى الاعتبار أن معظم الأسر القروية النووية تسكن المدينة لظروف التعليم والعمل وخروج المرأة الى العمل .. الخ وهذا يدل على أن المجتمع القروى لا يزال يتشبث بالقيم والعادات الاصيلة ويخشى عمليات اللوم والإحتقار والازدراء الاجتماعى .. الخ .

ويمكن القول انه فى أغلب الاحوال تتفوق القيمة الاقتصادية عن القيمة الاجتماعية التى يحققها التبادل فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك عوامل زيادة الفردية وزيادة التنوع وعدم التجانس فى الحياه الحضرية عامة ، والطموح المادى الجانح وأثر عوامل الإتصال الثقافى السلبى الموجه من الحضارة الغربية عبر مختلف الوسائط التربوية وعدم التمسك بالعادات والتقاليد والتعاليم الدينية السمحاء فى أغلب الاحوال ، مثل هذه العوامل جعلت وبدون أدنى شك أن المنفعة المادية من الدخول فى عمليات التبادل عامة تتفوق على المنفعة الاجتماعية .

★ المساومة (الفصال - المفاصلة) كفعل من أفعال التبادل بين المدمنين وأبناء المجتمع فى الثقافات المختلفة :

مما لاشك فيه أن فكرة المساومة وكذلك المقايضة كأفعال من أفعال التبادل لا تتم أساسا إلا من خلال " إقتصاد السوق " وما تحكمه من قواعد ومعايير يحدد على أساسها مقادير معينة من السلع مقابل سلع أخرى مختلفة عنها ، كما أن عمليات المساومة من خلال السوق نظير مقابل مادى نقدى ، وبناء عليه تعتبر المساومة والمقايضة من أهم الملامح المميزة التبادل

عن طريق السوق ومن ثم يصبح الأمر عملية (بيع وشراء) التخلص من سلع فائضة مقابل سلع أخرى يحتاج اليها أطراف التبادل وبالعكس .

وتبين أن المدمن والبدو عامة يمارسون عملية المساومة من خلال الاسواق المنتشرة فى بقاع مختلفة عبر ارجاء الصحراء الممتدة ويذهب اليها البدو لما تحققه هذه الاسواق من وظيفة اجتماعية على درجة عالية من الاهمية وتلعب المساومة دوراً هاماً فى الحصول على السلع التى يحتاجها البدو للتخلص من السلع الفائضة عن إحتياجاتهم او نظير مقابل نقدى ولماكان المدمن البدوى لا يدمن الا نادراً على المواد الخطرة كالهيروين وحقن الماكس والمورفين فانه يمارس عمليات التبادل بصورة شبه طبيعية ولا يمكن ان يساوم على ارض او عرض او التهاون فى اى شئ يخص ممتلكات العائلة كما هو الحال فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير لأن كل الامور الحياتية من جميع النواحى تمارس من خلال السياج الاجتماعى والثقافى والاقتصادى فى المجتمع البدوى والذى يقوم على حراسته كبار رؤوس ومشايخ العائلات والقبائل والذى لا يسمح بصورة قاطعة وحاسمة بأى إنحراف سلوكى فى أى مجال من مجالات الحياة عن الاعراف والقيم المقبولة اجتماعياً .

وبناء عليه نجد ان القواعد التى تحكم عملية المساومة هى الحصول على ما يحتاجه ابناء المجتمع والتخلص بما يفيض عن حاجة بعض العائلات ، والحصول على المبالغ النقدية التى تشكل مدخرات للعائلات على جانب كبير من الاهمية لقضاء امور هامة فى المجتمع كدفع الديات او الزواج او علاج الامراض المستعصية الخ .

كما تبين أن المساومةتحقق قيمة إجتماعية لا تقل أهمية عن القيمة الاقتصادية لما تحققه من تكافل إجتماعى وسد إحتياجات أبناء المجتمع وكذلك لان السلع محل المساومة تستخدم فى أغلب الاحوال فى الإيفاء بالمطالب المتجددة عبر المناسبات الاجتماعية المختلفة فى المجتمع البدوى عمة والتى تعمل فى النهاية على إيجاد توازن وإستقرار إجتماعى فى هذا النمط المجتمعى يفوق التوازن والاستقرار الموجود فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

ومما هو جدير بالذكر أن الوضع لا يختلف إلا فى حدود بسيطة بالنسبة لعمليات المساومة فى المجتمع القروى من خلال السوق أو كافة المنافذ التجارية التى قد تنتشر فى القرية أكثر من المجتمع البدوى حيث نجد أن عمليات المساومة بين الاسر الممتدة لا تختلف إلا بصورة ضئيلة عما يحدث وسبق ذكره فى المجتمع البدوى وبخاصة أن مقاليد الثروة والسلطة والمكانة تكون فى يد كبار ورؤوس العائلات وبناء عليه لا يمكن للمدمن أن يساوم إلا على ما يمتلكه شخصياً دون المساومة على ممتلكات الاسرة أو العائلة الممتدة حيث أنه لا يملك شيئاً ، وتكمن الخطورة فى المدمن فى الاسر النووية وبخاصة المدمن على المواد الخطرة الهيروين والمورفين وحقن الماكس ويمكن القول أن أغلب صور الانحراف المشبوهة وغير المشبوهة تحدث فى أسر المدمنين فى المجتمع القروى .

وتتحكم مجموعة من القواعد فى عملية المساومة فى المجتمع القروى وهى الحصول على السلع التى تحتاجها العائلات والتخلص بما يفيض عن حاجة العائلات أو الحصول على المبالغ النقدية التى يستخدمها كبير العائلة فى قضاء مصالح العائلة ككل من تعليم وزواج وإسكان .. إلخ .

ويمكن القول أن المساومة على مستوى الاسر الممتدة حتى لو بها أعضاء مدمنين تحقق قيمة إجتماعية أكثر من القيمة الاقتصادية فى أغلب الاحوال ، ولكن نجد أن القيمة الاقتصادية تتفوق كلية عن القيمة الاجتماعية للمدمنين على المواد الخطرة والذين ينتمون الى أسر نووية وبخاصة الشباب من الجنسين أولئك الذين أصبحوا كالسلع فى سوق المساومة نتيجة السيطرة والاستقطاب والاستغلال الذى يخضعون له من أصحاب المصالح والقود وتجار المخدرات .

وتعد عملية المساومة من خلال عملية الفصال والمفاصلة فى المجتمع الحضرى افعال للتبادل من خلال محاولة كل طرف، من اطراف التبادل الوصول الى اقصى منفعة وتعظيم الربح فى عمليات المساومة بل وانسب وضع بالنسبة له حتى لو كان على حساب الغير ، وباختصار شديد محاولة كل طرف ان يكون هو الفائز على حساب الآخر دون النظر لأى اعتبارات اجتماعية أو ثقافية أو نفسية ولكن المحك الاقتصادى هو اساس التكافل وهذا ما اكدته نظرية المباريات (فردريك بارث) وهذا يتم خلال السوق والمنشآت التجارية على اختلاف انواعها والتى تنتشر بكثرة فى المجتمع الحضرى واتى من شأنها ان تكون مكان لإلتقاء البائع والمشترى .

وهنا نتساءل ما الوضع اذن بالنسبة للمدمن ؟

ويمكن القول ان المدمن على المواد الخطرة الذى لايكون دائماً طرف متكافئ فى أى صفقة تبادل لفقدانه التوازن والادراك النفسى والحسى والاجتماعى ، فالذى يحدث ان هذا الشخص قد يساوم أحد أثرياء المجتمع أو التجار أولئك الذين نثروا سمومهم فى رب الاسرة ومن ثم الام ومن

بعدهما الاولاد ثم اصدقائهما وأخذ يفاوض ويساوم المدمن على الجرعات المطلوبة أى كان وضعه ومركزه داخل الاسرة نظير تحقيق مآربه واشباع شهواته وقضاء ملذاته بما لا يبيحه الشرع والاعراف الاجتماعية جميعاً ، ويحدث نفس الشئ عندما تتم جلسات التعاطى للحشيش والخمر عند أحد أعضاء مجلس التعاطى الفقراء وهنا يستغل اثرياء مجلس التعاطى مدخل الفقر فى تبادل الخدمات والمنافع المختلفة نظير الهدايا سواء من المدخرات او النقود او الهدايا المختلفة .

وهنا تحكم عملية المساومة بين الاطراف غير المتكافئة عنصر الاحتياج الجسمى والنفسى للجرعة نظير التهاون فى العرض واستباحه شرف المدمن او المدمنة فى تقديم المنافع والمتع المختلفة التى لا يبيحها الشرع وتكون دوافع المصلحة والاحتياج والاشباع الجنسى هى التى تحكم عملية المساومة ويكون دائماً فى كل الاحوال المدمن واسرته هم الاطراف الخاسرون بكل المقاييس فى هذه النواحى .

وبناء عليه نجد ان القيمة الاقتصادية لها الغلبة فى عمليات المساومة عن اى نوع سواء أكانت ممتلكات أو أشياء عينية أو حتى العنصر النسائى كطرف فى التبادل أكثر من القيمة الاجتماعية المتحققة ، ويظل الامر كذلك حتى يخسر المدمن كل شئ ومن بعده يستغل ويستخدم كمروج ويكون مصيره فى النهاية اما السجن او الموت .

★ المقايضة كفعل من افعال التبادل بين المدمنين وافراد المجتمع فى الثقافات المختلفة

مما لا شك فيه ان عملية المقايضة هى الاخرى لابد وان تتم من خلال السوق وما تحكمه من معايير وقواعد واسعار السلع على مختلف انواعها وقد كانت عملية المقايضة تلعب دوراً بالغ الاهمية فى المجتمع البدوى بخاصة حتى عهد قريب ، الا انها الآن تلعب دوراً بسيطاً خصوصاً بعد انتشار التعامل النقدى وتفضيل البدو البيع بالسعر النقدى حتى لا تدخل العوامل الاجتماعية والثقافية فى عملية المقايضة .

وفى أغلب الاحوال ما تتم عملية المقايضة فى الاراضى وبعض الممتلكات العينية الاخرى كالسيارة وكذلك السلع الاستهلاكية وخلافه ولكن هذه العملية تتم فى اغلب الاحوال فى المجتمع البدوى بين رؤوس العائلات ومرد ذلك انتشار الملكيات الجماعية فى اغلب الاحوال .

وهناك عدة قواعد تحكم عملية المقايضة فى المجتمع البدوى وهى الاحتياج لسلع لا تتوفر او لا تنتج محلياً بالمجتمع ومحاولة التخلص بما يزيد عن الاحتياج الفعلى من السلع الموجودة بالمجتمع ومحاولة توفير بعض المدخرات النقدية فى حالة البيع نقداً لاستخدامها فى كثير من العمليات الاجتماعية التى تواجه حياة البدو بصفة عامة .

وتحقق المقايضة فى المجتمع البدوى قيمة اجتماعية تفوق القيمة الاقتصادية لها وبخاصة عند استخدام السلع محل المقايضة فى ممارسة كثير من الطقوس والشعائر او استخدامها فى كثير من المناسبات الاجتماعية المتنوعة كالاعياد والافراح وحالات الوفاة ودفع الديات

واحتفالات الصلح الخ من المناسبات التى تشكل ركائز اساسية فى الاستقرار الاجتماعى فى هذا النمط المجتمعى .

ولا يكاد يختلف الوضع كثيراً فى المجتمع القروى خصوصاً فى الاسر الممتدة التى يكون من بين اعضائها بعض المدمنين حيث ان رؤوس العائلات هم المسيطرون على مقاليد السلطة والثروة والمكانة وهم الذين يقومون او يشرفون على عمليات المقايضة .

الا ان الوضع يختلف بالنسبة للمدمن فى الاسر النووية القروية حيث قد يدخل فى عملية المقايضة وبخاصة مدمن المواد المدمرة كالهيروين وحقن الماكس بالاستغناء عن مقتنياته الشخصية كالذهب او ساعة اليد او حتى اجهزة منزله فى سبيل الجرعة المطلوبة الخ .

ويتضح أن المقايضة تتم بين المدمنين والمنتفعين من هذه المحنة وبخاصة اذا كان المدمن من الأثرياء فتظل عمليات المقايضة بينه وبين المنتفعين من ابناء المجتمع حتى ينهوا عليه مادياً ومعنوياً .

وهنا تكون القواعد التى تحكم عملية المقايضة هى المصلحة والمنفعة من جانب المنتفعين والاحتياج الفعلى للجرعة كسلعة بالنسبة للمدمن الذى اصبح لا يستطيع الحياة بدونها .

كما تبين ان عملية المقايضة فى المجتمع الحضرى بين المدمنين بعضهم البعض تكون فى اغلبها بين مدمنى المواد المخدرة التقليدية وممكن ان تتم بين المدمنين القدامى للمواد الخطرة والمدمنين الجدد وذلك بغرض الاستغلال والحصول على جرعاتهم مجاناً نتيجة لتسهيل حصول المدمنين الجدد على الجرعات المطلوبة .

الا ان عملية المقايضة بين المدمنين والتجار قد تصل الى حد استغناء المدمن عن ملابسه أو ساعته أو نظارته الخ نظير الجرعة بعد ان يكون قد انهى كل مقتنياته المنزلية وقد يصل الامر كما سبق القول المقايضة على زوجته او ابنته مع اصحاب المصالح نظير الجرعات المطلوبة ، بل وقد تقايض المدمنة وبخاصة فى جيل الشباب من الطالبات والموظفات الشابات بأجسادهن نظير الجرعات المطلوبة او لبيع اجسادهن لراغبى المتعة من ابنـاء المجتمع نظير الحصـول على المبالغ المطلوبة لشراء الجرعات المطلوبة .

وبناء عليه نجد ان عملية المقايضة فى المجتمع الحضرى تحقق قيمة اقتصادية الى ابعد الحدود عن القيمة الاجتماعية وبخاصة للمنتفعين من وراء هذه الكارثة او الدائرة المغلقة وبالقطع لا يحقق المدمنون من وراء المقايضة اى متعة غير الحصول على السم الذى سيؤدى فى النهاية الى حتفهم او السجن .

★ **الاقراض او الاقتراض كأفعال للتبادل فى الثقافات المختلفة**

ولما كان المدمن فى المجتمع البدوى لا يعيش منعزلاً عن معترك الحياة العامة فى المجتمع كما هو الحال فى المجتمع القروى والى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير فقد لاحظت ان عملية الاقراض والاقتراض كأفعال للتبادل فى المجتمع البدوى تتم داخل العائلة فى اغلب الاحوال ، حيث ان البدوى بصفة عامة سواء أكان صغيراً أم كبيراً يخشى من الفضيحة ويخشى عدم الالتزام بالرد فى الميعاد ، وعليه يحرص الكبار بالذات ان يكون لديهم مدخرات لا يتصرفون فيها الا للضرورة القصوى

والظروف الصعبة حتى لا يتعرض لمواقف الاقتراض .

وقد يتم الاقتراض بين الكبار فى عائلة معينة وكبار العائلات الاخرى ولكن فى حدود ضيقة للغاية وتكون بينهم صداقة وطيدة ويكون الشخص على علم تام بأن الشخص الآخر لن يخذله ولن يفضحه .

وقد يتشابه هذا الوضع الى حد كبير فى المجتمع القروى وبخاصة فى حالة الاسر الممتدة حيث تتم عملية الاقراض والاقتراض اما داخل العائلة فى المحل الاول او خارجها ولكن بين العائلات التى يرتبط فيها الكبار بصداقات وعلاقات وطيدة ، ولاحظت ان القروى ليس حساساً لهذه الدرجة المفرطة مثل البدوى فى معرفة او عدم معرفة الآخرين حيث ان القروى يعتقد أن كل انسان معرض لهذه الظروف ، كما لاحظت ان عملية الاقتراض بالنسبة للمدمنين بعيداً عن اسرتهم الممتدة لا تتم الا فى ظروف قهرية حيث ان المدمن عندما يفتضح إمره وبخاصة عندما يكون غير مقتدر وليس لديه ممتلكات يمكن الاستيلاء عليها فى حـالة عدم الرد وبناء عليه يتعامل الناس معه بحذر .

ولاحظت ان الاقتراض والاقراض يتم فى المجتمع الحضرى بين جميع ابناء المجتمع ولا يأخذون فى الاعتبار عوامل القرابة الا فى الاسر ذات الجذور والقروية خشية العار والفضيحة ، الا ان المدمنين وبالذات على الانواع المدمرة لا تقوم بينهم اى علاقات اقراض او اقتراض ولا حتى بينهم وبين ابناء المجتمع الحضرى حيث ان مدمن الهيروين والمورفين الخ قد اصبح خطراً على المجتمع باسره ويتجه دائماً الى السرقة والابتزاز وأحياناً يصل للقتل فى سبيل الحصول على المال .

ومن الممكن ان تتم حالات الاقتراض من جانب المقترض البدوى دون ان يشعر المقترض بحاجته للمال ، فمثلاً اذا احس احد كبار العائلة بآخر يحتاج للمال ولا يستطيع الطلب او يخشى الطلب او صديق قريب له ، فمن الممكن ان يعطى له بعض المال بحجة انه مسافر ولا يستطيع اخذ هذا المبلغ معه ولا يستطيع تركه فى البيت المهم ان تتم هذه العملية فى شئ من السرية التامة .

الا ان هذا الامر قد لا يحاط بهذه السرية التامة فى المجتمع القروى الا فى حالة الاسر الممتدة وذات المكانة والسلطة والثروة والتى اضطرتها ظروف قاهرة ، وانما نجد العكس فى المجتمع الحضرى تماماً حيث ان هذه المواقف تتم فى اغلب الاحوال فى علنية لاظهار المكانة والسلطة والمباهاة او حتى للشهادة لاثبات الدين .

المهم فى ذلك ان عمليات الاقتراض والاقراض قد تتم بين المدمنين وبعضهم وبخاصة الاثرياء (مدمنى الحشيش بالذات) الا ان المواد المخدرة الاخرى فقلما توجد بينهم اى افعال للتبادل من خلال الاقراض والاقتراض الا عن طريق رهن منقولات او اشياء مادية يمكن تثمينها نقدياً .

وقد يقترض الصغار من بعضهم البعض وبخاصة الذين يدخنون السجائر الخ ولكن داخل العائلة فى المحل الاول خصوصاً من اولاد الخالة او العمة او الخال ومن الممكن ابناء العم فى نفس السن ، ويخشى ان يعلم كبير العائلة او اخوه الكبير بأى شىء عن عملية الاقتراض ، عكس الحال فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

كما تبين ان عملية الاقتراض والاقراض أى نوع من التبعية على

المقترض أو أى نوع من التدنى فى المكانة الاجتماعية الا فى حالات عدم الرد فقط او المماطلة حيث ان هذه العملية تحقق قيمة اجتماعية كبيرة تفوق القيمة الاقتصادية فى حل الازمات والكوارث .

الا ان عمليات الاقتراض والاقراض من جانب المدمنين الاثرياء للمدمنين الفقراء تفرض نوعاً من التبعية وقد تكون عملية الاقراض من جانب الاثرياء فى القرية غير المدمنين عوامل جذب واستقطاب لأسرة المدمن الفقير واظهار نوع من المكانة والسلطة والثروة ومن ثم التردد على اسرة المدمن وما قد يحدث نتيجة من انحرافات سلوكية .

وهذه التبعية والسيطرة والهيمنة تلاحظها بصورة جلية وواضحة بل ان سبب انتشار الادمان بين الطبقات العمرية الصغيرة من الجنسين مردها الاول هو محاولة بعض الاثرياء والمنحرفين السيطرة على هذه الطبقات وبخاصة الفقيرة أو محاولة استنزاف موارد أسر الشباب الثرى ومن ثم يكون المدخل فى البداية عملية الإقراض للطبقات الشبابية الفقيرة ومن ثم إدخالهم فى دائرة التبعية ومن ثم الادمان ومن ثم الانحراف والجريمة بجميع انواعها . وبناء عليه تكون عملية الاقتراض هدفها مادى ونفعى فى المحل الاول وتغيب القيمة الاجتماعية من تلك العملية نهائياً .

إما عمليات الاقراض والاقتراض التى قد تتم بين ابناء المجتمع الحضرى عامة فانها تتم بناء على ارتباطات جيرة او صداقة او مصالح تجارية اوازمات طارئة ولكن فى اغلبها تفرض نوع من التميز والتبعية خصوصاً وانها تكون علنية وشائعة على مستوى الاسرة مما قد يحدث بعض الآلام النفسية والمتاعب الاجتماعية لشباب الاسر المقترضة من

الجنسين والاناث بالذات .

ولاحظت ان هناك التزام بالرد فى اغلب الاحوال فى المجتمع البدوى وقلما نجد عدم التزام بالرد ، حيث انه يتم تحديد ميعاد (مجلس عرفى) يتم فيه دفع الحق لأصحابه والترضية اللازمة ، ونجد ان الاقتراض لا يتم الا فى الحالات الضرورية للغاية كالزواج او الامراض المستعصية .

كما لمست ان هناك التزام بالرد فى المجتمع القروى وبخاصة اذا كان الاقتراض بدوافع اجتماعية ولأغراض هامة وعندما يتم بين كبار العائلات فى اغلب الاحوال ، الا ان الاقتراض عندما يتم بناء على اغراض شخصية ففى اغلب الاحوال تحول دوافع المقرض الشخصية من قبول المبلغ المقترض لأنه يهدف الى الحصول على خدمة او منفعة معينة نظير القرض النقدى أو حتى السلعى .

وفى الغالب تكون هناك صعوبة فى الالتزام بالرد فى المجتمع الحضرى وبخاصة فى حالة الاسر المتوسطة ولكن دائماً يتم الرد وبخاصة لو كان الاقتراض والاقراض لا [illegible]اف اجتماعية نبيلة .

الا ان الامر مختلف فى حالة الاقراض بهدف المنافع الشخصية ومحاولة السيطرة والهيمنة من جانب اثرياء الطفرة والانفتاح على الطبقات الاجتماعية الاخرى .

٤ - مناسبات التبادل بين المدمنين وابناء المجتمع فى الثقافات المختلفة

سبق واشرت الى ان المدمنين فى المجتمع البدوى يدخلون فى عمليات التبادل مع ابناء المجتمع عامة خصوصاً وان قرار التبادل يتخذه كبار

العائلات لذا فانهم يدخلون فى مناسبات التبادل المختلفة من خلال المجتمع ككل .

وتتعدد مناسبات التبادل التى تقدم فيها السلع مثل الولادة ـ الختان للذكور فقط ـ الحج ـ الوفاة ـ الاعياد ـ الميلاد ـ المواسم ـ الافراح الخ)

وقد تتشابه تلك المناسبات الى حد كبير فى المجتمع القروى وبخاصة بين الاسر الممتدة ، بل ان مدمنى الحشيش وبخاصة الاثرياء يحرصون على الدخول فى التبادل فى تلك المناسبات بينهم وبين بعضهم البعض حتى الفقراء منهم وبين ابناء المجمتع القروى ككل ، عكس الحال تماماً بالنسبة لمدمنى الهيروين والماكس والمورفين .

وقد يحدث ثمة تبادل فى تل المناسبات بين مدمنى المواد المخدرة التقليدية فى المجتمع الحضرى وبين المدمنين وابناء المجتمع كل وبخاصة رجال الاعمال الحرة والمقاولات والتجار وكبار الشخصيات ، الا ان الامر مختلف تماماً بالنسبة لمدمنى الهيروين والمورفين والماكس الذين لا يثقون فى بعضهم البعض ويعيشون فى عزلة عن المجتمع ككل .

كما لمست ان الاعياد (عيد الفطر ـ عيد الاضحى المبارك) بالاضافة الى المناسبات الدينية وخصوصاً شهر رمضان والمولد النبوى الشريف وعاشوراء حيث تشكل مناسبات هامة فى حياة المجتمع البدوى عامة حيث يتم فى هذه المناسبات توزيع الفائض من الثروة من جانب الاغنياء الى الفقراء ويكفى ان نقول انه من الخزى والعار ان يكون احد فى العائلة الممتدة بل القبيلة غير قادر على العيش والحياة الكريمة وهناك من أهله قادرين على مساعدته ، فالجميع فى هذا المجتمع يتكاتفون ويتواصلون فى

مواجهة أى شىء يعكر صفو الحياة وبساطتها والتكامل والاستقرار المجتمعى وبناء عليه ضعف خطورة الادمان فى ذلك النمط المجتمعى بل وانعدام وجود هذه الظاهرة او ندرتها فى انماط مجتمعية بدوية مماثلة وبخاصة التى تقطن المناطق الداخلية البعيدة عن العمران المدنى .

ونجد هذا الوضع لا يختلف كثيراً فى المجتمع القروى فى تلك المناسبات بعينها وتزداد هذه الملامح قوة فى التكافل والتكامل الاجتماعى داخل الاسر الممتدة أكثر من الاسر النووية .

كما نجد هذا الوضع فى المجتمع الحضرى من جانب اثرياء المجتمع فى مثل هذه المناسبات ولكن اعتقد ان المظاهر والاحتفالات المحاطة بهذه العطايا وتوزيع فائض الثروة يعطى كثيراً من المؤشرات التى تدل على محاولة المباهاة والمفاخرة واظهار النفوذ والقوة وبخاصة من اثرياء الطفرة او إقطاعيى الإنفتاح وقلما نجدها تأخذ ابعاداً دينية واجتماعية لأنها فى مثل هذه الاحوال تتم فى الخفاء دون احاطتها بمظاهر العلانية .

٥ - العوامل المختلفة المؤثرة فى أنماط التبادل فى الثقافات المختلفة

وتتعدد العوامل التى تؤثر فى عمليات التبادل من مختلف الانواع بين ابناء الثقافات المختلفة والمدمنين ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

أ - العوامل الاجتماعية

بينما نجد عامل القرابة يعد احد العوامل الاجتماعية الهامة ويأخذ مركز الصدارة فى كافة عمليات التبادل بين ابناء المجتمع البدوى عامة والمدمنين بخاصة حيث ان عمليات تبادل الخدمة او الاشتراك والمساعدة فى عمليات

الانتاج مثل عملية الجلامة فى وقت الربيع او فى موسم حصاد المحاصيل الزراعية تتم فى شكل جماعى حيث ان الاستفادة من الانتاج جماعية .

ثم يأتى بعد ذلك عوامل الجيرة والصداقة فى عمليات التبادل ولكنى لاحظت ان تبادل الخدمات والمنافع فى المجتمع البدوى تتم فى اطار التكامل الإجتماعى داخل دائرة القرابة فى المحل الاول ثم تتدرج حسب تعاليم الدين الاسلامى الحنيف .

ولا يختلف الامر كثيراً فى المجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة وكذلك المدمنين الذين يدمنون المواد المخدرة التقليدية حيث نجد عوامل القرابة ثم عوامل الجيرة والصداقة كما هو الحال فى المجتمع البدوى تلعب دوراً هاماً فى عمليات التبادل بين ابناء المجتمع القروى بعضهم البعض وبينهم وبين المدمنين على المواد التقليدية ، الا ان الامر يختلف نهائياً وقطعياً بالنسبة للمدمنين على المواد الخطرة ويخرجون من دائرة التعامل والتفاعل على صعيد المجتمع القروى ككل .

الا ان الامر مختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى حيث نجد ان عوامل الجيرة والصداقة ثم القرابة حسب تدرجها تلعب ادواراً متفاوتة فى عمليات تبادل المنافع والخدمات فى المناسبات المختلفة بين ابناء المجتمع الحضرى وبين المدمنين على المواد التقليدية وبخاصة القادرين او الاثرياء ، وقد تكون عمليات التبادل للمنافع والخدمات بين المدمنين وبعضهم البعض خصوصاً على المواد التقليدية والقادرين بالذات ، وعكس ذلك تماماً بالنسبة للمدمنين على الهيروين والخمر والماكس والمورفين الخ .

ب - العوامل الثقافية

لقد سبق الذكر فى أكثر من موضع اثر عناصر الثقافة البدوية ومضامينها المختلفة فى عدم انتشار انواع المواد المخدرة الخطرة وان هذه العادات والتقاليد تشكل سياجاً اجتماعياً وثقافياً سميكاً يحول دون ادمان الفئات العمرية الصغرى من الشباب من الجنسين وكذلك الغلمان والصبية عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

كما لمست فى المجتمع البدوى وكذلك المجتمع القروى وبخاصة فى الأسر الممتدة كيف ان العادات والتقاليد والاعراف البدوية والقروية تحرص على التواصل والتراحم بين ابناء المجتمع وتوطيد علاقاتهم بعضهم ببعض عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

كما ان عامل التدين يلعب دوراً هاماً فى حياة البدو والقرويين ويجعلهم أكثر تقرباً وأكثر مودة بالنسبة لتعاملهم مع بعضهم البعض ومن ثم فى التواصل والتراحم والتكافل مع اسر المدمنين بصورة أو بأخرى ، عكس الحال فى المجتمع الحضرى الى حد كبير حيث أن الأخذ بمظاهر الحضارة الغربية فى أغلب الأحوال والفراغ الدينى والتفكك الأسرى وعدم التمسك بالتقاليد والقيم الأصيلة من العوامل الهامة فى التأثير على ضعف عمليات التبادل وتعددها واتجاهها فى اتجاه ايجابى .

ج - العوامل الاقتصادية

مما لا شك فيه ان معظم الهدايا عبر التبادل التناوبى بين ابناء المجتمع عامة ومن فيهم المدمنين حيث انه وكما سبق القول لا يعيشون فى معزل عن

المجتمع كما هو الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى ومن هنا نجد ان عمليات التبادل فى تلك الانماط التقليدية تكون لها مبرراتها الاجتماعية الى جانب مبرارتها ومنافعها الاقتصادية ، كما ان طبيعة الانشطة والعمليات الانتاجية التى تتم فى اغلب الاحوال بصورة جماعية فى المجتمعات التقليدية تجعل عمليات التبادل فى اغلب الاحوال داخل النسق القرابى ثم خارجه عكس الحال بالنسبة للمجتمع الحضرى الذى تكون فيه عوامل المنفعة والمصلحة والاحتياج للسلعة محل التبادل هى المحطات الرئيسية فى الدخول فى عمليات التبادل .

د - العوامل النفسية

مما لا شك فيه ان تتمتع الشخصية البدوية وتقترب منها الى كبير الشخصية القروية بمشاعر مثل الاعتزاز والتقدير وحب الناس ومشاعر كالوفاء والتبجيل والاحترام والحاجة الى الامن والامان كلها عوامل نفسية تحتم على ابناء المجتمع التقليدى ومن بينهم المدمنين خصوصاً على المواد التقليدية أن ان يراعوا مثل هذه المشاعر اثناء دخولهم فى عمليات التبادل من مختلف الانواع ، وتختفى هذه المشاعر الى حد كبير فى المجتمع الحضرى حيث نجد مشاعر الحرص والشك والحذر والخوف والريبة وعدم الاكترات والانانية تغلب على كثير من المعانى التى تحمل ابعاداً نفسية على جانب كبير من الاهمية فى تاثيرها على كافة عمليات التبادل .

الفصل التاسع

الانماط الاستهلاكية والادخارية لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

تمهيد:

لقد كانت وحدة الانتاج فى بعض مراحل تاريخ حياة البشرية تمثل فى الوقت نفسه وحدة الاستهلاك ، وهذا يعنى أن ما ينتج كان يستهلك جزءاً كبيراً منه بواسطة نفس الوحدة المنتجة ، غير انه بعد ازدياد الاتصال الثقافى بين الشعوب بعضها البعض أمكن ان يزداد الانتاج ويتنوع ويتمايز وبالتالى يحقق الكثير من الفائض .

وعندما اتحدث عن الاستهلاك أجد أننى أتعرض بطريقة أو بأخرى سواء أكانت مباشرة أو غير مباشرة للادخار ، حيث أن الاستهلاك يمثل الجزء من المدخل المخصص كشراء السلع والخدمات الاستهلاكية ، أما الادخار فانه هذا الجز المخصص من الدخل الذى لم يخصص للاستهلاك .

وجدير بالذكر ان الانتاج لا يقصد لذاته ، بل لاشباع حاجات المستهلك فى النهاية ، وهذا الاشباع قد يتحقق عبر السلع والخدمات المنتجة ، هذا فضلاً عن ان هذه السلع والخدمات محدد لها ثمن معين فان الطلب عليها لا يمثل كمية ثابتة ، بل يدخل فى اعداد المتغيرات الاقتصادية التى تتأثر بالعوامل النقدية المباشرة وغير المباشرة وبمستوى الاثمان السائد هذا فضلاً عن مجموعة العوامل الاخرى بوصفها دخلاً للمستهلك ، وذوقه والعوامل الاجتماعية ، والعوامل الثقافية ، والعوامل الدينية واثمان السلع الاخرى البديلة على ما سنرى فيما بعد .

وهناك نوعان من العوامل النقدية التى تؤثر فى الاستهلاك وهما [1]

أ – العوامل أو التأثيرات المباشرة .

ب – العوامل أو التأثيرات الغير مباشرة .

أ – العوامل النقدية المباشرة وهى :

١ – سعر الفائدة

٢ – المستوى العام للأسعار .

٣ – كمية النقود (طريقة توزيع الافراد لثرواتهم من خلال النقود)

٤ – العلاقة بين الاستهلاك وطريقة توزيع الدخل .

٥ – عنصر الزمن .

وقد قسم فريدمان Fredman دخل الفرد الى عنصرين اساسيين :

أ – الدخل (أى الدخل المتوقع المستقل)

وهذا النوع من خلاله يستطيع المستهلك ان يقدر بطريقة معقولة وشبه مؤكدة ما يمكن ان يتحصل عليه من دخول كعدة سنوات مستقبلية .

ب – الدخل الاحتمالى

عبارة عن مكونة احتمالية تتمثل الاضافات او المصروفات غير المتوقعة من الدخل[2] .

---

(١) مصطفى رشدى شيحة ، الاقتصاد النقدى والمصرفى ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ ، ص ٦٤٩ – ٦٥٥ .

انظر *Harold, K, Schneider, Ecnomics Man, The Anthropology of Ecomics, The Free preas, Macmillan publishing Co, Inc, N. Y, 1973, PP 159 - 165 .*

(حيث يعالج المؤلف اختلاف النظرة للنقود)

ويمكن بناء على ذلك تقسيم الاستهلاك الى نوعين :

١) استهلاك دائم ويتمثل فى النفقات العادية للمستهلك .

٢) استهلاك احتمالى والذى يقابل مدفوعات غير متوقعة

ولقد كان النمط الثانى من الاستهلاك هو النمط السائد بالنسبة للمدمين فى الأنماط المجتمعية المختلفة لشراء المواد المنتشرة المخدرة على مختلف أنواعها مع التفاوت فى طبيعة المواد المخدرة المستهلكة في كل نمط ثقافى على حدة .

٦ – لسياسة الضريبية للدولة .

٧ – العناصر البنائية الأخرى فى الاقتصاد القومى وتتمثل فى عناصر حقيقية وعناصر نقدية [١] .

أ – وتعد الزيادة فى السكان أهم العناصر الحقيقية وهيكل هذه الزيادة أى نقصد حجم السكان وكيفية هذا الحجم وتركيبته العمرية والمهنية .

ب – التغيرات التكنولوجية والاختراعات التى تؤدى دوراً حاسماً فى زيادة الاستهلاك والتعديل والتغيير فى أنماط الاستهلاك ، ومثل هذه العوامل الاستهلاكية تشجع الاستهلاك على الادخار .

ج – الأنماط السلوكية والعادات الاجتماعية المرتبطة بديناميكية الجماعات الاقتصادية وسلوك الافراد .

---

(١) مصطفى رشدى شيحة ، مرجع سابق ، ص ٦٥٥

كما ان الدخل يعد مؤشراً قوياً وليس مؤشراً ضعيفاً كما يذهب البعض للسلوك الاستهلاكى والانفاق عامة حيث يركز هؤلاء على عوامل أخرى إجتماعية وثقافية كمستويات التعليم ـ البيئة الاجتماعية (المحيط الاجتماعى) ـ الطبقة ـ المهنة ـ الاقامة ـ الموطن الاصلى .. الخ) ويهتم هذا المدخل بالسلوك الاستهلاكى فى حدود المتغيرات البنائية الاجتماعية أكثر من تركيزه على المتغيرات الاقتصادية ذات الحدود الضيقة ، الا اننى ارى ان الدخل فى تفسير الانماط الاستهلاكية والادخارية بات لا يقل اهمية عن كل العوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية والدينية حيث انها جميعاً تعمل معاً فى معية لفهم السلوك الاستهلاكى والانفاق الادخارى ، كما انه فى ظل الظروف والاوضاع الاقتصادية العالمية والمحلية بات من المؤكد والمفيد كذلك النظرة التكاملية لفهم كل تلك الانماط وهذا يتبين بوضوح فى الدراسة الميدانية للمدمنين فى الأنماط المجتمعية المختلفة ذات الثقافات المتباينة . وتأثر ذلك الى حد ما بالسياسة العامة للدولة فى شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كذلك .

أما العناصر البنائية النقدية التى تواجه أو تلازم العناصر البنائية الحقيقية فهى تتمثل فى نمو الجهاز المصرفى وفى اتباع نظام التمويل الائتمانى سهولة الحصول على هذا الائتمان ، وفى نماء العادات المصرفية والتعامل مع البنوك التجارية ، وغلبة نقود الودائع على النقود القانونية ، وتناقض الودائع الادخارية لصالح الاستهلاك وأخيراً حالات التضخم المستمر المزمن الذى تمر به الاقتصاديات الرأسمالية (١) .

---

(١) مصطفى رشدى شيحة " الاقتصاد النقدى والمصرفى " الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ ، ص ص ٦٥٦ – ٦٥٧ .

ونجد من الضرورة التعرض للمبادئ الحاكمة لعمليتى الطلب والعرض لأهميتها فى فهم عمليات الاستهلاك والادخار فى ايجاز بسيط على النحو التالى :

مما هو جدير بالذكر ان طلب المستهلك فى صورته المبسطة يمثل رغبة أكيدة من جانب الفرد المستهلك فى الحصول على السلع والخدمات التى تشبع حاجاته عن طريق الشراء أساساً يؤيدها وتعززها قوى شرائية فعلية (الدخل بمصادره المختلفة والمعبر عنها عادة فى صورة النقود) وهناك نوعان من الطلب هما :

١ - الطلب الفردى

يشمل النقود التى ينفقها الاشخاص الذين يعيشون وحدهم ، والنقود التى ينفقها افراد العائلة كل لاشباع حاجتهم الشخصية ، ومن الملاحظ ان هذا النوع من الطلب هو النمط السائد لدى المدمنين فى الثقافات وان كان الطلب الفردى للمدمن البدوى يقل عن نظيره فى المجتمع القروى والى حد بسيط والمدمن الحضرى الى حد كبير ومرد ذلك نمط المعيشة الجماعى ، تمركز توزيع الثروة وعائد الانتاج فى يد كبار العائلات خاصة فى نظام الأسرة الممتدة سواء أكان ذلك فى المجتمع البدوى أو الريفى ، مرد ذلك أيضاً عدم انتشار انواع المواد المخدرة المدمرة فى نمط المجتمع البدوى الا فى حالات قليلة للغاية اذا ما قورن بالانماط المجتمعية الاخرى تلك المواد التى تجعل المدمن عليها يكون انانياً ولديه قابلية لارتكاب كافة الانماط السلوكية المنحرفة فى سبيل الحصول على طلبه سواء أكان ذكر أو أنثى من مختلف الطبقات العمرية .

٢ – الطلب العائلى

هو ما ينفق على السلع والخدمات لاشباع حاجات العائلة بأكملها وهذا النوع هو اهم انواع الطلب ، اذ انه فى هذه الحالة موجه لخدمة أفراد العائلة ككل والطلب العائلى هو النمط السائد لدى المدمنين الذين يعيشون فى ظل اسر ممتدة وبخاصة في المجتمع البدوى والقروى وكذلك المكلفين منهم والذين لا يدمنون على الانواع الباهظة التكاليف كالحبوب المخدرة والافيون والهيروين والخمور ، حيث ان المدمن فى تلك الانماط التقليدية وبخاصة البدوية يخشى افشاء سره على صعيد المجتمع نتيجة عدم الايفاء بمطالب الاسرة والتزاماته حتى على مستوى العائلة والقبيلة عكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى .

وهناك خمسة عوامل تحدد مشتريات رب الاسرة وانواعها [1]

١ – دخل العائلة .

٢ – اثمان السلع والخدمات فى سوق الاستهلاك .

٣ – تقدير لحاجات افراد العائلة وتفضيلاتهم .

٤ – تقديره لما هو أحسن للعائلة بغض النظر عن تفضيلات أفراد عائلته

٥ – ذوقه الشخصى .

ومما هو جدير بالذكر أن المدمن وبخاصة على الانواع المدمرة اليهيروين والحبوب المخدرة وكذلك مدمن الخمور لا يهتم باسرته او يأخذ حاجات الاسرة فى الاعتبار بل أصبح يشترى احتياجاته أولاً من العقار مهما كان

---

(١) محمد دويدار وعادل حشيش ، مبادئ الاقتصاد الاجتماعى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ ، ص ص ١٥٩ – ١٦٢ .

سعره فى حين لا يفى باحتياجات افراد اسرته الاساسية ولا يضع فى اعتباره مصلحة عائلته واحتياجاتها بل وصل الحد فى كثير من الاحوال وبخاصة لمدمن الهيروين ان باع كل شئ يملكه أو تملكه الاسرة أو سرقه محتويات المنزل وباع عرضه وشرفه وكرامته وأصبح أقرب الى المملكة الحيوانية وبعد مسافات طويلة عن كونه انسان ينتمى الى ارقى مخلوقات الله سبحانه وتعالى .

كما توجد اربع فئات من المستهلكين نجملها فيما يلى :

١ - الاسرة .

٢ - الهيئات الحكومية على المستوى المحلى والقومى .

٣ - المؤسسات الصناعية ومؤسسات العمل .

٤ - بعض التنظيمات والمنظمات التى ليس لها اهداف متصلة بالربح كالروابط التطوعية والمدارس والمستشفيات ودور العبادة ومؤسسات الخدمة والرعاية الاجتماعية (١) .

وما يهمنا فى هذا الصدد هو الاسرة التى يعد المدمن من احد اعضائها سواء أكان أب أو أم أر ابن او ابنة بقصد التعرف على العلاقة بين أنماط الاستهلاك للاسرة وعملية الادمان .

وهناك عدة عوامل تتحكم الى جانب عامل الثمن وتاثيرها على الكمية المطلوبة نجملها فيما يلى :

١ - حجم الدخل الفردى .　　　٢ - ذوق المستهلك .

٣ - اثمان السلع البديلة (عملية الاحلال) .

---

(١) محمد دويدار ، مرجع سابق ، ص ١٦٢

كما توجد عدة عوامل تؤثر على درجة مرونة الطلب نجملها فيما يلى :

١ – درجة كمال البديل (العامل الأساسى فى مرونة الطلب) وتوجد عدة عوامل أخرى الى جانب العامل الرئيسى وهى :

أ – نوع السلعة وهل هى ضرورية أم كمالية .

ب – دخل المستهلك .

ج – نسبة ما ينفق من دخل المستهلك على السلعة موضوع البحث .

د – المدة المنقضية بعد حدوث تغير فى الثمن (١) .

ويمكن القول ان العلاقة اذن عكسية بين السلع والسلع المكملة لها فلو ارتفع ثمن سلعة ما قل الطلب على السلع المكملة لها ، فلو ارتفع ثمن الشاى مثلاً قل بالتالى الطلب على السكر الخ .

اما تلك العلاقة فتكون طردية بين السلع والسلع المنافسة لها فلو ارتفع ثمن السجائر من نوع ما تحول المستهلك الى الانواع الاخرى الاقل فى الثمن وهكذا .

وهذا ما يحدث بالفعل فعندما يرتفع ثمن مادة مخدرة ليس لها بديل كالحشيش أو الأفيون فيزداد الطلب عليها ويرتفع تبعاً لذلك ثمنها وهذا يعكس الحال بالنسبة للخمرة التى لها بديل خاصة فى الأنواع التى يبتكرها المدمنون لها من الفقراء ، وكذلك الحبوب المخدرة التى ينتقلون على البديل فى حالة عدم وجود انواع معينة من الحبوب أو المشروبات التى بها مادة مخدرة بل أحياناً ينتقل المدمنون من مادة أقل مفعولاً الى مادة أكثر مفعولاً

---

(١) محمد نويدار ، مرجع سابق ، ص ص ١٦١ – ١٧٧

وهنا يزداد الطلب على المواد التخليقية الاخرى البديلة فى حالة ارتفاع ثمن المواد التى اعتادوا عليها او نقصها او عجزها عن تحقيق المطلوب كجرعة يجب مضاعفتها او البحث عن بديل اقوى منها .

الا ان هذا لا يحدث بالنسبة للهيروين الذى لا بديل له بالنسبة للمدمن لذا فالطلب عليه مستمر سواء زاد ثمنه أو قل ، بل المدهش ان أحياناً الأنواع المغشوشة منه تباع باسعار باهظة جدا وهنا تكمن خطورة الادمان على الهيروين .

بناء عليه نجد ان العوامل التى تتوقف عليها مرونة الطلب او درجة كمال البديل فى السلع بصفة عامة والمخدرات على وجه الخصوص تتوقف على عوامل شخصية أساساً ، حيث ان البديل قد يكون كاملاً من وجهة نظر مستهلك معين وقد لا يكون كذلك من وجهة نظر مستهلك آخر .

ولما كان الوجه المقابل للطلب هى عملية العرض بوصفها أحد المتغيرات الأساسية المفسرة لسلوك وتصرفات الأفراد بوصفهم منتجين حيث ننظر فى تلك العملية الى أن كل فرد يعتبر بصفة عامة مستهلكاً ومنتجاً فى الوقت نفسه ، لذا لابد ان نهتم بعرض مختلف المبادئ التى تحكم تصرفات الفرد بوصفه منتجاً وهى تصرفات ترتبط بكيفية عرض عناصر الانتاج والسلع والخدمات المنتجة فى المجتمع .

ويقصد بمصطلح العرض اقتصادياً الكمية التى يكون المنتج على استعداد لبيعها من سلع معينة عند ثمن معين وفى فترة زمنية معينة وليست الكمية التى يكون المنتج مستعداً لبيعها هى الكمية المنتجة كلها ، فقد تكون أقل أو أكبر وفقاً لما قرره المنتج بشأن الكمية التى ستباع والكمية التى

ستخزن وعليه تتوقف الكمية المنتجة على عاملين هما : الثمن والمنفعة وكذلك الكمية التى قرر المنتج تخزينها على نفس العاملين الا انه كلما زادت تكلفة التخزين وكانت السلع كبيرة الحجم وسريعة التلف مال المنتج الى تخفيض كمية المخزون والعكس بالعكس .

وكلما زاد الثمن لسلعة ما كلما زادت الكمية المعروضة وبالعكس والى جانب الثمن ثمة عوامل أخرى تحدد الكمية المعروضة وهى نفقة الانتاج ــ التخزين ، العوامل الطبيعية ، العوامل السياسية والاقتصادية والمالية التى تتبعها الدولة .

ومما هو جدير بالذكر ان المواد المخدرة لا تحتاج الى تكلفة تخزين كبيرة كما انها لا تتعرض للتلف الا بانتهاء تاريخ الصلاحية وبخاصة الحبوب المخدرة ، بل ان ارباحها الباهظة تشجع تجار المخدرات او مروجيها دائماً على محاولة تعظيم منفعتهم وارباحهم على حساب المدمنين أو المتعاطين ، وقد يقرر التجار تخزين أى كمية من المواد المخدرة فى حالة تعذر الحصول على شحنة أخرى فى أقرب فرصة أو لدواعٍ أمنية تتمثل فى خطورة عرض السلعة فى وقت معين دون آخر تتأثر بالسياسة النقدية للدولة بل ان تدبير العملة الصعبة لعقد صفقات المخدرات يضر بالسياسة النقدية للمجتمع ككل وبالتالى بمصالح جميع افراد المجتمع .

ونعرض لمختلف الأنماط الاستهلاكية والادخارية لدى المدمنين فى الأنماط المجتمعية المختلفة وعلى مختلف المواد المخدرة ومن خلال القاء الضوء على مختلف الابعاد والعوامل المؤثرة فى ذلك من خلال تناول النقاط التالية بالتحليل والمقارنة على النحو التالى :

١ - نظرة المدمنين للاستهلاك فى الثقافات المختلفة

سبق أن أوضحنا ان المدمن فى المجتمع البدوى هو فى الغالب مدمن على المواد المخدرة التقليدية كالحشيش وكذلك البيرة والافيون لكبار السن والحبوب المنشطة للشباب حديثى الزواج وكبار السن وبخاصة المتزوجين منهم من صغيرات السن ، كما اوضحنا ان حياة المدمن ومن خلال السياج الاجتماعى والثقافى البدوى لا يحدث فيها أى خلل ، بل فى أغلب الأحوال أن المدمن نفسه يحيط نفسه بسياج من الحيطة والحذر ويخشى أن يعلم بأمر ادمانه حتى المقربين اليه على جميع انواع المواد المخدرة وبناء عليه نجد ان انماط الاستهلاك لدى المدمن البدوى وبخاصة ان الغالبية العظمى يعيشون من خلال الاسر الممتدة لا تتأثر تأثراً واضحاً حيث أن هناك من العادات الاجتماعية المرتبطة بالغذاء والملبس والنظافة لا يمكن ان يخرج عليها البدوى بصفة عامة والمدمن بصفة خاصة .

الا ان الوضع يختلف الى حد ما فى المجتمع القروى وبخاصة بعد تأثر القرية بكثير من عوامل التحضر وخروج المرأة للعمل وانتشار الاسر النووية وخروج الشباب من الجنسين سعياً وراء التعليم أو العمل فى المدينة مثل هذه العوامل وكذلك الاختلاط والاتصال الثقافى بمفهومه الشامل .... الخ قد اثرت كثيراً فى تنوع المواد المخدرة وبالتالى تنوع تصنيفات المدمن الى حد ما عن المجتمع البدوى وبالتالى تغيرت النظرة الى أنماط الاستهلاك الخاصة بالغذاء والملبس والنظافة والمظهر ولقد كان التغير فى هذه الانماط فى كثير من الاحوال من الاسباب الرئيسة فى دخول الكثير من ابناء القرية وبخاصة الشباب الى دائرة الادمان .

ولما كانت انماط الاستهلاك وبخاصة فى الغذاء والملبس تأثرت كثيراً بهذه التغيرات ان تغير تبعاً لذلك العادات الاجتماعية المرتبطة بتلك الانماط للقرويين عامة والمدمنين بصفة خاصة ، حيث أصبح المدمن فى القرية وبخاصة الفقراء والمدمنين على المواد الخطرة لا يهمه ان يشارك الاسرة فى المأكل أو المشرب ويبدأ ينعزل عن المناسبات الاجتماعية التى تتيح بعض الارتباطات المنوطة بمثل هذه العادات .

الا ان الوضع قد تغير قليلاً بالنسبة للمدمنين على الانواع التقليدية وبخاصة أولئك الذين يعيشون فى اسر ممتدة وهنا يحتم طابع الحياة الجماعى ان ينخرط أولئك فى حياة الجماعة سواء أراد ذلك أو لم يرد ، الا ان الامر يتغير كثيراً لمن يعيشون فى الأسر النووية بطبيعة الحال والتى باتت تأخذ بأغلب المظاهر الحضرية فى كل مناشط الحياة حتى لو كانت إقامتها بالقرية .

الا ان الوضع يختلف تماماً فى المجتمع الحضرى حيث ان المدمنين حتى على المواد التقليدية فيما عدا الاثرياء والقادرين تتأثر أنماطهم الاستهلاكية وأنماط الاسر المسئولين عنها وبالنسبة للانفاق ومرد ذلك ما تحتاجه المواد المخدرة من مبالغ نقدية ومع ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية الصعبة فى المجتمع الحضرى ، بل ان المدمنين انفسهم وبخاصة على المواد الخطرة لا يقبلون على الطعام كذى قبل ولا الشراب فالمهم عندهم الجرعة المطلوبة وقت الإحتياج مهما كان الثمن ، كما انهم اصبحوا لا يهتمون بالمظهر أو بالإعتناء بالملبس كذى قبل مهما كانت طبقتهم الاجتماعية والمهنة والتى بالتأكيد إفتقدوها نتيجة ادمانهم على تك المواد المخدرة ، ومما هو جدير بالذكر ان مدمن الهيروين والمواد المخدرة ينظر الى الجرعات المطلوبة

لإستهلاكه وجهة نظر ذات اهمية خاصة تفوق كل ما يحتاجه هو شخصياً من احتياجات اخرى واحتياجات اسرته ولهذا يضعها فى أعلى سلم التفضيل واولوية الاستهلاك عن كل مطالبه او مطالب الاسرة او حتى مطالب المجتمع ككل . وقد يختلف الامر بصورة أو بأخرى عن المدمنين على المواد التقليدية خصوصاً الاثرياء القادرين ومرد ذلك وفرة النقود لديهم فقد يصنعون مطالب الاسرة بمرحلة اسبق فى سلم التفضيل عكس الحال تماماً بالنسبة للمدمنين الفقراء وبخاصة على المواد المخدرة الى حد كبير الذى يضحون بالعرض والشرف والكرامة فى سبيل الجرعات المطلوبة .

٢ - العلاقة بين الدخل واستهلاك المدمنين

هناك حقيقة يجب ذكرها فى البداية قبل تحليل هذه النقطة هى ان المدمن على المواد المخدرة كالهيروين وحقن الماكس والحبوب المخدرة والخمر الى حد كبير هو مستهلك غير عادى فى الثقافات المختلفة عكس الحال بالنسبة لمدمن الحشيش والبيرة وبناء عليه فان العلاقة بين الدخل والاستهلاك قد تكون قوية قبل الدخول الى دائرة الادمان وبالذات بين اثرياء الطفرة وبعض الحرفيين الذين حققوا ارباح مادية طائلة ولم يكونوا على درجة من الوعى الثقافى والاخلاقى والمجتمعى فوقعوا فى براثن الانحرافات السلوكية ومن ثم الادمان نتيجة زيادة دخولهم بصورة مذهلة ، ولكن الامر يصبح مختلف كقوى منتجة أو مستهلكة للمدمنين على مختلف المواد المخدرة بعد الدخول فى الدائرة وهو ما يتضح من المعالجة التالية :

تبين ان المدمن فى المجتمع البدوى وبخاصة الذين يعيشون من خلال الاسر الممتدة فان نمط المعيشة جماعى وهنا يعيش المدمن على أى مادة

مخدرة نمط الاستهلاك الجماعى بغض النظر عن بعض التجاوزات الفردية البسيطة فى هذا الصدد وهنا نجد ان الاستفادة من الدخل وناتج العمل جماعى وفى يد كبار السن فى اغلب الاحوال الذى يحرص على الالتزام بالمضامين الثقافية والاجتماعية المحيطة بأنماط الاستهلاك من مختلف الأنواع .

ومما هو جدير بالذكر ان الزيادة فى دخل الاسرة البدوية والمدخرات بصفة عامة هى الاخرى فى يد العواقل وكبار رؤوس العائلات وتذهب فى الغالب إما فى شراء أراضٍ أو حيوانات أو الاحتفاظ بها نقداً لأى ظروف طارئة صحية أو زواج أحد الأبناء أو الأحفاد وهذا يعنى أن الزيادة فى الدخل لا يتبعها بالضرورة زيادة فى الاستهلاك .

ولا يختلف الأمر كثيراً فى المجتمع القروى وبخاصة للمدمنين الذين يعيشون فى أسر ممتدة حيث أن الدخل هو دخل العائلة كلها والاستفادة من ناتج العمل جماعى والاستهلاك جماعى فى أغلب الأحوال .

الا ان الامر مختلف بالنسبة للأسر النووية أو المدمنين الغير مسئولين عن اسر حيث انهم يسعون بكل جهدهم الى توفير أى دخل من خلال العمل أو النصب أو حتى الاحتيال وصل كثير من الحالات الى القتل والاتجار فى المواد المخدرة أو ممارسة البغاء بالنسبة للنساء لتوفير المبالغ اللازمة لشراء المواد المخدرة ، المهم وكما سبق القول ان المدمن القروى وبالذات الفقير سواء على المواد الخطرة أو التقليدية هو مستهلك غير عادى يهمه الحصول على المادة المخدرة بأى شكل من الأشكال ولذا فان دخلهم شرعى أو غير شرعى دائماً يقل عن احتياجاتهم الاستهلاكية .

ومما هو جدير بالذكر ان المدمن القروى فى الاسر النووية أو غير المسئولين عن أسر لا يمكن أن يتوفر لديهم أى زيادة فى الدخل بل أنهم دائماً يكونون فى دين وغم وكدر ولا يستطيعون الإيفاء بمطالبهم الشخصية وبناء عليه يقل الدخل كثيراً عن استهلاكهم فى كل الاحوال ، الا انه قد يزيد الدخل عن الاستهلاك فى حالة المقتدرين أو التجار أولئك الذين يعملون بالمقاولات والنقل من أبناء القرية وبخاصة الذين يدمنون على الانواع التقليدية أما الذين يدمنون على الهيروين والمورفين فانهم لا يجدون على المدى القصير قوت يومهم مهما كان لديهم من ثروة من قبل .

ويمكن القول ان نمط المعيشة فى الاسر الممتدة حتى التى بين اعضائها مدمنين دائماً يكون هناك فائض من الانتاج عن حاجات الاستهلاك خصوصاً ان الذى يقوم بالبيع والشراء فى السوق للانتاج الفائض وشراء ما تحتاجه العائلة الممتدة هم دائماً كبار رؤوس العائلات او من يوكلون اليه هذه المهمة من الابناء ، كما ان رؤوس هذه العائلات دائماً يدخلون فى علاقات تبادل مع العائلات الاخرى سواء عن طريق التبادل الشعائرى فى المناسبات المختلفة أو عن طريق التبادل العملى والمقايضة فى السلع المختلفة بين بعضهم البعض .

الا ان هذه الصورة تختلف تماماً فى حالة الأسر النووية القروية وبخاصة الذين ليس لديهم ارض زراعية أو تم بيعها او يعملون بوظائف وفى هذه الحالة تعيش اسرة المدمن فى تعاسة وفى ضيق من الحياة من جميع النواحى .

وتبين ان العلاقة بين الدخل والاستهلاك بالنسبة للمدمنين في المجتمع الحضرى تختلف الى حد كبير للغاية ، وقد يتأثر الى حد قليل المدمنون من رجال الاعمال الحرة والتجار واعمال المقاولات والحرفيون الذين يدمنون على المواد المخدرة التقليدية كالحشيش والبيرة الا ان الوضع يختلف تماماً بالنسبة لهم اذا أدمنوا على المواد الخطرة حيث نجد ان الدخل فى هذه الاحوال يكون أقل بكثير من احتياجاتهم الاستهلاكية بل قد يصل الأمر لعدم وجود دخل نتيجة بيعهم ممتلكاتهم واعمالهم وعزوفهم واهمالهم للعمل .

كما ان هذه الصورة نجدها فى حالة المدمنين الحضريين الفقراء أو متوسطى الحال وبخاصة الذين يعملون فى أعمال حكومية أو شركات حيث ان الدخل أساساً محدود ويكاد يفى أو لا يفى باحتياجات الاسرة فى الاحوال العادية فمابالك لو ادمن رب الاسرة او احد اعضاءها حتى على المواد التقليدية وهنا تقع الطامة الكبرى حين تتفكك الاسرة وتتجه نحو الانحراف والى غيره من المشكلات الاجتماعية والنفسية التى تحول دون استقرار الاسرة وانما الى تصدعها .

ومما هو جدير بالذكر ان المدمنين على المواد التقلدية وبخاصة القادرين هم فقط الذين قد يدخلون فى علاقات تبادل مع عائلاتهم أو جيرانهم أو أصدقائهم ، الا ان هذه العلاقات مع مرور الوقت تبدأ فى الانقراض نتيجة تفضيل المجاملات لزملاء أو أصدقاء التعاطى وتبين ان الدخل يزيد عن الاستهلاك لدى كثير من العائلات البدوية خصوصاً فى يد كبار العائلات الذين استصلحوا مساحات متفاوتة من الاراضى وزراعتها وأولئك الذين يعملون بالاعمال التجارية الكبيرة أو الرعى ، ويمكن القول ان العواقل يحرصون على ان يكون دائماً تحت يديه مدخرات لأى ظروف طارئة حيث ان

البدو بعامة حريصون على عدم الاحتياج وبالتالى عدم الاقتراض من غيرهم ، لذا فانهم يعتمدون قدر الامكان على الانتاج المحلى داخل العائلات فى اغلب الاحوال ، وان استهلاكهم لا يتعدى الاحتياج الفعلى والايفاء بكافة الالتزامات التى يقرها ويقننها القانون العرفى والعادات والتقاليد البدوية ، الا انه قد تظهر بعض مظاهر المباهاة والمظاهر فى المناسبات الخاصة كالأفراح والمآتم والأعياد حيث يكون استهلاك البدو عامة فى هذه المناسبات فوق الاحتياج الطبيعى أو الفعلى .

كما يمكن القول ان اسعار السلع فى المجتمع البدوى خصوصاً الى تنتج منها محلياً هى ثابتة فى أغلب الأحوال حيث أن انتاجها دائماً يكون داخل العائلات نفسها مثل اللحوم والدواجن والمنتجات الزراعية كالخضروات المتنوعة والشعير ، أما السلع التى يحتاجونها من السوق فهى معرضة لأسعار السوق ، كما ان العواقل أو كبار العائلات الذين يقع عليهم عبء اعالة جميع افراد العائلة لا يبحثون دائماً عن بديل للسلعة لأنهم فى الغالب لا يشترون غير السلع الضرورية التى لا ينتجونها مثل الارز والسكر والشاى وبعض الادوات المنزلية خاصة الالومنيوم او البلاستيكية فى بعض الاحيان .

كما ان فائض البضاعة المنتجة يعد بصفة دائمة ازيد من حاجات العائلة ويشكل ادخاراً للعائلة ، ويقوم كبار العائلات او من ينوب عنهم ببيعه فى السوق ليشتروا بدلاً منه ما تحتاجه العائلة ويشكل ادخاراً للعائلة او يبادلون به منتجات اخرى مع العائلات الاخرى فيما يفيض عن حاجاتها وقد يستخدمونه فى عمليات التهادى الملزمة وغير الملزمة حتى لو كانوا فقراء والتحرر من الالتزامات الاجتماعية الملزمة وغير الملزمة داخل النسق القرابى او خارجه وقسر دائرة العلاقات داخل مجموعة محددة «شلة التعاطى» .

٣ - العلاقة بين حجم الاستهلاك ونظرة المدمنين للمستقبل فى الثقافات المختلفة

كما سبق القول ان استهلاك المدمنين فى المجتمع البدوى بصفة عامة مرتبط الى حد كبير بالنمط الجماعى او الاستهلاك الجماعى ولهذا فان حجم الاستهلاك والنظرة الى المستقبل تكون دائماً نظرة جماعية قائدها ومدير شئونها هو كبير العائلة أو المسئول عن العائلة وجدير بالذكر ان البدوى دائماً حريص الا يحتاج لأحد ويخاف دائماً من المجهول ويعمل حساباً للزمن بالرغم من انه متوكلاً على الله ويؤمن بالقدرية ولكنه ينظر للاحتياج على انه يشينه ووصمة عار ولذا يحرص دائماً على ان يظهر قوياً وغير محتاج لأحد وكريم فى أغلب الاحوال وقد تكون هذه المقومات الشخصية من اهم العوامل التى اثرت على أنماط الاستهلاك والنظرة للمستقبل بصفة عامة من خلال السياج الاجتماعى والثقافى للمجتمع البدوى .

ويمكن القول ان الدخل قد يتساوى مع الاستهلاك فى اغلب الاحوال اى ان العلاقة بينهما ممثلة بخط مستقيم وقد يزيد فى بعض العائلات خاصة التى استصلح عواقلها ومشايخها مساحات من الاراضى وزراعتها ومن ثم حدث زيادة فى الدخل مع تنوع الانشطة الخ .

كما نجد ان نمط استهلاك المدمنين فى المجتمع القروى مرتبط الى حد كبير بالنمط الجماعى او الاستهلاك الجماعى خصوصاً فى الأسر الممتدة حيث النظرة الى المستقبل من ناحية الاستهلاك والأدخار يحددها كبار العائلات ومن واقع المصلحة الجماعية لجميع اعضاء الأسرة الممتدة دون النظر لأى اعتبارات فردية أو مصلحة ذاتية ، ولذا نجد أجيال الكبار دائماً

تحاول أن تحافظ على سمعتها وحسن ظهورها بالوضع اللائق والمكانة الاجتماعية والسمعة الطيبة أمام العائلات الأخرى ولذا يعيش المدمن فى تلك الأنماط الأسرية فى السياج الاجتماعى والثقافى الذى ترتضيه هذه الأسرة ونحو المجتمع القروى ككل .

وبناء عليه نجد فى تلك العائلات الممتدة قد يزيد الدخل عن الاستهلاك وبخاصة فى الاسر الغنية وكذلك الاسر المتوسطة مع الاختلاف فى حجم الزيادة والمدخرات نتيجة التفاوت في مختلف مظاهر وأنماط الاستهلاك فى المناسبات المختلفة التى تحتمها الاعراف والعادات القروية .

الا ان الصورة نجدها تختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى ونظراً لانتشار الاسر النووية ولاختلاف النظرة للمستقبل حيث ان المدمن وبخاصة متوسطو الحال والفقراء لا يهمه المستقبل ولكن ما يهمه هو اللحظة التى يريد أو يحتاج فيها الى المادة المخدرة .

الا ان المدمنين الاثرياء وبخاصة مدمنو المواد المخدرة التقليدية والذين لم يدخلوا فى دائرة ادمان المواد الخطرة وبخاصة الهيروين قد ينظرون الى المستقبل بنظرة أكثر و يأ وقد تتجه دائماً زوجات هؤلاء القادرين من رجال الاعمال التجار والمقاولات الى حث هؤلاء الى كتابة الممتلكات وخلافه من مصادر الثروة للزوجة والأبناء كأمان للمستقبل وفى هذه الحالة فقط نجد لصورة تون أكثر توازناً وفيما عدا ذلك فقد يتنازل المدمنون عن الثروة والمكانة خاصة بعد الوقوع فى دائرة الادمان للمواد الخطرة .

٤ - نظرة المدمن لطعام والعادات الغذائية فى الانماط المجتمعية المختلفة

وتبين ان البدو بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة لهم اهتماماً أساسياً بالطعام خصوصاً وأن حالات ادمان الهيروين نادرة للغاية وهذه المادة الوحيدة التى تجعل المدمن يعزف عزوفاً تاماً عن الغذاء ونجمل أهم الملاحظات الميدانية حول العادات الغذائية للبدو وعامة والمدمنين خاصة فى النقاط التالية :

١ - تعد اللحوم من أهم المواد الغذائية التى يجب ان يحتوى عليها غذاء البدو فى اغلب الاحوال ويحصلون عليها من المصادر التالية :

* الغنم سواء أكان ضأناً أو ماعز ويستخدمونها فى كل المناسبات والايام العادية بصفة خاصة .

* البقر ويستخدمون لحومها فى حالة الافراح والمناسبات الكبرى ويعد البقر فى المجتمع البدوى حيوان انتاج للحوم وليس حيوان عمل .

* الطيور ويستخدم البدو لحومها فى حالات الوضع للنساء والاطفال والصغار والشيوخ وعند المرض .

٢ - يعد اللبن من المواد الاساسية فى غذاء البدو وبعامة والمدمنين بخاصة ويحصلون عليه من الماعز ـ الضأن ـ البقر ـ الجمال ، ويستخدم البدو اللبن فى عدة نواحى :

* يعمل منه النسوة الزّبدة وذلك بعد خضه .

* تستخدم فى عمل الارز باللبن وذلك بعد أخذ الزبدة منه .

* يأكل مع العجوة بالعيش أو يوضع فى جلد يعمل منه مالح كالجبن القريش

٣ – تعد العجوة غذاء أساساً للبدو والمدمنين بخاصة ويرجع السبب فى ذلك على حد تعبيرهم "أنها لا تحمض ولا تنور" ومن الممكن أن تختزن بالبيوت لمدة طويلة وتأكل مع اللبن الخض ويعمل منها المفروكة مع اضافة الزبد سالف الذكر ، كما يعمل منها النسوة الرب ، ويوضع فى صوفه (جلد ماعز صغير) لمدة معينة شهراً أو أربعين يوماً تأخذ بعدها العجوة من الصوفة وتنظف الصوفة من العجوة ويوضع السمن فى الصوفة بعد أخذ العجوة منها ، وقد ترمى العجوة المأخوذة من الصوفة أو يأكلها الاولاد الصغار ويكون القصد من استخدام العجوة على هذا النحو حفظ السمن لمدة طويلة .

٤ – لا يعتمد البدو بعامة والمدمنون بخاصة على البيض كمصدر أساسى لامداده بحاجاتهم من البروتين لأنهم يقصرون أكله على الأطفال الصغار وكذلك فى حالة الضيوف الغرباء الذين لا يريدون أكل طبيخ وأيضاً فى حالة اعداد الوجبات السريعة للضيوف .

٥ – يعد العدس والفول والبطاطس والطماطم والخبز من العناصر الرئيسية أيضاً فى غذاء البدو ولكنها تأتى فى مرتبة تالية بعد اللحوم والأرز واللبن ، كما يستخدم البدو الخضروات كأساس فى غذائهم وخصوصاً فى مناسبات الأفراح والأعياد والطهارة والمواسم بخاصة مولد النبى ، الا ان استخدامهم لها بكثرة جداً يكون فى شهر رمضان المبارك .

٦ – تقدم لحوم الغنم مع الخضروات فى المناسبات والحفلات والاعياد وكذلك لأشخاص معينين (الضيوف) من البدو أو الغرباء ويكون الاختلاف بين الاشخاص الموجودين على المائدة بالنسبة للانصبة التى توزع عليهم من

اللحوم فقط حيث تكون للغربا الضيوف وكبار القوم قسوم معروفة ولها اسماء معروفة بها كالساق والكتف والسهم الاكبر* وتقدم المخروقة* للسيدة العاقلة الضعيفة ، ويمنح هؤلاء انصبتهم من الاجزاد سالفة اكراماً لهم وللدلالة على حسن الضيافة والكرم .

٧ – لا يميل البدو لاستخدام المعلبات بأى صورة من الصور ، حيث انهم لا يميلون الى استهلاك اللحوم المجمدة الا فى حالات نادرة جداً ويقتصر ذلك على الاسر الفقيرة ، كما انهم لا يقبلون على أكل الأسماك الا قليلاً وفى اسر معينة ويشترون من الجمعيات التعاونية فقط الارز والسكر والشاى .

٨ – يتناول البدو عامة والمدمنون وبخاصة الطعام ثلاث مرات فى الصباح ، وفى الظهر وفى العشاء ، ويكون دائماً العشاء عكس ما يتناوله البدو فى الغذاء فى أغلب الأحوال .

٩ – ويتكون غذاء البدو بعامة والمدمنين بخاصة من نوعين ويقدم بطريقتين هما :

* اذا كان الأكل طبيخاً وخبزاً يقدم على صينية كبيرة أو طبلية مصنوعة من الخشب وتوزع اللحوم فى صورة أنصبة لكل فرد من الافراد الذين يتناولون الطعام وتختلف الانصبة حسب اوضاع ومراكز واعمار الذين يتناولون الطعام .

---

* السهم الاكبر – ويوجد اسفل الساق ويمتاز بأن لحمه أحمر .

* المخروقة – وهى الجزء الذى يوجد بين الساقين ويمتاز لحمها بأنه أحمر ويمكن تقسيمها الى جزئين فى حالة وجود ضيفين وذبيحة واحدة .

* اذا كان الطعام أرزاً فيوضع فى قصعة كبيرة من الخشب او الالومنيوم ويأكل البدو بأيديهم ، أما اذا كان هناك غرباء فيقدمون لهم ملاعق ليتناولوا بها الطعام .

١٠ - ضرورة تقديم الاطعمة ونحر الذبائح فى المناسبات المختلفة كالأفراح والماتم وذلك مشاركة من البدو لبعضهم البعض .

١١ - لابد من غسل الأيدى وبعد تناول الطعام بالماء والصابون أو حتى بالماء الساخن وحده فرد بعد فرد مبتدئين بالضيوف ثم كبار السن والقوم ثم باقى الافراد وفى الغالب ان الذين يقومون بمهمة سكب المياه على أيدى الحاضرين هم الاطفال او اصغر الموجودين سناً وبعد تناول الطعام يحضر الاطفال او احد الشباب الشاى عدة مرات .

١٢ - اذا قدم الطعام فى أى وقت لابد أن يتناوله كل الموجودين بالبيت خصوصاً وان البدوى لا يأكل مع زوجته وأولاده وبناته الا فى حالة الاسر الصغيرة المنفصلة عن العائلة وهذه نادرة للغاية ، اذ ان البدو يميلون الى الوجبات الجماعية ، وقد يأكل مع أولاده فى حالة عدم وجود غرباء أو ضيوف .

١٣ - لا يستخدم البدو الملاعق عند تناول الطعام حتى لو كان من السوائل اذ يقتصر استخدام الملاعق على الضيوف الغرباء وبخاصة الذين من غير البدو ، الا ان هناك بعض البدو قد يستخدمون الملاعق حديثاً وبخاصة فى حالة وجود ضيوف .

١٤ - لابد من نحر الذبائح للضيوف وتقديم الاطعمة بكميات كبيرة فى هذه الاحالات وكذلك فى الاعياد خصوصاً عيد الاضحى المبارك ، اذ لابد

ان ان تذبح كل اسرة ذبيحة فى هذا العيد مهما كان المستوى الاقتصادى والاجتماعى لها .

١٥ – ضرورة تقديم الشاى عدم مرات فى أكواب صغيرة بعد تناول الطعام مباشرة ، أو قبل الطعام فى حالة الزيارات العادية ولا نقصد بتقديم الشاى عدة مرات كنمط استهلاكى فقط وانما نود ان نوضح الدلالات الاجتماعية للشاى ، حيث ان تقديم الشاى بهذه الصورة يساعد فى اطالة الاحاديث التى تتم من خلال الزيارات المتكررة أو مجالس الصلح ، وهنا يلعب الشاى دوراً كبيراً فى جعل الود والألفة والمحبة تسود بين الحاضرين جميعاً فى كلتا الحالتين ، كما أنه يدل على الترحيب بالضيف أو الشخص الزائر وانهم فرحين بوجوده ، ولما كان الحاضرون يتناولون الشاى دون غسل الاكواب بعد شربهم ، أى أن كل فرد يشرب الشاى فى الكوب الذى شرب منه زميله دون غسلها وهذ دلالة على الصفاء والتواضع وحسن النية .

ويعمد بعض كبار السن والأعيان تقديم الشاى بأنفسهم للضيوف للدلالة على مكانة الضيف عندهم ومحبتهم له وودهم له أوقد يقوم باعداده أمام الضيف دلاله على المحبة والألفة .

١٦ – يفضل البدو عامة والمدمنون بخاصة اللحوم الدسمة ولهذا السبب يأكلون دائماً اللحم الضأن لأنه يمتاز بالدسم ، بالرغم من ان هذا الدسم يؤثر على الشرايين ويؤدى الى ارتفاع نسبة الاصابة بتصلب الشرايين وهو شائع بين البدو بصفة عامة .

١٧ – ضرورة استعمال الفلفل والشطة (التوابل بصفة عامة) بكميات كبيرة جداً بالرغم من استخدام هذه المواد بكثرة يؤذى الأمعاء والمعدة ويؤدى

الى الاصابة بأمراض متعددة مثل التهابات المعدة والمصران الغليظ بخاصة وتصل نسبة الاصابة بين البدو الى ٦٥ ٪ نتيجة لتمسكهم باستخدام التوابل بكثرة فى طعامهم .

١٨ – لابد من ذبح ذبيحة عند حضور أى امرأة غاضبة من زوجها سواء من العائلة أو خارجها وذلك إكراماً لها وإرضاءً لخاطرها .

١٩ – يشترك جميع أهل البيت فى تناول الطعام فى حالة عدم وجود ضيوف ولكن ذلك فى حالة الأسر الصغيرة التى تتكون من الزوج والزوجة والأولاد فقط أما فى حالة الأسر الكبيرة فيأكل الرجال بمفردهم والاناث وحدهم وكذلك فى حالة وجود ضيوف فانهم يتناولون الطعام معهم ولكنهم من الممكن ان يقدموا الاطعمة ويسكبون الماء على ايدى الضيوف على النحو سالف الذكر .

٢٠ – يفضل البدو بصفة عامة الأكل الطازج أولاً بأول ويأكلون الطعام مطبوخاً إلا ان هناك بعض الاطعمة تؤكل بدون إعداد كالعجوة واللبن أو الكشك والفواكه أما بقية الخضروات فلابد من طبخها قبل أكلها .

٢١ – لا توجد أى قواعد عرفية أو معايير إجتماعية تحرم أكل أنواع معينة من اللحوم فى المجتمع البدوى كما هو شائع فى المجتمعات التقليدية المحلية الهندية على سبيل المثال ، حيث نجد الديانة الهندوسية تحرم أكل لحوم البقرة لأنهم يقدسونها الا اننا نجد ان البدو على النقيض من ذلك يأكلون الآن كل أجزاء الحيوان حتى الكرشة والكبده والكوارع ، كما أنه لا توجد أية تحريمات لأى أنواع من الخضروات حيث أن البدو باتوا يأكلون كل أنواع الخضر .

يتضح مما سبق كيف ان العادات الغذائية للبدو عامة والتى لا يمكن للمدمنين على معظم الأنواع المخدرة فيما عدا الهيروين أن يتحللوا من الالتزامات المقرونة بتلك العادات ، حيث ان السياح الاجتماعى والثقافى الذى يحيا من خلاله البدو بصفة عامة قد قنن وحدد مختلف الانماط الاستهلاكية بصدد الغذاء ولذا يحرص المدمنون على الايفاء بكافة الالتزامات المرتبطة بذلك حيث ان تقديم الاطعمة والواجبات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بذلك تمثل دلالات اجتماعية وثقافية لها بالغ الاثر فى مقومات الشخصية البدوية .

وتبين ان هناك بعض العادات السالف ذكرها توجد فى المجتمع القروى ولكنها تظهر بصورة واضحة فى الأسر الممتدة وبخاصة الأسر الثرية والتى تعد من الضرورة لمحافظتها على المكانة والسمعة والتباهى أن تتمسك ببعض العادات الغذائية وعادات الملبس التى تظهر نوعاً من التميز والمكانة مقابل العائلات الأخرى . والذى يهمنا هنا أن هذه الأسر يحيا من خلالها المدمنون نفس أنماط الأسر الممتدة وتحرص هذه الأسر أن تقف بالمرصاد للعضو المنحرف من أعضائها .

وتتمثل هذه العادات الغذائية فى ضرورة اكرام الضيوف ونحر الذبائح لهم أسوة بأبناء البادية ولكن القرويين يفضلون لحوم البقر والجاموس عن الأغنام فيما عدا الأعياد وبخاصة عيد الأضحى . ولكن اهتمام القرويين بتناول اللحوم يكون بصورة أقل من البدو بصفة عامة .

تتنوع المائدة فى المجتمع القروى بصفة عامة عن المجتمع البدوى وتكون الأطعمة متنوعة عن المجتمع البدوى وبخاصة فى حالة الأسر القادرة مادياً أو حتى متوسطى الحال .

يميل بعض أبناء القرية الى استخدام المعلبات والأسماك المثلجة واللحوم المثلجة بعكس الحال فى المجتمع البدوى ، كما يميلون الى أكل الطيور لمختلف لطبقات العمرية وكذلك أكل البيض وهم بهذا يعكسون نمطاً استهلاكياً مختلفاً عن النمط البدوى ولكنه يقترب الى حد كبير من النمط الحضرى .

وقد لمست كيف يتبدل الاهتمام ببعض العادات الغذائية فى حالة الأسر الفقيرة وبخاصة التى يكون رب الأسرة القروية فيها مدمناً أو صاحب (كيف أو مزاج) كما يقولون حيث نجد أنه يفضل نفسه عن تلبية احتياجات الأسرة ولذا نلمس قصوراً فى نظام التغذية فى مثل هذه الأسرة عن الأسرار التى لا يوجد بين أعضائها مدمنين وتختلف نظرة المدمن الحضرى للغذاء حيث ان معظم هذه الاسر تعيش فى ظل الاسر النووية فقد لا تختلف الصورة الا قليلاً فى حالة اسر المدمنين القادرين وبخاصة على الحشيش حيث نجد أن الحشاش القادر دائماً يحب ان يرضى اسرته ويكون دائماً طيب ويميل الى الهدوء وعدم التقصير فى واجبات الاسرة حتى لا يحدث ازعاجاً هو فى غنى عنه ، الاان الصورة تختلف كثيراً فى حالة المدمنين الفقراء جتى على المواد التقليدية (الحشيش خاصة) وتكون اكثر سوءاً فى حالة الادمان على الخمر او الهيروين اوالحبوب المخدرة او حقن الماكس الخ حيث ان هؤلاء انفسهم لا يهتمون بنظام التغذية الخاص بهم فلا يهمهم مواعيد الاكل او نوعية الاكل الخاص بهم شخصياً فمابالك بنظام التغذية الخاص بالاسرة . وبناء عليه يصابون دائماً بالوهن والضعف العام فى الحالة الصحية كما انهم يصاحبون فى مراحل أخرى بالضعف العقلى وعدم القدرة على التركيز ويصل الأمر فى ادمان الهيروين الى الجنون او الانتحار او الموت .

واتضح ان المدمن الحضرى لا يعايش العادات الغذائية للأسرة وبخاصة مدمنو المواد الخطرة اوالمدمين بين الشباب ويتحللون من اى ارتباطات اجتماعية تخص نظام التغذية او الدخول فى مجاملات مع الاسر الاخرى ، حيث انهم يعيشون فى عالم خاص بهم ، ويستثنى من ذلك الى حد قليل المدمنون على الحشيش وبخاصة الاثرياء ولكن مجاملاتهم فى اغلب الاحوال تكون لشلة او لجماعة التعاطى سواء فى منازل القادرين او فى منزل احد اصدقاء التعاطى الفقراء ، حيث نجد انه دائماً بالنسبة لمدمن الحشيش قد يقع العبء الاكبر فى المصاريف على القادرين نظير توفير المكان وبعض سبل الراحة من جانب شلة التعاطى الفقراء وهذا المدخل هو الذى يؤدى فى أغلب الأحوال الى انحراف أسر المدمنين الفقراء حتى على الأنواع التقليدية .

٥ - نظرة المدمنين للملبس والعادات المرتبطة به فى الثقافات المختلفة

وتبين ان نظرة البدو عامة والمدمنين البدو بصفة خاصة للملبس هى نظرة عادية حيث ان الملبس لا يتعدد ولا يتنوع فهو عبارة عن مجموعة من الملابس التقليدية تتمثل فى الأنواع الآتية :

١ - البدلة العربية الصيفية : وتتكون من سروال واسع وقميص فوق السروال عند الركبة ودائماً تكون من قماش خفيف وبألوان الأبيض والسماوى والرصاصى والكنارى ، وهناك الجرد الصيفى ويكون مصنوعاً من قماش أو صوف ولكن خفيف .

٢ - البدلة العربية الشتوية : وتتكون من سروال وسورية وفوق السورية حرملة وفوق الحرملة زبون وكل هذه الملابس مطرزة ومصنوعة من

الصوف حت تتناسب مع موسم الشتاء ، ثم هناك الجرد الشتوى المصنوع من الصوف القتم ويكون اما على الوان فاتحة كريم او بنى فى اغلب الاحوال .

وبناء عليه تكون وظيفة الملبس فى هذا النمط المجتمعى هى :

١ – الوقاية من الحر والبرد .

٢ – الحياء .

٣ – التزين والتجمل .

٤ – الدلالة على النزاهة والاعتداد بالنفس .

٥ – الدلالة على النظافة وحسن المظهر .

وتبين ان الملبس لايرتبط بالمستوى المادى وانما يرتبط بالتنشئة الاجتماعية واتضح ان الملبس ليس على حسب المستوى الاجتماعى ولا يضيف وضعاً اجتماعياً او مكانة او كرامة ويحرص البدو عامة ان يكون مظهرهم انيقاً ، وبناء عليه لا يستطيع المدمن ان ينسلخ من هذه العادات المتأصلة فى المجتمع البدوى حتى لا يحدث له نبذ واحتقار وقد يصل الامر الى البراوة والطرد .

ومما هو جدير بالذكر ان المسئول عن شراء الملبس فى المجتمع البدوى بصفة عامة هم العواقل وكبار رؤوس العائلات حيث تقع فى ايديهم مقاليد السلطة والثروة ويحرصون على شراء الملابس فى الاعياد والمناسبات المختلفة لجميع الفئات العمرية وبألوان واحدة للشباب والاناث وكذلك الاطفال الذكور بالوان تكاد تكون تقريباً واحدة وفى الغالب ما تكون ملابس الاناث الصغيرات من لون واحد وبناء عليه لا تتأثر الاسرة التى بها مدمنين بأى

مظاهر للانفاق لأنه فى الغالب فى المجتمع البدوى ما تكون الامور فى يد كبار السن وبناء عليه لا تتأثر انماط الاستهلاك للأسر بشأن الملبس بادمان أحد أعضائها حتى لو كان مسئولاً أو مكلفاً برعاية أسرة لأن مقاليد السلطة والثروة فى الاسر الممتدة تقع دائماً فى ايدى رؤوس العائلات .

كما تبين ان هناك ثمة عادات ترتبط بالملبس بالنسبة للبدو بصفة عامة والمدمنين بصفة خاصة حيث يحرص البدو من مختلف الاعمار على ارتداء الملابس الجديدة فى الاعياد والمناسبات الدينية والافراح وكذلك النسوة من مختلف الاعمار لابد ان يرتدين الملابس الجديدة فى تلك المناسبات. كما ان ملابس البدو الذكور تميل بصفة عامة الى الالوان البيضاء او الالوان الفاتحة الا ان النساء يملن الى الالوان الزاهية وكذلك البنات الصغار اللاتى فى الغالب تكون ملابسهن مصنوعة من نفس القماش الذى يصنع منه ملابس الامهات . وبناء عليه لا يستطيع المدمن بأى حال من الأحوال ان يخل بهذه العادات الخاصة بالملبس حيث انه يعيش داخل سياج اجتماعى وثقافى ويخاف ان يتعرض الى اللوم والتحقير والازدراء الاجتماعى عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى وكما سنرى فيما بعد .

ونجد الوضع لايختلف كثيراً فى المجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة والتى تقع مقاليد السلطة والثروة فى يد كبار العائلات حيث انهم هم الذين يصدرون القرارات بشأن عملية شراء الملابس وحسب احتياج الاسرة الممتدة وبالذات فى المناسبات المختلفة كالاعياد والافراح .

مما هو جدير بالذكر ان الزى التقليدى الريفى لا يتعدد ويتنوع كما هو

الحال فى المجتمع البدوى ولا يختلف عنه الا قليلاً وبصفة خاصة فى حالات القرويين المتعلمين او الشباب والصبية فى سن التعليم .

الا ان الامر يختلف الى حد كبير بالنسبة للمدمنين الذين يكونوا اعضاءً فى اسر نووية حيث يتأثر مظهرهم ونمط ملبسهم نتيجة الادمان وبخاصة عند الادمان على المواد المخدرة حتى لو كانوا من اثرياء القرية حيث ان الهيروين يقضى على ثروة الانسان وصحته وشخصيته بصفة عامة عكس الحال الى حد كبير فى حالة الادمان على المواد المخدرة التقليدية فنجدها لا تؤثر الا قليلاً على مظهر وملابس الاثرياء بصفة خاصة الا انها تؤثر تأثيراً كبيراً على كافة متطلبات الحياة الأسرية بالنسبة للمدمنين الفقراء او متوسطى الحال .

ويمكن القول ان وظيفة الملبس بالنسبة للقرويين بصفة عامة تتلخص فى النقاط التالية :

١ – الوقاية من الحر والبرد .

٢ – الحياء .

٣ – الدلالة على المكانة والثروة .

٤ – الدلالة على النظافة وحسن المظهر .

٥ – الدلالة على الاعتداد بالنفس .

٦ – التزين والتجمل .

الا ان الامر بالنسبة للمدمنين يتفاوت حسب درجة الثراء والثروة وحسب

درجة الثراء والثروة وحسب تنوع المادة المخدرة والوضع العائلى ولكن الملبس لا تكون له وظيفة بالنسبة للمدمن القروى على المواد المخدرة الخطرة مهما كان وضعه ومركزه المالى والاجتماعى سوى الوقاية من الحر والبرد فقط ، إلا أن المدمنين على المواد التقليدية خصوصا لو كانوا أثرياء فلا تختلف كثيرا عن الوظائف السابق ذكرها للقرويين بصفة عامة ولكن الأمر يختلف كثيرا للغاية بالنسبة للمدمنين الفقراء .

وبناء عليه يمكن القول أن الملبس فى المجتمع القروى يرتبط بالمستوى المادى والوضع العائلى والاجتماعى والتنشئة الاجتماعية وبخاصة للمدمنين الذين ينتمون الى أسر ذات سلطة وسيادة وثروة حيث أن المدمنين فى هذه الحالة يعيشون فى سياج اجتماعى وثقافى ينبع من الكيان العائلى والجماعة التى ينتمون اليها عكس الحال بالنسبة للمدمنين الفقراء والذين فى الغالب يعيشون كأصحاب مصلحة فى فلك الأثرياء .

وتبين أن نظرة المدمنين القادرين (رجال الأعمال الحرة والمقاولين والتجار) فى المجتمع الحضرى خصوصا على الأنواع التقليدية كالحشيش لا تختلف نظرتهم الى الملبس قبل الدخول فى الدائرة الا اذا حدثت لهم عقبات مالية ولكنهم دائماً يهتمون بمظهرهم وأناقتهم لاظهار نوع من المكانة والثراء والمفاخرة ، بل أن هؤلاء وكما سبق القول دائماً يسير فى فلكهم " شلة " من المنتفعين الفقراء ، ولكن عندما يدخلون هؤلاء الى دائرة ادمان الهيروين والمورفين الخ فيبيعون ويتنازلون عن ممتلكاتهم تباعا وقد لا يجدون أقل الملابس لارتدائها .

وهنا نجد أن وظيفة الملبس لتلك الفئة الثرية يتركز فى عدة نقاط :

أ - إظهار المكانة والثراء .

ب - المفاخرة والمباهاة .

ج - الوقاية من حر الصيف وبرد الشتاء .

د - قد يستخدم المظهر الأنيق فى تسهيل عمليات النصب والاحتيال وأعمال القوادة تحت أى ستار مهنى .

ونجد الوضع يختلف الى حد كبير فى حالة المدمنين على المواد التقليدية والمدمرة حيث ان امكانياتهم أساساً بسيطة ولا تفى بالاحتياجات والمطالب الرئيسية لأسرة فما بالك فى حالة ادمان رب الأسرة أو أحد الابناء وفى هذه الحالة لا نجد اهتماماً بالملبس او المظاهر وغالباً ما ينحرف الابناء من الجنسين في هذه الاسرة ويمارسون انماطاً سلوكية غير سوية سواء بالانحرافات الجنسية او الاشتراك فى بعض الجرائم كالسرقة والنهب او تسهيل ترويج المخدرات لحساب بعض التجار او المساعدين وبخاصة في مجالات العمل والجماعة ومراحل التعليم الثانوى وهنا يكمن الخطورة علي عنصر الموارد البشرية كثروة قومية .

وقد نجد من بين هذه العناصر التي تستقطب للعمل في مثل هذه المجالات الانحرافية اهتماماً ملحوظاً بالملبس والمظهر لمحاولة استقطاب عناصر استهلاكية جديدة خصوصاً من ابناء الاثرياء او الفتيات الاثرياء لاستنزاف موارد اسرهم وكذلك الفتيات الفقراء لاستخدامهم فى شتى انواع الجرائم والانحرافات وهنا يكون عامل الملبس والاهتمام به من مختلف الانواع عاملاً مساعداً للاستقطاب ومن ثم للدخول في هذه الدائرة اللعينة .

٦ - عادات النظافة والاهتمام بالمظهر للمدمنين فى الثقافات المختلفة

تبين مما سبق ان عادات الملبس عند البدو بصفة عامة والمدمنين بخاصة لا تتنوع ولكنها ترتبط بسياج اجتماعي وثقافى لا يمكن الخروج عليه او الاخلال به وبصفة خاصة فى المناسبات التي تحتم الظهور ببعض الانماط السلوكية المتعلقة بتلك العادات ، ونجد الحال كذلك بالنسبة لعادات النظافة والاهتمام بالمظهر حيث ان البدو عامة والمدمنين خاصة يميلون من مختلف الطبقات العمرية ان يظهروا امام جميع ابناء المجتمع وهم نظاف ومظهرهم انيق حيث ان عادات الملبس تجعل المستويات جميعها تتقارب وبناء عليه فلا نجد اختلافاً ، الذى يهمنا فى ذلك هو ان البدو بصفة عامة يحب ان يكون انيقاً مبتهجاً ولا يحب ان يكون احد افضل منه ولا يلومه احد علي انه غير مهتم بمظهره وهنا عدة اسباب وراء ذلك نجملها فيما يلى :

١ - دائماً البدو بصفة عامة والمدمنون بصفة خاصة لا يستطيعون ان يعيشوا بمعزل عن المجتمع فهناك زيارات ومناسبات مختلفة تحتم عليهم الاهتمام بالنظافة والمظهر .

٢ - يعتبر الصغار والشباب جيل الكبار قادة وقدوة وعواقل المجتمع ولذا يحرص الكبار على ان يبدوا فى الصورة اللائقة التى تجعل دائماً الصغار والشباب يرون فى كبيرهم المثل الأعلى للفخر امام كبار رؤوس العائلات الأخرى .

٣ - عادات النظافة والاستحمام مرتبطة الى حد كبير فى المجتمع البدوى بعامة بعد المعاشرة الجنسية ، ولما كان البدو يهتمون كثيراً بالعملية الجنسية فنجدهم دائماً يهتمون بالنظافة والاستحمام والظهور بالمظهر

الانيق .

٤ - خوف المدمنين بخاصة ان ينفضح امورهم نتيجة عدم الاعتناء بالمظهر او التقصير في مظهر الابنـاء وبخاصة لو كان زواجه من غير عائلته فيخشى الفضيحة ، كما ان شخصية البدو نفسها غيورة ، تميل الى تكون لها السبق ، شخصية نقدية ولا تحب من ينقدها ، ويحب التقليدوالمحاكاه والمباهاه .

ونجد الوضع لا يختلف كثيراً في المجتمع القروي عما هو سائد في المجتمع البدوى الا انه يلاحظ في المجتمع القروي تفاوتاً واضحاً في الاهتمام بالمظهر وعادات النظافة بالنسبة للقادرين من الجنسين واعيان القرية ، خصوصاً المدمنين علي المواد التقليدية كالحشيش حيث انه يحس انه مميز بين شلة التعاطي ويحب دائماً ان ينادونه يا عمدة حتي ولو لم يكن عمدة رسمياً وهذا بالقطع يستلزمه الظهور بمظهر معين من الملبس والنظافة والمظهر وما يتطلب ذلك من عادات التظاهر والتفاخر بالنسبة للأطعمة .

الا ان المدمنين القرويين الفقراء لا يهتمون اساساً بالمظهر اوالعناية بالنظافة حيث ان الفقراء القرويين اساساً يكونوا مشغولين دائماً بتوفير قوت العيش بل قد يعمل جميع افراد الاسرة دون استثناء حتي يستطيعوا العيش فما بالك لو ان رب الاسرة او احد اعضاءها .

الا ان الاهتمام بالمظهر والاعتناء بعادات النظافة قد نجده يظهر لدى القادرين من رجال الاعمال الحرة والتجار ورجال المقاولات وبخاصة الذين يدمنون على الحشيش ، وأحياناً بعض أولئك الذين يدمنون الخمر منهم نتيجة طبيعة أعمالهم ، وهؤلاء يضطرون للاهتمام بالمظهر وعادات النظافة

تبعاً لذلك الا انهم لو ادمنوا على الهيروين والمورفين الخ فانهم يبدأوا فى تدمير ممتلكاتهم . وبالتالى تدمير حياتهم من جميع النواحى ومن ثم لا يهتمون بأنفسهم ولا حتي بالمحيطين بهم من جميع النواحى .

كما نجد ان المدمنين ذو الدخول البسيطة والمحدودة او الفقراء لا يهتمون بالمظهر او بعادات النظافة حيث انهم مشغولين بالعمل المتواصل اذا كانوا يدمنون على المواد التقليدية حتي يستطيعوا توفير المخدرات المطلوبة ، أما إذا شاء حظهم العثر الادمان على الهيروين وخلافه فانهم يكونوا قد انهوا على انفسهم .

٧ - العوامل المختلفة المؤثرة فى عادات الاستهلاك لدي المدمنين فى الثقافات المختلفة

ويمكن اجمال اهم العوامل المختلفة المؤثرة فى انماط الاستهلاك للبدو بصفة عامة والمدمنين بصفة خاصة فى النقاط التالية :

أ - العوامل الاجتماعية

وتتمثل في العادات والتقاليد والاعراف البدوية التى تقر التواصل والتراحم بين أبناء المجتمع البدوي بصفة عامة وتحرص علي توطيد العلاقات بينهم .

كما تتمثل فى العوامل الدينية خصوصاً تعاليم الدين الاسلامى التى تحث على التفاعل الاجتماعى والتواصل بغية إسعاد الانسان وحرصاً على التكافل الاجتماعي بين ابناء المجتمع الواحد .

كما ان قرار الاستهلاك فى جميع المناسبات المختلفة كالاعياد والافراح

والمآتم والمواسم الدينية يتمركز في أيدى كبار السن والعوامل ومشايخ وروؤس العائلات دون باقى افراد المجتمع .

كما ان عدد افراد الاسرة يؤثر على عادات الاستهلاك وكمية الاستهلاك من حيث الكم والكيف .

ب - العوامل الاقتصادية.

تؤثر العوامل الاقتصادية مثل دخل العائلة ككل والذى يمثل دخل العائلة الممتدة ككل والذى يتصرف فيه هو رب العائلة ، وهو الذى يعمل تفاضلاً بين احتياجات ابناء العائلة ككل وبشكل جماعى وبعيداً عن الدوافع الفردية والمصلحة الفردية ، كما ان معظم الهدايا فى المناسبات تكون ملزمة داخل النسق القرابى أي غير مردوده ولهذا يأتى تعظيم المنفعة والهدايا المردوده خارج نسق القرابة واشباع الحاجات المادية .

كما يتبين انه لا اثر للمهنة على انماط الاستهلاك كما هو الحال فى المجتمع القروي والحضرى ، حيث ان المهنة الغالبة للبدو هى الرعى ولذلك اثره الواضح فى عدم تنوع وتمايز العادات الغذائية وعادات الملبس والاهتمام بالمظهر وعادات النظافة الخ .

ج - العوامل النفسية

هناك عدة عوامل تكمن فى شخصية البدوى بصفة عامة والمدمن بصفة خاصة مثل التقدير والاعتزاز والحب ومشاعر الوفاء والتبجيل والحاجة الى التقدير واظهار الكرم والمباهاة فى المناسبات المختلفة وعدم حب الشكوى من ضيق العيش ولا يميل الى الاقتراض اواظهار الضعف والحاجة المادية

وكل هذه العوامل تؤثر تأثيراً كبيراً من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية في محاولة تأكيد مثل هذه الصفات فى كل عادات الاستهلاك من مختلف الجوانب .

كما تبين هناك عدة عوامل تؤثر فى أنماط الاستهلاك للمدمنين القرويين الذين يعيشون من خلال الاسر الممتدة بصفة عامة والاسر النووية بصفة خاصة في النقاط التالية :

أ — العوامل الاجتماعية

وتتمثل فى العادات والتقاليد والاعراف والقيم القروية التي لا تزال تحيط السياج الاجتماعى للقرية وبخاصة فى الأسر الممتدة حيث يحرص كبار السن ورؤوس العائلات علي توطيد العلاقات والحرص علي استقرار جميع افراد العائلة من مختلف الاعمار من اجل تساند العائلة ككل .

كما نجد ان عدد افراد العائلة فى تلك الاسر الممتدة يلعب دوراً هاماً فى التأثير على عادات وأنماط الاستهلاك فى الملبس والفقراء والاهتمام بالمظهر الخ وهنا تلعب عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية دوراً هاماً من خلال اجيال الكبار لأجيال الصغار فى تناقل تلك العادات والانماط جيلاً بعد جيل ولكن يتحلل من تلك الانماط المدمنين الذين يعيشون فى عزلة عن تلك الاسر او الذين يعيشون فى اسر نووية .

كما لمست اثر عدد افراد الاسر الممتدة في تنوع انماط الاستهلاك وتمايزها كما نجد ان العوامل الدينية تلعب دوراً هاماً فى تفاعل وتواصل ابناء المجتمع القروي بصفة عامة وتتجسد تلك التعاليم وتترسخ عبر التنشئة الاجتماعية فى الاسر الممتدة والتى لا يستطيع المدمن الخروج عليها الا في

حدود ضيقة جداً وإلا تعرض للنبذ والطرد من حظيرة الاسر الممتدة أو حظيرة المجتمع القروي ككل ويتحلل من ذلك المدمنون الذين يعيشون بمفردهم او في اسر نووية .

ب – العوامل الاقتصادية

من الملاحظ ان الدخل في الاسر الممتدة هو دخل جماعي يخص جميع أفراد العائلة بما فيهم المدمنين حيث ان الاستفادة من الانتاج وانماط الاستهلاك تتم في اغلب الاحوال بصورة جماعية ، فرب العائلة هو الذي يتصرف في كل شئون العائلة بعيداً عن الاغراض والاهداف الفردية وهنا لا يجد المدمن بديلاً من ان ينخرط في حياة الاسرة الممتدة او ان ينفصل نهائياً ويعيش في معزل عن اسرته وعن المجتمع القروي ككل .

الا ان المجتمع القروي بدأ يظهر فيه بعض المهن المتنوعة عن المجتمع البدوى كالحرف البدوية واعمال الميكانيكا واعمال الدهان والدوكو اسوة بالمجتمع الحضرى وهذا استتبعه بالضرورة ظهور تنوع وتمايز مهني خصوصاً وان العاملين بهذه الحرف استقلوا في اسر نووية بعيداً عن ذويهم وفي الغالب ان ارباب هذه المهن تنتشر بينهم ادمان المواد المخدرة خصوصاً الحبوب المخدرة والحشيش والخمرة وحقن الماكس ، ونسبة قليلة جداً من الهيروين ، وبناء عليه نجد ان عامل التنوع المهني في القرية اسوة بالمجتمع الحضرى كان له اثر في انتشار انواع من المواد المخدرة جديدة على القرية عامة .

ج – العوامل النفسية

ولما كانت الشخصية القروية بصفة عامة شخصية محافظة تميل الى

التقدير والكرم واحترام الذات وتبجيل مشاعر الوفاء والاحترام وحب التقليد والمحاكاه وعدم اظهار الضعف وهذه العوامل تجعل القرويين خصوصاً فى الاسر الممتدة يحاولون ترسيخ هذه العوامل والصفات فى أنماطهم الاستهلاكية .

كما لا تظهر عوامل مثل الذوق الشخصى فى أنماط الاستهلاك الا فى حالات الاسر الغنية فى القرية عموماً او المتعلمين من ابناء القرية من الجنسين والذين احتكوا بصورة كبيرة بالمدينة .

وتبين ان هناك عدة عوامل تؤثر على أنماط الاستهلاك في المجتمع الحضرى نجمل أهمها فى النقاط التالية :

١ – العوامل الاجتماعية

وتتمثل العوامل الاجتماعية فى عوامل مثل التعليم الذى يؤثر على تغير انماط الاستهلاك بين ابناء المجتمع الحضرى عامة والمدمنين خاصة ، حيث اتضح ان استهلاك المدمنين القادرين لجميع الانماط الاستهلاكية عادى وبصورة فيها كثير من المباهاة والمفاخرة كما نجد ان هؤلاء المدمنين بصفة خاصة المتعلمين منهم عندما يدمنون فانهم يدمنون على الانواع التى لا تقلل من شأنهم وأوضاعهم الا اذا وقعوا فى دائرة ادمان الهيروين فصعب ان نجد متعلم يحتسى الخمر الا فى طبقات معينة او يدمن على حقن الماكس ولكن سهل ان نجد حرفى او مهنى فى اعمال يدوية يدمن على هذه الانواع

كما تبين ان الطبقة الاجتماعية والمكانة الاجتماعية والمركز الاجتماعي يؤثر على دخول الفرد المدمن الى دائرة انواع دون اخرى من المواد المخدرة

الا اذ ادمن الهيروين بصورة او باخرى ، وبناء عليه نجد ان نظرة المدمنين على مختلف المواد المخدرة كما سبق القول فى أكثر من موضع فى متن البحث تختلف عن كل مادة مخدرة وبالتالى تختلف تبعا لذلك انماط الاستهلاك فى السلع العادية والمواد المخدرة بصفة خاصة .

كما ان عدد افراد الاسرة من العوامل الاجتماعية الهامة التى تؤثر على انماط الاستهلاك للمدمنين في المجتمع الحضرى حيث ان الاسر التى يدمن رب الاسرة او عائلها وعددها كبير يؤثر ذلك الى حد كبير على الأنماط الاستهلاكية من حيث الكم والكيف .

كما اثبت البحث ان عوامل التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية تلعب دوراً هاماً فى ترسيخ أنماط معينة للاستهلاك بين المدمنين واسرهم ، حيث ان ابناء المدمن الذين ينشأون فى بيئة كهذه لابد وان يحاولوا تقليد الآباء خصوصاً وان الاب فى مرحلة كبيرة من حياة الطفل يشكل قدوة بالنسبة لـه .

٢ – العوامل الاقتصادية

اثبت عنصر الدخل عاملاً هاماً جداً فى اختلاف انماط الاستهلاك للمدمنين القادرين عن المدمنين متوسطى الحال او الفقراء حيث ان زيادة الدخول بالنسبة للقادرين من رجال الاعمال الحرة واعمال المقاولات والتجارة بخاصة المدمنين علي المواد المخدرة التقليدية كالحشيش لا تتأثر أنماطهم الاستهلاكية لهم ولأسرهم الا فى حالة ادمانهم على الهيروين فقط بل على العكس فانهم دائماً يتولون رعاية والاهتمام بمساعدة أعضاء شلة التعاطى لو كانوا فقراء وبالذات مدمنى الحشيش .

كما ان المهنة وتنوعها فى المجتمع الحضرى جعلت المواد المخدرة تتنوع وبالتالى تتنوع الانماط الاستهلاكية للمواد المخدرة نفسها وعوامل الانفاق من جميع النواحى ، كما ادى ذلك الى تنوع الانماط الاستهلاكية بصفة عامة ، وهنا يبحث دائماً المدمنون الفقراء عن البديل للمادة المخدرة فى حالة عدم وفرة المال لشراء المادة الأصلية كمحاولة اضفاء الكحول للمياه الغازية وشربها بدلاً من الخمر .

٣ – العوامل النفسية

وفى الواقع ان الشخصية الحضرية شخصية فى كثير من جوانبها تحمل كثير من المتناقضات والصراعات القائمة بين الحضرية والتقليدية ، كما انها شخصية غير مستقرة ، طموحة ، تشعر بالاغتراب فى أغلب الأحوال ، تميل الى التجديد والتغيير بصفة عامة وتحس بعدم الأمان والاستقرار فى أغلب الأحوال ومثل هذه العوامل بقدر ما كانت من اسباب الدخول فى دائرة الادمان بقدر ما تؤثر الى حد كبير على اضطراب وتنوع وتغير انماط الاستهلاك على المواد المخدرة والانتقال من الادمان علي مادة مخدرة الى مادة أكثر قوة وزيادة الجرعات المطلوبة من عقار معين لزيادة تاثير مفعوله .

٨ – نظرة المدمنين للادخار فى الثقافات المختلفة

مما لا شك فيه ان الادخار هى المبالغ التى يحتفظ بها الافراد للاحتياط او للاستثمار عندما تفيض دخولهم على ما ينفقونه على الاستهلاك .

وقد يكون الادخار اختيارياً *VOLUNTARY SAVING* ويقوم به الفرد بمحض مشيئته وذلك بامتناعه عن انفاق جزء من دخله .

وقد يكون الادخار اجبارياً *COMPULSORY SAVING* وذلك عندما يرغم الافراد على انقاص استهلاكهم من السلع والخدمات بسبب ارتفاع الاسعار بمعدّل اسرع من الزيادة في الدخول الشخصية .

وتبين أن نظرة البدو بعامة والمدمنين البدو بخاصة للادخار تنبع من إطار إجتماعي وثقافي يحبذ الادخار حيث أن النمط الغالب للاستهلاك جماعياً والتوزيع لناتج العمل جماعى والاستفادة من ناتج العمل جماعى ، كما أن الايفاء بالمطالب والالتزامات الاجتماعية والثقافية المقرونة بالعمليات الاقتصادية تكون جماعية ، وهنا يمكن القول أن الادخار فى المجتمع البدوى يأخذ الطابع الاجبارى على مستوى أعضاء العائلة أو القبيلة ويأخذ الطابع الاختيارى على مستوى صاحب قرار الادخار المتمثل فى عواقل ومشايخ العائلات التى يحتويها نسيج المجتمع البدوى .

وتبين أن نظام الادخار فى المجتمع المحلى البدوى والذى يقع فى أغلب الاحوال تحت سيطرة كبار القوم أو العواقل وبعيداً عن أيدى المدمنين على مختلف المواد المخدرة يتمثل حسب الترتيب من حيث الاهمية من النواحى التالية :

١ – شراء الارض

٢ – الادخار النقدى

تبين أن العواقل يحرصون كل الحرص أن يزيد دائماً الدخل عن الاستهلاك حيث يتوفر مدخرات تكون نقدية تحت يد العواقل وبعيداً عن البنوك وعن أعين جميع أبناء العائلة ضماناً للحوادث والكوارث والمناسبات المختلفة التى لا يخلو منها المجتمع البدوي .

٣ – الهدايا الملزمة وغير الملزمة :

وتتمثل هذه الهدايا التى تتم من خلال عمليات التبادل الشعائرى ويشترك فيها أبناء البادية جميعاً بما فيهم المدمنين وقد تكون مردودة وغير مردودة حسب عوامل مثل (القرابة العاصبة – الفقراء – الجيران – الاصدقاء) ·

٤ – إدخار سلعى يتمثل فى بعض المجوهرات التى يحرص العواقل على شرائها للنساء كإدخار تحت يد كبار رؤوس العائلات عند الضرورة ، كما أن هناك المخزون من المؤن للظروف والاحتياجات والمتطلبات وتختلف فى الكمية فقط حسب ثراء أو إمكانيات العائلات البدوية المختلفة مثل : المسلى البلدى ، الخبز الجاف – الشاى – السكر ، بعض أدوات المنزل من الالومنيوم والبلاستيك الخ .

٥ – الخدمات المتبادلة والتى تتم فى مواسم مثل التجليم او المناسبات المختلفة ويدخل فيها ابناء البادية بصفة عامة بما فيهم المدمنين حيث الهدف منها توطيد العلاقات وبعيداً عن تحقيق أى منفعة مادية فى الاساس وانما ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى لأنها كانت تقوم فى الغالب على أواصر القرابة والجيرة والصداقة .

ويمكن اضافة الى ذلك الادخار ومن جانب التجار البدو والذين دائماً يكونوا من كبار السن او الشباب وباشراف الكبار وبخاصة فى مجال الثروة الحيوانية وما تحتاجه هذه التجارة من المحافظة على معدل معين من الادخار النقدى لزوم الدخول فى الصفقات التجارية وعمليات البيع والشراء من خلال الاسواق التى يحرص البدو علي حضورها فى مختلف المناطق .

وبناء عليه يمكن اجمال قرار البدوى عامة والمدمنين بخاصة للادخار يكون

قائم على الامور الآتية :

١ – تأمين ضد الزمن والحوادث والكوارث والامراض .

٢ – تحقيق قدر معين من الثروة النقدية ، حيث ان النقود تشكل اهمية كبيرة فى اقتصاديات المجتمعات التقليدية لقلتها وندرتها بالنسبة للمجتمعات الحديثة .

٣ – للايفاء بالالتزامات الاجتماعية والمناسبات المختلفة كالزواج والوفاة وما تستنفذه هذه المناسبات من موارد مادية وغير مادية تستلزم وجود مدخرات دائماً .

٤ – توسيع الأنشطة التجارية ان كانت موجودة .

وتبين ان الانفاق فى المجتمع البدوى بصفة عامة لا يتم وفق حاجات افراد المجتمع من الغذاء والملبس والمأوى فحسب بل ان قيم المجتمع والعادات والتقاليد لها دور كبير فى تحديد موقف معين من الاستهلاك والادخار وتفسير ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب او منبوذ واضفاء الشرعية علي مختلف افعال التبادل والتوزيع والاستهلاك والادخار كذلك حيث تنادى تعاليم الدين الاسلامى بعدم الاسراف ونبذ اكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الخمر الخ .

ومما هو جدير بالذكر ان الاسراف والتبذير فى العيد للبدو عامة والمدمنين البدو بخاصة يكون الى حد كبير مثالاً رائعاً للهيبة الاجتماعية ، حيث ان هناك عيدين فى السنة ، عيد الفطر ولا يهتم البدو به كأهل الوادي او الحضر ، اما عيد الاضحى فلابد ان يضحوا فيه لأنه قدوة لسيدنا

اسماعيل عليه السلام ويكون هناك بعض الاسر التى تغالى فى الاسراف اور التبذير للاحتفال بهذه المناسبات عن طريق نحر اكبر عدد ممكن من الرؤوس وتوزيعها وهذا يدل من الناحية الاخري على مكانة هذه الاسرة او العائلة وهيبتها فى المجتمع .

وبناء عليه فان مستوي المعيشة للبدو بصفة عامة والمدمنين بصفة خاصة يجدر الا يكون مناقشاً فى حدود حاجاتهم من الغذاء والمأوى والملبس كما سبق بل من خلال قيم المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويتضح ذلك من خلال طريقة اقامة الشعائر المختلفة التى تقرها قيم المجتمع والتي ذكرت سلفاً وبصفة خاصة فى المناسبات الاجتماعية والاعياد المختلفة والتي تظهر من خلال اقامتها مستوي معيشة كل عائلة تبعاً لكمية الاطعمة وتنوعها التى تقدم في مثل هذه الحالات والتى تتفاوت فى الكم والكيف تبعاص لامكانيات كل اسرة أو عائلة .

كما يتوقف مايدخره الافراد والعائلات البدوية حسب امكانيات الافراد والعائلات ، فبينما يكون الادخار شبه مستحيل بالنسبة للاسر او الافراد الفقراء ، الا انه يكون سهلاً بالنسبة للافراد والعائلات الغنية ، ولقد كان لهذه المدخرات التى استطاع بعض البدو ادخارها اما نتيجة التجارة او تربية الحيوانات او التجارة فى الاراضى بصفة خاصة من توفير رأس مال محلى ثم استخدامه فى استصلاح الاراضى وزراعتها عن طريق شراء المعدات الزراعية والاعتماد على العمالة الزراعية الوافدة خصوصاً لو نظرنا الى ان رأس المال وتوفره يعد أحد العناصر الهامة فى الانتاج وأهم العوامل المساعدة في الانتاج ، كما ان عدم توفره يعد من اهم عوائق الثروة

الزراعية والتى يكون القصد النهائي منها هو الارتفاع بمستوى الانتاج من حيث الكم والكيف .

ولا تستخدم مدخرات البدو بصفة عامة لحل أى مشكلة لشارب الخمر او السارق ، حيث انه فى الحالتين لا يقف ابناء البدنه جميعاً الى جانب مدمن الخمر او السارق فى أى مشكلة ويتركوه يخلص مشكلته بنفسه ويرفعون عنه الوصاية ، بل قد يصل الامر فى كثير من الاحوال " للبراوة " وانهم يفضلون ان يتخذ بشأن تلك الأمور ما يراه القانون الوضعى المصرى من العقاب اللازم والرادع فى حالة التكرار بالرغم من عم ميلهم بصفة عامة من التدخل الرسمى للدولة فى حل مشاكلهم ويعتبرون ذلك من دواعي الخزى والعار فى المجتمع البدوى لأنهم يعتمدون فى حل مشاكلهم على درايب القانون العرفى بعيداً عن أى سلطة من خارج المجتمع .

ومما سبق يتضح كيف ان المدخرات عند البدو تلعب دوراً هاماً فى المحافظة على الأمن والاستقرار والضبط السياسى والاجتماعى فى المجتمع البدوى نتيجة الايفاء بالالتزامات الاجتماعية المتنوعة كحالات الزواج والوفاة ودفع الديات المقررة عن طريق القضاة الشرعيين او المجلس العرفى المنعقد لحل الخلافات التى كثيراً ما تنشأ فى المجتمع البدوى ، حيث تصل الدية فى بعض الأحوال الى ١٠٠٠ جنيه أو أكثر وعليه فان المدخرات تلعب دوراً كبيراً فى استقرار الاوضاع السياسية والمجتمعية فى المجتمع .

وتبين ان الوضع بالنسبة للنظرة للادخار لا يختلف فى المجتمع القروي الا بسيط عن مثله فى المجتمع البدوى وبخاصة فى حالة الاسر الممتدة التى

لا يزال قرار الاستهلاك والادخار والسلطة والثروة تتمركز فى يد كبار العائلات ويتحكمون فى كافة القرارات المرتبطة بطابع الحياة المعيشية لجميع ابناء العائلة بما فيهم المدمنين فى مختلف النواحى .

وبناء عليه تكون عملية الادخار اختيارية من جانب كبار العائلات واصحاب القرارات ولكنها اجبارية لباقى افراد العائلة بما فيهم المدمنين الذين يعيشون السياج الاجتماعى والثقافى للعائلة الممتدة ولا يستطيعون التحرر من ذلك الا عند الانفراد او الانعـزال عن الاســـرة الممتدة او حدوث عمليـة (البراوة) وهى التى تتمثل فى طرد الاسرة الممتدة لأحد ابنائها المدمنين بمفرده فى اغلب الاحوال من كنف العائلة وقد يخرج من المجتمع ككل .

ولكن نظرة المدمنين القرويين الذين يعيشون فى اسر نووية بعيداً عن الارتباط بنمط الاسرة الممتدة فنجد ان مدخراتهم لا تكاد تذكر فى اغلب الاحوال وان وجدت فغالباً تكون فى قبضة المرأة (الزوجة) او فى شكل مخزون سلعى او تربية ثمة دواجن وخلافه ولكن قد يستنذ العنصر المدمن تلك المدخرات للصرف على المواد المخدرة وبخاصة اذا ادمن على الهيروين او المورفين او حقن الماكس حيث يأتى على اليابس والاخضر ويدع الاسرة ككل ضحية للنحراف والمشكلات العائلية المتنوعة .

وتبين ان نظام الادخار فى المجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة التى لا تزال كل مقاليد الثروة والسلطة تقع فى يد كبار رؤوس العائلات وبعيدة الى حد كبير عن تصرف المدمنين وتكمن دوافع الادخار فى النواحى التالية :

١ – الاتجاه نحو شراء الارض وبصفة خاصة من مدخرات المحاصيل الزراعية او عائدات الابناء العاملين فى الخارج والذين لم ينفصلوا عن المعيشة الجماعية فى الاسر الممتدة

٢ – شراء المجوهرات التى يعتبرها كبار رؤوس العائلات بمثابة ادخار تحت يد العائلة ومتطلباتها المفاجئة فى أى وقت من الاوقات .

٣ – الهدايا الملزمة وغير الملزمة (ويتسع نطاقها ليشمل القرابة والجيران والاصدقاء) إلا أنه يلاحظ أن الهدايا الملزمة تكون فى أغلبها فى الخط القرابى ، أما الهدايا غير الملزمة فتشمل أبناء القرية بصفة سواء أقارب غير عاصين أو أصدقاء أو جيران وقد تقدم تلك الهدايا لقضاء بعض المصالح ، المهم فى ذلك كله أن تلك الهدايا ينظر لها رؤوس العائلات على أنها تمثل إدخار مردود فى أغلب الاحوال .

٤ – إدخار نقدى لكن بصورة محدودة ويلجأ إليه فى الغالب الذين معهم أموال أو حصلوا عليها من بيع ميراث أو مكافآت نهاية الخدمة لكبار العائلات الذين قد يعملون فى بعض الوظائف ، أو أولئك الذين أتيحت لهم فرص السفر للخارج أو أولئك الذين ليس لديهم ميول تجارية .

٥ – إدخار سلعى فى حالة التجار فى مختلف المجالات .

٦ – إدخار السلع والمؤن داخل بيوت العائلات الكبيرة أسوة بما يحدث فى المجتمع البدوى .

إلا أنه إتضح أن المدمنين الذين يقطنون فى أسر نووية أو الشباب غير المكلف لا يهتمون بالادخار حيث أن إدمانهم حتى على المواد التقليدية أنهى

على مدخراتهم وبدأوا يتجهون الى الاقتراض أو السرقة والاحتيال والنصب فى كثير من الحالات وبخاصة مدمنى المواد الخطرة وبناء عليه ظهرت انحرافات سلوكية وجرائم جديدة على القرية المصرية بصفة عامة وبدأ بناء على ذلك تصدع نسق السلطة التقليدى فى أغلب تلك الاسر التى تحتوى على تلك العناصر المدمرة .

ويمكن القول ان قرار الادخار بالنسبة للقرويين عامة والمدمنين بخاصة فى الاسر الممتدة التى تكون القرارات فيها نابعة من سلطة كبار السن قائمة على الامور التالية :

١ – تأمين ضد الزمن والحوادث والبطالة وقضاء مطالب أفراد العائلة فى المستقبل .

٢ – إتمام زيجات الابناء والاحفاد فى سن الزواج أو تعليم الابناء الخ .

٣ – الرغبة فى الظهور والمكانة .

٤ – الرغبة فى تقليد القرويين لبعضهم البعض وبخاصة فى امتلاك المنازل الحديثة أو السيارة الخ .

٥ – الرغبة فى تجميع الثروة لدى قطاعات كبيرة من المجتمع القروى حتى ولو كانت الامكانيات ضئيلة (وهذا أدى الى زيادة الطموح المادى الجانح عن الامكانيات الفعلية للكثير من أبناء المجتمع القروى) .

وبناء عليه نجد أن الادخار فى المجتمع القروى يكون فى جانب رؤوس العائلات حتى فى الأسر التى من بين أعضائها مدمنين ، الا ان الاسر الصغيرة التى يوجد بها مدمنين ففى أغلب الأحوال لا يكون لديها أى

مدخرات الا ضئيلة للغاية وغالباً تكون فى حظ الزوجة وبعيداً عن عيون المدمنين سواء الزوج او الابناء .

وتبين ان نظام الادخار للمدمنين فى المجتمع الحضرى لا يكون الا فى أولئك الذين يعملون بأعمال المقاولات الواسعة والتجار وبخاصة التى يدمنون على الحشيش حيث ان دخول هذه الفئات دائماً يزيد من استهلاكهم وفى الغالب ما تحرص زوجات أولئك ان يقتصدون مدخرات نقدية أو شراء عقارات أو شراء مجوهرات تأميناً للزمن الخ .

وتتمثل مدخرات هذه الفئة فى تلك النواحى :

أ – شراء عقارات أو أراضى .

ب – المجوهرات .

ج – مبالغ نقدية فى البنوك لطبيعة أعمالهم .

د – ادخار سلعى للتجار .

هـ – الرغبة فى الثراء والظهور والمكانة .

الا ان هذه الفئة لو دخل أحد عناصرها الى دائرة ادمان الهيروين فانه قد يبيع « ما وراه وماقدامه » ويسلب مدخرات الاسرة ككل بل قد يبيع اثاث منزله ثم يبيع نفسه وعرضه وشرفه شأنه فى ذلك شأن المدمنين الفقراء .

وهنا تكمن الخطورة فى الادمان على المواد المخدرة المدمرة التى تدمر الانسان فى المجتمع الحضرى اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً وتجعله عنصراً مدمراً وحاقداً وناقماً على المجتمع ويصبح عدواً للناس وللمجتمع ويتمنى ان يصبح جميع ابناء المجتمع مدمنين ولذا يحرص على استدراج عناصر جديدة الى الدائرة للاستفادة منهم .

بناء عليه تختلف نظرة المدمن فى المجتمع الحضرى للادخار حسب المهنة وحسب الوضع الاجتماعى وحسب مكانته ووضعه فى الاسرة وفى المجتمع ، ولذا يكون الاهدار فى الموارد والطاقة والثروة بسيط من جانب الاثرياء لو ادمنوا على الحشيش فقط ، ومن الممكن ان تكون لديهم مدخرات ، عكس الحال بالنسبة للمدمنين الفقراء الذين لا يستطيعون ان يلبوا طلبات اسرهم او طلباتهم الشخصية .

٩ - العوامل المختلفة المؤثرة فى أنماط الادخار لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

ويمكن اجمال اهم العوامل المؤثرة فى أنماط الادخار للبدو بصفة عامة والمدمنين بصفة خاصة فى النقاط التالية :

أ - العوامل الاجتماعية

وتتمثل فى العادات والتقاليد والاعراف البدوية التى تقر وتحث على الادخار فى النقود والسلع والمجوهرات كتأمين ضد الزمن وضد أى ظروف طارئة .

كما ان العادات والتقاليد تحرص على عمليات التبادل الشعائرى فى مختلف المناسبات حيث تعد السلع محل التبادل بمثابة ادخار سلعى عند اطراف عمليات التبادل .

كما ان تمسك البدو بصفة عامة على اظهار المفاخرة والمباهاة أمام العائلات الاخرى فى المناسبات المختلفة يؤثر تأثير سلبياً على حجم المدخرات .

كما ان عدد افراد الاسرة يؤثر تأثيراً كبيراً على زيادة الاستهلاك على حساب الادخار فى المجتمع البدوى عامة .

ب – العوامل الاقتصادية

يؤثر دخل العائلة ككل فى المجتمع البدوى بعامة على حجم الادخار حيث ان قرار الاستهلاك والادخار يتخذه كبار رؤوس العائلات وينظر الى ان الادخار هو ادخار للجماعة ككل ولا يختص به فرد دون آخر فهو تأمين لمستقبل الاجيال كلها .

كما نجد عمليات التبادل بالسلع كعمليات إدخار تؤدى قيمة إجتماعية وإقتصادية فى نفس الوقت فهى مدخرات سلعية فضلا عن أنها تؤدى الى توطيد وتوسيع العلاقات والاستقرار والتساند فى المجتمع ، ولهذا تلعب العوامل القرابية دوراً هاماً فى تحديد الالتزام بالرد فى الهدايا من دونه ، كما تؤدى دوراً هاماً فى سلم التفضيل بالنسبة للاستهلاك والادخار .

كما ان عدم التنوع المهنى عند البدو عامة والمدمنين خاصة ان جعل انماط الادخار تتقارب الى حد كبير وتدخل فى اطار السياج الاجتماعى والثقافى للمجتمع البدوى عامة .

ج – العوامل النفسية

وتبين ان هناك عدة عوامل تكمن فى شخصية البدوى بعامة والمدمن البدوى بخاصة حيث ان البدوى أساساً يحب الظهور والاعتزاز بالنفس ويميل الى التقدير والتبجيل واظهار الكرم ويكره الاحتياج او الاذلال ويميل الى القوة ويكره الخوف والضعف ، مثل هذه الصفات الشخصية فى

الانسان البدوى جعلته يميل الى الادخار مهما كانت امكانياته حتى يستطيع المحافظة على مثل هه الصفات المتأصلة منه والتى جعلت الادمان لا ينتشر بكثرة فى المجتمع البدوى وبخاصة على الانواع المدمرة التى تأخذ طابع الندرة .

كما تبين ان هناك عدة عوامل تؤثر على أنماط الادخار للمدمنين القرويين الذين يعيشون من خلال اسر ممتدة نجمل أهمها فى النقاط التالية :

أ – العوامل الاجتماعية

تبين ان المدمن القروى وبخاصة على الانواع التقليدية والاثرياء منهم يحرصون على المحافظة على سمعة العائلة ككل ويعيشون السياج الاجتماعى للعائلة ، هذا فضلاً على انهم لا يستطيعون التصرف فى أى قرارات تتعلق بأنماط الاستهلاك والادخار الا من خلال قرار رب العائلة الممتدة والذى يكون أشد حرصاً على مدخرات وثروة العائلة ككل فهى ملك لجميع أفراد العائلة .

كما ان الادخار فى المجتمع القروى يستطيع من خلاله كبار السن اتمام الزيجات المختلفة للابناء والاحفاد الخ .

كما ان عدد افراد الاسرة ومطالبهم خاصة التعليمية الخ تؤثر تأثيراً كبيراً على حجم المدخرات ولكن المدخرات دائماً فى القرية تتمركز حول الارض والمواشى والمؤن الخ .

ولا يميل أهل القرية وبخاصة رؤوس العائلات فيما عدا الاثرياء الى اظهار المفاخرة والمباهاة ولا يهتمون باظهار المكانة المتميزة ولهذا كله اثره

فى توفير جانب كبير من مصادر الانفاق المتعددة فى المجتمع البدوى وبخاصة فى المناسبات المختلفة .

ب – العوامل الاقتصادية

وتبين ان دخل الاسر الممتدة فى المجتمع القروى هو دخل جماعى لأعضاء الأسرة بما فيم المدمنين حيث ان نمط الاقامة جماعى والاستهلاك جماعى وكذلك الادخار يتم من اجل هدف جماعى ويرتبط بحجم الدخل اذا ما كان يزيد عن احتياجات الاسرة وانفاقها فى شتى النواحى .

ولمست ان الادخار فى اغلب الحالات بالنسبة للمدمنين الاثرياء خصوصاً المدمنين على المواد التقليدية فى شراء الارض او الذهب او تربية المواشى لما تحققه هذه السلع الادخارية من ثروة خصوصاً فى زيادة اسعارها بصفة مستمرة .

وتختلف عمليات الادخار تبعاً لاختلاف المهن والحرف على عكس الحال فى المجتمع البدوى .

ج – العوامل النفسية

تكاد تقترب الشخصية القروية من الشخصية البدوية بصفة عامة فى كثير من النواحى وبخاصة تلك التى تنتمى الى أسر الممتدة حيث نجد سمات التقليد والمحاكاه والغيرة وحب الظهور والحاجة الى التقدير والمكانة تلعب دوراً هاماً فى محاولة القروى بصفة عامة تحسين أوضاعه من مختلف النواحى .

ويمكن اجمال اهم العوامل المؤثرة فى أنماط الادخار لدى المدمنين فى

المجتمع الحضرى فى النقاط التالية :

(أ) العوامل الاجتماعية

لما كان المجتمع الحضرى فى معظمه خليط من الجماعات العرقية المختلفة القادمة من مختلف بقاع الجمهورية ، وهنا نجد ان هناك تفاوت فى طبيعة العوامل الاجتماعية المشجعة على الادخار بين هذه الجماعات العرقية التى من بين اعضائها مدمنين ويرجع الى طبيعة هذه الاسر ومدى تمسكها بالجذور او رغبتها فى العودة .

الا انه يمكن القول ان عدد افراد اسرة المدمن والتى هى فى اغلب الاحوال اسر نووية لها اثر كبير فى عدم وفرة اموال للادخار ، الا ان الامر يختلف بالنسبة للتجار ورجال الاعمال الحرة والمقاولات من المدمنين الحضريين وبخاصة أولئك الذين يدمنون على الحشيش ، حيث أن هذه الفئة دخولهم فى الغالب تفيض عن استهلاكهم ومن ثم يمكن الادخار رغم حب البعض من هذه الفئة الى المفاخرة والتباهى وإظهار المكانة العالية وسط مجموعة التعاطى .

تبين أن المدمن الذى أدمن على المواد المخدرة حتى التقليدية لا يعير أهمية للعوامل الاجتماعية أو اللوم الاجتماعى ويهمه أن يرضى رغباته فقط والتى دائما تكون على حساب الاحتياج الفعلى للأسرة ، وبالقطع لا يكون هناك أى سبيل للادخار .

(ب) العوامل الاقتصادية :

لما كان نمط المعيشة فى المجتمع الحضرى يأخذ الطابع الفردى أو

الأسر النووية ذات العدد البسيط فى أغلب الاحوال وهنا نجد أن الملكية فردية وخاصة كما أن الاستفادة من ناتج العمل تكون فى جانب كبير منها فردية اكثر منها جماعية وبناء عليه نجد أن الادخار لا يكون وكما سبق القول إلا فى جانب القادرين من المدمنين وبالذات على المواد التقليدية كالحشيش وغالبا ما تكون هذه المدخرات في يد الزوجة أو الابناء أو مودعة كودائع باسم الابناء أو الزوجة بالبنوك أو فى صورة عقارات باسمهم ، إلا أن المدمنين الاثرياء الذين بيدهم الثروة ولم يكتبوا أو يهبوا لذويهم أى ممتلكات فأحوالهم تتدهور خصوصا لو أدمنوا على المواد المدمرة كالهيروين والمورفين .. الخ وقد يأتوا على ثروتهم وثروة أبنائهم بالكامل .

أما المدمنين متوسطى الحال على المواد التقليدية أو حتى المواد الخطرة فالأمر بالنسبة لهم أكثر سوءاً فهم اساسا لا يستطيعون الايفاء بإلتزاماتهم ومطالب اسرهم وبناء عليه لا يوجد لديهم مدخرات بل أنهم فى أغلب الاحوال ما يعيشون فى فلك الاثرياء من شلة التعاطى كمنتفعين أو مهيئى أماكن التعاطى أو مروجين للمواد المخدرة وما يلزم هذه الجلسات من أعمال منافية للآداب .

(جـ) العوامل النفسية :

من الممكن أن نجد بعض العوامل النفسية وراء الاقبال على الادخار بالنسبة للمدمنين على الحشيش القادرين من أصحاب الاعمال الحرة والمقاولات والتجار وبالذات الذين ينتمون الى جذور ضرورية قروية حيث يميلون الى المباهاه والمفاخرة وبناء المنازل والفيلات وإقتناء السيارات وشراء الذهب للزوجة والاولاد حيث أن هؤلاء دخولهم وكما سبق القول أكثر

من انفاقهم ويميلون الى عملية المباهاه والمفاخرة ومحاولة اظهار الثراء والمكانة إلا أنهم لو دخلوا الى دائرة ادمان الهيروين والمورفين وحقن الماكس ولا نجد للعوامل النفسية كالتقليد والمحاكاه وحب الظهور والمناظرة لدى المدمنين الفقراء الذين يستخدمهم التجار فى أغلب الاحوال لترويج المواد المخدرة .

الفصل العاشر

أنماط الملكية لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

يعتمد الانسان فى إشباع حاجاته المتعددة والمتنوعة والمتجددة على ما يقع تحت إدراكه من أشياء وعلى جهده وجهد الآخرين من أفراد المجتمع ويقتضى ذلك أن يكون هناك من القواعد والنظم القانونية لهذه الاشياء التى تحدد موقف الفرد منها إزاء بقية أفراد المجتمع تحديداً واضحاً تتحقق من خلاله الكفاية فى الانتاج والعدالة فى التوزيع .

وتتضمن هذه القواعد والنظم ما يسمى نظام الاموال العامة والملكية الخاصة .

أولاً: نظام الاموال والملكية:

ويمكن تعريف المال لغوياً بأنه كل ما يملكه الانسان من كل شيء ويجمع على أنه أموال [1] .

كما أن الملكية تعتبر ركناً هاماً من أركان النظام الاقتصادى فى المجتمع وهى فى جوهرها عبارة عن نظام التوزيع فى شكله الثابت ، ولذا فقد إستلزم الامر وضع حقوق وواجبات للفرد المالك أو الجماعة المالكة للشيء .

ومن هنا تدخل المجتمع فى أمر الملكية وأصبحت نظاماً يخضع أفراد المجتمع لعاداته وتقاليده . كما أصبح لها بالتالى أثر كبير فى حياة الجماعة ، فالانسان يميل بطبعه الى ملكية كل ما يعتقد أنه لازم لاشباع

---

(١) أحمد فراج حسين ، الملكية ونظرية العقد فى الشريعة الاسلامية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، د. ت. ، ص ٦ .

حاجاته ، ويزداد عنده هذا الميل كلما إزداد ما يبذله من جهد للحصول على هذه الاشياء فتعلو قيمتها فى نظره ويسعى للاحتفاظ بها لنفسه والاحتفاظ بحريته المطلقة فى التصرف فيها ، وقد تلقى غريزة التملك هذه من المجتمع قبولاً على تنميتها كما قد تلقى معارضة فيعمل على الحد منها أو القضاء عليها (١)

وتتميز المجتمعات البدائيةبعدم وجود نظام نقدى حيث أن السلع والخدمات تقارن ببعضها من ناحية قيمة كل منها ، فعمل يوم فى حقول الارز مثلاً يعتبر مساوياً فى القيمة لكمية معينة من المحصول ، أما فى الاقتصاد النقدى فنجد أن كل منفعة ، سلعة كانت او خدمة تقوم حسب إصطلاحات نقدية ويصبح بذلك سعر أى منفعة هو قيمتها النقدية ، وبذلك يقوم نظام النقد فى الوقت الحاضر بدور هام فى الحياة الاجتماعية .

وتعتمد قيمة النقد على كمية المنافع التى يمكن أن تستبدل به وعلى ذلك فهى قابلة للتغير من وقت لآخر ، فالجنيه المصرى اليوم مثلاً أقل فى القيمة مما كان عليه منذ عشر سنوات ، وهذا يتمشى مع نظرية القيمة النقدية التى ترى أن أسعار المنافع فى بلد معين تتوقف على كمياتها المتوافرة للمشترين وكمية النقد المتوفرة لشرائها ، فإذا كانت كمية السلع صغيرة وكمية النقد كبيرة إنخفضت قيمة النقد وإرتفعت الاسعار ، ويحدث العكس إذا ما كانت كمية السلع كبيرة وكمية النقد قليلة حيث ترتفع قيمة النقد وتنخفض الاسعار (٢)

---

(١) عبد الحميد لطفى ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٩٠

(٢) عبد الحميد لطفى ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١ ، ص ص ٩١ – ٩٢

كما نجد أن لأى تغير فى المستوى العام للاسعار أثر كبير على الحياة الاجتماعية ، فإذا كان الشخص يدفع ٢٥ قرشاً فى سنة ١٩٨٠ لنفس الشيء الذى كان يدفع له ١٠ قروش فى سنة ١٩٧٥ مع بقاء دخله ثابتاً كان معنى هذا أنه قد أصبح أكثر فقراً ، هذا مع وجود أشخاص لاشك فى أنهم يستفيدون من إرتفاع الاسعار .

ولقد إستخدم الذهب والفضة كنقود لاول مرة فى بلاد الشرق الادنى ، ومنها إنتشر إستعمالها فى جهات كثيرة من العالم ، إلال أن هذا الانتشار كان ضئيلاً لان إستعمالها عقب إختراعها كان محدوداً الى درجة كبيرة (١)

وإذا ما إستخدمت المعادن الثمينة فى بلد ما كأساس للنقد إعتمد مستوى الاسعار فيها الى درجة ما على النسبة بين كمية النقد المعدنى المتداولة وكمية البضائع المعروضة للبيع ، ففى أوربا فى القرن التاسع عشر أدى نقص الذهب اللازم للنقد الى إنخفاض فى مستوى الاسعار مما أدي الى كثير من الاضطرابات الاجتماعية فى أنحاء متفرقة منها ، كما أدى إكتشاف الذهب فى كاليفورنيا فى سنة ١٨٤٩ الى وفرته وبالتالى الى إنخفاض قيمة النقد وإرتفاع الاسعار .

وقد تكون قيمة قطعة النقد المعدنى مساوية تماماً لقطعة من نفس المعدن لها نفس الوزن ودرجة النقاء ، كما كان الحال فى إنجلترا سنة ١٩١٤ فيما يختص بالجنيه الذهب ، وقد لا يكون الامر كذلك فيما يختص بالنقود المصنوعة من الفضة أو البرونز والتى إذا ما صهرت كانت قيمتها أقل بكثير من قيمتها الاسمية ، ولكنها تصلح للتبادل عن طريق إلزام الافراد بذلك .

---

(١)عبد الحميد لطفى ، مرجع سابق ص ٩٣ .

وبالرغم من أن النقد لايزال يقوم بوظيفة كواسطة للتبادل فى الوقت الحاضر إلا أنه قد تغير كثيراً فى طبيعته ، فلم يكن له فيما مضى سوى شكله المعدنى ، أما فى الوقت الحاضر فقد أخذ مظهره المعدنى يختفى أمام مظهره الورقى .

ولقد كان فى الامكان فيما مضى إستبدال النقد الورقى بما يساويه من نقد ذهبى ، كما كان الامر فيما يتعلق بإستبدال الورقة من فئة الجنيه بجنيه ذهبى لأى شخص يملكها ، ولكن الامر لم يعد كذلك حالياً بعد أن أصبح فى غير الإمكان إستبدال الاوراق المالية بنقود ذهبية ، وقد صاحب ذلك ظهور نوع خاص من النقود الورقية غير القابلة للتحويل ، وتطبع النقود الورقية تحت إشراف الدولة وهى التى تحدد الكمية التى تطبع وتقوم بمراقبة تداولها فى الاسواق (١) .

ولقد أدى إستعمال النقد غير القابل للتحويل الى تخفيف صلة النقد الذهبى ، بوفرة الذهب أو بندرته كما كان الامر عندما كان كل الدفع بالنقود الذهبية ، هذا ونجد أنه فى الاقتصاد الحديث الذى يتميز بالنقد الورقى غير القابل للتحويل قد أصبح فى الامكان زيادة كمية النقد المتداول بطبع كميات أخرى منه عن طريق الحكومة .

كما تؤدى زيادة كمية النقد فى بلد من البلدان بدون زيادة ملائمة فى كمية السلع المتوافرة الى إرتفاع الاسعار ، وقد تسببت الحرب العالمية الثانية ، فى وجود هذه الظاهرة فى كل أنحاء العالم ، وقد أدت هذه الزيادة لسببين الاول نقص السلع والثانى وهو الاهم زيادة كمية النقد عن طريق

---

(١) عبد الحميد لطفى ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

زيادة الطبع وهذا هو ما يفسر زيادة ثمن الاشياء في الوقت الحاضر .

ولقد عرف نظام المصارف لاول مرة فى بلاد ما بين النهرين، ثم إنتشر منها الى البلاد الاخرى ، وأمكن للشخص بذلك أن يضع نقوده فى المصرف وأن يفوضه بأن يدفع نيابة عنه أى مبلغ فى حدود ماله فى المصرف لاى شخص آخر ، ويطلق على هذا التفويض نظام الشيكات ، وقد إنتشر إستخدام الشيكات فى أوروبا إبتداء من القرن الثامن عشر ، أما فى الوقت الحاضر فقد أصبحت كل المبالغ الكبيرة لا تدفع إلا بواسطة شيكات وهذا يعنى أن النقد لا يكون فقط على شكل نقود معدنية أو ورقية بل يأخذ أيضاً شكل إضافات فى البنوك ، فيعتبر الشخص يملك مالاً إذ كان له رصيد فى أحد البنوك ويمكنه بذلك أن يدفع مايريد من النقود لشخص آخر عن طريق كتابة شيك بالمبلغ وعلى الشخص الذى يملك الشيك أن يتسلم قيمته نقداً أو أن يضيفه الى رصيده فى نفس البنك أو أى بنك آخر (١)

ولهذا النقد المصرفى أهمية كبيرة فى النظم الاقتصادية الحاضرة وحيث لم يعد هناك في العالم ما يكفيه من النقد لتغطية كل ما تتطلبه أعماله المالية .

ويوضح النظام النقدى بوضعه الحاضر كيف أن الحياة الاجتماعية فى العالم كله تتوقف على ما يسمى بالنظام النقدى ، فالدخل الحقيقى لدولة من الدول يتكون من مجموع السلع والخدمات المتوافرة لتوزيعها على سكان هذه الدولة وعلى ذلك فإن ثروة أى قطر هى الى حد ما مسألة ما يملكه هذا القطر من ممتلكات ثابتة كالاراضى والطرق والسكك الحديدية والموانى والمناجم وما

---

(١) عبد الحميد لطفى ، مرجع سابق ، ٩٥ .

شاكل ذلك من ممتلكات ثم دخله عن طريق السلع والخدمات التى تنتجها ، أما الدخل الحقيقي للفرد فهو عبارة عن نصيبه الذى يحصل عليه من السلع والخدمات التى ينتجها ، وهذا يتوقف على دخله النقدي أى كمية النقد التى يتسلمها والتى يمكنه إنفاقها ، كما يتوقف أيضاً على الخدمات التي يحصل عليها وقد يظل دخله ثابتاً بينما ترتفع الاسعار فيقل بذلك دخله الحقيقى .

ولقد أصبح للنقد أهميته فى الاقتصاد الحديث لان تفكير أى شخص أصبح قائماً على أساس نقدى وأصبح النظام النقدى بذلك عادة إجتماعية ، فالمجتمع هو الذى أعطي الذهب والفضة قيمتها وكان بذلك سبباً فى إنتشارهما كنقود ، وقد أصبحت للنقود الورقية نفس الاهمية التى كانت للنقود المعدنية وذلك نتيجة إلزام الدولة لرعاياها بوجوب إستخدامها لدفع ثمن السلع والخدمات وقبولها إذا دفعت لهم .

ونجد أن نظام الملكية هو نظام إقتصادى سواء أكان قائماً على العرف أم على القانون وتعود ضرورة القانونية الى القانون الرومانى الذى جعل من الملكية نظاماً معترفاً به قانوناً كما تعود ضرورة العرفية الى النظام الاقطاعى الذى كان يسود أوروبا فى العصور الوسطى وحيث كانت ملكية الارض تقوم أساساً على العرف والقوة .

كما أن هذا النظام فى جوهره هو تحديد لمجموعة من الحقوق يختص بها الفرد علي ما يقع فى حوزته من أشياء وقيم مالية وبما يقع على عاتقه من قيود وإلتزامات تتعلق بهذه السيطرة ويقتضيها فى النهاية مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ، ويختلف كل من النظامين بإختلاف تنظيم المجتمع

إقتصادياً وإجتماعياً .

ويقصر علماء الاقتصاد وبعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا موضوع النسق الاقتصادى على عمليات الانتاج من التبادل والتوزيع والاستهلاك والادخار ويقرنون نظام الملكية بالانساق السياسية والقانونية إلا أنه من خلال دراساتى الميدانية فى مختلف الانماط المجتمعية أرى أن نظام الملكية لا يمكن بأى حال من الاحوال أن نزعه عن سياق النسق الاقتصادى مع التداخل والتشابك بين النظم الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعى فى المجتمعات التقليدية والمحلية ، حيث وجدت أن الملكية متخللة فى معظم مظاهر الحياة الاجتماعية فلو نظرنا مثلاً الى نظام الزواج سنجد أن عمليات المهر والاثاث وإنتقال الزوجة من منزل الوالد الى منزل الزوج إلخ .

كل هذه العمليات التى يتضمنها نظام الزواج هى عبارة عن ممتلكات أو حقوق معينة تنتقل من حوزة شخص الى أخر تخول له حقوق التصرف والانتفاع بها وكذلك الحال فى عمليات إستهلاك وتبادل السلع المنتجة التى تنتقل من حوزة ملكية شخص ينتجها الى أخر يستهلكها ويتبادلها وينتفع بها ويتصرف فيها وقد يتنازل عنها أو يهبها إلخ . فكيف يمكن بعد ذلك أن لا ندرك هذا النظام ضمن الموضوعات الرئيسية عند دراسة النسق الاقتصادى .

وبناء عليه أجد أن الملكية تفترض بالضرورة وجود حقوق معينة يتمتع بها المالك دون غيره سواء أكانت هذه الحقوق تختلف بإختلاف كل مجتمع عن الآخر ، بل تختلف كذلك تبعاً لاختلاف كل من المالك وطبيعة الملك .

كما أن القانون المصرى الحالى فى المادة ٨٠٢ يعرف الملكية مبيناً

عناصرها وخصائصها ويقرر أن لمالك الشيء وحده في حدود القانون حق إستعماله وإستغلاله والتصرف فيه (١) .

وبناء عليه يبين النص عناصر الملكية الثلاثة وهي " الاستعمال والاستغلال والتصرف " ولكن في حدود القانون .

ثانيا أصول الملكية :

مما لاشك فيه أن هناك إختلافاً بين كثير من العلماء على أيهما أسبق في الظهور الملكية الفردية أو الملكية الجماعية . حيث كان العلماء حتى القرن التاسع عشر كانوا يعتقدون أن الملكية الفردية هي نظام طبيعي وحق طبيعي متعلق للفرد ، بل هي صفة من صفات الفرد وكان أن إعترف بذلك حقوق الانسان الفرنسي في دستور عام ١٧٨٩ إذ جعل الملكية الفردية مقدسة وعدها من بين الحقوق الطبيعية المتعلقة بالفردية الانسانية وكان هذا النظام في أساسه القانون الروماني الذي يقدس الملكية الفردية ويعدها من بين الحقوق المقدسة للشخصية الانسانية .

وذهب بعض علماء القرن التاسع عشر مثل سير هنري ميني ولويس مورجان وانجلس في كتابه عن أصل الاسرة والملكية الخاصة والدولة ، وكذلك دي لافيلي De Laveleye في كتابه " في الملكية وأشكالها البدائية عام ١٨٩١ الى أن الملكية الخاصة ليست هي الشكل الاول للملكية كما أدعو إنها الا تشكل حقاً مقدساً طبيعياً .

(١) توفيق حسن فرج ، الحقوق العينية الاصلية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ص ٥٧ ، ٥٨ .

ويقول دى لافيلى أن الملكية العقارية فى البداية جمعية ، ولم تتحول الى ملكية خاصة أو فردية إلا بعد ذلك وبالقدر الذى كانت تصبح الزراعة به كثيفة وإعتقد هو وزملاؤه أن الملكية كانت فى البداية مشاعاً ثم أخذت تتقلص حتى أصبحت فردية مروراً بالملكية للعشيرة ثم للقرية ثم للاسرة الكبيرة (الممتدة) ثم الاسر الصغيرة (النووية) ولقد إستند على مصادر تعالج الملكية فى المجتمعات القديمة وكذلك ما كان سائداً فى بعض المجتمعات الاوروبية فى القرن ١٩ كنظام القرية الروسية أو نظام المير التى كان التملك فيها مؤقتاً وكان لكل فرد من الارض ، غير أن هذا التوزيع كان يعاد النظر فيه كل بضع سنوات ويعاد التوزيع من جديد (١)

وقد لاقت هذه النظرية نقداً عنيفاً من المؤرخين والاقتصاديين مثل فستيل دي كولانيج وكذلك تشيروف الذى ذهب الى أن التطور لا يسير ضرورة عبر التاريخ من الملكية الشيوعية الى الملكية الخاصة ، بل قد يحدث العكس حيث تكون الاخيرة بمثابة رد فعل للاولى .

ثم أن الملكية الروسية السائدة فى المير لم تكن ملكية بدائية بل كانت نوعاً من التنظيم الادارى المتأخر الذى لجأ إليه قياصرة روسيا إبتداء من القرن الثامن عشر لتنظيم القرية الروسية على أساس نظام جماعى .

كما إنتقد أرمان كيفيليه رأى روبرت لوى الذى كان مسايراً لتلك النظرية وذهب الى أن لوى نفسه يعترف بأن إستند على وقائع غير ثابتة ثبوتاً مؤكداً عن تناوله لمعلوماته الاثنوجرافية عن الملكية ، كما أنه إعتمد على

(١) حسن شحاته سعفان ، علم الانسان (الأنثروبولوجيا) – منشورات مكتبة العرفان – بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

وقائع قانونية مهملاً الوقائع المبنية على الاخلاق والعادات والتقاليد التى لا تقل أهمية فى تحديد نوعية الملكية .

كما يستدل كيفيليه على ما قاله مارسيل موسى عن وجود الملكية الجماعية للاسرة عند بعض البدائيين ولكن يديرها الاب بشكل فردى لا معقب عليه وفى بعض العشائر يدير الاب الملكية الجماعية تحت إشراف أفراد العشيرة أو الاسرة وقد نجد فى نفس الاسرة أكثر من نظام للملكية .

مما هو جدير بالذكر أن الملكية فى معظم المجتمعات البدائية لها صفة أو مسحة دينية ، ويذهب ليفى بيريل الى أن العلاقة التي تربط بين المالك والشىء المملوك هى علاقة روحية أو دينية لذلك أن ثمة علاقة مشاركة أى أن الشخص المالك والشىء المملوك مشتركان في طبيعة واحدة وكل منهما ليس إلا صورة أخرى للآخر (١)

ولقد بدأت الملكية جماعية حيث لم يكن هناك ملكية فردية ولكن ظهرت بعد ذلك الملكية الفردية بالنسبة للمنقولات كالملابس وأدوات العمل ثم ملكية العقارات الخاصة بالسكن وظلت ملكية الاراضى فترة طويلة ملكية جماعية الاسرة أو القبيلة الى أن أصبحت ملكية فردية ، وبدأ النظر الى الملكية الخاصة بإعتبارها مظهراً من مظاهر حرية الفرد ، بل أصبح حق الملكية من الحقوق المطلقة (٢)

ومن المرجح أن الملكية الخاصة لم تكن معروفة عند الجماعات الانسانية

أنظر :

١ – حسن شحاته سعفان ، مرجع سابق ، ص ص ٤٥ – ٤٧ .

٢ – توفيق حسن فرج ، مرجع سابق ، ص ص ٣٧ – ٣٩ .

الاولى وإنما كان الامر مشاعاً بين الجميع كما سبق القول ، وكان هذا الشيوع يشمل فى بادىء الامر القبيلة بأسرها ثم أصبح مقصوراً على العائلة الواحدة بعد أن إنقسمت القبائل الى عائلات وإستقرت كل منها فى مكان معين ، ثم بدأت الملكية الفردية تطغى تدريجياً على الملكية العائلية ، ولقد إقتصرت الملكية الفردية فى بداية أمرها على بعض أنواع الثروة المنقولة كالاسلحة وأدوات الزينة ، ثم إشتملت فيما بعد الكثير من الاموال المنقولة ، حتى إمتدت أخيراً الى الاموال الثابتة كالمبانى والاراضى .

ويأخذ نظام الملكية فى الوقت الحاضر أشكالاً متنوعة وتنظيمات تختلف بإختلاف الزمان والمكان ، فهناك الملكية الشائعة والملكية الجماعية والملكية الفردية ، كما أن هناك الملكية العامة والملكية الخاصة كثيراً ما يقوم خلط بين بعض هذه الانواع من الملكية وذلك حين تستعمل الملكية الخاصة والملكية الفردية أحياناً بمعنى واحد كما قد تعتبر الملكية الشائعة والملكية الجماعية شيئاً واحداً عند البعض أيضاً وهو ما يخالف الواقع ، فالملكية الجماعية Collective property تعنى أن حق الملكية يتعلق بالمجتمع نفسه بإعتباره وحدة واحدة وشخصية معنوية فى حين أن الملكية الشائعة Com-mon property تتضمن فكرة الشيوع بين عدد من الافراد وهذان النوعان من الملكية يتعارضان مع الملكية الفردية التي تخص الفرد الواحد إلا أنهما لا يتعارضان بالضرورة مع الملكية الخاصة ، فملكية العائلة مثلاً يمكن أن تكون شائعة ومع ذلك فهى ملكية خاصة .

كما أن إصطلاح الملكية الفردية individualistic property وإصطلاح الملكية الخاصة private property لا يؤديان نفس المعنى فالملكية الفردية ليست إلا صورة من صور الملكية الخاصة وتعتبر هذه

الصورة أهم صور الملكية الخاصة فى هذه الايام غير أنها لا تعتبر الصورة الوحيدة ، وتناقض الملكية الخاصة والملكية العامة public property ، ويقوم الصراع بين المذاهب السياسية والاقتصادية دائماً حول هذين النوعين من الملكية ومشروعيتهما والمفاضلة بينها (١)

فضلاً عن ذلك فإن الاتجاه المعاصر يعود بالملكية من الملكية الخاصة الى الملكية الجماعية وهذا واضح فى الدول الاشتراكية ويبدو كذلك بصورة واضحة حتى فى الدول الرأسمالية والدليل على ذلك إتجاه معظم دول العالم الى تأميم المرافق الهامة فى الدول أى نقل الملكية الفردية الى الملكية الجماعية كما حدث فى مصر عامة بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بعدة سنوات (٢) .

ويمكن إجمال أن المنافسة بين أنصار كل من الرأيين ، حيث يرى الاقتصاديون الاوائل عدم الاعتراف بفكرة المشاع الفطرى لانها تنال من إعتبار الملكية الفردية التى يقدرون أهميتها ، بينما يرى الاشتراكيون الاخذ بهذه الفكرة لانها تتفق مع آرائهم التى يعتبرونها عودة لما كان عليه الامر فى الماضى ، وعلى ذلك فإن أصل الملكية والصورة الاولى التى كانت ، عليها أمر لم يتبين تماماً بعد ، على أنه يمكن أن نقول بأنه قد وجدت صورة من الملكية الشائعة فى بعض الاماكن فى بعض العصور القديمة ولكننا لا نستطيع التعميم .

---

(١) عبد الحميد لطفى ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٦ ص ص ٨٦ ، ٨٧.

(٢) محمد يسرى إبراهيم دعبس ، إقتصاديات مجتمع الانفتاح ، " دراسة فى الانثروبولوجيا الاقتصادية " دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ ، ص

ويمكن القول أيضاً بأنه فى خلال الثلاثة آلاف سنة الاخيرة إنتشرت الملكية الخاصة الفردية واتسع نطاقها وغزت عدة ميادين كانت مغلقة دونها ، وقد وضعت لتنظيمها القواعد القانونية المدعمة لها وذلك حينما أسبغ القانون الرومانى على المالك صفة المشرع عندما يتصرف فى ملكيته ، وجعل من الملكية حقاً مطلقاً تحميه قوة السلاح ، وقد شاهدت القرون الاخيرة من العصور الوسطى توسعاً فى ملكية الثروة المنقولة وبصفة خاصة ملكية الديون والحقوق المنقولة وإزدادت أهمية الثروة المنقولة جيلاً بعد جيل حتى أيامنا هذه [١]

وبناء على ما سبق نجد أن نظام الملكية يحتوى على نقطتين رئيسيتين هما :

١ – أن الملكية تفترض وجود حقوق للمالك على ممتلكاته فيما يتعلق بالاستعمال والاستغلال والتصرف فيها وهذه العمليات تعد أشكالاً أو أنماطاً تختلف بإختلاف المجتمعات ومسارها الايديولوجي والثقافى والاقتصادى وهذا ما سنوضحه فيما بعد .

٢ – أن نظام الملكية يتضمن ثلاثة أركان هامة هى :

(المالك – الممتلكات – طبيعة العلاقة التى تقوم بينهما) ونجد من الضرورة بصدد دراسة العلاقة بين الادمان وأنماط الملكية على مختلف أنواعها فى الثقافات المختلفة أن نعرض لنظره المدمنين الى الملكية بأنواعها ودوافع الملكية لديهم وأنواع الملكية التى يفضلها المدمنون فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً والمكانة التى تضيفها الملكية على المدمنين وحقوق الملكية

---

(١) عبد الحميد لطفى ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

للمدمنين وقيودها بالنسبة لهم والملكية ونظم التكافل الاجتماعى للمدمنين ومختلف العوامل المؤثرة فى ذلك من خلال المعالجة التالية :

أ- نظرة المدمنين للملكية فى الثقافات المختلفة :

مما لاشك فيه أن نظرة الانسان لمفهوم التملك وحق الانتفاع والاستغلال سواء أكان مدمناً أو غير مدمناً يختلف من نمط مجتمعى الى نمط مجتمعى أخر حسب التوجيه الثقافى والاجتماعى فى كل نمط مجتمعى على حدة .

كما أن إتساع رقعة الملكية الخاصة فى العصر الحديث باتت تقابل بهجوم شديد وأخذ هذا الهجوم مظهرين ، ويتمثل المظهر الاول فى إتساع رقعة الممتلكات الجماعية ويتمثل الثانى فى تغير النظرة الى الملكية بإعتبارها حقاً مطلقاً ، وتدخل المشرع لتقييد هذا الحق فمن ناحية إتساع رقعة الممتلكات الجماعية تعمل الحكومات على هذا التوسع عن طريق ما تستولى عليه من ثروات ودخول خاصة لاغراض جماعية . ومن أمثلة ذلك ما بلغته الضريبة العامة على الايراد فى كل من إنجلترا ومصر ، حيث بلغت فى تدرجها الى حد الاستيلاء على ٩٠٪ أو أكثر من الدخل الفردي ، إذا ما زاد على حد معين (١) .

كما أن القروض الداخلية التى تعقدها الدولة تؤدى الى وضع اليد على جزء كبير من الثروات والدخول الخاصة بتوجيهها لصالح المجموع ، وقد إتسع نطاق التدخل العام للدولة عن طريق التأميمات التى تشق طريقها الان فى غالبية الدول ، وهو تأميم على حساب الملكية الخاصة الفردية ، كما أن الدولة كثيراً ما تقوم بمشروعات تعمل على الحد من توسيع الملكية الخاصة الفردية كتلك التي تتعلق بخدمات النقل والانارة وشق الطرق والترع وإقامة

(١) عبد الحميد لطفى ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

المبانى العامة .

أما عن تغير النظرة الى الملكية بإعتبارها حقاً مطلقاً ، فإذا كانت الحرية بمعناها القديم هى التى أوحت فى الوقت الحاضر بمهاجمة الملكية الخاصة على إعتبار أن حق الملكية شأنه شأن الحقوق الاخرى ذو صفة نسبية وإزدياد الرغبة فى القضاء الجزئى على هذا الحق ، وقد فرضت نتيجة لذلك كثير من القيود بعضها لاسباب صحية كضرورة تسوير الارض الفضاء وإشتراط البناء بحسب مواصفات معينة ، والبعض الاخر للمحافظة على أرواح الناس عن طريق إلزام الملاك بهدم المبانى التى يخشى سقوطها وبعضها لحماية المواطنين من الجشع كقانون الايجارات المعمول به حالياً فى مصر وقانون التسعيرة الجبرية ، هذا ونجد في ميدان الملكية الزراعية كثيراً من القوانين الخاصة بمواعيد الرى ومنع إنتاج بعض المحاصيل كالتبغ والحشيش ، كما لم تسلم الاموال المنقولة مادية وغير مادية من هذه القيود كالقوانين التى تعين حداً أقصي لفائدة القروض وتلك الخاصة بذبح المواشى ، والاجراءات القانونية التى تنظم التصرف فى الاشياء ذات القيمة التاريخية وحق الاستيلاء عليها ، كما وضعت للاسهم والسندات أيضاً بعض القوانين التى تنظم ملكيتها .

ولما كان المدمنون فى المجتمع البدوي يعيشون فى السياج الاجتماعى والثقافى والاقتصادى للمجتمع ككل ولما كانت الملكية للاراضى والمواشي وكافة أنواع الملكية ملكية جماعية فى أغلب الاحوال فى المجتمع البدوي وتقع معظم مقاليد السلطة والثروة فى يد كبار رؤوس العائلات خصوصاً وأن الاراضى فى المجتمع البدوى فى أغلبها أراض وضع يدٍ وليست مسجلة وتقع فى نطاق حيازة عائلات محددة تحتويها البناء الاجتماعى للقبيلة بصفة عامة ، ولذا لمست أن نظرة المدمن البدوى للملكية لا تخرج عن الاطار

العام لنظرة البدو بصفة عامة حيث أن نمط الاستفادة من الملكية بجميع أنواعها يغلب عليها الطابع الجماعى وحالات الملكية الفردية تعد قليلة للغاية وتتركز هى الاخرى فى يد كبار السن فى أغلب الاحوال ولذا لا يستطيع المدمن البدوى بأى حال من الاحوال التصرف فى ممتلكات العائلة ككل أو حتى ما يقع تحت يديه من ملكية فردية فتجد أن المجتمع يسارع بالتصدى لهذا التصرف ، كما أن المدمن البدوى يحرص على تفادى أى لوم إجتماعى أو إحتقار وإزدراء .

ونجد الصورة لا تختلف كثيراً بالنسبة للمجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة حيث فى أغلب الاحوال تكون مقاليد السلطة والثروة من مختلف الانواع تحت سيطرة كبار رؤوس العائلات ومن لا يمكن التصرف فيها إلا تحت إشرافهم وبموافقتهم .

وقد نجد حرية فى التصرف لبعض الملكيات الفردية للمدمنين ولكن غالباً ما تكون ممتلكات شخصية ولكن الممتلكات المتمثلة فى الارض أو المواشى فقد يتصدى كبار العائلة لتصرف هذا الشخص حتى ولو كان منفصلاً فى معيشة فردية عن الاسرة الممتدة وفى أغلب الاحوال يستطيعون السيطرة على تصرفاته خصوصاً لو كان مدمناً على الانواع المخدرة التقليدية ولكن فى حالة الادمان على المواد الخطرة كالهيروين والمورفين وحقن الماكس يكون الوضع مختلفاً تماماً .

وقد تبين أن الملكية فى أغلب الاحوال فى المجتمع الحضرى هى ملكية خاصة أى ملكية فردية ، لذا يتصرف فيها الفرد كيفما يشاء من الجنسين ، ولما كان الادمان فى المجتمع الحضرى على المواد المخدرة mixture أكثر

خطورة حيث تتعدد وتتنوع المواد المخدرة لمختلف الطبقات العمرية والاجتماعية ومن الجنسين فقد اتى الادمان وبخاصة على المواد المدمرة على اليابس والاخضر كما يقولون فكم من رجال ونساء من طبقات إجتماعية وإقتصادية راقية أتى على ممتلكاتهم عن آخرها وجعلهم فريسة سهلة للانحراف والرذيلة ، وكم من أصحاب شركات ومؤسسات أشهروا إفلاسهم نتيجة الادمان وكم من رجال ذو مناصب مرموقة خسروها نتيجة الادمان ، وكم من أسر فقدت شرف بناتها ورجولة وشهامة شبابها بسبب عملية الادمان .

ب- دوافع الملكية عند المدمنين فى الثقافات المختلفة :

ويمكن القول أن دوافع الملكية عند المدمنين فى المجتمع البدوي تتمثل فى الدوافع العامة للتملك للبدو بصفة عامة حيث أن نمط الملكية نمط جماعى وليس للمدمن أى دخل في الشراء والبيع لكافة الانواع إلا إذا كان من كبار رؤوس العائلات وغالباً ما تسحب منه الثقة فى القيادة والزعامة عند ظهور عليه أى علامة من علامات الادمان .

وتتمثل دوافع الملكية للبدو بصفة عامة فى النقاط التالية :

- القوة والسيطرة والنقود
- المكانة والظهور .
- عدم الاحتياج
- أمان للمستقبل والحوادث الطارئة .

ولما كانت مقاليد الثروة والسلطة وكما سبق القول فى يد كبار رؤوس

العائلات فى المجتمع البدوي وكذلك الحال فى المجتمع القروى الذى لا يختلف كثيراً عن المجتمع البدوى خصوصاً فى الاسر الممتدة عكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى الذى يخسر فيه المدمنون على المواد المخدرة وبخاصة المدمرة ممتلكاتهم وكل شيء حيث أن الملكية تأخذ الطابع الفردي وليس الطابع الجماعى (الجمعى) .

جـ- أنواع الممتلكات التى يفضلها المدمنون فى الثقافات المختلفة :

مما لاشك فيه أن أنواع الممتلكات قد تتعدد وتتنوع وتتمايز من نمط مجتمعى الى آخر أو فى الثقافات المختلفة ومرد ذلك إختلاف نظرة الناس الى تلك الممتلكات وإختلاف نظرة المجتمع للملكية وأنواعها وطبيعتها وأسبابها ، ولاحظنا فى أكثر من موضع فى متن هذا الفصل كيف أن الملكية قد تطورت وإختلفت وإستحدثت فيها أنواع جديدة تبعاً لتغير النظرة إليها من زاوية الانسان والمجتمع والتوجيه الايديولوجى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى للمجتمع .

ولقد لاقت الانواع المستحدثة من أنواع الملكية صعوبات دينية نتيجة لتحريم القروض بفائدة وكذلك الحال بالنسبة لنظام الودائع والتعامل مع البنوك من قبل الناس وما صاحب ذلك التعامل من فوائد وأرباح إلخ ، إلا أنه أمكن التغلب على هذه الصعوبة بالاجتهاد الى تفسيرات التى تؤدى الى إباحة ما كان يعتقد أنه من المحظورات وبذلك ظهرت طبقة الاغنياء من أصحاب الثروات المنقولة الى أصحاب الثروات العقارية ،، كما إزدادت أهمية الثروة المنقولة فى هذه الايام بسبب إنتشار الشركات المساهمة وإلتجاء الحكومات الى القروض ، ثم شمل حق الملكية أخيراً أشياء كانت

متروكة دائماً مشاعاً للجميع وذلك حين أصبح ذلك الحق يسرى على الاختراعات الصناعية والعلاقات التجارية والاعمال الفنية والانتاج الادبى (١) .

وبناء عليه نجد أن الملكية الخاصة إذا كانت قد فقدت في العصور الحديثة بعض الميادين في بعض النواحى فقد فازت بغيرها فى نواح أخرى ، وترتب على ذلك أن نظام الملكية الجماعية قد إتسع ، إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون نصيبها النسبى من مجموع الاموال القابلة للتملك لم يزد عن نصيب الممتلكات الخاصة الفردية إذ أنه لا يوجد ما يمنع من إتساع النطاق الخاص بكل من النوعين من الملكية فى آن واحد نظراً لان التقدم الفنى والاقتصادى يخلق باستمرار أموالاً جديدة للتملك ، إلا أن هذا إذا صح بالنسبة للدول التى تبيح الملكية الخاصة لاموال الانتاج بصورة مطلقة أو مقيدة فإنه لا ينطبق على الدول التى ألغت – كقاعدة عامة ، الملكية لاموال الانتاج (٢) .

وهناك عدة زمور ترتبط بالملكية مثل الهبة – الوصية – والميراث .

وقد ترتب على هذه الملحقات لنظام الملكية ثمة حقوق وواجبات تختلف فى الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وأثر ذلك على مجموعة الحقوق والالتزامات وحقوق الاستغلال والانتفاع بتلك الملحقات من خلال نظام الملكية بصفة عامة .

---

(١) عبد الحميد لطفى ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ص ٨٨ .

(٢) عبد الحميد لطفى ، مرجع سابق ص ص ٨٨ – ٨٩

وقد عرف بعض علماء القانون بانه دخول الاحياء فى حيازة ممتلكات شخص ميت أو متوف أو بكل بساطة إمتلاك الاحياء لممتلكات شخص ميت وحلولهم مكانه ولكن كثيراً من علماء الانسان ينظرون الى الميراث نظرة أخرى على ضوء نظرتهم للملكية ، حيث أن الملكية فى رأيهم عبارة عن :

١ - شيء مادى أو لامادى (١) .

٢ - مجموعة من العلاقات الاجتماعية التى تنظم العلاقة بين الاشخاص وذلك الشيء المادى أو اللامادى ، وهذه المجموعة من العلاقات هى مجموعة من الادوار أو نماذج السلوك المتصلة ببعض المكانات الاجتماعية ، المتصلة بدورها بالشيء موضوع الملكية ، فالملكية هى مركب من المكانات الاجتماعية والادوار الجتماعية يسمح لبعض الافراد بحقوق محددة معينة فى إستخدام بعض الاشياء أو الاشراف عليها والتصرف فيها وهذه الحقوق تؤدى الى علاقات سلبية وأخرى إيجابية وتتلخص العلاقات السلبية مثلاً فى منع الافراد الآخرين من إستخدام الشيء وإحترام ملكية المالك ، أما العلاقات الايجابية فهى تتلخص فى إعطاء المالك حقوقاً محددة فى إستخدام الشيء أو التصرف فيه .

وبناء عليه نجد أن الميراث هو أيضاً إنتقال مكانات وأدوار إجتماعية من شخص لآخر ، فالابن مثلاً يرث أباه بمعنى أن المكانات الاجتماعية والادوار التى يقوم بها الوالد وعلاقاته بالاشياء والاشخاص بحكم ماله من مكانة إجتماعية وما يقوم به من أدوار تنتقل كلها من الاب الى الابن .

---

(١) حسن شحاته سعفان ، علم الانسان ، منشورات مكتبة العرفان ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٦٠

والميراث فى ضوء ذلك قد يكون إنتقال بين الاحياء وأثناء حياة المورث ، ولكنه فى معظم الاحيان يعنى الانتقال من شخص متوف الى شخص حى كما أن الميراث يتضمن أيضاً وجود علاقات إجتماعية سابقة بين المتوفى والوارث تسمح لهذا الاخير بإرث مكانته ودوره ، ثم أن هذه العلاقات علاقات شخصية تقليدية .

ويقول راد كليف براون في هذا الصدد أن إنتقال الملكية فى المجتمعات البدائية(التقليدية) يتبع فيما عدا حالات بسيطة نفس طريق إنتقال المكانة الاجتماعية ، والسبب فى ذلك أن إنتقال الملكية هو نوع من إنتقال المكانة الاجتماعية . فمثلاً فى المجتمعات الامومية تنتقل الملكية بالميراث متتبعة علاقات الرحم وفى المجتمعات الابوية تنتقل الملكية متعقبة العلاقات الابوية . وأن الملكية معروفة فى ظل الانماط المجتمعية (١)

كما أن الوصية التى تدل علي رغبة المالك فى نقل جزء من ملكه أو كل ما ملكه بعد وفاته الى شخص آخر مفروض فيه أنه لا يرث بحكم القانون السائد أو العادة المتبعة ، وفى المجتمعات التي تعرف نظام الوصية لا تطبق الوصية بشكل واحد على كل أنواع الملكية ، إذ فيما يتعلق بالاموال الثابتة أو الارض لا يكون الفرد عادة حراً فى وصيته بشأنها بل تخضع فى ذلك لقواعد دقيقة أما فيما يتعلق بالاموال المنقولة أى غير ثابتة فيكون لديه حرية كبرى فى تغيير قواعد الميراث عن طريق الوصية وهنا نجد أن القواعد والعادات والتقاليد تلعب دوراً هاماً فى تحديد تصرف الشخص المتوفى وغالباً ماتنشأ خلافات ومشاكل متعددة بصدد تصرف الشخص

---

(١) حسن شحاته سعفان ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

الموصى فى كل الانماط المجتمعية ثقافياً .

وتبين أن الممتلكات المفضلة للبدو بصفة عامة والمدمنين بصفة خاصة تتمثل فى الانواع التالية :

١ – الارض سواء أراضٍ للبناء أو أراضٍ للرعى أو حتى أراضٍ زراعية والمهم أن الارض تشكل في كل الاحوال ملكية جماعية ولا يتم تقسيم الارض حتى بعد وفاة الوالد حيث تنتقل تقاليد أمور العائلة والسلطة والثروة للابن الاكبر أوتحت إشراف العم ، ويحرص البدو على عدم بيع الارض إلا عند الضرورة القصوى وخير دليل على مدى إعتزازهم بالارض هو عدم توريثها للمرأة عند زواجها حتى لو من داخل العائلة ويمكن تعويضها مادياً إن قبلت بالمال ولكن لا يسمح بإنتقال الارض الى حيازة زوج الاخت أو الابنة بأى حال من الاحوال .

٢ – الماشية والغنم ، ويحرص البدو بصفة عامة والمدمنون بخاصة إنهم يعيشون من خلال نمط الملكية الجماعى على إقتناء أكبر عدد من رؤوس الماشية والغنم حيث أن هناك من المناسبات والالتزامات الاجتماعية المتعددة (الاعياد – الافراح – الوفاة – أعمال دفع الدية والصلح) مثل هذه المناسبات تحتاج بصفة دائمة توفر هذه الانواع للايفاء بالطقوس والشعائر المرتبطة بها .

٣ – الاسلحة ويحرص البدو على إقتناء الاسلحة ولكنها فى معظمها أسلحة خفيفة للدفاع عن النفس وعن العرض وعن مصالح القبيلة وقلما تجد بدوياً ليس لديه سلاحاً .

٤ – الادوات المهنية والمنزلية وتتمثل فى بعض المعدات وماكينات الري

وآلات الحرث وهذه لاشياء تكون فى يد كبار العائلات الذين إستصلحوا أراضى وزرعوها بمساعدة هذه الآلات والعمالة الوافدة من وداى النيل . أما الادوات المنزلية فهى دائماً أساس لاستخدام العائلة الممتدة .

٥ – الممتلكات الشخصية (الملابس – المجوهرات – أدوات الزينة) .

وجدير بالذكر أن الممتلكات الشخصية التى يشتريها كبار العائلات ويرى أن فيها إدخاراً وقت إحتياج العائلة وبصفة خاصة المجوهرات حيث يرى العواقل والمشايخ إنها تحت اليد عند اللزوم كما أن الملابس يقوم بشرائها لجميع أبناء العائلة الممتدة ذكوراً وإناثاً دون إستثناء أما أدوات الزينة فهى بسيطة ولا تتعدى الكحل والحناء .

المهم فى ذلك كله أن هذه الممتلكات قد يكون للمدمن البدوى نصيب فيها ولكن من خلال الملكية الجماعية ومن الممكن أن يستفاد بها شأن كل أعضاء القبيلة وبتوجيه من الكبار أولئك الذين قد يحرمونه من كل شىء لو ظهر عليه أى علامات أو إشارات تدل على إنها أدمن على أى مادة مخدرة ولهذا السبب لم تنتشر المواد المخدرة الخطرة ، كما يحرص البدوى أن لا يصل الى مرحلة الادمان على أى مادة مخدرة حتى التقليدية وإذا وصل الى مرحلة الادمان فيكون حريصاً للغاية من أن يصل الامر الى كبار القوم أو شيوخ القبيلة .

وتبين أن المممتلكات المفضلة للقرويين بصفة عامة والمدمنين بصفة خاصة على المواد المخدرة التقليدية كالحشيش والذين يعيشون من خلال الأسرة الممتدة تتركز فى النواحى التالية :

١ – الاراضى الزراعية حيث أن ملكيتها فى الاغلب تضاف الى رصيد

العائلة الممتدة ككل وليس الفرد ، بحيث تتمركز تقاليد السلطة والثروة فى يد كبار رؤوس العائلات .

٢ –الماشية والغنم ويحرص كبار رؤس العائلات على ملكيتها فهى تساهم عند بيعها فى إتمام زيجات الابناء والاحفاد فضلاً عن إستخدامها فى بعض المناسبات الاجتماعية والدينية وبصفة خصة فى الاسر ذات الجاه والسلطة لابراز الهيبة والمكانة بخاصة فى الاعياد .

٣ – الاسلحة : ويحرص كبار رؤوس العائلات على إقتناء الاسلحة خصوصاً أولئك الذين يملكون مساحات جماعية كبيرة ويعملون بتجارة المواشى أو المقاولات إلخ .

٤ – الادوات المهنية وخصوصاً لمن يملكون مساحات زراعية كبيرة حيث يحرصون على شراء الجرارات الزراعية وماكينات الرى خصوصا بعد غلاء الايدى العاملة الزراعية وعدم توفرها وسرعة أداء كثير من الاعمال عن طريق المعدات الزراعية الحديثة .

٥ – الممتلكات الشخصية (المجوهرات – الملابس) ويرى كبار رؤوس العائلات الممتدة أن المجوهرات هى بمثابة مدخرات تحت تصرفهم عند احتياجها فيحرصون على اقتنائها . ويستثنى من ذلك المدمنون الذين يعيشون فى ظل أسر نووية فى المجتمع القروى خصوصا فى اجيال الشباب وكذلك الذين يدمنون على الانواع المدمرة كالهيروين والحبوب المخدرة وحقن الماكس فهؤلاء لا يملكون شيئاً ولا يتطلعون لامتلاك أى شئ ، بل قد ينهبون ويسرقون كل ما يقع تحت أيديهم من ممتلكات العائلة .

أما أنواع الملكية المفضلة فى المجتمع الحضرى ونظرا لانتشار الملكية

الفردية ، فاذا كان المدمن على احدى المواد التقليدية كالحشيش ويعد واحدا من التجار أو رجال الاعمال أو الحرفيين فتحرص نساء تلك الفئات على محاولة ادخار المجوهرات والاموال النقدية فى حالة وفرتها مع الازواج خوفا من انفاقها على المكيفات ، وقد تحفز تلك النساء هؤلاء المدمنين على شراء منازل أو شقق باسم الأولاد حتى لا يستطيع التصرف فيها ، فيما بعد ، أما فى حالة ادمان المواد الخطرة كالهيروين فلا توجد أى ممتلكات بل بالعكس يفقد المدمن كل ثروته وثروة عائلته فى شراء هذا المخدر .

د- المكانة الاجتماعية والهيبة التى يحتلها المدمنون الملاك فى الثقافات المختلفة:

مما لاشك أن المكانة الاجتماعية والهيبة التى يحتلها الملاك فى المجتمع البدوى تكون فى يد كبار رؤوس العائلات ومن ثم يحتل تلك المكانة والهيبة كل أعضاء القبيلة أو العائلة الممتدة أى أن المكانة والهيبة ممنوحة بالتبعية فى المجتمع البدوى عامة وللمدمنين بخاصة طالما يحدث منهم ما يعكر صفو الحياه العامة فى المجتمع البدوى .

إلا أن مدمن الخمر حتى لو كان من الملاك فانه يفقد مكانته ونفوذه ويسقط من أعين أبناء المجتمع ككل ولهذا يحرص مدمن الخمر البدوى على الشرب فى بيته ويذهبون الى المثل القائل " بيته يلمه " أو بيته يستره " ولا يؤخذ بكلام مدمن الخمر ولا بشهادته إن أصبح معروفا لدى الناس وكذلك المدمن على أى مادة مخدرة يتعرض للوم الاجتماعى وفقدان المكانة ، أيا كان وضعه ومنزلته بالمجتمع .

ولا يختلف الامر كثيرا فى المجتمع القروى خصوصيا فى الاسر الممتدة

حيث تكون الملكية جماعية وتكون المكانة والهيبة للاسرة ككل وبالذات لكبار رؤوس العائلات ومن ثم يعيش المدمنون القرويون فى فلك تلك العائلات .

أما الوضع بالنسبة للمجتمع الحضرى فيختلف الى حد كبير فاذا كان المدمن من الاثرياء خصوصا المدمن على الحشيش فيلتف حوله المنتفعين واصحاب المصالح ويحتل مكانة وهيبة قائمة على المصلحة والمنفعة من عطاياه وهداياه وليس لشخصه .

إلا أن المدمن الحضرى على الهيروين والحبوب المخدرة والمورفين وحقن الماكس فانه يبيع كل شئ خصوصا الشباب غير القادرين من الجنسين فيبيعون كل ما يملكون وقد يصل الامر الى دخولهم فى دائرة الترويج من أجل الحصول على الجرعة أو إتجارهم فى شرفهم واعراضهم ودخولهم الى دائرة الجريمة والانحراف من أوسع أبوابها .

هـ- حقوق الملكية لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

(حق الانتفاع - حق التنازل - حق الهبة)

ولقد تبين أن حقوق الملكية لدى المدمنين فى المجتمع البدوى لا تخرج عن السياج الاجتماعى والثقافى للمجتمع البدوى ككل والذى يحرص على تمركز السلطة والثروة فى يد كبار العائلة ولكن للمدمنين حق الانتفاع من خلال العائلة شأنهم شأن باقى أفراد العائلة خصوصا وأن المدمن حريص أن يكتم سر إدمانه عن أفراد بلدته العاضبة ويخشى أن يصل الامر الى علم الكبار ، وبناء عليه تكون الملكية جماعية والاستفادة منها والانتفاع بها للجميع دون اختصاص فرد دون الآخر بها كما هو الحال الى حد كبير فى المجتمع القروى خصوصا فى الاسر الممتدة وعكس الحال بالنسبة للاسر النووية فى المجتمع القروى والمجتمع الحضرى على السواء .

كما لاحظت أن حق التنازل عن المكانة والثروة لا يتم فى المجتمع البدوى إلا اذا مرض المسن أو كبير العائلة بمرض عضال يقعده عن اداء دوره الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وبناء عليه يتنازل عن ادارة الثروة والسلطة لأكبر أبنائه خصوصا اذا كان هذا الابن قادرا على تحمل المسئولية ، ولكن لا يمكن لكبير العائلة أن يتنازل عن جزء من الثروة لابن دون آخر أو حتى يهب ابن أو ابنة بأى جزء من الثروة ، فالثروة ملك للجميع دون تفرقة وقد يكون هناك تفضيل بشأن الارض بين قيم الذكورة والانوثة وعدم ارث البنت فى الارض حتى لا تنتقل الى خارج العائلة ولكن يتم تعويضها عنها بالمال إن قبلت وفى أغلب الاحوال لا تقبل .

وقد يكون حق الانتفاع جماعياً فى المجتمع القروى خصوصا فى الاسر الممتدة وهنا يدخل المدمن فى ظل الاسر الممتدة فى ظل الاستفادة والانتفاع الجماعى للملكية والثروة ، ولا يحق للمدمن من خلال الاسرة الممتدة أن يتنازل أو يهب ثروته لاحد لانها دائما تكون فى يد كبار العائلات .

ولكن المدمن لو كان يعيش فى اسر نووية ويستقل عن العائلة الممتدة فيحق له التنازل أو أن يهب من يشاء ، بل أن بعض المدمنين على المواد المخدرة الخطرة كالهيروين مثلا قد تنازل وباع وأهدر كل ما يملك فى سبيل حصوله على الجرعات المطلوبة .

وتبين أن الانتفاع بالملكية فى المجتمع الحضرى فى أغلب الاحوال فردى بالنسبة للمدمنين على كل أنواع المواد المخدرة ويجوز تبعا لذلك التنازل وحق الهبة عن الثروة والسلطة لمن يشاء سواء طواعية أو إجباريا نتيجة تملك الادمان على المواد المدمرة من الشخص الذى يفرط فى كل شئ الثروة والعرض والشرف كما سبق القول فى أكثر من موضع فى متن البحث .

و - قيود الملكية للمدمنين فى الثقافات المختلفة

وتبين أن القيود الاجتماعية تلعب دورا بالغ الاهمية فى الحد من تصرف المدمنين فى أنواع الملكية التى تقع فى حوزتهم أو تحت أيديهم خصوصا وأن الملكية بكل أنماطها وأنواعها تكون ملكية مشاعة وجماعية وتقع تحت سيطرة الكبار ، وبناء عليه لا يمكن التصرف فيها من قبل الشخص العادى أو الشاب وحق التصرف يقع فى أيدى الكبار فقط .

ولا توجد أى قيود قانونية على الملكية فى المجتمع البدوى بصفة عامة خصوصا وأن الغالبية العظمى من الاراضى الصحراوية تكون أراضى وضع يد وغير مسجلة وتنتقل من حوزة الكبار الى الصغار تدريجيا وتعاقبيا .

وتبين أن القيود الاجتماعية تلعب دورا هاما فى المجتمع القروى خصوصا فى الاسر الممتدة وبالذات فى ملكية الاراضى الزراعية ، حيث تكون قرار التصرف فيها فى يد كبار العائلة .

إلا أن القيود المدنية موجودة هى الاخرى فى المجتمع القروى حيث أن معظم الملكية فى هذا النمط المجتمعى تكون مسجلة بمصلحة الشهر العقارى .. الخ عكس الحال فى المجتمع البدوى .

وتبين أن القيود المدنية هى المسيطرة على أنماط الملكية وتنوعها فى المجتمع الحضرى ولابد أن يتخذ الاجراءات القانونية والمدنية فى حالة البيع أو التنازل أو الهبة حتى تنتقل حقوق الانتفاع والاستغلال والاستخدام .

وفى الغالب ما تتم هذه الامور بسهولة عند وقوع الشخص المالك فى براثن الادمان وبالذات على الانواع الخطرة .

مما سبق نستنتج عدة نتائج نجمل أهمها فى النقاط التالية :

١ – لقد كان للتفاوت الواضح فى خصائص الحياه الاقتصادية فى المجتمع البدوى من البساطة والتكنولوچيا البسيطة وعدم وجود تقسيم عمل حقيقى وعدم التمايز المهنى الواضح وعدم زيادة فرص التنقل الاجتماعى والمهنى بشكل واضح الى حد بسيط فى المجتمع القروى وبشكل أكثر وضوحا فى المجتمع الحضرى أثر بالغ الاهمية فى زيادة انتشار مواد مخدرة دون أخرى فى كل نمط مجتمعى على حدة وانتشار جميع أنواع المواد المخدرة التقليدية والتخليقية والمدمرة بصفة خاصة بين صفوف الشباب من الجنسين من مختلف الطبقات العمرية فى المجتمع الحضرى مما جعل الظاهرة اكثر وضوحا وخطورة فى ذلك النمط المجتمعى عن الانماط التقليدية الاخرى .

٢ – اختلاف طبيعة الاعمال وأنماط الانتاج من نمط مجتمعى الى آخر حسب التوجيهات الثقافية وإقبال أبناء كل مجتمع بصفة عامة والمدمنين بصفة خاصة على أعمال دون أخرى وكذلك اختلاف درجة تحكم معايير تقسيم العمل الذاتية والموضوعية فى كل نمط مجتمعى على حدة ونظرة الناس للعمل ودوافعهم للعمل وتفضيلهم لاعمال دون أخرى وهذا كله يتم فى ضوء السياج الاجتماعى والثقافى لكل نمط مجتمعى دون الآخر .

٣ – عدم اختلاف النظرة للاعمال أو طبيعتها بالنسبة للمدمن البدوى عن البدو بصفة عامة وكذلك المدمن القروى على الحشيش بخاصة وكذلك الذين يعيشون فى ظل الاسر الممتدة إلا قليلا وقد ينتاب أداؤه للعمل بعض

الخمول والكسل والاهمال ، إلا أن النظرة تتبدل وتختلف كثيرا فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك تنوع أنماط العمل والانتاج عكس الحال فى أنماط العمل والانتاج التقليدية فى نمطى المجتمع البدوى والقروى وكذلك تنوع الحرف والمهن وانتشار المواد المخدرة بكل أنواعها بعيدا عن الضبط غير الرسمى والرسمى فى أغلب الاحوال .

٤ – لقد كان لعدم التنوع والتمايز المهنى والحرفى الواضح فى المجتمع البدوى الى حد كبير والمجتمع القروى الى حد بسيط عكس الحال فى المجتمع الحضرى أثر بالغ الاهمية فى تنوع المواد المخدرة وتنوع اساليب التعاطى تبعا لذلك والتحلل الى حد كبير فى المجتمع الحضرى من القيود الاجتماعية والثقافية التى تشكل ركائز اساسية فى ضبط سلوك الافراد وعدم خروجهم عن القواعد والاعراف المألوفة فى تلك الانماط التقليدية .

٥ – لقد كان لعدم تعليم المرأة إلا فى حدود ضيقة للغاية فى المجتمع البدوى عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع القروى والى حد كبير للغاية فى المجتمع الحضرى ومن ثم خروجها الى العمل خارج حدود القرية وفى شتى مجالات العمل المتاحة بالمدينة أثر بالغ الاهمية فى دخول نسبة كبيرة من نساء المجتمع الحضرى والقروى الى حد ما فى دائرة ادمان بعض المواد المخدرة وبخاصة الهيروين والحبوب المخدرة والخمر ، فى حين أن هذا نادرا للغاية بالنسبة للمرأة البدوية فيما عدا شرب البيرة مع الزوج فى بعض الاحيان تقليدا لما يحدث فى التليفزيون أو لدواع صحية كما يقولون ، وهذا مرده سهولة الاتصال الثقافى بالمدينة والتأثر بها من جانب القرويات وزيادة طموح بعض نساء القرية وفتياتها وتطلعهن الى الحياه الحضرية وهذه بعض العوامل التى أوقعتهن فى دائرة الادمان ومن ثم الانحرافات السلوكية

تبعا لذلك .

٦ - لا تختلف دوافع العمل بالنسبة للمدمنين البدو عن البدو بصفة عامة ومرد ذلك عدم ادمان البدو على المواد المخدرة المدمرة كالهيروين والمورفين وحقن الماكس اسوة بالمجتمع القروى الى حد بسيط وبخاصة الاسر الممتدة وعكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى وخشية من عوامل الاحتقار والازدراء واللوم الاجتماعى الذى قد يتعرض لهم المدمن البدوى والمدمن القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة وتلك العوامل لا يعيرها المدمن الحضرى اهتماما ولو ضئيلا وبخاصة الذين أدمنوا على الهيروين والمورفين وحقن الماكس خصوصا الحرفيين واصحاب الاعمال اليدوية وكل من يقع فى هذه الدائرة اللعينة حتى لو كانوا من أصحاب المناصب والمراكز والاوضاع والطبقات الاجتماعية المتميزة فى المجتمع .

٧ - يعد عنصر الوقت غير هام للبدو بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة عكس الحال فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير إلا أن المدمن فى المجتمع القروى والحضري بات لا يهتم بالوقت ولا يعيره اهتماما إلا أصحاب الاعمال والاثرياء والتجار وخصوصا أولئك الذين يدمنون على الحشيش وعدا ذلك فالوقت ليس له قيمة واهمية خصوصا مدمنى الهيروين والمورفين وكافة المواد التخليقية الخطرة .

٨ - ليس هناك تحديد فاصل بين العمل والفراغ فى حياه البدو عامة والمدمن البدوى خاصة وكذلك المدمنين القرويين الذين يعيشون فى أسر ممتدة خصوصا مدمنى الحشيش ، عكس الحال فى المجتمع الحضرى بالنسبة لمدمنى الحشيش وبخاصة من لديهم أعمال أو وظائف أو مراكز

معينة متميزة يشغلونها فالوقت لديهم له أهمية مع الأخذ فى الاعتبار بعض عوامل الاهمال والكسل والبلادة فى الحس ، إلا أن الامر يختلف كلية فى حالة الادمان على المواد التخليقية الخطرة .

٩ – ينظر البدو بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة الى العمل كطلب مشتق وليس مستقل ، حيث أن هناك تحديداً قاطعاً وجازماً لتقسيم العمل بناء على مجموعة المعايير الذاتية والموضوعية ، لذا فهو طلب مشتق على السلع والخدمات كما أنهم ينظرون الى الفراغ كطلب مستقل على اساس أنه مجموعة من الانشطة والخدمات ، كما أنهم لا يميزون بين أولوية العمل وأولوية الفراغ وكذلك الحال بالنسبة للغالبية اعظمى من أبناء المجتمع القروى وبخاصة المدمنين حيث انه لا يوجد تحديد فاصل وقاطع بين وقت العمل والفراغ ومن ثم فلا يضحون بوقت الفراغ من أجل تحقيق مزيد من الربح كما هو الحال فى المجتمع الحضرى ، حيث أن عنصر الوقت غير محدد بين نشاطات العمل والفراغ بصورة محددة .

١٠ – يكون طلب المدمن الحضرى على العمل خصوصا مدمن الهيروين والحبوب المخدرة وحقن الماكس طلباً مشتقاً وليس مستقلاً فى أغلب الاحوال وبخاصة الحرفيين وعندما يتقاضون أى مبالغ من تحت حساب عملهم فلا يقوم به لأن هدفهم الاساسى هو الحصول على الاموال اللازمة لشراء المادة المخدرة بأى وسيلة السرقة ، النصب ، الاحتيال .. الخ . كما انه لا يميز بين أولوية العمل أو أولوية الفراغ أو زيادة ساعات العمل على الفراغ لتحقيق مزيد من الكسب والدخل فالوقت اصبح لا أهمية ولا قيمة له بالوقت يقضيه فى النوم أو البحث عن الجريمة عكس الحال بالنسبة لمدمن الحشيش والافيون والخمر أولئك الذين قد يمارسون أعمالهم بصورة طبيعية

برغم تأثير المواد المخدرة على أداء أعمالهم والتزاماتهم وكفاءتهم ، كما أن بعض هذه الفئات من أصحاب المناصب العليا كالقضاه والمستشارين والضباط قد يضطرون لتقديم بعض التنازلات بخصوص أعمالهم للإنفاق على تعاطى المواد المخدرة وبالتالى يكون طلبهم على العمل طلباً مشتقاً وليس مستقلا ، فى حين طلبهم للفراغ يكون مستقلا عكس الحال بالنسبة للمدمنين فى نمطى المجتمع البدوى والقروى .

١١ – الاستفادة من ناتج العمل فى المجتمع البدوى تتم بصورة جماعية للمدمنين والبدو بعامة وكذلك الحال فى المجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة حيث أن نمط المعيشة السائد هو النمط الجماعى عكس الحال فى الاسر النووية فى القرية أو فى المجتمع الحضرى بصفة عامة . وبناء عليه لا تتأثر مصادر انفاق الأسر ومطالبها نتيجة ادمان أحد أعضائها فى الانماط التقليدية من خلال الاسر الممتدة حيث أن مقاليد الثروة والسلطة وتوزيع ناتج العمل فى يد كبار رؤوس العائلات عكس الحال فى الاسر النووية سواء فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

١٢ – هناك علاقة وطيدة بين نوع المهنة وادمان انواع معينة من المواد المخدرة دون أخرى ولهذا السبب لم نجد تنوعاً فى المواد المخدرة فى المجتمع البدوى لعدم وجود تمايز مهنى وحرفى واضح ، والانشطة الانتاجية لا تتعدى المصادر الانتاجية التقليدية ويختلف الامر الى حد بسيط فى القرية نتيجة زيادة موجات الهجرة من والى القرية وزيادة التنوع الحرفى والمهنى وانتشار التعليم ... الخ مما أدى انتشار انواع متعددة عن المجتمع البدوى ، إلا أن العلاقة بين المهنة والادمان على مادة دون أخرى واضحة تماما فى المجتمع الحضرى وتختلف باختلاف الوظائف والمراكز والمهن

وسبق شرحها تفصيلا فى متن البحث .

١٣ – هناك علاقة وطيدة بين التنقل المهنى والاجتماعى والادمان وإن كان هذا لا يبدو إلا بصورة بسيطة جدا فى المجتمع البدوى ولكن يظهر بصورة أكثر وضوحا فى المجتمع القروى ، وبشكل واضح للغاية فى المجتمع الحضرى ، حيث لعب الثراء المفاجئ لبعض الفئات الى الدخول فى دائرة الادمان على مختلف الانواع ، كما أن ادمان بعض الفئات والعناصر والمراكز المتميزة لبعض المواد المخدرة خصوصا التخليقية أن أدى الى حدوث تنقل مهنى بل وافتقادهم لمهنهم فى أغلب الاحوال ومن ثم افتقاد المكانة الاجتماعية وحدوث ثمة تنقل اجتماعى واضح داخل الاسرة وخارجها بل وعلى صعيد المجتمع ككل ، كما نجد أن عدم الاستقرار المهنى والتنقل خصوصا فى المجتمع الحضرى كان له دور بالغ الاهمية فى دخول بعض عناصر من أبناء المجتمع الحضرى خاصة الى دائرة الادمان على المواد المخدرة بجميع أنواعها .

١٤ – نشاط الفراغ للمدمنين فى المجتمع البدوى طويل لعدم اقبالهم على الاعمال الشاقة أو الاعمال المهنية وهنا نجد الفراغ له وظيفتان هما الاستجمام والتسلية حيث أن البدوى يميل الى الراحة والاسترخاء ولا تتعدى اعماله غير الغفارة أو السواقة أو التجارة ، ولا نجد الامر يختلف إلا قليلا بالنسبة للمدمن القروى وبخاصة على الانواع التقليدية حيث يقضى المدمن معظم وقته مع رفاق أو شلة التعاطى وبخاصة لمن لا يرتبطون بأعمال رسمية .

كما أن الامر لا يختلف كثيرا للمدمنين فى المجتمع الحضرى حيث أن

وظيفة الفراغ لمدمنى المواد التقليدية لا تتعدى الاستجمام والتسلية وقتل الوقت حيث أن فى هذا المجتمع يوجد تحديد قاطع لوقت الفراغ والعمل وبالذات لمن يرتبطون بأعمال ترتبط بأوقات أو مواعيد عمل محددة ولذا يحرص مدمنو الحشيش بخاصة على الالتقاء بأماكن معينة اعتادوا ارتيادها كصحبة للتعاطى ، وهذا لا ينطبق بأى حال على مدمنى الهيروين والمورفين وحقن الماكس حيث أن موعد الجرعة بالنسبة له هى أهم لحظة فى حياته وما دونها يسقط من حسابه .

١٥ - يقضى المدمن البدوى وقت فراغه فى ضوء ما يقره السياج الاجتماعى والثقافى ومن خلال الالعاب التقليدية والحديثة بالمجتمع ويقترب من ذلك كثيرا المدمن القروى خصوصا على الانواع التقليدية ، إلا ان الامر يختلف كثيرا للمدمن الحضرى نظرا لصعوبة الحياه الحضرية ولكن المدمن على المواد التقليدية يستطيع التوفيق دائما بين عمله وبين قضاء وقت الفراغ الذى فى الغالب مع شلة التعاطى ، ويسقط من هذا الحساب مدمن الهيروين والمواد الخطرة الاخرى فى جميع الانماط المجتمعية حيث أن المدمن على هذه المواد يصبح شخصاً انطوائياً ، منعزلاً ، قلقاً ، حذراً ، شكاكاً ، منبوذاً ، لا يعى أى شئ يدور من حوله ولا يعبأ بأى شئ ولا يهتم بأى شئ ، غير الجرعة المطلوبة .

١٦ تتعدد العوامل التى تحول دون عمل المدمنين فى الثقافات المختلفة ما بين عوامل اقتصادية وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية ونفسية وصحية .. الخ . إلا أن تأثير هذه العوامل جميعها يتفاوت ويختلف من ثقافة لاخرى فنجد أنه لا توجد أى عوامل اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو حتى نفسية وصحية تحول دون رجوع المدمن فى مرحلة تالية

بعد الشفاء الى حظيرة المجتمع البدوى وممارسة كل الادوار المنوطة له وشغل المراكز التى يجب أن يحتلها على صعيد المجتمع ودليل ذلك هو أن الادمان على المواد الخطرة نادر ، كما أن المدمن حريص ألا يفشى سر ادمانه حتى على المواد التقليدية ويبعد عن المواد المدمرة لتكوينه الجسمى والنفسى والاجتماعى والاقتصادي ولهذه العوامل تاثير الى حد بسيط فى المجتمع القروى فى الاسر الممتدة بخاصة حيث أن السياج الاجتماعى والثقافى يقف لادمان المواد الخطرة بالمرصاد رغم زيادة نسبتها قليلا عن المجتمع البدوى والامر يختلف بصورة كبيرة فى المجتمع الحضرى حيث يفقد المدمن المكانة والثروة والوظيفة والعمل ويعانى من العزلة والوحدة وخوف الناس منه والشك فيه والحذر من التعامل معه حتى من أقرب الناس اليه وتوصد جميع أبواب العمل فى وجهه وهنا تحدث انتكاسة العودة ثانية للادمان وهى اشد من الادمان للمرة الاولى .

١٧ - تحتاج عملية اعادة تأهيل المدمن بعد الشفاء جهداً كبيراً وتضافر العديد من جهود المتخصصين من واقع الخبرة الميدانية ومعايشة الظروف الحياتية والاحاسيس والمشاعر المختلفة التى كان يحسها المدمن قبل وبعد الادمان ومن ثم طبيعة هذه المشاعر والاحاسيس والظروف المجتمعية والاجتماعية والثقافية التى يحيا داخلها المدمن على مختلف المواد المخدرة بقصد الخروج باطار عمل متكامل يتناسب مع الواقع المجتمعى والسياج الثقافى الذى يحيا من خلاله المدمن فى المجتمع بعيدا عن الآخر والنظم والمناهج الغربية التى تمت فى بيئة مختلفة تماما عن الواقع العربى .

١٨ - العقبات التى تواجه عمل المدمن البدوى بعد الشفاء بسيطة للغاية حيث أن طبيعة الاعمال المتاحة فى المجتمع بسيطة وغير متنوعة ومحددة

وفقا لمجموعة المعايير الذاتية بصورة كبيرة جدا عن المعايير الموضوعية وكذلك الحال بالنسبة للمدمن القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة ذات السلطة والقوة والسيادة ولتمركز الثروة والارض فى يد كبار السن بينما الامر يكون صعبا للحرفيين سواء فى المجتمع القروى أو الحضرى حيث يحتاجون لفترة طويلة حتى يستعيد المدمن توازنه النفسى والعضلى ومن ثم توازنه الاجتماعى ويضاف الى ذلك أن المدمن الحضرى فى كل الاعمال يجد تحديات وعقبات اقتصادية نفسية واجتماعية تحتم على أغلبهم العودة ثانية الى دائرة الادمان إذا لم يجد من عوامل الاستقرار الاقتصادي والاجتماعى والنفسى ودخوله فى الحياه كعضو جديد فى المجتمع .

١٩ - عملية اتخاذ القرار بشأن عمليات التبادل الشعائرى أو العملى فى المجتمع البدوى وتحديد ادوار الافراد فيها تقع على عاتق كبار رؤوس العائلات وكذلك الحال فى الاسر الممتدة فى المجتمع القروى ، حيث نجد أن كل فرد سواء مدمن أو غير مدمن يؤدى دورا محددا مرسوما له وبخاصة مدمنو المواد التقليدية ، كما أن تعظيم المنفعة وتدنيه الخسارة لا يظهر جليا حيث أن العائلات جميعها مرتبطة بعلاقات نسب ومصاهرة وهنا تحديدات وقواعد واضحة بشأن عمليات التبادل داخل النسق القرابى وخارجه بما يضمن سيادة علاقات التساند والتكامل الاجتماعى بين أعضاء المجتمع جميعا فى النهاية عكس الحال فى المجتمع الحضرى حيث تختلف عمليات التبادل على اختلاف المواد المخدرة واختلاف العلاقة بين طرفى التبادل ومدى العلاقات بينهما وفى الغالب ما تأخذ عمليات التبادل بين المدمنين التبادل تعظيم المنفعة وتدنية الخسارة فى المحل الاول قبل الاعتبارات الاجتماعية .

الباب الرابع

التكوين النفسى للمدمن فى الثقافات المختلفة

تمهيد

أولا : التعريفات السيكولوجية للثقافة

ثانيا : تعريفات الشخصية من وجهة نظر علماء الانثروبولوجيا وعلماء الاجتماع وعلماء النفس

الفصل الحادى عشر : التكوين الجسمى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

الفصل الثانى عشر : التكوين الانفعالى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

الفصل الثالث عشر : التكوين العقلى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

الفصل الرابع عشر : التكوين الاجتماعى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

التكوين النفسى للمدمن فى الثقافات المختلفة

تمهيد:

مما لا شك فيه أن موضوع التكوين للمدمن فى الثقافات المختلفة أو التعرف على ابعاد شخصية المدمن فى الثقافات المختلفة وتأثير الشخصية في الثقافة من الناحية الاخرى من الموضوعات الهامة والجديرة بالدراسة فى أحد الفروع المتميزة لعلم الانسان العام وهو فرع الانثروبولوجيا النفسية .

ومن الجدير بالذكر أن التكوين النفسى بما يتضمنه من عناصر مثل التكوين الجسمى للمدمن فى الثقافات المختلفة وكذلك ابعاد وعناصر كل من التكوين العقلى والإنفعالى والاجتماعى للمدمن فى الثقافات المختلفة (البدوية والريفية والحضرية) والعوامل المختلفة المؤثرة فى تلك العناصر والأبعاد كمكونات للشخصية أثر كبير للغاية فى فهم عملية التأثير والتأثر بين كل من الثقافة والشخصية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

وبناء على هذا نجد أن هذا المبحث هام للغاية فى فهم الابعاد المختلفة لمقومات الشخصية البدوية والحضرية والريفية ورؤية الشخصية للمحيط الثقافى الذى تحيا من خلاله وبالعكس وكذلك التركيز على بحث عملية التوافق والتكييف بين الخواص النفسية لأعضاء جماعة ما وثقافة تلك الجماعة خصوصاً وقد أدركنا فى مواضع كثيرة فى متن هذا البحث أثر الثقافة فى تباين وإختلاف طبيعة ظاهرة الادمان وخطورتها فى الانماط المجتمعية المتباينة وكذلك مدى تأثيرها فى تنوع وتعدد أو عدم تنوع المواد المخدرة من حيث الخطورة من دونه فى كل ثقافة على حدة

كما سنلمس من خلال الرؤية الواقعية المبدئية أثر الثقافة من خلال عمليتى التنشئة الاجتماعية والثقافية فى تكوين شخصية الانسان فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة وبالتالى سيكون لذلك اثره البالغ الاهمية فى الوقوف على العلاقة بين شخصية المدمن فى الثقافات المختلفة خصوصاً وأن عملية الاعتماد (الادمان) اصبحت تنتشر بين مختلف الفئات العمرية من الجنسين فى ثقافات معينة دون اخرى مما جعل حجم وعمق وخطورة المشكلة تختلف تبعاً لذلك

وترجع اهمية بحث العلاقة بين الثقافة والشخصية فى محاولة للتعرف على النقاط التالية

١) التعرف على أثر التكوين الجسمى من حيث عوامل مثل العجز الحركى والادراكى والإعاقة والأمراض العقلية وعلاقتها بالادمان فى تلك الثقافات المختلفة .

٢) محاولة التعرف على رؤية الشخص المدمن فى تلك الثقافات المختلفة للحياة ومدى الرغبة فيها والإقبال عليها

٣) التعرف على مقومات الشخصية المدمنة فى تلك الثقافات المختلفة من حيث الاقبال على المرح والإنبساط وعدم العزلة والنظرة الى اليأس أو الإندماج من دونه .

٤) التعرف على العلاقة بين الضعف الجنسى أو عدم النضج الجنسى وإرتباطه بعملية الإدمان فى الثقافات المختلفة

٥) التعرف على أثر عوامل مثل التقليد والمحاكاه ومجاراة عوامل الإتصال

الخارجى والداخلى فى الثقافات المختلفة وأثر ذلك على شخصية المدمن

٦) التعرف على أثر وإختلاف تأثير طبيعة الحياة من حيث الروتينية والسرعة وعوامل الادمان فى الثقافات المختلفة .

٧) التعرف على العلاقة بين ضعف الشخصية والإدمان فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

٨) التعرف على أثر عوامل مثل القلق والخوف والشك والحذر فى تباين أنماط الشخصية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وعلاقة ذلك بالادمان على مواد دون اخرى .. الخ .

٩) التعرف على العلاقة بين بعض الامراض النفسية (حالات الإكتئاب والقلق اليأس والإحباط والإنطواء) للشخصية فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة وعلاقتها بالإدمان .

١٠) التعرف على العلاقة بين عوامل مثل الإخفاق فى تحقيق الذات وإثبات الوجود ووجود هدف معين فى الحياة من دونه وأثرها على الشخصية فى تلك الثقافات المختلفة .

١١) التعرف على العلاقة بين عوامل مثل وجود او عدم وجود الفراغ العاطفى والاجتماعى وأثر ذلك على وصول الشخص للإدمان على الأنواع المختلفة للمواد المخدرة فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

١٢) التعرف على عوامل مثل الاحساس بالإنجاز أو عدم الإنجاز وكذلك الإحساس بالفشل من دونه وعامل التدين من دونه وتفاوت تلك العوامل فى شخصية الإنسان فى تلك الثقافات المختلفة

١٣) التعرف على العلاقة بين الانفعال الجنسى للشخصية فى تلك الثقافات المختلفة وعلاقته بالادمان

١٤) التعرف على عوامل مثل الشعور بالوحدة الاجتماعية وضعف المرونة الاجتماعية وأثرها على الشخصية فى الثقافات المختلفة وعلاقة ذلك بالإدمان .

ونجد من الأهمية بمكان أن نعرض لبعض التعريفات السيكولوچية للثقافة وكيف أن هذه التعريفات فى جوهرها تركز على أهمية الثقافة كعملية تكيف وتعلم وتوافق للشخصية فى ضوء المحيط الثقافى حسب الأنماط المجتمعية المختلفة ، هذا فضلاً عن كونها اداة لحل المشكلات او الحد من خطورتها كما هو الحال بصدد ظاهرة الإدمان على كافة انواع المواد المخدرة ونسبية خطورتها فى الثقافات المختلفة كما أبرزته الدراسة المتباينة فى مواضع كثيرة فى متن هذا البحث .

وتنقسم التعريفات السيكولوچية للثقافة فى محورين وهما :

أولاً: الثقافة كعملية تكيف وتوافق وأداة لحل المشكلات:

ونجمل أهم التعريفات فى هذا المحور فى التعريفات التالية (١) :

١) يعرف سمنر وكلير *Sumner & Keller* الثقافة بأنها مجموع الأساليب التى تكيف الناس لظروف حياتهم وهذا التكيف لا يمكن الوصول اليه إلا من خلال أفعال تجمع ما بين التنوع والإنتقاء والإنتقال .

(١) أنظر : سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ص ٤٣ – ٤٧ .

٢) ويعرف يونج *Young* الثقافة بأنها الأساليب الشعبية المستمرة لمعالجة المشكلات والنظم الاجتماعية ، كما أنها تتكون من ذلك الكل من السلوك المتعلم أو نماذج سلوك أى جماعة التى تتسلمها من جماعة سابقة أو جيل سابق لها ثم تسلمها بدورها بعد أن تضيف اليها الى جماعات لاحقة أو جيل لاحق .

٣) ينظر فورد *Ford* للثقافة فى شكل قواعد تحكم السلوك الإنسانى تعطى حلولاً للمشكلات الإجتماعية .

٤) يرى بدنجتون *Pidington* الثقافة بأنها ذلك المجموع الكلى للأجهزة المادية والفكرية التى يشبع الأفراد عن طريقها حاجاتهم البيولوچية والاجتماعية ويتكيفون لبيئتهم .

ثانياً: الثقافة وعنصر التعلم الانسانى:

ونجمل أهم أنصار هذا الاتجاه فى التعريفات التالية

١) ينظر ويسلر *Wisaler* للظواهر الثقافية على أنها تحتوى على كل أنشطة الانسان التى يكتسبها عن طريق التعلم ، كما انها مركبات من السلوك المكتسب من قبل الجماعات الانسانية .

٢) ويرى لابيير *La Piere* الثقافة بأنها هى تجسيد من العادات والتقاليد والنظم الخ ، ومما إكتسبته أى جماعة إنسانية على مدى الأجيال ، أنها مجموعة ما إكتسبته الجماعة عن المعيشة معاً تحت ظروف فيزيقية وبيولوچية معينة وجدت نفسها فيها .

٣) كما ترى روث بندكت *Bendict* الثقافة هى الإصطلاح السوسيولوچى

للسلوك المكتسب ، وذلك السلوك الذى لا يكتسبه الانسان بالميلاد والذى لا تحدده خلاياه الوراثية مثلما الحال عند الدبابير او النمل ، لكنه سلوك لا بد أن يتعلمه من جديد ، الجيل الصغير من الاجيال الأكبر منه .

٤) وينظر داڤيز *A. Davis* بأن الثقافة تشمل كل مظاهر السلوك التى يتعلمها (يكتسبها الفرد فى تكيفه مع المجموعة) .

٥) وينظر هويل *Hoebel* الثقافة بأنها المجموع الكلى لنماذج السلوك المكتسب وهى شئ يتميز به أعضاء المجتمع دون غيرهم ولذلك فهى ليست نتيجة الوراثة البيولوچية .

٦) كما يرى روهيم عالم النفس التحليلى أن الثقافة تعنى مجموع عمليات الإعلاء والإبدال أو تكوين الردائد وإنها بإختصار كل ما يؤدى فى المجتمعات الى كف الدوافع أو الحيلولة دون إشباعها إلا بعد تحريفها .

وإذ كنا نجد انه من الأهمية بمكان عرض مثل هذه التعريفات التى ترى الثقافة من زاوية سيكولوچية مرتبطة بشخصية الفرد وعلاقته بالثقافة من حيث كونه حامل لهذه الثقافة وملقنها وناقلها ومتوارثها بما تتضمنه من عرف وعادات وتقاليد وقواعد سلوكية تؤثر تأثيراً واضحاً فى شخصية الإنسان فى الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

تعريف الشخصية :

الشخصية من أكثر الظواهر النفسية تعقيداً ولذلك تعددت وتناقضت النظريات التى تحاول تفسيرها ، وبالتالى تعددت وتناقضت التعاريف حولها ، ومما لا شك فيه أنه من المستحيل أن نعرف الشخصية دون

الوصول الى إتفاق حول الإطار المرجعي النظرى الذى سننظر الى الشخصية من خلاله وهكذا فإن تنوع وتعدد تعاريف الشخصيه يرجع الى تنوع وتعدد نظرياتها

ولا يقتصر الخلاف حول تعريف الشخصية على إطار المعرفة العلمية التخصصية وإنما بنجاوره الى المعانى الدارجة للشخصية

ويمكن وضع معظم المعانى الدارجة للشخصية فى فئتين . نرى الفئة الاولى أن الشخصية تعنى المهارة الاجتماعية والخدمة فشخصية الفرد تقدر بما له من فعاليه يمكنه من إستثارة إستجابات إيجابية من جانب عديد من الناس فى ظروف مختلفة

أما الفئة الثانية فتعتبر أن شخصية الفرد فى أقوى الإنطباعات التى يخلفها فى الآخرين وأبرزها ، وبذلك يمكن القول أن الشخص له « شخصية عدوانية » أو «شخصية مستكينة» أو «شخصية طيبة» وهنا يختار الملاحظ صفة أو خاصية مميزة أشد التمييز للمفحوص ويفترض أنها جزء هام من الإنطباع يخلفه فى الآخرين ، وتتحدد شخصيته بهذه الصفة أو الخاصية

وواضح أن الفئتين تتضمنان عنصراً تقويمياً ، فالشخصيات توصف عادة إما أنها سيئة أو طيبة

وفيما يتعلق بالتعاريف العلمية للشخصية ، فهى أكثر تنوعاً وتعدداً فقد إستخلص العلامة "البورت" فى مسح شامل للدراسات المتعلقة بالشخصية قرابة خمسين تعريفاً مختلفاً صنفها الى عدد من الفئات الواسعة وإستخدام فى ذلك عدة أسس للتقسيم وهذه الاسس هى الأيتمولوجيا أو أصل المصطلح والمعانى الفلسفية والمعانى الفقهية والمعانى الاجتماعية

والمظهر الخارجى والمعانى النفسية [١] .

ويرجع إختلاف وتعدد تعاريف الشخصية الى عدة عوامل ، منها كما ذكر سابقاً ، تنوع وتعدد نظريات الشخصية وذلك لحداثة علم الشخصية ، ومن تلك العوامل تعقد مفهوم الشخصية ، فالشخصية تشمل جميع الصفات الجسمانية والعقلية والخلقية فى حالة تفاعلها مع بعضها من ناحية ، وتفاعلها مع البيئة الطبيعية والاجتماعية من ناحية ثانية وتفاعلها مع المواقف اللانهائية العدد التى يختبرها الفرد منذ الولادة حتى الممات من ناحية ثالثة ، ويختلف العلماء فى تأكيد أحد تلك العوامل على حساب العوامل الاخرى ومن الاسباب الاخرى لتعدد تلك وتنوع تعاريف الشخصية أهمية موضوع الشخصية لكثير من التخصصات العلمية ، إذ يتفق علماء النفس وعلماء الوراثة وعلماء الحياة وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أهمية موضوع الشخصية فى دراساتهم فالافراد هم المكونات الاساسية فى ظل الأنساق الاجتماعية والثقافية [٢] .

كما ترجع معظم الإختلافات في التعاريف السابقة الى تحيز كل فريق من العلماء الى نظريات فى مجالات تخصصاتهم سواء العريضة أو الدقيقة ، فبعض علماء النفس يهتمون بالجوانب الفردية فى الشخصية ، أى بما يميز شخصية فرد ما عن باقى الشخصيات ، وهى الجوانب العامة فى كل شخصيات البشر ويمكن التعميم بشكل من التحفظ فنقول أن علماء النفس فى تعاريفهم للشخصية يهتمون بإبراز أهمية الإستعدادات الفردية

---

(١) عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية ، الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ص ١٠١ – ١٠٢ .

(٢) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

والجوانب البيولوجيه والوراثية فى الشخصية ويتخصص بعضهم من علماء التحليل النفسى والأطباء النفسيين فى دراسة الشخصيات غير السوية

ويهتم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا بدراسة الشخصيات السوية فى المجتمع وهم وإن كان يعترفون بأن كل إنسان لديه تكوينه الموروث أو جهازه البيولوجى إلا أن إهتماماتهم يتركز حول التشابه بين شخصيات أعضاء الجماعة الواحدة سواء كانت جماعة كبيرة أم صغيرة . ولذلك يهتمون بالاسلوب العام بتصرف الشخص نحو الآخرين ونحو العالم أن الشخصية عندهم هى ذلك التنظيم الذى يجمع إتجاهات الفرد وأفكاره وعاداته ورغباته وكذلك قيمه وتصوره لنفسه وخطته العامة فى الحياة

كما يتفق علماء الاجتماع والانثروبولوجيا كذلك على أن الشخصية تتكون وتنمو من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين وبدون ذلك التفاعل وقبله لا يكون للفرد شخصيته[١]

ومن هنا كان تركيزهم فى دراسة الشخصيه على الإتجاهات العامة أى التشابه فى تصرفات شخصيات الجماعة الواحدة فالإتجاه هو الوحدة الرئيسية فى التنظيم أى فى الشخصية . ويقصد بالإتجاه عندهم ميل مكتسب يجعل الفرد يتصرف بصورة معينة نحو شخص معين أو شىء أو معرفة

ولا يقتصر مفهوم الاتجاه على الافعال وإنما يشمل ايضاً الميول فى الشعور والتفكير نحو شىء معين . أن إهتمام علماء الاجتماع

---

(١) عاطف وصفى مرجع سابق ص ١٠٤ - ١٠٥

والأنثروبولوجيا بتشابه شخصيات أعضاء الجماعة جعلهم يؤكدون أهمية التنظيم فى الشخصية ، فالشخصية هى تنظيم يجمع إتجاهات الفرد ، ويتكون هذا التنظيم من خلال تفاعل الفرد مع غيره فى الحياة الاجتماعية ، فنحن نعتمد على الآخرين كحوافز للسلوك وكمعلمين للسلوك (١) .

وهذا بالقطع ما تؤكده الدراسات الميدانية التى قمت بها فى مختلف الانماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة ولذا نجد إختلافاً واضحاً بين مقومات ومحددات الشخصية البدوية عن الشخصية القروية عن الشخصية الحضرية وما يرتبط بذلك من إختلاف فى عمليات التفاعل والتواصل الاجتماعى وإختلاف طبيعة الأدوار والمراكز فضلاً عن تشابه بعض السمات الفيزيقية والنفسية داخل الثقافة الواحدة مع تباينها مع السمات الفيزيقية والنفسية للثقافات الاخرى ويتأصل ذلك مبدئياً فى إختلاف النظرة للفرد لمجتمعه وثقافته وبالعكس فى تلك الثقافات المختلفة لبعضها البعض وإختلاف النظرة لقيم الذكورة والتربوية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وإختلاف النظرة الى الحياة ومدى إقبال الفرد عليها ونظرة الشخص لذاته من مختلف الطبقات العمرية .. الخ . من المحددات السلوكية والإجتماعية التى تطبع الشخصية بسمات ومقومات معينة تقابل داخل الثقافة الواحدة وتتباين بين الثقافات المختلفة .

ويفيدنا علم الإنسان فى دراسة الشخصية من خلال رؤيته الشمولية ومنهجيته المتميزة فى إستخدام للمناهج والطرق المتعددة والمتميزة التى قد تجمع بين المعلومات الكيفية والكمية وهنا ينظر لموضوع الشخصية فى

---

(١) عاطف وصفى مرجع سابق . ص ١٠٥

الابعاد المجتمعية المختلفة المتباينة إجتماعياً وثقافياً ونفسياً وسياسياً واقتصادياً وأيكولوجياً .. الخ .

★ **الشخصية فى التراث الانثروبولوجى:**

مما لا شك فيه أن موضوع الثقافة والشخصية يمثل موضوعاً من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة فى مجال البحوث الانثروبولوجية ، وقد بدأ هذا الأهتمام فى منتصف العشرينات من هذا القرن وبخاصة فى أعمال كل من سيلجمان *Seligman* ومالينوفسكى *Malinowski* وفرانز بواس *Boos* ومرجريت ميد *Mead* وإدوارد سابير *Sapir* وروث بندكت *Ruth Bendict* وغيرهم .

فضلاً عن ذلك فإنه نهضة علمية وتطبيقية فى دراسة هذا الموضوع بدأت مع مطلع الستينات من هذا القرن لدى عدد كبير من الباحثين الانثروبولوجيين خصوصاً وأن دراستهم جاء تركيزها على محاولة فهم القضايا الاساسية المرتبطة بمفهوم الطابع القومى أو الشخصية القومية *National Character* ولقد إهتم الباحثون بدراسة الانماط الثقافية المختلفة وأثرها على مكونات الشخصية القومية مثل الشخصية القومية الروسية أو الاوروبية وغيرها من الشخصيات القومية التى أمكن صياغتها وتحديدها فيما بعد بما يعرف بإصطلاح الشخصية النموذجية أو النمطية *Model Pereonality* (١) .

وهناك عدة تعريفات لعلماء الانثروبولوجيا للشخصية نذكر بعض منها

---

(١) محمد عباس ابراهيم ، الثقافات الفرعية ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الخامس ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ص ٣١٥ – ٣١٦ .

على النحو التالى :

يرى رالف لنتون أن الشخصية هى الجمع المنظم للعمليات والحالات النفسية الخاصة بالفرد (١) .

كما يرى كلاكهوهن وموراى أن "الشخصية هى إستمرار الأشكال والقوى الوظيفية التى تظهر من خلال تتابع العمليات وصور السلوك الظاهرى المنظمة والسائدة منذ الولادة حتى الموت" (٢) .

ويرى بارنو أن "الشخصية هى تنظيم ثابت لدرجة ما للقوى الداخلية للفرد وترتبط تلك القوى بكل مركب من الإتجاهات والقيم والنماذج الثابتة بعض الشىء والخاصة بالإدراك الحسى والتى تفسر لدرجة ما ثبات السلوك للفرد" (٣) .

الشخصية من وجهة نظر علماء الاجتماع :

وجدير بالذكر أن علماء الاجتماع يهتمون بالشخصية بإعتبارها أحد الاسس الجوهرية التى تقيم الحقيقة الاجتماعية ، حيث أن المجتمع يقوم كنسق من العلاقات المتبادلة بين الافراد ، ولهذا لا يمكن أن نعزل الفرد عن مجتمعه ، وثقافته ، لأنه لا يصبح إنساناً إلا من خلال تفاعله وتواصله مع الآخرين فى الجماعة ، وهذا التفاعل والتواصل والتقارب والتباعد .. الخ

---

(1) Linton, R., The Cultural Background of personality, Appleton century crofts, INC., N.Y., 1954, p 84.
(2) Kluckhohn, C. and Murray. H., Outline of A Conception of Personality In. Personality In Nature, Society and Culture, Alfred, A Knoph N.Y., 1959 p 49.
(3) Barnouw, V., Culture and Personality, the Dorsey Press, Inc., Homewood, I llinois, 1963, p 8.

لتحريمات الثقافة وقيودها .

ويرى بيسانز *Biesanz* أن لكل شخص شخصيته كما للآخرين ، طالما أنه مر خلال عملية التنشئة الاجتماعية وبصرف النظر عن إتجاهاتها أو الأسس التى قامت عليها ، لهذا فهو يعرف الشخصية بأنها (تنظيم يقوم على أساس من عادات الشخص وسماته ، وهى تنبثق من خلال العوامل البيولوجية والإجتماعية والثقافية" (١) .

ويقصد بيسانز بالتنظيم تكامل العادات والإتجاهات والسمات ويقصد بالعادات الطرق الدائمة نسبياً التى يسير عليها الفرد فى سلوكه ، والإتجاهات هى الميول التى تظهر فى الأفعال الموجهة نحو قيم معينة ، كالأشخاص أو الأشياء أو النظم الاجتماعية أما السمات فهى الصورة العامة للإستجابة (٢) .

وتعنى الشخصية عند وليم أوجبرن ونيمكوف التكامل النفسى والاجتماعى للسلوك عند الانسان وتعبر عادات الفعل والشعور والإتجاهات والأراء عن هذا التكامل ، وقد يتعارض السلوك الإجتماعى مع السلوك الفسيولوجى على الرغم من الصلة المتبادلة بينهما ، وبناء عليه فإن الجانب الاجتماعى الهام للشخصية يكمن فى أنها تنمو فى المواقف الاجتماعية وتعبر عن نفسها من خلال التفاعل مع الآخرين ، ولهذا يهتم عالم الاجتماع بمعرفة بتكوين الشخصية وبقائها وتغيرها ومختلف العوامل المؤثرة فيها ، وإن كان يركز كل إهتمامه على المؤثرات الاجتماعية (٣) .

---

(1) Biesanz J., & Biesanz, M., Modern Society, An Introduction to Social Sciences prentice - Hall, Englewood cliffs, N.J., 1963, p 178.

(٢) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، ص ص ١١٧ - ١١٨ .

(3) Ogburn,W., and Nimkoff, A Handbook of Sociology, London.1960 p 191.

ويرى جرين أن الشخصية ليست مجرد القيم والسمات بل أن تعريفها يجب أن يتضمن صفة هامة بها ، وهى التنظيم الدينامى الذى بدونه تصبح الشخصية عاملاً معوقاً فى النمو والإنتماء الى جماعات متعددة فى المجتمع ، ويؤكد بذلك أن الإنسان يصبح شخصاً نتيجة للمؤثرات الاجتماعية التى تؤثر فى كيانه التشريحى والفسيولوچى والعصبى ، ولابد له كى يصير شخصاً أن يكتسب اللغة ، وعلى ذلك فالشخصية لا تقتصر على ما يميز الشخص ، بل تشتمل أيضاً علي ما هو مشترك بين الشخص والآخرين .

ويرى سوركن أن الأفراد هم المكونات الاساسية فى كل الانساق الاجتماعية والثقافية ، لذلك فإن شخصياتهم تؤثر من غير شك فى إطار الأنماط الثقافية والاجتماعية ، كما أن سوركن لا ينكر أهمية الوراثة البيولوچية فى الشخصية ، ولكنه يذهب الى أن الجانب الاجتماعى الثقافى من الشخصية لا يتحدد عن طريق هذه الوراثة لأنه يصب فى قوالب معين من خلال الوسط الاجتماعى الثقافى ، فيتشرب الفرد عالمه الثقافى الاجتماعى ويتمثله وينمو على تربته ، وبناء عليه فالثقافة مرآة أعضائها ، وما يقدمون من تنظيمات إجتماعية ، بينما يعكس البناء الاجتماعى مكوناته من الافراد وأنماطهم الثقافية .

كما يرى سوركن أن الدراسات المتعددة التى أجريت فى ميادين علم النفس الطفل ، والتحليل النفسى وعلم الجريمة تؤكد أن الجانب الأكبر من الشخصية الإنسانية يرتكز على دعائم المجتمع والثقافة ، فالنمو العقلى ، والذاكرة والتعميم يستحيل دون التفاعل الإنسانى ، ولا يمكن أن تتراكم الخبرات والمعارف أو تتميز معايير الصواب والخطأ دون تفاعل الأجيال ، أو من غير توافر الخبرة الجمعية ، ولم يكن للغة أن تنبثق من غير التفاعل

الاجتماعى (١) .

وإجمالياً يمكن القول بأن علماء الاجتماع عند إهتمامهم بدراسة الشخصية يركزون على العوامل الثقافية والاجتماعية التى تكون الشخصية دون الاهتمام بالعوامل الوراثية البيولوجية ، حيث أن الفرد يكتسب شخصيته بإنتمائه الى جماعة فيتعلم من خلال عماية التنشئة الاجتماعية انساق السلوك والمهارات المختلفة والعادات ومعايير الجماعة .

ثانيا:الشخصية من وجهة نظر علماء النفس:

مما هو جدير بالذكر أن تعريفات علماء النفس للشخصية تتعدد وتتمايز فمنها ما يصف الإستعدادات الداخلية والعوامل الخارجية التى تتفاعل مع بعضها فتكون الشخصية ومنها ما يؤكد الصحة النفسية فينظر الى الشخصية من زاوية نمط التوافق الفردى المتميز فيرى أن ما يحدد الشخصية هو تلك الأفعال التى تقوم بها لتساعدنا على المحافظة على توازننا وتكيفنا مع الظروف التى تحيط بنا ، منها ما يرى أن تعريف الشخصية بالأثر الذى يتركه الفرد فى الآخرين لا يكفى لأنه لا يوضح لنا شيئاً عن الصفات الداخلية الحقيقية فى الشخص إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عدداً من الشخصيات وهى : الشخص كما يراه غيره والشخص كما يرى نفسه والشخص على حقيقته (٢) .

---

(1) Sorokin, P., Society, Culture, and Personality Their Structure and Dynamics , N.Y. Harper & Brothers, 1967, pp 343 - 344.

(٢) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ط١، ١٩٨٣ ، ص ١١٩ .

ويتناول السلوكيون الشخصية من زاوية الصفات والمظاهر الخارجية للشخص وبناء عليه فإن الشخصية هى مجموع العادات السلوكية للفرد وهى مجموع أوجه النشاط التى يمكن الكشف عنها بالملاحظة الفعلية لمدة تكفى لأخذ فكرة يعتمد عليها عن الشخص ولا شك أن هذه التعاريف غير شاملة لأنها تهتم فقط بالشخص كما يرده غيره ويهمل الناحيتين الأخرتين .

بينما تنظر مدرسة التحليل النفسى للشخصية من زاوية مختلفة تماماً حيث ترى أن الشخصية كقوة مركزية داخلية توجه الفرد تماماً فى حركاته وسكناته ، ويتضح أن هذا التعريف أيضاً غير شامل لأنه يهتم بمظهر واحد من الشخصية ، وهو الشخص كما يرى نفسه (١) .

وهناك تعريفات أخرى متعددة كمجموعة من الصفات نذكر منها ما يلى :

يرى مورتون برنس الشخصية بأنها هى حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوچية الفطرية الموروثة وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة (٢) .

وهذا التعريف غير دقيق لأنه يحمل فى طياته خطورة التفكير فى هذه الصفات كوحدات منعزلة بعضها عن بعض ، حيث أن الشخصية فى الواقع وحدة لا تتجزأ وهى أكثر من مجرد مجموع أو حاصل جمع صفات فهى كالمركب الكيماوى يحتوى على صفات خاصة به ، تختلف كل الاختلاف عن صفات العناصر المكونة لها .

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، ص ١١٩ .

(٢) محمد خليفة بركات ، تحليل الشخصية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٨ ص ص ٥ - ٦

. لقد ظهرت تعريفات تنظر الى الشخصية بأنها التنظيم المتكامل لجميع الخصائص المعرفية ، العاطفية والترويحية والجسمية للفرد والتى تميزه عن الآخرين كما يتضح فى التعريفات التالية :

يرى ونيس أن "الشخصية هى المجموع الاجمالى لكل الأمزجة والدوافع والميول والشهوات والغرائز الفطرية والبيولوچية وكذلك الميول والإتجاهات المكتسبة عن طريق التجربة" .

ويرى واطسون أن "الشخصية هى مجموع الانشطة التى يمكن إكتشافها عن طريق الملاحظة الواقعية لفترة طويلة تسمح بتوفير مادة يمكن الاعتماد عليها" .

ويرى يوسف مراد أن الشخصية هى الصورة المنظمة المتكاملة لسلوك فرد ما يشعر بتميزه عن الغير وليست هى مجرد مجموعة من الصفات وإنما تشمل فى الآن نفسه ما يجمعها وهو الذات الشاعرة وكل صفة مهما كانت ثانوية تعبر الى حد ما عن الشخصية بأكملها (١) .

ويرى أدرنو *Aderno* فى كتابة الشخصية المسيطرة بأن الشخصية هى تنظيم ثابت ، بدرجات متفاوتة للقوى الموجودة فى الفرد وتساعد تلك القوى الثابتة علي تحديد إستجابة الفرد فى المواقف المختلفة (٢) .

ويعد تعريف ألبورت من أهم التعريفات التى ظهرت حتى الآن حيث يرى

---

(١) عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية ، الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية [illegible] ١٠٣ – ٢ ١٠٩ .

(2) Ademo, T. Frankel, and others, The Authoritarian personality, Haper, N.Y. 1950, p 5

أن "الشخصية هى التنظيم الديناميكى فى داخل الفرد لتلك التكوينات أو الأجهزة النفسية الجسمية التى تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة" .

ويتجنب هذا التعريف كثير من الصعوبات فى التعريفات السابقة لعدة مميزات نجمل أهمها فى النقاط التالية :

١) يوضح فكرة «الديناميكية» فى الشخصية ، أى التفاعل المستمر بين عناصرها كما أنه يقصد بقوله أن الشخصية هى التظيم الديناميكى أى أنها ثابتة الى حد ما ، ولكنها في الوقت نفسه متغيرة وقابلة للتغير نتيجة للتفاعل الدائم بين مختلف العوامل الشخصية والاجتماعية والمادية ، وهو فى الوقت ذاته ، لا يستبعد ما قد يطرأ على الشخصية الإنسانية عند فقدان التنظيم من إنحلال أو تفكك يظهران فى الحالات العقلية والنفسية التى تطلق عليها حالات الإنحراف والشذوذ ، ويأخذ فى إعتباره التغيرات الديناميكية التى تتم داخل الفرد (الدوافع) .

٢) يؤكد على فكرة التكامل وكون الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات وإنما وحدة النتائج منها ، فهى أكثر من مجرد حاصل الجمع .

٣) يشير الي التكوينات الجزئية الجسمية النفسية الظاهرة والكامنة ويقصد بهذا أن الشخصية تكوين عام تندرج تحته تكوينات جزئية هى جميع ما يتميز به الفرد من عادات وإتجاهات وإنفعالات وعواطف وإستعدادات وقيم ، وهو يشير أيضاً إلى أن هذه التكوينات المختلفة ليست جسمية بحتة ولا نفسية بحتة ولكنها مزيج من الاثنين ، كما يشير الى التداخل العضوى والنفسى (فى العادات والإنفعال) .

٤) لم يهمل أهمية البيئة وأثر عناصر الشخصية فى تكيف الفرد وتفاعله

معها ، ولذا لا يمكن دراسة الفرد منعزلاً عن المجموع الذي يحيط به .

ويفهم من ذلك التعريف الذى ساقه ألبورت للشخصية «أنها إستعداد يحدد إستجابة الفرد لمختلف المثيرات التى تحيط به ، بمعني أن الشخصية موضوع كالموضوعات العلمية يحدد بدقة .

٥) يظهر فكرة التميز التى تجعل كل فرد مختلفاً عن غيره بحيث لا يوجد إثنان متشابهان تشابهاً تاماً ، وفى ذلك إشارة الى الفروق الفردية .

وتخلص مما سبق الى فكرتين أساسيتين وهما :

أولاً : أن الشخصية وحدة أو كل أو جشتالت *Gastalt* ، ويجب دراستها كتنظيم كلى عام متكامل .

ثانياً : يجب دائماً إبراز فكرة الاندماج للعناصر المكونة للشخصية وإندماجها وتفاعلها المستمر بعضها مع بعض عند تحليلها علمياً الى عواملها الاولية لتوضيح الحقائق وإبرازها (١)

والواقع أنه مهما إختلفت قوائم العلماء فى ظاهرها وتفاصيلها فإن أغلبها يتفق على أن العناصر الاولية الرئيسية للشخصية هى (٢) :

١ – النواحي الجسمية (Physical)

٢ – النواحى العقلية المعرفية (Cognitive)

٣ – النواحى المزاجية (Temperamental)

٤ – النواحى الخلقية (Character)

---

(١) محمد خليفة بركات ، مرجع سابق ، ص ص ٩ – ١٤ .

(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

ومن الضرورى بالطبع أن ننظر الى هذه العناصر الاربعة فى ضوء البيئة الاجتماعية والمحيط الثقافى العام الذى تتكون فيه الشخصية وتنمو

١ - **النواحى الجسمية** ويقصد بها حالة الجهاز العصبى وتأثير الغدد الصماء وحالة الجهاز الهضمى والحواس المختلفة من ناحية حدتها أو ضعفها وكذلك شكل الجسم العام وقوة العضلات وتناسب التقاسيم ورنة الصوت وسرعة الحركات أو بطئها إلخ

٢ - **النواحى العقلية المعرفية** · وهى إما فطرية كالذكاء والقدرات التحصيلية والمواهب الخاصة . وإما ا مكتسبه كالآراء والافكار والمعتقدات والمعلومات المختلفة

٣ - **النواحى المزاجية** ويقصد بها مجموع الصفات الانفعالية المميزة للفرد ، وتتضمن تلك الاستعدادات الثابتة نسبياً المبنية على ما عند الشخص من الطاقة الإنفعالية والدوافع الغريزية التى يزود بها والتى تعتبر وراثية فى أساسها وهى تعتمد على التكوين الكيميائى والغدى والدموى ، وتتصل إتصالاً وثيقاً بالنواحى الفسيولوجية والعصبية وتظهر فى الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر والإنفعالات من حيث قوتها أو ضعفها ، ثباتها أو تقلبها ومدى المثيرات التى تثيرها

٤ - **النواحى الخلقية** : تشمل الصفات الخلقية المختلفة كالأمانة والخيانة والتعاون والأنانية والصدق والكذب والإقدام والتهيب والرحمة والغلظة والظلم والتسامح والتعصب والمسالة والعدوان والكرم والبخل الى غير ذلك مما يدخل نطاق الاتجاهات النفسية المختلفة

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٢٩

كما نجد من الأهمية بمكان عند دراسة الشخصية كوحدة واحدة أن نتعرف على تأثير كل من نواحى التكوين النفسى للإنسان فى بعضها البعض ، حيث أن الناحية الجسمية فى الشخصية لا تؤثر على الناحية العقلية للشخص فقط وإنما يمتد تأثيرها الى جميع عناصر الشخصية ، فمن الثابت علمياً أن لإفرازات الغدد الصماء تأثيراً كبيراً ليس فقط على النمو الجسمى والحركى بل أيضاً على الذكاء واليقظة الفكرية وعلى الإتزان والإنفعال والنضج الجنسى وكل هذا يؤثر فى الشخصية من حيث إتزانها أو إختلالها النفسى والاجتماعى .

كما أن للعاهات والأمراض خصوصاً المزمنة منها ذات أثر بعيد فى النواحى العقلية والمزاجية والخلقية ، فبعض العاهات لها أثر تعويضى يتضح من المثل القائل : «كل ذى عاهة جبار» وهذا الأثر كثيراً ما يظهر فى شحذ قدرات الشخص الجسمية والعقلية كما يظهر بشكل بارز فى صفاته وإتجاهاته الخلقية وتعامله مع الناس ، وهناك عاهات يحدث عنها شذوذ بالغ فى الشخصية كالعاهات الناتجة من حوادث الإصابة فى المخ مثلاً (١) .

أما الأمراض المزمنة فلا يقل أثرها عن العاهات اذ أنها تؤثر على الجسم كله وتحد من قدره الشخص على إستغلال طاقته العقلية كما تؤثر فى الناحية المزاجية والإجتماعية من شخصيته فتجعله خاملاً فى تفكيره مثلاً أو سريع التهيج والغضب فى تصرفاته ، أو تجعله ساخطاً متبرماً ينظر الى الدنيا بمنظار أسود (٢) .

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٠ .

(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

ولا يمكن إنكار البنية القوية والصحة الجيدة الموفورة تعينان الشخص على الوقوف من الحياة على العموم موقف المتحدى مما لا يقدر عليه العليل أو السقيم ، فالصحة الجسمية بلا شك أساس الصحة النفسية، كما أن الضعف العارض قد يورط فى زلة خلقية عابرة فعندما تهجر العافية تفتر الشجاعة ويزداد الكسل ويفل الطبع الحاد أو يغور و وقد ننسب هذه التغيرات الى طعام تناولناه أو أرق بلينا به أو سموم فى الدم ، يضاف الى هذا أن بالجسم غدداً صماء تفرز مواد ذات فاعلية شديدة تسمى «الهرمونات» وهى مواد إن لم تفرز بقدر معلوم إختل ميزان الجسم كله وبدت تغيرات ملحوظة فى هيئة الشخص وبنيته ومزاجه وذكائه وغير ذلك من مظاهر شخصيته مما قد يؤثر فى عاداته الاجتماعية وإتجاهاته النفسية (١)

ونلمس أثر الناحية العقلية فى نواحى الشخصية الاخرى إذا قارنا بين الشخص الذكى والشخص الغبى ، وضعيف العقل ، فالشخص الذكى يستطيع أن يقدر ويفهم معنى وأهمية حياته وكيفية المحافظة على صحته ووقايتها من الأمراض ، كما يستطيع أن يستفيد من الظروف والخبرات التى يتلقنها وأن يستجيب لمن يعلمه أو يربيه ، ويستطيع أن يكيف نفسه للوسط الذى يعيش فيه حيث أنه يكون قادراً على التحكم فى نزعاته ودوافعه غير الاجتماعية وتنمية ميوله وإتجاهاته الاجتماعية وبذلك يسهل إستيعابه وتشربه للثقافة التى يعيش فيها (٢) .

أما الشخص الغبى فإن غبائه يتسبب فى صعوبة تنشئته الاجتماعية

---

(١) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، المكتب المصرى الحديث ، الاسكندرية ١٩٧٣ ، ص ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

المتكاملة ، وتكون شخصيته عرضة للإنحراف والشذوذ الاجتماعى والخلقى وتدل الإحصاءات التى تعمل فى محيط الانحراف والاجرام على أن احتمال أنسياق الشخصية الى الاجرام يتناسب طردياً مع درجة الغباء وعكسياً مع درجة الذكاء[١] .

ونلمس أثر الضعف العقلى وهو المرتبة الدنيا من مراتب الذكاء على جميع نواحى الشخصية إذ يصحبه فى الغالب ضعف فى النمو الجسمى والإنفعالى والخلقى وكذلك عدم التوافق والتكيف مع المحيط الثقافى والاجتماعى الذى يعيش من خلاله الفرد ، ولهذا نجد أن الضعف العقلى يؤدى الى عدم النجاح وإنحلال الشخصية مهما تهيأت ظروف البيئة ، ومن الصفات المعروفة عن ضعاف العقول أنهم يتأخرون فى النمو والمشى والكلام وفى سرعة التعلم ، وأن فيهم ضعفاً فى التوازن الحركى بحيث يبدو ذلك فى تعبيرهم بالكتابة أو الرسم إذا أريد تعليمهم كما أن أفكارهم ضئيلة وأراءهم سطحية وفهمهم بطئ جداً وليس لديهم القدرة علي التحكم فى دوافعهم النفسية وإنفعالاتهم الغريزية ، وقد ظهر فى البحوث التى تناولت الاسرة المنحلة اخلاقياً أن الضعف العقلى ظاهرة شائعة بين أفرادها ، و قد أدى هذا الكشف الى ربط الاجرام بهذه الظاهرة ربطاً علياً[٢] .

كما نلمس تأثير الناحية المزاجية فى نواحى الشخصية الاخرى من ملاحظة ودراسة أثر الانفعالات فى سلوك الفرد وما يطرأ عليه بسببها من

---

(١) محمد خليفة بركات ، تحليل الشخصية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ ، ص ٥٣ .

(٢) حسن الساعاتى ، التحليل الاجتماعى للشخصية ، المجلة الجنائية القومية ، القاهرة ، عدد ١ ، ١٩٥٨ ، ص ٥٧

تغيرات شاملة عقلية وجسمية ، وقد أجرى كانون *Cannon* بعض التجارب لملاحظة ما يصاحب الانفعال من تغيرات فقد فحص بأشعة اكس قطة بعد أن تناولت غذائها ولاحظ أن المعدة تقوم بحركتها المنتظمة فى عملية الهضم ، ثم أظهر أمام القطة كلباً كبير الحجم ولاحظ بعد إدراك القطة لوجود الكلب أن ظهرت عليها علامات الخوف المعروفة بكل مظاهرها ولاحظ كذلك أن عملية الهضم قد توقفت دفعة واحدة . وإستنتج بملاحظاته الاكلينيكية الى أن الأوعية الدموية إنقبضت فى المعدة وإتسعت فى أطراف الجسم ، وأن ضغط الدم قد زاد زيادة كبيرة فى هذه الاطراف ، وأن تغيرات عدة طرأت على إفرازات الغدد مما أدى إلى زيادة العرق وقلة اللعاب مثل زيادة الأدرينالين مثلاً فى مساعدة الكبد على إخراج السكر المخزون الى الدم وهذا السكر يحترق أثناء نشاط الكائن الحي ، فيزوده بالطاقة والقدرة على الاستمرار فى نشاطه (١) .

وبناء عليه فالإنفعال إذن حالة نفسية جسمية ثائرة تتميز من الناحية الجسمية بتغيرات وإضطرابات فسيولوجية شتى فى التنفس والدورة الدموية والجهاز الهضمى ، وإفرازات الغدد وغير ذلك من تغيرات الشعور التى تهيئ الشخص للهرب أو الصياح فى حالة الخوف أو القتال أو الدفاع فى حالة الغضب ، أو غير ذلك من أنواع السلوك التى تنصرف بها تلك الطاقة الإنفعالية المتراكمة فى الجسم وأجهزته المختلفة ، فإذا أعيقت هذه الطاقة الإنفعالية عن الإنطلاق فى سلوك خارجى مناسب كأن إمتنع الهرب أو الدفاع مثلاً ، زاد تراكمها وإشتدت وطأتها ، وتضخمت إضطرابات الأجهزة

---

(١) عبد العزيز القوصى ، أسس الصحة النفسية ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ص ٣١ – ٣٢ .

الجسمية والأحشاء ، وقد يحدث للفرد أعراضاً من عسر الهضم أو الصداع أو القئ أو الأمساك أو الإسهال . الخ ويعنى ذلك أن كبت الإنفعالات لأى سبب من الأسباب يؤدى الى إضطرابات عضوية خطيرة ، ومن المشاهد المعروفة أن الحقد أو الغيظ حين يخزن مدة طويلة فى النفس يؤدى الى حالة من إرتفاع ضغط الدم ليس لها أصل عضوى واضح ، وهى تسمى «إرتفاع ضغط الدم الجوهرى» أو إنفعال القلق المتكرر أو المزمن يخل توازن الكالسيوم فى الدم مما قد يؤدى الى تلف الأسنان ، وأن مرضى السل الذين يعانون أزمات نفسية يسير المرض فيهم أسرع من سيره فيمن لا يكابدون هذه الأزمات ، فإذا كانت حالة الغيظ المكظوم الوقتية تؤدى الى إرتفاع عارض فى ضغط الدم فليس من الغريب أن يؤدى الغضب أو الكره المزمن الى إرتفاع مستمر فى ضغط الدم . وإذا كان القلق الوقتى يصيب الفرد بعسر مؤقت فى الهضم ، فليس من الغريب أن يحدث القلق أو الخوف المزمن الموصول قرحة فى المعدة (١) .

وهناك بعض الأمراض الجسمية ترجع فى المقام الاول الى عوامل نفسية سببها مواقف إنفعالية ترجع الى ظروف إجتماعية وتعرف هذه الأمراض بالأمراض السيكوسوماتية ومن أظهر الأمراض السيكوسوماتية : الضغط الجوهرى ، قرحة المعدة ، الاثنى عشر والربو وطائفة من أمراض القلب والجدرة وإلتهاب المفاصل الروماتزمى ونوع من الصلع وكثير من حالات السكر والبدانة والمياجو وعرق النسا وبعض إضطرابات الولادة عند النساء وأغلب أمراض الجلد التى لا تنشأ عن التلوث (٢) .

---

(١) أحمد عزت راجح ، مرجع سابق ، ص ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٢) أحمد عزت راجح ، مرجع سابق ، ص ٤٥٣ .

كما نلمس أن الناحية الخلقية وتداخلها مع النواحى العقلية والمزاجية وترابطها مع تلك النواحى فى تكوين الشخصية ، إلا أنها أقرب الى عوامل البيئة والوسط الاجتماعى والثقافة المهيمنة على الفرد ، فالنواحى المزاجية والعقلية هى المواد الخام التى تبنى عليها الصفات الخلقية ، ولذا فإن الأخلاق السائدة فى المجتمع ، هى المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية مع عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية .

وهذا يعنى أن كل ثقافة يسرى منها تيار أخلاقى خاص ينساق الفرد فيه متأثراً بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز والمعايير أمور نسبية تختلف فى معناها وحدودها من مجتمع الى آخر ، ولذلك فالجنوح عن صراط تلك المعايير أمر نسبى والسلوك الشاذ فى ثقافة ما قد يكون سلوكاً عادياً بالنسبة لمعايير وقيم ثقافة أخرى (١) وهذا ما أثبتته الدراسة التى بأيدينا فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث .

كما نجد أن التوجهات النظرية المختلفة بصدد العلاقة بين الثقافة والشخصية تعطى وزناً فى عمومها وإختلاف محاورها لأثر الثقافة كأداة للتكيف والتوافق مع الظروف المجتمعية فضلاً عن كونها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية تشكل دعامة للتعلم الانسانى وإستثارة للقدرات الانسانية غير المحدودة التى أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى الإنسان وخصه بها دون غيره من الكائنات الاخرى ، كما أنها تساعد الشخص على إكتساب العناصر المختلفة للثقافة ومن ثم إبرازها والمحافظة عليها وكذلك

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ص ٢١٧ .

التعديل فى أنماطها أو نماذجها أو فى بعض سماتها أو تحديث وتعديل السمات التقليدية من جانب الشخص كما يتوامم مع ظروفه الحياتية والمعيشية وهنا نجد الإلتقاء والتداخل والتأثير والتأثر بين الثقافة والشخصية

وإذا كانت الثقافة وسيلة لحل المشاكل المجتمعية أو الشخصية إلا أنها من الممكن أن تكون وسيلة لخلق كثير من المشكلات مثل مشكلة الإدمان وتفاوت خطورتها وتنوع مصادرها في الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، حيث أنها قد تخلق حاجات ومطالب تتطلب إشباعاً وقد لا تكون هناك الوسائل المتعددة فى السياق الثقافى التى تشبع هذه الحاجات ، وبناء عليه تتفاوت قدرة الشخص علي التوائم والتكيف والتوافق مع هذه المطالب والحاجات فى ضوء المحيط الاجتماعى والثقافى . كما أوضحت الدراسة فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث .

وتأتى أهمية دراسة التكوين النفسى للشخص المدمن فى الثقافات المختلفة لكون عملية الإدمان فى حد ذاتها هى نمط سلوكى يمارسه الشخص أو بعض أفراد المجتمع الذين ينتمون للمجتمع ويدخلون فى دائرة العلاقات الاجتماعية الواسعة فى هذه المجتمعات المتباينة ثقافياً ومن ثم يؤثر فيه ويتأثرون بالمحيط الاجتماعى والثقافى ، وبناء عليه يبرز إلتقاء وجهتى النظر النفسية والأنثروبولوجية فى الإهتمام بسلوك الشخص المدمن فى تلك الثقافات المتباينة ومن ثم إبراز المعنى الرمزى للمواد المخدرة والنظرة اليها والطقوس والوظائف المقترنة بالتعاطى ومن ثم الإدمان وكما إتضح فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث والتعرف برؤية أكثر شمولية على الأبعاد والعوامل المختلفة المؤثرة في التكوين النفسى فى الثقافات المختلفة وكما سيتضح في الفصول القادمة .

الفصل الحادى عشر

التكوين الجسمى للمدمنين في الثقافات المختلفة

وتتلخص مظاهر التكوين الجسمى للمدمنين والتى تتفاوت من حيث الضعف أو الضعف الشديد للغاية حسب نوع المادة المخدرة حتى تصل فى بعض أنواع المواد المخدرة كالهيروين والمورفين إلى الإنتحار أو الموت المفاجئ . ونجمل تلك المظاهر والخصائص فى النقاط التالية :

١) ضعف الجهاز العضلى الذى يسبب تراخياً فى النشاط الحركى للمدمنين حيث يفقدون الدقة والمهارة والإتزان فى جميع النواحى بعد أن كانت متوافرة لديهم قبل الدخول فى دائرة الإدمان بخاصة على الأنواع المدمرة حيث أن تعاطى المواد المخدرة له تأثير على الخصيتين وضمورهما عكس الإعتقاد تماماً فى العلاقة بين تعاطى المواد المخدرة والقوى الجنسية بل يمكن القول أن الغالبية من مدمنى المواد المخدرة يصلون الى مرحلة الشيخوخة الجنسية لأن ضمور الخصيتين التى تقوم بإفراز هرمون النمو (GH) الذى من شأنه نمو العضلات والعظام والمحافظة على قوتها وتماسكها يحدث مبكراً .

وقد يشعر بعض المدمنين بالقوة الجسدية الوهمية ويحدث تبعاً لذلك تخيلاً كاذباً عن إطالة العملية الجنسية وزيادة الشعور بالمتعة والنشوة خصوصاً لمدمن الحشيش والخمر والهيروين فى بداية تعاطى الجرعات الاولى .

ويكون المدمن بصفة عامة ومدمن الهيروين بصفة خاصة أقل مناعة ضد الفيروسات والفطريات وأكثر عرضة للإصابة بالسرطان كما أثبتت

الدراسات الحديثة أن الحقن أحد الوسائل الهامة لنقل الأمراض الخطيرة وخاصة الإيدز ، كما أن أولاد المدمنين أو حتى المتعاطين للمواد المخدرة يولدون ضعاف العقول والأجسام ولديهم نقص فى المناعة الطبيعية ويكونون معرضين للأمراض العصبية والنفسية .

فنجد على سبيل المثال مدمن الهيروين أكثر تأثراً بالضعف الجسمانى والنفسى ويشعر بالهبوط والإعياء وتصلب العضلات وكثرة إفراز العرق والإحساس بالآلام الشديدة فى الظهر كما يضاف مدمن الخمر بالضعف الجنسى وأمراض العضلات والدم ونقص السكر في الدم وكثرة إفراز العرق .

٢) الأجهزة الداخلية للمدمنين يصيبها الوهن حيث يتسرب الضعف الى القلب والشرايين وزيادة الأزمات القلبية والذبحة الصدرية بعد التعرض لأى مجهود عضلى وزيادة عدد دقات القلب ، وقد تصل كثير من حالات الهيروين الى الموت المفاجئ نتيجة الهبوط الحاد فى الدورة الدموية . وكذلك إعاقة بعض الأعضاء الهامة فى الجسم من أداء وظيفتها أحياناً أحياناً والى الأبد فى بعض الأحيان كما فى حالات إدمان الهيروين .

كما تحدث إصابات كثيرة للغاية بين المدمنين بضغط الدم وتصلب الشرايين التاجية والذبحة الصدرية كما سبق نتيجة ترسب الدهون وتعرضهم لحالات النزيف الداخلى وأكثر الحالات نزيف المخ وما يتبعه من شلل نتيجة لضعف الدورة الدموية حيث أن جسم المدمن خصوصاً مدمن الهيروين والمورفين والماكس والخمر غير قادر على التعامل مع درجات الحرارة المتغيرة وبالتالى فإنها تؤثر على درجة حرارته بعكس الحال قبل دخولهم

الى دائرة الادمان من مختلف الطبقات العمرية ويمكن إرجاع هذه الظاهرة الى إنخفاض عملية الميتابوليزم وضمور العضلات .

٣) ضعف الجهاز الهضمى لنقص مادة الكالسيوم فيه ، ولذا نجد المدمنين ضعاف وتتملك فيهم بعض أعراض الشيخوخة حتى لو كانوا فى سن الشباب فنجد الكثير منهم تتقوس قامتهم وتضعف أرجلهم عن حمل أجسامهم وخصوصاً مدمنى الهيروين والأفيون والمورفين والخمر وتتساقط الأسنان لمدمن الخمر بالذات ، كما أن إصابتهم بأى كسور تكون بطيئة الإنجبار عكس الحال لغير المدمنين ، كما يصابون بنقص كفاءة الجهاز الهضمى والكبد عن أداء المهام المنوطة بهم ويتمثل فى النقاط التالية :

- عدم قدرة الأمعاء الغليظة على التفريغ ويحدث نتيجة لذلك الإمساك بكثرة بين المدمنين وبخاصة مدمن الأفيون بينما يصاب دائماً مدمن الهيروين بالإسهال والآلام المعدية خاصة مع تأخر الجرعة ويصاب كذلك بالحمى والغثيان .
- يصاب مدمن الخمر بإلتهاب فى المعدة وقرحة المعدة وإضطرابات الكبد
- إصابة مدمن الهيروين والخمر والأفيون بفقدان شديد للشهية للطعام عكس الحال بالنسبة لمدمن الحشيش .
- يحدث إنخفاض ملحوظ فى إفراز المعدة من حامض الهيدروكلوريك وأنزيمات الهضم عن الحالة الطبيعية قبل الدخول فى الإدمان وبالتالى نقص مقدرة المعدة على التفريغ .
- قصور مقدرة الأمعاء على إمتصاص المادة الغذائية وبناء عليه يعانون من نقص فى التغذية .

- يقل إفراز البنكرياس عند المدمنين خصوصاً مدمن الهيروين والأفيون والخمر وهذا يقلل بلا شك من المقدرة على الهضم ونقص التغذية بصفة عامة أيضاً .

- يصاب دائماً مدمن الهيروين والحشيش بجفاف الحلق والفم والمرارة وبالذات مدمن الهيروين ولذا يميلون الى أكل الحلوى وشرب المرطبات بكثرة ومع كثرة تدخين السجائر لمدمن الهيروين .

٤) ضعف الحواس للمدمنين بصفة عامة ومدمن الهيروين والمورفين والخمر بصفة خاصة عن الإتصال الكامل بما يجرى من حوله وما يقوم به من أشياء ويتضح ذلك من الفقدان التدريجى لحدة الإبصار وإحتمال حدوث مرض إرتفاع ضغط العين *Glucoma* وكذلك إحتمال حدوث إصابة المدمن بمرض البول السكرى ونجد أن مضاعفات هذا المرض اللعين على العين تتمثل فى صورة نزيف متكرر بالشبكية ، إنفصال شبكى وتتمثل فى النهاية فقدان لحدة البصر .

كما يعانى مدمن الحشيش من إرتخاء الجفون وإحتقان وإحمرار العينين ورعشة اليدين ، ويصاب مدمن الخمر بإحتقان وإحمرار العينين وإلتهاب الأعصاب المحيطة ورعشة العينين والعمى الكحولى . كما يعانى مدمن الأفيون من نزول حدقتى العينين عن مستوى الجفن الأسفل .

ودائماً يصابون بأمراض الرشح والتقيؤ خصوصاً الهيروين والأفيون والخمر وتستمر حالة التقيؤ حتى لو كانت المعدة فارغة ، كما يحدث إختلال في تقدير الزمان والمكان وتبدو الحوادث والأشياء وكأنها بطيئة أو سريعة عن معدلها وبالذات مدمن الحشيش .

٥) ضعف الجهاز العصبي وضعف فى السيطرة الإرادية على نشاطه وبخاصة مدمن الهيروين والأفيون والخمر مما يجعله عرضة للوقوع والتعثر فى المشى وفى حمل الأشياء وتصاب اليدين بالرعشة كما يحدث فقدان الذاكرة وعدم التركيز وإضطراب النوم واليقظة وعدم القدرة على التصرف الصحيح خصوصاً مدمن الهيروين الذى لا يستطيع أن ينام إلا والمخدر تحت وسادته ويصاب مدمن الهيروين بالتشنج والأرق والخوف الدائم ، ويصاب مدمن الخمر بحالة من جنون العظمة والإحساس الكاذب بالأهمية أو بالقوة أو بالهلوسة ، ويصاب مدمن الأفيون فى بعض الأمراض الجلدية كالأرتيكاريا أو الإلتهابات الخارجية والإغماء وفقدان الثقة بالنفس أو الشعور بالأمن .

٦) يتأثر التكوين العقلى تأثراً كبيراً للغاية بعد الدخول الى دائرة الإدمان ، فنجد أن تعاطى الحشيش على إنفراد وفى حالات الغضب أو الإكتئاب يزيد من إحتمال ظهور الحالات العقلية التى تتصف بالمعتقدات الإضطهادية الباطلة ، ويصاب مدمن الأفيون بالخمول الفكرى ويصاب مدمن الهيروين بفقدان جزئى للذاكرة والشرود وعدم التركيز وضعف الإدراك العقلى والحركى والإصابة بحالات من الأرق والخوف والشك الدائم ، كما أن مدمن الخمر يصاب بضمور فى خلايا المخيخ والنوبات الصرعية والتهاب المخ من نوع فيرنيك وذهان كورساكوف وإضطرابات الذاكرة والخرف الكحولى والهلوسة الكحولية كما يحدث الحشيش فقدان جزئى للذاكرة وإختلال فى تقدير الزمان والمكان وتبدو الحوادث والأشياء كأنها سريعة أو بطيئة عن معدلها وتؤدى الى إختلال العقل وفساده .

٧) يتأثر الجهاز التنفسى للمدمنين على مختلف المواد المخدرة فيصاب المدمن بضيق فى التنفس المصحوب بزيادة دقات القلب أو إنخفاضها عند أى مجهود حتى ولو كان بسيطاً والكحة الجافة (السعال) خصوصاً مدمنى الحشيش والهيروين والأفيون وهذا الضيق فى التنفس فى سببه إنخفاض مقدرة الرئتين على القيام بوظائفها وهى تنقية الدم من ثانى أكسيد الكربون ومده بالأكسچين وذلك بسبب التغيرات التى تحدث بها وبالقفص الصدرى بسبب الادمان على المواد المخدرة ، ويعانى مدمن الخمر من إحتقان الأنف والشعب الهوائية والسل الرئوى .

ونجد أن تأثر التكوين الجسمى للمدمنين فى الثقافات المختلفة بعملية الادمان يختلف إختلافاً واضحاً ويبدو ذلك فى النقاط التالية :

١ - عدم تنوع المواد المخدرة فى المجتمع البدوى فى حين تنتشر جميع انواع المواد المخدرة وخصوصاً المواد المدمرة كالهيروين وفى حين تنتشر هذه المواد فى المجتمع القروى بصورة أقل من المجتمع الحضرى ولكنها أكثر من المجتمع البدوى ، وبناء عليه تختلف تأثير تلك المواد على الانسان جسمياً ونفسياً وإجتماعياً نتيجة التفاوت فى التعدد والتنوع .

٢ - من الملاحظ أن الانسان فى المجتمع البدوى في مختلف المراحل العمرية وكذلك الانسان فى المجتمع القروى الى حد كبير يتمتع بقوة جسدية وإتزان إنفعالى ومزاجى تفوق الإنسان فى مختلف المراحل العمرية فى المجتمع الحضرى ، ومرد ذلك بساطة البيئة الطبيعية وعدم تلوثها والبيئة الإجتماعية وإستقرار القيم والأعراف والعادات والتقاليد الى حد كبير فى تلك الأنماط التقليدية عكس الحال الى حد كبير للغاية فى المجتمع الحضرى

وهذه العوامل كان لها تأثيرها البالغ على تنوع المواد المخدرة وخطورتها وإنتشارها وتأثيرها على مقومات الشخصية الحضرية بصورة أكبر من الأنماط التقليدية الاخرى .

٣ - إختلاف العادات الغذائية للإنسان فى تلك الثقافات المختلفة وإرتباط ذلك بالسياج الاجتماعى والثقافى ومدى الإعتماد على الموارد المتاحة أو غير المتاحة فى تلك الأنماط المجتمعية المختلفة وهذا كان له أثره البالغ الأهمية علي مختلف عناصر التكوين النفسى للشخصية فى تلك الأنماط المتباينة ثقافياً من جميع النواحى الجسمية والعقلية والإنفعالية والخلقية وبالعكس .

٤ - التفاوت الواضح من الإنفعالات المتعددة والمختلفة للشخصية فى تلك الثقافات المختلفة نتيجة عوامل الإستقرار والهدوء النسبى للبيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية كان له بالغ الأثر على عدم تنوع المواد المخدرة الخطرة وإنتشارها فى الأنماط التقليدية عكس الحال فى النمط الحضرى وما يتبع ذلك من إضطرابات فسيولوجية ونفسية وإجتماعية كان لها بالغ الأثر فى تكوين الشخصية و تأثرها وتأثيرها بالمحيط الاجتماعى والثقافى الذى تعيش من خلاله .

٥ - ميل البدوى صفة عامة والمدمن بصفة خاصة الى البساطة والحياة فى هدوء بعيداً عن المشاكل وضوضاء المدينة وحبه للإنعزال والخلو الي النفس وكذلك الشخصية القروية الى حد كبير خصوصاً فى الأسر الممتدة مع التفاوت النسبى فى القرية ككل وتبعاً لنوع عقار الادمان وعكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى وكان لهذا كله أثره البالغ الأهمية فى

إزدياد الضغوط النفسية والعصبية والحالة المزاجية للإنسان الحضرى عن قرينيه في الأنماط التقليدية خصوصاً لو وضعنا فى الإعتبار أن مثل هذه الظروف والعوامل كانت من الأسباب والدوافع الرئيسية وراء تنوع وتعدد المواد المخدرة فى النمط الحضرى عن الأنماط الأخرى وسبق تناول هذا بشيء من التفصيل عن تناول أسباب ودوافع الإدمان فى الثقافات المختلفة

٦ - إختلاف النظرة الى الأعمال والإرتباط بأعمال معينة دون أخرى بل وعدم الإرتباط فى أغلب الأحوال في الثقافات التقليدية من دخول إلى الحياة العملية وخروج منها كما هو الحال فى المجتمع الحضرى ، وكذلك عدم الإقبال من جانب البدو بصفة عامة والمدمن بصفة خاصة علي الأعمال العضلية أو الشاقة أو الأعمال الحرفية والمهنية عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى وإلى حد بسيط فى المجتمع القروى وهذه العوامل كان لها تأثير على مقومات الشخصية البدوية والقروية والحضرية وبالتالى إختلاف التأثير والتأثر بين العوامل والعناصر المكونة للشخصية والثقافة والظروف المجتمعية فى تلك الأنماط المتباينة ثقافياً وهذا له أثر بالغ الأهمية فى إختلاف نظرة الشخصية للحياة والهدف منها ونظرة الإنسان لنفسه ومجتمعه وبالعكس .

الفصل الثانى عشر

التكوين الإنفعالى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

تختلف إنفعالات المدمنين فى المجتمع البدوى عن القروى عن المجتمع الحضرى . وهذا مرده إختلاف البيئة الطبيعية والإجتماعية والإقتصادية والنفسية التى يحيا خلالها المدمن فى تلك الأنماط المتباينة ثقافياً ، كما نجد أن هذه الإنفعالات تختلف لإختلاف إقبال الطبقات العمرية من الجنسين على أنواع مخدرة دون أخرى فى تلك الثقافات المتباينة وبالقطع إختلاف تأثير المواد المخدرة نتيجة تباينها وإنتشارها من عدم إنتشارها فى ثقافات دون أخرى مما يؤثر على التكوين الإنفعالى للمدمن فى تلك الثقافات المتباينة ما بين التوتر والعصبية والصراع والإحساس بالإنجاز والفشل وكما سيتضح من المعالجة الميدانية التالية :

وتتمثل أهم خصائص التكوين الإنفعالى للمدمنين فى الثقافات المختلفة فى النقاط التالية :

١) الإحساس بالإنجاز والإتمام:

مما هو جدير بالذكر أن الإنسان دائماً يحاول أن يستعيد ذكرياته ويستعرضها فى كل مناسبة وهذا الإستعراض للذكريات السعيدة أو المؤلمة يكون لهما آثاراً نفسية بعيدة فى حياة الإنسان الحاضرة والمستقبلية فى أغلب الأحوال ، فقد يبعثان عن الرضا والهدوء أو أن يجلب له الصراع والألم وعدم الرضا .

ولقد تبين أن المدمن فى المجتمع البدوى خصوصاً وأنه مدمن على المواد

التقليدية مثل الحشيش والأفيون في أغلب الأحوال وأنه يعيش في سياج إجتماعى وثقافي ونفسى أكثر إستقراراً وهدوءاً عن قرينيه في المجتمع القروى الى حد بسيط والحضرى الى حد كبير يشعر بالرضا والقناعة والهدوء وقلما نجد بدوياً غير راضياً عن حياته أو ساخطاً على أهله وذويه ومجتمعه وهذا مرده أن أمور البدوى فى مختلف المراحل العمرية تكمن إدارتها وقيادتها فى يد كبار السن والعواقل كما هو الحال فى أغلب الأحوال بالنسبة للأسر الممتدة فى المجتمع الحضرى عكس الحال بالنسبة للمدمن في الأسر النووية فى المجتمع القروى والمدمن في المجتمع الحضرى بصفة عامة حيث نلمس النزعات الفردية وتملكها وإختصاص كل إنسان فى المجتمع الحضري بمسئوليته عن أفعاله عكس الحال عن المسئولية الجماعية فى الأنماط التقليدية .

كما لمست أن طبيعة وظروف الحياة من جميع النواحى فى المجتمع الحضرى تجعل الشخصية الحضرية من الجنسين ومن مختلف الطبقات العمرية تعيش في عدم تواصل فكرى أو عاطفى وإجتماعى مع تملك مشاعر الخوف والحذر والشك وعدم الأمان فى أغلب الأحوال عكس الحال فى المجتمعات التقليدية البدوية والقروية الى حد كبير ، وهنا تكمن مشاعر الإحساس بعدم الإنجاز أو تحقيق الذات وتحقيق الطموح والأمانى والآمال لدى الشخصية الحضرية وبما يتوامم مع السياج الاجتماعى والثقافى الحضرى عكس الحال تماماً لمثل هذه المشاعر للشخصية البدوية والقروية فى محيطهما الاجتماعى والثقافى .

كما هناك مسألة فى غاية الأهمية بشأن الإحساس بالإنجاز وتحقيق الذات والرضا عن الذات وتتمثل فى أن الثقافة البدوية والقروية الى حد كبير

قد حددت تحديداً قاطعاً طبيعة المراكز والأدوار للذكر والأنثى من مختلف الطبقات العمرية وأن الحقوق والواجبات الواجبة على الذكر نحو الأنثى وبالعكس فى مختلف المراحل العمرية قد حددتها الأعراف البدوية وكذلك الثقافة القروية خصوصاً فى الأسر الممتدة الى حد كبير عكس الحال فى الأسر النووية القروية وبخاصة التى نزحت الى المدينة وكذلك بالنسبة للغالبية العظمى من الأسر فى المجتمع الحضرى نتيجة خروج المرأة الى مجال العمل المتنوع والمتمايز والمتخصص أسوة بالذكور من مختلف التخصصات ومن مختلف المراحل العمرية خصوصاً بعد فتح مجال التعليم والعمل على مصراعيه أمام الجنسين وكسب المرأة لكثير من الحرية غير المقيدة فى أغلب الأحوال ومعيشتها فى ظل بيئة طبيعية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية ونفسية تختلف إختلافاً واضحاً عن قرينتيها فى المجتمع البدوي الى حد كبير والمجتمع القروى وخصوصاً المتعلمة الى حد بسيط ، وأعتقد أن هذه الظروف والأعمال والملابسات المجتمعية المتمايزة والمتباينة كانت من الأسباب الأساسية وراء إنتشار وتباين وتنوع المواد المخدرة فى المجتمع الحضرى عن الأنماط المجتمعية التقليدية البدوية والقروية وأدى ذلك بالقطع الى خطورة ظاهرة الإدمان من قلة خطورتها فى الثقافات المختلفة .

كما نجد مسألة أخرى وهى أن الشخصية البدوية بصفة عامة القروية الي حد بسيط عكس الشخصية الحضرية الى حد كبير راضياً تماماً عن الجيل الذي نشأ فيه وعن علاقاته مع أقاربه وأقرانه وجيرانه ، بل يعيش لحظات عمره لحظة بلحظة وينعم بالوقت والحياة البسيطة بعيداً عن الضغوط النفسية والاجتماعية والإقتصادية التى تعانى منها الشخصية الحضرية الي حد كبير والقروية الى حد بسيط فى مختلف الطبقات العمرية والاجتماعية

وبناء عليه نلمس كيف أن عدم إستطاعة الشخصية الحضرية من مختلف الطبقات العمرية ومن الجنسين للتكيف والتوائم مع الحياة فى المجتمع الحضرى من مختلف الجوانب وفشله فى إشباع وتحقيق دوافعه ورغباته عكس الحال فى المجتمعات التقليدية أثر كبير جداً فى سهولة الدخول الى دائرة إدمان المواد المخدرة وبالذات الأنواع المدمرة .

٢ - الإحساس بالفشل:

مما لا شك فيه أن عدم إنجاز الإنسان لطموحاته وأهدافه وإستغراقه فى ذكرياته فى مختلف مراحل حياته العمرية يجعله يشعر دائماً بالحسرة والكدر وعدم الاقبال على الحياة خصوصاً لو كان هذا الانسان يعيش فى ظل سياج إجتماعى وثقافى لا يسمح لطموحاته ورغباته ودوافعه وأهدافه أن تشبع بالطريقة التى يريدها هو شخصياً بعيداً عن هذا السياج أو حتى فشله فى التوامم والتكيف أو إكتساب الانماط السلوكية التى تتوامم مع نمط المعيشة فى أمن وإستقرار داخل هذا السياج المجتمعى فى الثقافات المتباينة وتختلف رؤية الشخص لعوامل الانجاز والفشل أو الاحساس بقيمته وقيمة وجوده وإقباله على الحياة فى ظل ثقافة عن الاخري ومرد ذلك إختلاف الرؤية المتبادلة بين المجتمع والشخص أو فى معنى آخر إختلف الرؤية المتبادلة بين الثقافة والشخصية فى الانماط المجتمعية المختلفة .

وتبين أن الشخص فى الثقافة البدوية لا يشعر بالفشل إلا نادراً فى مختلف الطبقات العمرية من الجنسين حيث أن عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية قد لعبت دوراً هاماً فى تحديد الادوار والمراكز وإختلاف النظرة لقيم الذكورة والانوثة وتقنينها وتطبيع العلاقة بين الشخصية البدوية والثقافة

ألبدوية فى مختلف مجالات الحياة ونادراً ما تجد طفل أو شاب أو فتاة بدوية أو حتى كبير السن يشكى أو يشعرك بأنه نادماً أو يشعر بالكدر والحسرة بل تحس بأن هناك إقبالاً على الحياة ورضا عنها وعن المجتمع وعن أبناء المجتمع ونجد الصورة تختلف الى حد بسيط فى المجتمع القروي خصوصاً فى الاسر الممتدة القوية المتماسكة وعكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى ، ويتضح ذلك جلياً من خلال المقارنة بين مشاعر وأحاسيس الشخص فى تلك الثقافات المختلفة فى النقاط التالية :

١) إحساس الشخص فى مختلف المراحل العمرية ومن الجنسين ومن خلال التحديد الواضح للأدوار المراكز والمكانة فى المجتمع البدوى بأهمية دوره ووجوده وإستمراريته وأنه مرغوباً لوجوده فى المجتمع ومثل هذه الأحساسيس نجدها فى المجتمع القروي الى حد كبير فى الأسر الممتدة وإن كان نالها بعض التغيير ، إلا أن الصورة تختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى نتيجة لمشاعر الإضطراب والقلق والإحساس بالغربة عن الذات وعن المجتمع وعدم الأمان والقلق خصوصاً فى سن المراهقة والشباب ومنتصف العمر مما كان له إنعكاس واضح فى مشاعر وإحساس الشخص من الجنسين فى المجتمع الحضرى بمشاعر الإحباط والفشل الى حد كبير عن الأنماط المجتمعية الأخرى .

٢) بساطة الحياة التى يحياها الإنسان البدوى وسهولتها من جميع النواحى وعدم تعقيدها وتجانسها الي حد كبير وعدم إستطاعة الإنسان البدوى بعامة والمدمن بخاصة تعكير صفو هذه الحياة التي لابد وأن يحافظ على إستقرارها وتساندها وتكاملها خشية التعرض للعقاب والجزاء وهذه الصورة تختلف الى حد كبير بالنسبة للقرية خصوصاً بعد إعتمادها الي حد

كبير علي المدينة فى كثير من جوانب الحياة وإتصالها المباشر السريع بمجريات الحياة فى المجتمع الحضرى والذى تتعقد فيه الحياة من جميع النواحى ويشعر الشخص فى ظل الثقافة الحضرية مهما كان مستواه المادي والإجتماعي والثقافى بصعوبة الحياة بصورة أو بأخرى مما يجعل عوامل الأمان والإستقرار والتوازن النفسى والإجتماعى تتفاوت بصورة كبيرة عبر هذا المتصل الحضارى من البداوة الى الريفية الى الحضرية وتأثيرها العميق على مقومات الشخصية فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وإختلاف القدرات الإمكانيات والظروف علي التوائم بصورة أو بأخرى فى تلك الثقافات المتباينة .

٣) لقد كان عدم إحساس الإنسان البدوى بالفشل الى حد كبير راجعاً الى عدم الطموح المادى والأدبى الجانح للشخصية البدوية بصفة عامة وفى مختلف المراحل العمرية من الجنسين عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع القروى وإلى حد كبير للغاية فى المجتمع الحضرى ، وهذا راجعاً الى إختلاف درجة تناسب قدرات الإنسان فى تلك المستويات الثقافية المتباينة عن مستوى الطموح والرغبة فى الإنجاز والقدرة على تحقيق الأهداف التى يسعي الإنسان اليها فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، وهذا يجعلنى أؤكد أن مستوى الطموح للشخصية البدوية يعيش فى توائم وإنسجام مع السياج الإجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى فى ذلك النمط المجتمعى مع إختلاف هذا المستوى مع درجة الطموح إلى حد كبير فى المجتمع القروى والتفاوت الواضح بين مستوى الطموح والقدرة على تحقيقه للشخصية فى الثقافة الحضرية .

٤) لقد كان للتواصل والتفاعل والتلاحم بين الأجيال من الفئات العمرية

المختلفة المبنى على العادات والتقاليد والأعراف البدوية ومما يقنن طبيعة التواصل والتفاعل الإجتماعى وأسسه والحقوق والواجبات والإلتزامات المقررة تجاه الطبقات العمرية بعضها البعض أثر كبير للغاية فى عدم الشعور بالفشل للشخصية البدوية بصفة عامة والمدمن بصفة خاصة وحرصه على أن لا يفشى سر إدمانه على المواد التقليدية فى أغلب الأحوال وقد نجد الصورة تقترب إلى حد كبير فى المجتمع القروى خصوصاً فى الأسر الممتدة ولكنها تختلف فى الأسر النووية وإستقلالها عن السياج والتفاعل الاجتماعى المرتبط بالتقاليد والعادات القروية الى حد كبير ، والتفاوت الواضح فى عملية التواصل والتفاعل الاجتماعى والتلاحم بين الأجيال العمرية المختلفة ، بل داخل الأسرة النووية الواحدة فى المجتمع الحضرى إلى حد كبير وإختلاف القدرات والطموحات وإختلاف الرغبات والدوافع والمشاعر وإختلاف النظرة إلى مجموعة الحقوق والواجبات الواجبة نحو الطبقات العمرية بعضها البعض ومثل هذه المشاعر جعلت الإحساس بالإغتراب عن الذات وعن المجتمع وعدم الأمان وغلبة مشاعر اليأس والإحباط ومن ثم الفشل قد كانت من أهم عوامل عدم الإحساس بالدفء الاجتماعى والفراغ العاطفى والوجدانى وإنحراف كثير من أبناء هذا النمط المجتمعى من الجنسين ومن الطبقات العمرية المختلفة الى دائرة الإدمان على الأنواع المتباينة للمواد المخدرة وخصوصاً المدمرة .

٥) عدم إحساس الشخصية الدوية بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة بالظلم أو الجور وفى حالة الظلم أو الإعتداء ينال كل إنسان حقه وفى سهولة ويسر وبسرعة ولذا تعيش هذه الشخصية البدوية فى أمن وإستقرار وإقبال لا مثيل له على الحياة وتبسيطها إلى أقصى حد وخير

دليل على ذلك إحتقارهم لشارب الخمر ورفع الوصاية عنه ودائماً المثل يقول «المسطول بيته يلمه» حتى لا يفضح أو يرتكب أى فعل سلوكى يجرمه المجتمع ويتشدد فى تحديد الجزاء للخروج على القواعد السلوكية المألوفة مجتمعياً خصوصاً لو أتى بها أى مدمن على أى مادة مخدرة ، ومثل هذه المشاعر تتفاوت الآن فى القرية المصرية خصوصاً بعد تفكك كثير من الأسر الممتدة نتيجة عوامل كالهجرة للأبناء والأحفاد والعمل بالخارج وتحقيق إنجاز مادى ومن ثم الإستقلال عن الأسرة الممتدة ومحاولة التأثير فى بعض قرارات الكبار ولكن لا تزال بعض الأسر الممتدة تقترب كثيراً الى النموذج الأسرى بالبادية مع التفاوت النسبى البسيط ، إلا أن الأمر يختلف إلى حد كبير فى الأسر النووية في المجتمع القروي خصوصاً بعد إنتشار التعليم وخروج المرأة إلى العمل والإختلاط بالمدنية والإرتباط بوسائل الضبط الاجتماعي الرسمى فى أغلب الأحوال أكثر من الضبط الاجتماعى غير الرسمى أسوة بأبناء البادية .

ونجد الوضع يختلف إلى حد كبير فى المجتمع الحضرى حيث إحساس أغلبية أبناء هذا المجتمع ومن مختلف الطبقات العمرية بالظلم والجور والتباعد والإنعزال والوحدة والفشل في تحقيق أبسط الأحلام والأمانى خصوصاً فى أجيال الصبيان والشباب من الجنسين وضياع الحقوق وغياب القدوة والإلتزامات المعنوية والأدبية بين الأجيال المختلفة بعضها البعض أثر واضح فى الإحساس بالفشل وتزايد تعداد المدمنين خصوصاً فى الطبقات العمرية الصغرى على مختلف المواد المخدرة عكس الحال تماماً فى الأنماط المجتمعية التقليدية البدوية الذات والقروية الى حد كبير بخاصة فى الأسر الممتدة .

٦) لقد كان لقضاء جميع المشاكل وحلها بسهولة والتكيف مع الظروف المتغيرة فى النمط المجتمعى البدوى وسهولة إعادة التوائم والإنسجام والتساند والإستقرار بين أبناء المجتمع ثانية وفقاً للأعراف والعادات والتقاليد البدوية وبعيداً عن تعقيدات الحياة نسبياً فى المجتمع القروى وكلياً فى المجتمع الحضرى أثر كبير للغاية فى عدم إحساس الشخصية البدوية عامة والشخصية المدمنة خاصة فى ذلك المجتمع البدوي بالفشل وبناء عليه كان الدخول الى دائرة الإدمان سببه الفراغ والتقليد والمحاكاة فى أغلب الأحوال وكما سبق القول فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث ، ولكن كان لتعقد المشاكل وتفاقمها وتضخمها فى الأنماط المجتمعية أثر كبير للغاية فى إحساس الشخصية القروية الى حد بسيط والشخصية الحضرية إلى حد كبير للغاية بالفشل والكدر والحسرة والندم .. الخ .

٣) تدين المدمنين فى الثقافات المختلفة :

وتبين أن اللجوء للتدين فى المجتمع البدوى بصفة عامة راجع إلى أن الشخصية البدوية أساساً شخصية متدينة بطبعها ولا تكون بدافع الزهد فى المتع الجنسية خصوصاً فى مرحلة كبر السن حيث أن الشخصية البدوية تقبل على الحياة الجنسية حتى الوفاة ، فالحياة الجنسية للشخصية البدوية الذكر والأنثى مطلب حيوى ورئيسى فى مراحل الحياة المختلفة من الشباب وحتي نهاية العمر .

ولما كان المدمن البدوى فى أغلب الأحوال هو مدمن للحشيش والحبوب المنشطة لحديثى الزواج من الكبار والشباب والأفيون لبعض كبار السن ، فهذا لم يمنع المدمن البدوى من أداء فرائض الصلاة فى مواعيدها والإقبال

عليها ماعدا مدمن الخمر الذي يعد منبوذاً إجتماعياً فى المجتمع البدوى ككل ولكن بالنسبة للمواد التقليدية الأخرى حيث أن التعاطى يتم فى حدود وإطار إجتماعى وثقافى ضيق للغاية وفى مجموعات متناسقة ومتجانسة وبعيداً عن عيون الصغار والكبار كما سبق القول فى أكثر من موضع فى متن البحث .

كما تبين أن اللجوء إلى التدين فى المجتمع القروى يرجع الى أن الشخصية القروية بصفة عامة متدينة فى أغلبها بطبيعتها كما هو الحال فى المجتمع البدوى ، ودائماً يحث الكبار الصغار خصوصاً فى الأسر الممتدة على أداء فرائض الصلاة وتلاوة القرآن ... الخ .

إلا أننى لمست أن مدمن الحشيش والأفيون فى المجمتمع القروى يقبل على الصلاة بصفة عادية خصوصاً وأن مدمن الحشيش كيف الرجل الطيب الهادى ويطلقون عليه «الكيف الجبان» ودائماً مدمن الحشيش يميل الى الهدوء والود ويحب السؤال عن الأصدقاء والأهل والتقرب إليهم ، إلا أن مدمنى المواد المخدرة الأخرى فى القرية لا يقبلون على الصلاة بأى حال من الأحوال .

وتبين أن عملية التدين بالنسبة للشخصية الحضرية تتفاوت حسب التنشئة الاجتماعية والثقافية داخل الأسرة الحضرية وقد نجدها واضحة فى الأسر الحضرية التى تنتمى إلى جذور قروية فى أغلب الأحوال ، كما لمست أن مدمن الحشيش وكما سبق القول قد يكون شيخاً أو إمام مسجد أو مقرئ للقرآن الكريم أو من المترددين على المسجد وقد تجد «زبيبة الصلاة» كما يطلقون عليها فى جبهته برغم تناوله للحشيش وهناك من النوادر

الطريقة للمدمنين المصليين فى هذا الصدد بخصوص الحشيش «إذا كان حرماً فنحن نحرقه ، وإذا كان حلالاً فنحن نشربه» وعدا ذلك لا نجد أى مدمن على أى مادة مخدرة فى المجتمع الحضرى يقبل على الصلاة أو يميل الى التدين عكس الحال بالنسبة للشخصية البدوية والقروية إلى حد كبير .

الفصل الثالث عشر

التكوين العقلى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه أن ضعف الترابط العصبى وضعف النشاط الحسى وقلة النشاط الحركى والاجتماعى لها جميعا أثرها البعيد فى الحياه العقلية الادراكية لدى المدمنين وبخاصة على الأنواع المدمرة ، حيث أن الحواس كمنافذ إتصال بالعالم الخارجى لا تقوم بنشاطها المعهود لدى الشخص قبل الدخول فى دائرة الادمان وكذلك الحال فى المراكز العصبية والاطراف المعنية وكل ذلك يؤدى بدوره الى ضعف النشاط الادراكى من إنتباه وتعلم وتذكر وتصور وتفكير ويزداد معه النسيان والشرود وبخاصة فى مدمن الهيروين والأفيون والحبوب المخدرة .

ولقد تبين أن ظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية فى المجتمع البدوى تتيح زيادة النشاط الحركى الاجتماعى لدى الانسان البدوى بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة ، وكذلك قلة نسبة تلوث الماء والهواء وتقترب الى ذلك ظروف الحياه فى المجتمع القروى بينما يختلف الوضع فى المجتمع الحضرى ويمثل هذه العوامل تؤثر فى القدرة على الادراك والتركيز والتفكير الموضوعى خصوصا لو وضعنا فى الاعتبار إختلاف أنواع المواد المخدرة وتاثيرها على الانسان فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافيا وكما سيتضح من المعالجة التالية :

١ - إدراك الزمن لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه أن إدراك الشخص لمدى الفترات الزمنية يتاثر بمراحل التكوين الجسمى والنفسى ، كما يتاثر ذلك الادراك بماله فى الحياة من آمال

وآلام ، فالفرد عندما يسترجع حوادث حياته السابقة يدرك مدى تقديره للسنوات الماضية أو ألسنة أو الشهر أو الساعة التى يختلف عن مدى إدراكه لها الآن فى مرحلته الراهنة ، فإدراك الطفل يبدأ بإدراك الزمن الحاضر لاتصاله المباشر بعاله المحسوس ، ثم أنه يدرك المستقبل القريب ثم الماضى فى حياته وحياه الآخرين ، والادراك الزمنى لطفل فى سنته العاشرة مثلا للعام الدراسى أو للعطلة الصيفية تستغرق مدى أطول من إحساس الشاب الجامعى ، وكلما تقدم الانسان حثيثا فى مراحل العمر شعر أن الزمن يجرى بسرعة أشد ، فاذا بالكهل أو بالشيخ يشعر أن سنواته تطير بسرعة لتتكدس مع غيرها من السنوات الماضية ، فالطفل يشعر أن الزمن بطئ ثقيل الحركة فالأمس أو الغد عنده بعيد الشقة من يومه الحاضر ، بينما يشعر المسن أن السنة لا تبدأ حتى تنتهى سريعا ثم لتلحقها الأخرى وهى أشد سرعة منها [١] .

كما تقوم عملية الادراك على مدى قدرة الفرد على تصنيف المعلومات التى يدركها أكثر مما تقوم على النواح الحسية ومعطياتها وذلك حينما يحاول الفرد أن يربط بين الموقف الخارجى وبين الخبرات السابقة التى مرت به [٢] .

وتزداد صعوبة عملية الادراك وتكثر بها الأخطاء بعد سن الرشد ولذلك تتطلب هذه العملية وقتاً أطول عند الشيوخ عما كانت تتطلبه منهم وهم فى صباهم ورشدهم وإكتمال نضجهم .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجتمع العلمى بجدة ، ١٩٨٠ ص ٣٥٦

(٢) محمد يسرى ابراهيم دعبس ، التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ ص ١٠١ .

وتؤثر ضعف القشرة المخية فى عملية الإدراك نتيجة زيادة السن خصوصاً بعد الرشد ، وضعف المداخل الحسية للإدراك مثل الإدراك البصرى والإدراك السمعى[(١)] .

ويمكن القول فى ضوء واقع الخبرة الميدانية أن إدراك مدمنو للهيروين للزمن ضئيل للغاية ولا يفكر فى حياته الماضية ولا حياته المستقبلة ولا يفكر إلا فى وقت الجرعة فهذا هو عنصر الزمن الذى يدركه ويحصر نفسه داخله ولا يريد أن يعرف سواه ويقترب الى ذلك الى حد كبير مدمن حقن الماكس فورت والحبوب المخدرة ، وهؤلاء يعيشون مرحلة الكهولة المبكرة وهم فى ريعان الشباب أو الصبا ، حيث أن تلك المواد المخدرة بالذات تدمر الجهاز العقلى والحسى والحركى وتؤثر فى المدركات العقلية .

وتقل معاناه مدمن الحشيش فى كل الثقافات بالنسبة لادراكه لعنصر الزمن عن مدمنى المواد المخدرة الأخرى ، حيث أن هؤلاء المدمنين لا يعترفون بإدمانهم وإنما يذهبون الى أنهم متعاطون وأن إدمانهم هذا مجرد تعود ليس أكثر ، ولذا نجد أغلبهم خصوصاً القادرين مادياً يعيشون حياتهم الإجتماعية فى هدوء وسكينة نسبية عكس الحال تماماً لمدمنى المواد الأخرى خصوصاً المواد المدمرة كالهيروين بالذات وحقن الماكس .

٢ - فقدان الذاكرة والنسيان لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه أن الذاكرة تتأثر ضعفاً بالشيخوخة ، وهذا التأثير يكون بعيداً حيث تمسح يد النسيان على كثير من صفحاتها أولاً بأول ، وفى هذا

---

(١) فؤاد البهى السيد ، الأسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ص ٣٨١ - ٣٨٢

ينطبق قانون (ريبو) الشهير فى النسيان وهو أن الذكريات تنسى بترتيب عكسى بالنسبة لظهورها ، وهذا بعكس مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب حيث تكون الأمور القريبة والحديثة أشد تذكراً وذكرياتها أكثر وضوحاً ، وكلما إبتعدت الأمور عن الحاضر وأوغلت فى الماضى كانت الى النسيان أقرب وفى الإهمال ألصق .

ويمكن القول أن المدمن خصوصاً على الأنواع المدمرة وبخاصة الهيروين وحبوب الهلوسة يعيش مرحلة الشيخوخة وهو فى ريعان الشباب حيث أن هذه المواد المخدرة تؤثر على قدراته على التذكر والتخيل وتصيبه بأمراض مثل السرحان والشرود وضعف الذاكرة والنسيان وتجعل هذا الإنسان لا يعيش إلا اللحظة التى هو فيها وبالأخص اللحظة التى يحتاج فيها الى العقار والتى يتركز تفكيره فيها وإدراكه لها إدراكاً واعياً دون باقى حياته الماضية والحاضرة ولا يفكر فى مستقبله بالمرة عكس الشخص العادى تماماً .

ونجد أن هذه الأمراض العقلية من ضعف ذاكرة وشرود ونسيان والسرحان والتوهان تقل حدتها وإن كان تأثيرها موجود عند المدمنين على أنواع المواد المخدرة الأخرى كالحشيش والأفيون وكذلك الخمر وإن كانت أخف وطأة من عقار الهيروين الذي يدمر الخلايا والأنسجة الجسمية والعقلية ويدمر تكوين الإنسان النفسى والعصبى نهائياً .

ويمكن القول فى ضوء الخبرة الميدانية أن ظروف الحياه التى تحيط بالبدو وبصفة عامة والمدمنين البدو بصفة خاصة أكثر هدوءاً أو أقل تلوثاً وأكثر ترابطاً إجتماعياً وأكثر دفئاً إجتماعياً ووداً ومحبة وألفة وأقل طموحاً

وأكثر واقعية وتقترب اليها بصورة ما الظروف الحياتية التى تحيط بالمدمنين القرويين خصوصاً فى الأسر الممتدة وتكون الصورة عكسية تماماً بالنسبة للمدمنين فى المجتمع الحضرى لإختلاف الظروف الإقتصادية والنفسية والثقافية والإجتماعية عن الأنماط السابقة من كل الجوانب الحياتية . وهذه الأسباب وكما سبق ذكرها تفصيلاً فى مواضع كثيرة فى متن هذا البحث أثرت الى حد كبير فى إختلاف إنتشار أنواع المواد المخدرة فى كل نمط مجتمعى عن الآخر مما إستتبع معه بالضرورة إختلاف المشكلات العقلية وإضطرابات التذكر والتخيل والتصور والنسيان والشرود بين المدمنين فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

٣ - ضعف الإنتباه وعدم القدرة على التركيز الطويل لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة .

مما لاشك فيه أن قدرة الإنسان على الإنتباه وعدم القدرة على التركيز الطويل تختلف فى المراحل العمرية المختلفة التى يمر بها الإنسان خلال نموه ، فإذا كانت ضعيفة فى مرحلة الطفولة تختلف من حيث القوة والضعف فى مراحل الصبا والشباب ومنتصف العمر ، كما تختلف قدرة حواس الفرد على إستقبال المثيرات الخارجية ، إلا أن فترة ومنتصف العمر والشباب تمتاز بالقدرة على التركيز وعدم السرحان والإنتباه ونشاط الحواس الزائد فى التفاعل مع كل المثيرات المحيطة بالفرد من جميع الجوانب (١) .

ومن الملاحظ أن الإنسان المسن يعانى بصفة عامة إذا جاوز السبعين

(١) محمد يسرى إبراهيم دعبس ، التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة ، دراسة أنثروبولوجية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ ، ص ٨٢ .

ضعفاً ملحوظاً في قدرة حواسه على إستقبال المثيرات الخارجية ، كما أنه يعاني إرهاقاً في نشاطه العصبي ، وهذه كلها عوامل تؤدي الى ضعف إنتباهه فهو قليل الصبر على السماع الطويل ، لا يستطيع التركيز طويلاً في موضوع واحد وهو منهمك فيما يعانيه من صنوف الضعف شديد السرحان يستقطب نشاطه الفكري عادة حول أمور شخصية أو فكرية ضعيفة محدودة ، ولا يسمح لنفسه بالخروج بعيداً عن نطاقها .

وهو لذلك ضعيف الإتصال نسبياً بما يجري حوله إذا قورن في مرحلة شبابه وأواسط عمره السابقة ، فهو يري أو يسمع ولكنه في شغل آخر شاغل له عما حوله (١) .

ويمكن القول من واقع الخبرة الميدانية أن حال المدمن في كل الأنماط المجتمعية وخصوصاً مدمن الهيروين والحبوب المخدرة يعيش كما لو كان مسناً فهو لا يعي الزمن ولا يعي شيئاً من حوله ولا يفكر إلا في الجرعة المطلوبة ووقت إحتياجه لها ، بل وكما سبق القول أن مدمن الهيروين لا يمكن أن ينام إلا وتحت وسادته " تذكرة الهيروين " أو الجرعة المطلوبة عند إستيقاظه ، ولذا نجده ضعيف الإتصال بمن حوله من أمور حياتية أو أمور تشغله وتبدأ علاقاته في الإنحسار والضيق والميل الى الإنطواء والعزلة .

ويختلف الأمر بالنسبة لمدمن الحشيش في كل الثقافات المختلفة حيث نجده أكثر تركيزاً من مدمن الهيروين أو الحبوب المخدرة أو مدمن الخمر ويكون لديه قدرة على التفكير المتزن عن أولئك المدمنين حيث أنه يميل الى الحياه في هدوء وإستقرار نسبي عن أولئك وبخاصة مدمن الخمر الذي لا

---

(١) عبد الحميد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، دار المجمع العلمي بجدة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٧ .

يمكن أن يعيش فى جو مستقر أو يجعل المحيطين به يعيشون فى جو إستقرار ومن ثم فإن إتزانه العقلى يكون غير طبيعى .

ويمكن إجمال أهم الأمراض النفسية والعقلية التى يصاب بها مدمنو المواد المخدرة فى النقاط التالية :

١) الاصابة بالهلوسة والشعور بالإضطهاد ونتيجة لذلك قد يتجه لإرتكاب جريمة كبرى لإفتراض الدفاع عن نفسه خصوصاً مدمن الكوكايين كما يصاب مدمن الخمر بالهلوسة الكحولية والخرف الكحولى .

٢) إضطرابات فى الذاكرة وعدم القدرة على التركيز والهبوط الذهنى .

٣) الهذيان الرعاشى « وخصوصاً مدمن الخمر » .

٤) التهاب المخ من نوع فيرنيك .

٥) ذهان كورساكوف .

٦) المعاناه من الأرق والقلق والخوف الدائم .

٧) الخمول الفكرى والاصابة ببلادة التفكير .

٨) الخلل العقلى نتيجة الخلل فى إفرازات الغدد وبخاصة الصماء .

٩) حدوث فقدان جزئى للذاكرة وميل الى النوم .

١٠) ضعف قوة الإرادة وخلق الجبن خصوصاً مدمن الحشيش .

الفصل الرابع عشر

التكوين الاجتماعى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لا شك فيه أن كل إطار ثقافي يتضمن تنظيمات معينة تتحدد فيها مراكز الأفراد والأدوار التي يقومون بها ، والمركز هو أبسط عناصر التكوين الاجتماعى ، والجماعات على إختلاف أنواعها تتآلف من شبكة من المراكز تأخذ أهميتها الاجتماعية من نظام المعايير السائدة فى المجتمع كما تتأثر بالفلسفة الاجتماعية التى تميز إسلوب حياة الجماعة ، هذا وتتعدد المراكز فى المجتمعات المعقدة عنها فى المجتمعات البسيطة ، وذلك لزيادة التخصص والتوسع فى مجالات الأعمال مما يغير معناها وأهميتها الاجتماعية .

ومن الطبيعى أن تتدرج المراكز فى القيمة الاجتماعية تبعاً لما تتضمنه من خدمات تقدم لباقى الأفراد ، وكثيراً ما يحدد هذه الخدمات عوامل معينة مثل الجنس (ذكر أم أنثى) وعمر الفرد ، ففى أى مجتمع لا يقدم الأطفال خدمات ما بينما هم يحتاجون الى الكثير منها ، كما أن مسئولية الدفاع تلقى عادة على الباب وهكذا [1] .

كما أن الدور الاجتماعى هو الجانب الديناميكى للمركز ، ويشير المركز الى مكانة الفرد فى الجماعة ، فإن الدور يشير الى نموذج السلوك الذى يتطلبه المركز ، ويتحدد سلوك الفرد فى ضوء توقعاته وتوقعات الآخرين منه وهذه تتأثر بفهم الفرد والآخرين للحقوق والواجبات المرتبطة بمركزه

(١) إنتصار يونس ، السلوك الانسانى ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ، ص ٢٢٥ .

الاجتماعى ، وحدود الدور تتضمن تلك الأفعال التى تتقبلها الجماعة فى ضوء مستويات السلوك فى الثقافة المعينة وعادة ترسم الجماعة حدود الادوار التى يقوم بها أفرادها سواء كان ذلك شعورياً من خلال التنظيمات المختلفة ، أو لا شعورياً من خلال المعايير والقيم السائدة فى المجتمع ، وبذلك تختلف حدود الادوار ومضموناتها من ثقافة الى ثقافة ومن جيل الى جيل نتيجة التغيرات التى قد تطرأ على التقاليد والمعتقدات والآراء والاتجاهات القائمة فى الاطار الثقافى المعين (١) .

كما نجد أن الحياة الاجتماعية للمدمنين تختلف من ثقافة الى أخرى حسب ما تقره المضامين الثقافية من تحديد قاطع وحازم لطبيعة العلاقات الاجتماعية والتواصل بين الاجيال بعضها البعض والمراكز والادوار خلال المراحل العمرية المختلفة .

ولما كانت غالبية نسبة الفئات التى تدمن على مختلف المواد المخدرة هى فئة المراهقين والشباب ووسط العمر مع وضع فى الاعتبار إختلاف أنواع المواد المخدرة تبعاً لاختلاف الانتماء الاجتماعى والثقافى والمهنى نجد من الاهمية أن نعرض فى إيجاز شديد لاهم العوامل المؤثرة فى التكوين الاجتماعى للمراهقين والشباب ومتوسطى العمر فى المعالجة التالية :

أن التكوين الاجتماعى لا يحدث فى فراغ نفسى أو إجتماعي وإنما هو محصلة عاملين هما : الفرد الانسانى ذاته وما فيه ، والبيئة المحيطة به وما فيهما من مؤثرات ثقافية وإجتماعية .

---

(١) إنتصار يونس ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

ويتفاعل المراهق سلباً وإيجاباً مع المجتمع الذى ينشأ فيه المراهق وما يحتويه من ثقافة وعقيدة وتقاليد وأخلاق ونظم إجتماعية تحيط بالمراهق ، وتفرض عليه أنماطاً السلوك تقضى منه ملائمة نفسية متزنة ، وتكيفاً إجتماعياً سليماً .

وتختلف المجتمعات الانسانية ذات الثقافات المتباينة فيما بينها ، فقد نجد منها أنماطاً محافظة ومستقرة . وقد نجد أنماطاً متحررة وهناك أنماطاً متطورة ومتغيرة ، وبناء عليه تختلف نظرة تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً للفرد من جميع الطبقات العمرية خصوصاً فى طبيعة الانماط السلوكية وأسس التفاعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية المسموح بها للشخص دون غيرها ، وإختلاف طبيعة الحقوق والواجبات المرتبطة بدور ومركز الفرد من مختلف المراحل العمرية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

ومن هنا نجد أن مراهق البيئة العربية والاسلامية والشرقية غير مراهق البيئة الامريكية المختلطة ، وهما غير مراهق وشباب القبائل البدائية الضيقة ، وبالتالى تكون مشكلات المراهق فى مجتمع ما ليست هى تماماً كل مشكلات المراهق المجتمعات والبيئات الاخرى (١) .

وفى الحقيقة أن ما يقال عن المراهقين من الجنسين بشأن إختلاف أوضاعهم وأنماطهم الحياتية فى البيئات المختلفة ينطبق على كل الطبقات العمرية الاخرى كالاطفال والشباب والراشدين والمسنين ، ولذا وجدنا مشكلة

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، أسسه وتطبيقاته من الولادة الى الشيخوخة دار المجتمع العلمى بجدة ، ١٩٧٩ ، ص ٢١٠

إدمان المخدرات وتنوعها تختلف تبعاً لهذا التباين والاختلاف .

ومما لاشك فيه أن المميزات الاجتماعية فى تكوين المراهق من الجنسين النفسى تختلف عن مرحلة الشباب والرشد ويمكن إجمال تلك المميزات فى إيجاز شديد فى النقاط التالية :

١ - الاستقلال الذاتى والثقة بالنفس والاعتماد عليها ، فالمراهق يحرص أن يتحرر من سلطة الراشدين ويريد أن يستقل بأموره دون سيطرة الاسرة والمجتمع ويحاول أن يجبر الناس المحيطين به على الاعتراف بأنه قد أصبح كبيراً ولم يعد بعد ذلك الطفل الذى يسلس القيادة ويطيع ، وبناء عليه فهو فخور بنفسه وكلامه ، معتز بمستواه الدراسى ومظهره الخارجى وتجاربه الشخصية ويجب أن يتحدث عنها أو يسمع ثناء الناس عنه ويدفعه ذلك الى أنواع من السلوك الاجتماعى الذى يتجلى فيه الغضب أو التمرد أو المنافسة أو الغيرة (١)

٢ - تتميز هذه المرحلة بالصداقات التى يشترك فيها الزملاء والاقران والتى يجمعهم ميول مشتركة وهوايات موحدة ، وجماعة الاصدقاء أمر ضرورى لا يستغنى عنه المراهق العادي ، ففى مرحلة الطفل قد يجد الطفل من إخوته أفراد أسرته أصدقاء . وقد الرجل والمرأة كل منهما فى شريكه وأبنائه وأقاربه أصدقاء رغم إختلاف السن والهوايات والسكن ، أما المراهق فلابد له من هوايات وأصدقاء فى سنه يضع بهم ثقته الغالية ويحفظ معهم أسراره الهامة ويقى معهم أسعد لحظاته وساعاته ويحاول أن يصرف جل وقته معهم ولا يذكر المنزل إلا لطعامه ومنامه ، إن لم يجد عن ذلك محيصاً

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

ويفيد ذلك في اتساع محيطه الاجتماعى وتعقد علاقاته الاجتماعية ويتحرر من نزعته الفردية الانانية فى الطفولة ليكتسب روحاً إجتماعية تعاونية [1] .

وبناء عليه ومن واقع الخبرة الميدانية تأكد لنا بالفعل أهمية هذه المرحلة فى عمر الفرد وفى علاقاته الاجتماعية وشبكة التفاعل الاجتماعي وحدوده فى الثقافات المختلفة ، وإختلاف الدور التربوى والاسرى للمراهقين فى الثقافات المختلفة هو الذى جعل عملية الادمان تختلف وتتباين من حيث الخطورة ومدى إنتشار أو عدم إنتشار بعغض الانواع المدمرة فى البيئات الحضرية أكثر منها فى البيئات التقليدية الريفية والبدوية وإن وجد لها أثر ففى حدود ضيقة ، وهذا مرده عدم غياب المراهق من الجنسين عن عيون المجتمع ككل لفترات طويلة فى لانماط التقليدية عكس الحال فى المجتمع الحضري .

كما يختلف إحساس المراهق نفسه من الجنسين تجاه المجتمع ونظرته لنفسه فى البيئات الثقافية المختلفة وبالتالى مدى ودرجة إمتثاله للمعايير والقيم الخلقية المتباينة فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة فنجد أن المراهق فى تلك البيئات الثقافية التقليدية يكون أكثر مرونة فى التوافق والتمثل لقيم الجماعة اكثر من قرينه فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك اختلاف المحيط الاجتماعى ،الثقافى الذى يحيا المراهق من خلاله فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

وتكمن الخطورة فى هذه المرحلة العمرية كما تبين من رغبة المراهق من الجنسين فى قضاء معظم وقته مع الأصدقاء وزملاء الدراسة وأصدقاء

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

اللعب ويكون أكثر إرتباطاً بهم عن أسرته ، ولذا فالاختلاط الواسع فى المجتمع الحضرى بالنسبة للمراهق من الجنسين عن الانماط المجتمعية التقليدية وبخاصة البدوية قد جعل سهولة دخول نسبة اكبر من المراهقين فى المجتمع الحضرى عن الانماط المجتمعية الاخرى وذلك مرده اختلاف الظروف الحياتية من جميع الجوانب البيئية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية التى يحيا خلالها المراهق فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

٣ - يتصف بعض المراهقين والمراهقات بمظاهر انطوائية انقباضية تدفعهم الى السخرية من الآخرين الى حد العزلة وإيثار الوحدة النفسية والاجتماعية ويرجع ذلك لعدة أسباب نجمل أهمها فيما يلى :

أ) إخفاق صداقات ظنها المراهق مثالية سامية ، وخالها تدوم بروح من التضحية المستمرة ، فخاب أمله ووقع على حقيقة مرة قاسية .

ب) تميز المراهق بصفات مزاجية خاصة كالخجل المفرط أو التهيب الشديد أو عدم الثقة بالنفس وبالآخرين وهذا ما ينفر المراهق من معاشرة الآخرين ، كما أنه يجعل الآخرين يبتعدون عن تكوين صداقات عميقة ودائمة معه ، وقد يضيق ذرعاً بنفسه ، وأنه ليس لديه ما يجعله سعيداً أو يستحق أن يكون به سعيداً .

جـ) يضع المراهق أحياناً لنفسه مثلاً عليا ، فيستهين بالحياة الواقعية المحيطة لبعدها عن تلك المثل التى يؤمن بها ويدعو اليها ، وهذا ما يجعله يزهد بالحياة العملية وبالناس من حوله ، لأنهم لا يسيرون حسب المثل العليا التى يعتنقها ، ولكن المراهق كلما تقدم فى العمر رويداً إقترب شيئاً فشيئاً

من الواقع العملى الذى يحياه الناس ، وهو بذلك يهبط من الأجواء المثالية العملية بما فيها من جد وهزل ومثال وواقع وعمل ومبدأ (١) .

د) التمرد ، ويتحرر المراهق من سيطرة الاسرة ليشعرها بفرديته ونضجه وإستقلاله ، وقد يغالى فى هذا التحرر فيعصى ويتمرد ويتحدى السلطة القائمة فى أسرته وكأنه بذلك يثور على طفولته التى كانت تخضع وتنصاع إلى أهله ونواياهم (٢) .

ولست هذا التمرد بصورة واضحة فى نمط المجتمع الحضرى وتكون مظاهر التمرد خفية فى نمط المجتمع القروى خصوصاً فى الأسر الممتدة إلا أن بعض مظاهر التمرد قد تظهر فى الأسر النووية القروية ، ولم ألاحظ أى مظاهر للتمرد من جانب المراهقين فى المجتمع البدوى حيث أن مقاليد السلطة والثروة والقرار دائماً فى جانب الكبار ولا دخل لجميع الطبقات العمرية الأخرى فيه .

هـ) التعصب ، يزداد تعصب المراهق لآرائه ولمعايير جماعة النظائر التى ينتسب اليها ولأفكار رفاقه وأساليبهم وخاصة فيما بين ١٢ ، ١٦ سنة ثم تقل حدة هذا التعصب بعد ذلك كلما إقترب من الرشد ، وهو يتأثر فى تعصبه هذا بعوامل عدة تنشأ فى جوهرها منذ علاقته بوالديه وبأنماط الثقافة التى تهيمن على بيئته وبالشعائر الدينية التى يؤمن بها وبالطبقات الاجتماعية التى ينتمى اليها هذا وقد يتخذ التعصب سلوكاً عدوانياً يبدو فى الألفاظ النابية والنقد اللاذع والنشاط الجامح (٣) .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(٢) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣١٩ .

(٣) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢١

ومما لا شك فيه أن العوامل البيئية والاجتماعية فى الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً محل الدراسة قد جعلت المراهق فى المجتمع البدوى الى حد كبير والمراهق القروى الي حد بسيط عكس الحال المراهق في المجتمع الحضرى أكثر استقراراً وهدوءاً نسبياً فى التعامل مع مختلف الطبقات العمرية ولهذا تشكل مظاهر التعصب والتمرد نمطاً غير مألوفاً فى الأنماط التقليدية إلى حد كبير عكس الحال فى النمط الحضرى .

و) المنافسة ، فيؤكد المراهق مكانته بمنافسته أحياناً لزملائه فى ألعابهم وتحصيلهم ونشاطهم والمغالاه فى المنافسة الفردية تحول بينه وبين الوصول الي المعايير الصحيحة للنضج السوى ، وخير للمراهق أن يرتفع بأنماط المنافسة وأساليبهم حتى تستقيم أموره مع الأوضاع الاجتماعية السوية (كما هو الحال فى المجتمع البدوى إلى حد كبير والمجتمع القروى إلى حد بسيط والى حد بسيط فى المجتمع القروى) فيتحول من المنافسة الفردية الى المنافسة الجماعية التي تهيمن عليها روح الفريق وما تنطوى عليه هذه الرح من تعاون بين الأفراد [١] .

٤ – الميل الى الجنس الآخر ، يميل الفرد فى أوائل مراهقته الى الجنس الآخر ، ويؤثر هذا الميل على نمط سلوكه ونشاطه ويبدأ هذا الميل خفياً مستتراً ، ثم يسفر عن نفسه فى المسالك العذرية الأفلاطونية ثم يتطور بعد ذلك تطوراً يقترب به من الحياة اليومية الواقعية ، ويحاول المراهق خلال

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .

تطوره أن يجذب انتباه الجنس الآخر بطرق مختلفة متباينة تتمشى فى جوهرها مع أطوار نموه (١)

٥ – البصيرة الاجتماعية ، يستطيع الفرد فى مراهقته أن يدرك العلاقات القائمة بينه وبين الافراد الآخرين ، وأن لمس ببصيرته آثار تفاعله مع الناس ، فرب كلمة هو قائلها ، قد تثير حوله عاصفة من النفور وأن تضفى على الحياة جواً من الألفة .

فهو لهذا قد ينفذ ببصيرته الى أعماق السلوك ويلائم بين الناس وبين نفسه .

ومن الطبيعى أن يختلف السلوك الاجتماعى للمراهقين عن سلوك المراهقات فى بعض نواحيه وفى تتابع بعض مظاهره ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

أ) النمو الاجتماعى عند المراهقين:

وتتلخص أهم الخطوات الرئيسية للنمو الاجتماعى عند المراهقين فى المراحل التالية :

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٢١٣

(٢) فؤاد البهى السيد ، الاسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٨ .

١) مرحلة التقليد

وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ عمر الفرد ١٢ سنة وتوشك أن تنتهى فى الخامسة عشرة من عمره وتتميز بفرط إعجاب المراهق بزملائه الشجعان الأقوياء الأذكياء الذين يتفوقون فى ألعابهم ودراساتهم أو الذين يتزعمون أقرانه وزملاءه فهو لذلك ينتقل فى تطوره هذا من إعجابه بأبيه إلى إعجابه بزعيمه ، ويحاول أن يقلد هؤلاء الأفراد وأن يقتدى بهم فى سلوكه (١) .

ومن هنا تكمن خطورة تقليد المراهقين لسلوك الكبار أو أصدقاء السوء نتيجة الاختلاط الواسع فى المجتمع الحضرى عن نمطى المجتمع القروى والبدوى ولقد كان البدو حريصين الا يراهم أبناؤهم وهم يتعاطون أى مواد مخدرة خشية التقليد عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

٢ – مرحلة الإعتزاز بالشخصية :

وتبدأ بعد الخامسة عشرة من العمر وتتميز بمحاولة المراهق الإنتصار على زملائه فى ألعابه ، وبمفاعلاته .. فى منافستهم ، وبميله أحياناً إلى السلوك العدوانى وبجرأته التى تتحدى بعض المخاوف القائمة ليؤكد بذلك شخصيته ومكانته ويبرهن على قوته وشجاعته (٢) .

وتكمن الخطورة فى هذه المرحلة فى أن المراهق يحاول أن يثبت ذاته ويؤكد أنه أصبح رجلاً وأنه مسئول عن تصرفاته ويتميز بالإندفاع والتهور

انظر :

(١) فؤاد البهى السيد ، الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٢) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

فى تصرفاته وقد يستغل من قبل اصدقاء السوء فى تلك المرحلة بمحاولة تشجيعه على تقليدهم فى تعاطى المواد المخدرة وهذا لمسته بوضوح فى المجتمع الحضرى والقروى الى حد كبير والمجتمع البدوى الى حد بسيط .

٣ – مرحلة الإتزان الاجتماعى :

وتبدأ فى أواخر المراهقة وقبيل البلوغ ، وتبدو فى تخفف المراهق من العصيان والإندفاع والتهور وتتغير نظرته الى هذه الأفعال بأنها صبيانية لا تدل إلا على القصور والعجز (١) .

ونود أن ننوه إلى أن المشكات العائلية ومشكلات الحياة ذاتها من جميع جوانبها فى المجتمع الحضرى بخاصة وقلة حدة هذه المشكلات فى نمطى المجتمع القروى والبدوى قد تؤثر الى حد كبير على طبيعة الإتزان الاجتماعى ومن ثم الإتزان الإنفعالى والوجدانى مما يجعل إقبال المراهق على تعاطى المواد المخدرة المتنوعة فى المجتمع الحضرى يتم بصورة أكبر من الأنماط التقليدية الأخرى .

ب) تطور السلوك الاجتماعى للمراهقات:

تتلخص أهم عوامل المراحل التى تمر بها الفتاه في نموها الاجتماعى من باكورة مراهقتها حتى رشدها فى المراحل التالية :

١ – مرحلة الطاعة :

وتبدأ هذه المرحلة قبيل المراهقة وتمتد حتى أوائلها وتبدو مظاهرها

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

الأساسية فى خضوع المراهقات لمعايير الراشدين من الأهل والأقارب وهكذا يتصف السلوك الاجتماعى للمراهقات بالطاعة ودماثة الخلق والوداعة والرصانة والحياء والتظاهر بالحشمة طمعاً فى إرضاء الأهل والوالدين .

٢ – مرحلة الإضطراب :

وتمتد هذه المرحلة من أوائل المراهقة حتى الخامسة عشرة من العمر وتتميز بالإضطراب الإنفعالي وإختلال الإتزان فتبالغ الفتاة فى إستجابتها للمثيرات الهادئة ، وقد تنفجر ضاحكة أو تثور غاضبة للأمور التافهة ، ثم تستطرد بعد ذلك الى الكآبة اليائسة الحزينة أو تبالغ فى الإهتمام بنفسها ومظهرها وتعود بعد ذلك الى سيرتها الأولى [١] .

٣ – مرحلة تقليد الفتيان :

وتبدأ فى الخامسة عشرة من العمر وقد تمتد الى السادسة عشرة أو السابعة عشرة ، وتبدو فى تقليد الفتيات للفتيان فى السلوك والزى والحوار ، ولقد إسترعت هذه الظاهرة الغريبة أنظار بعض الفلاسفة المحدثين وبعض علماء التحليل النفسى فذهبوا الى أن الحياة فى صورتها العامة تنمو دائماً نحو القوة ، وأن الرجولة مظهر هذه القوة ، ولهذا تقلد المرأة العصرية الرجل فى كثير من أموره فتحاول أن ترتدى زيه وأن تزج بنفسها فى المغامرات التى إشتهر بها ، وأن تدخن ما يدخن الرجال ، سواء بسواء ، ومهما يكن من أمر هذه المذاهب والآراء فلا جرم أن الفتاة تمر فى تطورها الاجتماعى بهذه المرحلة ، وقد يقف بها النمو عندها فتتخذ لنفسها بعد ذلك أساليب الرجل فى الحياة [٢] .

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢١ – ٣٢٢.

(٢) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

وتبين أن الحرية المفرطة التى تعيشها بعض فتيات المجتمع الحضرى عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع القروى وإلى حد كبير للغاية فى المجتمع البدوى هى السر فى تقليد الفتاة الحضرية للفتى الحضرى حيث أن فرص الاختلاط والتواصل بمختلف صوره فى بعض الأسر الحضرية يكون سهلاً مما يجعل إنحراف الفتيات والفتيان فى ذلك النمط المجتمعى أكثر يسراً وسهولة بحجة التحضر أو المعيشة بمنطق الحرية الشخصية والتمدين . ولقد كان ذلك من العوامل التى جعلت انواع المواد المخدرة تنتشر بين الفتيان والفتيات على حد سواء خصوصاً المدمرة عن الأنماط المجتمعية الأخرى .

٤ – مرحلة الإتزان الاجتماعى :

وتبدأ فى أواخر المراهقة وقبيل الرشد ، وتبدو فى إستجابة الفتاة للمعايير الأنثوية الصحيحة فى السلوك وفى زيها وحديثها وأنماط حياتها .

ونجد من الأهمية بمكان أن نعرض للعوامل المختلفة المؤثرة فى النمو الاجتماعى لتلك المرحلة الحرجة فى إيجاز شديد على النحو التالى :

أ) أثر الأسرة فى التكوين الاجتماعى:

مما لا شك فيه أن إستقرار الأسرة وتوازنها الاجتماعى والنفسى من الأهمية بمكان فى معيشة الفرد فى مراحل حياته المختلفة بداية من الميلاد حتى الوفاة فى سعادة وإستقرار عكس الحال بالنسبة للأسرة المفككة الغير مستقرة من جميع النواحى .

فنجد أن علاقة الطفل بوالديه تتأثر تأثيراً كبيراً بإسلوب معاملتهم له

منذ مرحلة الطفولة حيث أن الطفل المدلل يظل يعيش فترات كثيرة من عمره مدللاً وبخاصة المراحل الحرجة مثل المراهقة والشباب ولا يستطيع الاعتماد على نفسه ولا يستطيع مواجهة أى مأزق وهنا تكون المغالاة فى التدليل وتلبية كل مطالبه وإحتياجاته بسهولة لها أثر سىء فى خلق مواطن صالح يعرف حقوقه وواجباته .

كما نجد أن الطفل الذى يعيش حياته منبوذاً غير مدلل فيثور في مراهقته لأتفه الأسباب ويميل الى العدوانية والمشاجرة ويحاول أن يجذب الآخرين بفرط نشاطه وحركته وهنا تكون النتيجة تكوين إجتماعى غير سوي شأنه شأن الطفل المدلل وفى تلك الحالتين هذه العناصر تكون فريسة سهلة للإنحراف بأشكاله مختلفة ومن ثم أحد أشكاله الخطره وهى عملية الإدمان .

كما تبين أن الإستقرار النفسي والإجتماعى السائد فى الأسرة له أثر بالغ الأهمية فى نمو الفرد إجتماعياً ونفسياً وتنمية إتجاهاته السوية وقدراته وحفظه على الإبداع والإبتكار ، وبناء عليه تختلف شخصية الطفل والمراهق والشاب الذى يعيش فى كنف أسرة يسودها التفاهم والثقة والمحبة والهدوء والطمأنينة عن الطفل الذى يعيش فى جو عائلى دائماً غير مستقر ومضطرب ، بغيض ، تسوده مشاعر الأنانية وعدم الإلتزام والطموح الجانح ، ولذا تترك هذه الأسرة آثارها وبصماتها العميقة على حياة المراهق والراشد من الجنسين وتصبغها بالطابع العام السائد فيها وهنا إما يتجه الفرد نحو الإتجاه الصحيح أو يتجه نحو المعصية والإثم والإنحراف ويكون فريسة سهلة لإرتكاب الجرائم والأفعال السلوكية المنافية للآداب ومن ثم الدخول فى دائرة الإدمان .

ولقد تبين أيضاً أن المستوى الاجتماعى والإقتصادى والثقافى للأسرة له أثر بالغ الأهمية فى إختلاف سلوك الفرد فى الأسر المستقرة مادياً عن الأسر الفقيرة وبالتالى مدى إستقرار الفرد وتمثله بقيم ومعايير الجماعة أو التمرد والعصيان عليها ».

ب) أثر المدرسة فى التكوين الاجتماعى:

عما لا شك فيه أن البيئة الاجتماعية المدرسية أكثر تبايناً وإتساعاً من البيئة المنزلية وأشد خضوعاً لتطورات المجتمع الخارجى من البيت وأسرع تأثراً وإستجابة لهذه التطورات وهى لهذا تترك أثارها القوية على إتجاهات الأجيال المقبلة وعاداتهم وأرائهم ، وذلك لأنها النقطة التى تعبرها هذه الأجيال من المنزل الى المجتمع الواسع العريض .

وتتيح المدرسة للمراهق ألواناً مختلفة من النشاط الاجتماعى الذى يساعده على سرعة النمو والتوافق الاجتماعى مع أقرانه وأترابه ، ويتأثر بفكرتهم عنه وقد يميل الى بعضهم ويكره بعضهم ويتدرب على الحوار والمشاركة والمناقشة والمنافسة المشروعة (١)

كما يتأثر المراهق فى نموه الاجتماعى بعلاقته بمدرسته وبمدرسيهم ، وبمدى نفوره منهم أو حبه لهم ، وتصطبغ هذه العلاقات بألوان مختلفة ، ترجع في جوهرها الي شخصية المدرس ومدي إيمانه بعمله ، ومدى فهمه للمراهقة ، وطرق رعايتها ومعالجة مشاكلها ومدى تفاعله مع تلاميذه من حيث مشاعر الحب والود والألفة والتعاون أو مشاعر التوعد والعقاب والتباعد ... الخ .

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢٧

جـ) اثر الجماعة فى النمو الاجتماعى.

ويطلق على جماعة الرفاق جماعة الوظائف لتقاربهم ، انهم فى اعمارهم الزمنية والعقلية ، ويتأثر المراهق بهده الجماعة تأثراً كبيراً وواضحاً . واثبتت معظم الابحاث والدراسات المتعددة حول إنحرافات الاحداث والمراهقين والشباب الى تأثر هذه الفئات والمراحل العمرية بجماعة بجماعة الرفاق الى حد كبير من حيث التكوين الاجتماعي السوى أو غير السوي

ولما كانت مرحلة الشباب من أهم المراحل الاخرى التى بسهل دخول فئاتها الى دائرة الادمان فسوف نتعرض فى إيجاز شديد لعناصر مصادر التكوين الاجتماعى للشباب فى النقاط التالية

١ - تعد فترة الشباب هى مرحلة إتزان نسبى فى العلاقات الاجتماعية مع الأهل والأصدقاء وأفراد المجتمع وهذا الاتزان نسبى إذا قورن بغرور المراهقة وطيشها

٢ - إحترام الشاب لجامعته ويوقر والديه والكبار . يعترف بعصلهم وكفائتهم وما لهم من خبرات وتجارب

٣ - يلتزم الشباب بكثير من العادات والآداب والتقاليد التى يقتنعون بها

٤ - قد يصدر عن الشاب نزوات أو تصرفات غير طبيعية ولكنه سريعاً ما يدرك ذلك ويلوم نفسه بنفسه ويجعل من ذاته رقيباً علي سلوكه

٥ - يضع الشاب لنظرة الجماعة ورأيها فيه حساباً يدفعه الى الحد من كثير من رغباته الجامحة لأنه يراها لا تليق بمكانة الشباب الناضج

٦ - إدراك الشاب للمستوى العلمى من أثر إحتلال المركز الاجتماعى

المرموق فى البيئات المتقدمة المتطورة ، ويقوم بذلك أكثر حزماً فى دراسته لرفع مستواه المادى والاجتماعى والثقافى .

٧ - إدراك الشباب أيضاً ما للرخاء الاقتصادى من منزلة اجتماعية ويتجلى الرخاء الاقتصادى لديه فى الملبس وركوب السيارة وإقامة الحفلات وحضورها وهو حين يدرك قيمة السعة الاقتصادية فى تحقيق رغباته وطموحه يجتهد لإنماء موارده المالية بطريق أو آخر مما تسمح له ظروفه النفسية والاجتماعية .

٨ - يبحث الشاب فى أخطاء المجتمع ويميل الى نقد تصرفات الأفراد ويشترك مع المراهق فى نقده ، إلا أن المراهق نقده سلبى إنهزامى يكره المسئولية ، أما الشاب فنقده إيجابى بناء يقترح وسائل الإصلاح العملية ، ولا يتقيد نقده محيط الأسرة أو جماعة من الناس ، بل يشمل والمدرسة والجامعة والأمة بصفة عامة (١) .

ولما كانت هذه أهم مظاهر التكوين الإجتماعى للشباب فى المجتمع المصرى خاصة والمجتمعات العربى عامة ، ونلمس فيها كثيراً من الجوانب الإيجابية التى يمكن أن تقوم عليها ركائز التنمية إن إتجهت الأيدى الآثمة وإستهدفت هذه المرحلة العمرية ومرحلة المراهقة بقصد تدمير العمود الفقرى للمجتمع المتمثل فى هذه الطاقات القادرة على العطاء .

ويمكن تلخيص أهم مشكلات التكوين النفسى فى مرحلة المراهقة بإيجاز شديد فى النقاط التالية :

أنظر :

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٦ .

١ – الجنوح .

٢ – الإنحراف الجنسى .

٣ – الإغراق فى عالم أحلام اليقظة .

٤ – الإنقطاع عن الدراسة .

ويمكن إيجاز أهم متطلبات التكوين النفسى لمرحلة المراهقة فى المرحلة التالية :

١ – النضوج الجسمى والجنسى وقيام كل فرد حسب جنسه بما يتناسب والقيم السائدة .

٢ – الإعتزاز بالكيان الجنسى وبالفروق الفردية .

٣ – التحكم النسبى فى الأزمات النفسية وبدء الفطام النفسى .

٤ – تقبل التوجيه والإعداد لمهنة الحياة فى كسب العيش .

٥ – تحمل المسئولية الاجتماعية فى المنظمات الطلابية والكشفية والاجتماعية .

٦ – الإستقلال العاطفى عن الأبوين وغيرهم من الراشدين وذلك ما يسمى بالفطام النفى .

٧ – تكوين مجموعة من الميول والإتجاهات الخلقية التى تهيمن على سلوكه .

٨ – محاولة الاستقلال الإقتصادى والميل الى ذلك إذا دفعته الأيام ولاسيما بالنسبة للفتى فى مجتمعنا المعاصر ، أما الفتاة فلا تزال أكثر إعتماداً على أسرتها فى هذا المجال (١) .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكويني ، أسسه وتطبيقه من الولادة الى الشيخوخة ، دار المجتمع العلمي بجدة ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

ويمكن إيجاز التكوين النفسى فى مرحلة الشباب فى النقاط التالية :

١ – عدم التأهيل لمهنة الحياة الشباب .

٢ – مشكلات الحياة الزوجية .

٣ – ميول إنطوائية لدى بعض الشباب (١) .

ونلمس مما سبق مدي أهمية وضرورة فهم مرحلة المراهقة ومرحلة الشباب بإعتبارهما المرحلتين المستهدفتين فى عالم الإدمان وكذلك المرحلتين اللتين يمكن دخولهما الى دائرة الإدمان بسهولة لطبيعة التكوين النفسى من حيث إختلاف المظاهر الإنفعالية والعقلية والإدراكية والاجتماعية عن المراحل العمرية الأخرى فى حياة الفرد .

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣ .

رؤية ميدانية للوقاية وعلاج الإدمان

رؤية ميدانية للوقاية وعلاج الإدمان

ويمكنى أن أقدم رؤية ميدانية أكثر شمولاً ومن واقع الخبرة الميدانية فى الثقافات المختلفة التى يتضمنها نسيج المجتمع المصرى بعد التعرف على قضية الإدمان من جميع جوانبها حيث أثبت الواقع بما لا يدع مجالاً للشك أن العلاج من الإدمان لن يحقق هدفه النهائى إذا عنى فقط بالإحتياجات البدنية والسيكولوجية فيجب أن يشمل على عناصر من عقيدة الفرد ونظرته للحياه ونظرته لنفسه وللمجتمع وبالعكس وهى كلها عناصر راسخة الجذور فى ثقافته ويمكن إجمال أهم نقاط الوقاية والعلاج فيما يلى

١ - يجب على المدمنين القدامى الذين أتموا العلاج بمساعدة المدمنين الجدد ويفضل أن يكون هذا العمل تطوعاً إبتغاء مرضاة الله مع التكفل بإعالة هؤلاء المدمنين القدامى . وفى هذا خير دليل على إمكانية العلاج وترغيب المدمن فى العلاج والعودة للمشاركة فى الحياه الإجتماعية بعد الشفاء فى أسرع وقت .

٢ - الإعتماد على التاريخ الحياتى للمدمن وهو منهج له أهميته فى البحوث الإجتماعية وهذا يتطلب التركيز على كل العلاقات التى لها مغزى ورمز فى حياة المدمن ومن ثم نثير له لديه الرغبة فى الرجوع الى الحياه الطبيعية والرغبة فى الاستمرار وحب الحياه والإعتماد فى هذا على الأفراد الذين كان المدمن على حب وود وصداقة حميمة معهم أو من كانوا يمثلون له قدوة ومثلاً أعلى .

٣ - التركيز فى العلاج علي الإرادة والرغبة الذاتية للمدمن فى الحياه والمشاركة والتفاعل من جديد وهذا يتم عن طريق اشعاره بالحب الحقيقى

والعطف والرعاية فى الأسره والمدرسة والجامعة والمسجد والكنيسة والمستشفى الخ كما لابد أن نساعد المدمن عن طريق نفسه بإعادة توازنه ونعمق فيه إحساسه بأنه إنسان ينتظره الجميع ولذا لابد من مشاركته فى علاج نفسه وبناء إرادته من جديد .

٤ - لابد من الإسلوب الجماعى فى علاج المدمن فلا يعمل الطبيب بمفرده أو يحتفظ بإسلوب وطريقة علاج المدمن لوحده بل يجب أن تكون أسره المدمن والمقربون له على علم بطبيعة العلاج وبعض الحقائق الطبية المرتبطة بالمادة المخدرة وتأثيرها والتى ستعزز بدورهم الإجتماعى والنفسى فى علاج المدمن وهنا ستتضافر الجهود المخلصة فى إنقاذ هذا الإنسان وعودته الى الحياه الطبيعية من جديد .

٥ - يجب أن يتم داخل أماكن العلاج التشجيع على العمل والإنتاج والفنون والألعاب الرياضية وتوفير مختلف الاساليب التى من الممكن قضاء بها وقت الفراغ الطويل فيما يفيد المدمن وبالتالى المجتمع ، على أن يكون الاشراف هنا من معلمين مهيئين ومتخصصين الى جانب المدمنين القدامى الذين أتموا شفاءهم ويقبلون على هذا العمل التطوعى للمساعدة فى شفاء زملائهم ويجب عمل تفتيش دورى ورقابى منتظم على تلك المستشقيات والأماكن العلاجية .

٦ - أن يكون العلاج فى جمعيات ومصحات تطوعيه وجبرية تمدها الدولة والهيئات والمواطنون بالأموال اللازمة وحث القائمين على هذه الجمعيات بأهمية دورهم وأنه إبتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى مثل الجمعيات الخيرية الإسلامية والمسيحية والجمعيات النسائية وجمعيات تحسين الصحة والنقابات المهنية ... الخ .

وما يهمنى فى هذا الصدد هو أن هذه الجمعيات يجب ألا يقتصر دورها على العلاج الطبى وإنما كذلك تتجه الى الأعمال الحرفية واليدوية والأنشطة الترفيهية لخلق جو من التفاعل والمشاركة الإيجابية فى الحياة بين المدمنين ومن الممكن إقامة بعض هذه الجمعيات فى المدن المستصلحة حديثاً أو عمل معسكرات شبه دائمة فى هذه المدن خاصة وأن من بين هؤلاء المدمنين من هم أصحاب مهن وحرف وتخصصات تجتاحها تلك المدن فى بداية نشأتها وهنا يحس المدمن أن هناك مجالات للعمل تنتظره وبأجور مجزية .

٧ - تغير النظرة الى المدمن فى المجتمع بعد الشفاء وإستقباله من جديد وإتاحة الفرصة له كاملة لمواصلة عمله السابق لو كان يعمل قبل الإدمان أو مواصلة دراسته ان كان طالباً او إيجاد عمل يتناسب مع الخبرة السابقة أو المكتسبة من خلال جمعيات العلاج أقصد الخبرة المهنية التى تلقاها داخل الجمعيات وما يتبعها من أنشطة إنتاجية داخل أو خارج نطاق تلك الجمعيات .

٨ - تنمية الدوافع الدينية لدى العامة والتربية الدينية السليمة لدى الشباب من مختلف الأعمار والترغيب فى أداء الشعائر الدينية وعمل ندوات دينية فى كل المؤسسات وفى المدارس وفى الجمعيات التطوعية ويقوم بالإشراف عليها والمحاضرة فيها أساتذة مدربون على سهولة توصيل العقائد والتعاليم الدينية للغالبية ، حيث أن الدور الدينى فى العلاج من الإدمان وعودة المدمن الى الطريق المستقيم له أكبر الأثر فى نجاح العلاج وخلق المواطن الصالح الذى يعرف أمور دينه ودنياه .

٩ - الإهتمام بما يمكننى أن أطلق عليه التربية للمخدرات ويقصد بها

زيادة الوعى على المستوى الرسمى والشعبى بطبيعة المخدرات وأنواعها وإضرارها وعوامل الوقاية منها ، أى أن نجعل من هذا المفهوم صياغة ميدانية يتلقاها جميع أبناء مصر من الطبقات العمرية المختلفة بالوسائط التربوية الرسمية وغير الرسمية فى كيفية معاملة المدمنين ومساعدتهم فى محنتهم الخ وهذا يكون دوراً وقائياً يفوق الدور العلاجى الذى يضيف أعباء مادية ومعنوية على خطط التنمية .

١٠ - محاولة الرقابة على وسائل الإعلام خاصة الأفلام الاجنبية والعربية التى تتعرض لعمليات الإدمان وتفجر المشكلات وتضخمها وتظهرها تحت التليسكوب على حد تعبير رجال الفن ويقتصر دورهم على ذلك بحجة أنه ليس من مسئوليتهم أو دورهم تقديم العلاج أو الحلول لأى من المشكلات التى تتناولها مثل هذه الافلام .

١١ - لابد من إنتهاج سياسة إعلامية تربوية سليمة فى جميع المستويات المهنية والطلابية فى كل المشاكل والقضايا التى تهم أبناء مصر دون الاهتمام بمشاكل دون اخرى وهذا يكون له أثر عكسى وتربوى على المواطن ، فهل يكفى الحملات الإعلامية التى إستغرقت اسابيع قليلة فى العام الماضى أو حتى بضعة أشهر ثم السكوت فجأة وكأن المشكلة قد وجد لها المسئولون والمتخصصون حلاً وتم الخلاص منها وإنتهت الأزمة ، وتم إلغاء دور المواطن العادى الذى قد يدخل مع المدمن فى علاقات قرابية متفاوتة الدرجات أو قد يتفاعل معه بصورة أو بأخرى خارج نطاق العلاقات القرابية فما هو شعور المدمن والجميع يخافون منه أو يحتقرونه أو يرفضون التعامل معه خاصة وأن المريض العادى لولا وجود الجميع حوله يشملونه بالرعاية الى جانب الدور الطبى لظل مريضاً ، فما بالك المدمن الذى هو مريض إضطرارياً

١٢ - محاولة الإستفادة من جهود وبرامج الدول الاخرى فى علاج الادمان وبما يتناسب مع ظروفنا المجتمعية وثقافتنا الاصيلة

١٣ - يجب الإهتمام بالدور الذى يقوم به رجال المكافحة وبخاصة المثقفون وما أكثرهم مع إعطائهم كثيراً من المرونة الإجتماعية والقانونية حيث أن القانون جاف ومحدد فى حين أن ضباط المكافحة عندما ينفذون القانون يواجهون التاجر والمدمن والمتعاطى ليس بمعزل عن الحياه الإجتماعية عامة ، كما أنهم يؤدون واجبهم أقصد الشرفاء وقد يكون من بينهم عناصر غير أمينة تعرقل جهود الغالبية أو تجعلهم فى تخطيطاتهم يلتزمون الحيطة والحذر فلما لا تستبعد مثل هذه العناصر

١٤ - يجب أن يكون عمل رجال مكافحة المخدرات ليس فى معزل عن مختلف الأدوار الطبية والإجتماعية والنفسية والسياسية والدينية .. الخ . حيث أن المشكلة ومواجهتها وعلاجها يستلزم الرؤية الواضحة والشاملة والمتعمقة لكل المنوطين إليهم بهذه المهمة الشاقة المتعددة الأبعاد .

١٥ - تعزيز الدور الشعبى فى مكافحة المخدرات جنباً الى جنب مع رجال الشرطة وهذه النقطة تعد من الدروس الهامة فى مجال التربية الأمنية خاصة وأن أبناء الشعب من مختلف الأعمال طرف من أطراف القضية ولقد أثبتت التجارب الميدانية نجاح بعض أوجه التعاون الشعبى فى مساعدة رجال الأمن فى إقتحام بعض أوكار المخدرات فى معاقل بولاق والجيارة والجمالية والباطنية الخ مع ضرورة إبراز وإيجاد صور مختلفة للتعاون الشعبى مع الجهاز الأمنى ، فبهذا التكاتف والتلاحم لن يكون بيننا تاجر أو مدمن أو حتى متعاطٍ .

١٦ - إيجاد تشريع قانونى يجبر الفرد المدمن على العلاج لمصلحته

ومصلحة المجتمع مع تطبيق قانون الإعدام ليس فقط على جالبى المخدرات من أبناء الدول الأجنبية خاصة وأن هؤلاء بالطبع قادمون بهذه المواد لحساب تجار مصريين وأجانب أقصد إنهم مجرد موصلين ، وحملة حقائب فقط ، وبناء عليه تظل الرؤوس الخطيرة بعيدة عن طائلة القانون العادى والإعدام طبعاً ، والحقيقة والتاريخ يمكن إستخدام قانون الطوارئ ضد منتظرى الصفقات المجلوبة اذا كانوا معروفين والبحث عن غير المعروفين او المحاولة الذكية والمخططة لمعرفة هؤلاء ومشهود للأمن المصرى بالكفاءة والقدرة العالية على الأداء المتميز فى هذا الصدد ، وهذا يعنى انه لا أحد فوق القانون مهما كان مركزه ووضعه وحصانته . الخ

١٧ – توجيه أموال تجار المخدرات المصادرة او التى تحت الحراسة الى صندوق نطلق عليه " تأهيل المدمن " بالإضافة الى تبرع القادرين من أبناء الشعب والهيئات والمصالح والشركات من بنود الدعاية والبنوك الأخرى التى تسمح بذلك لإنقاذ ثروة مصر البشرية من الدمار

وفى نهاية المطاف أوجه دعوة مخلصة الى جميع أبناء مصر من مختلف الطبقات العمرية والإجتماعية بالعمل جاهدين فى محاولة الوقوف جنباً الى جنب مع كل المهتمين بهذه المشكلة الحيوية التى تعوق مسيرة التقدم والتنمية الشاملة بغية مساعدة اى زميل أو أخ أو أى مواطن فى محاولة الخروج من دائرة الإدمان بالتفاعل معه وعدم الإبتعاد عنه أو نبذه ومحاولة مساعدته فى إستعادة توازنه النفسى والإجتماعى والصبر فى مساعدته تعليمياً ويكون هناك دور إشرافى لهذا العمل النبيل من الأساتذة الأجلاء المخلصين فى كل مكان وفى كل موقع

خاتمة ونتائج

مما هو جدير بالذكر أن ظاهرة ادمان المخدرات بدأت تحتل مكاناً بارزاً فى إهتمامات الرأى العام المحلى والعالمى على حد سواء . هذا فضلاً عن أن كثيراً من العلماء والباحثين فى مختلف التخصصات الطبية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية بدأوا يهتمون بإلقاء الضوء على تلك الظاهرة من زوايا متعددة تتناسب مع الاهتمام الاكاديمى والأمبيريقى لتخصصاتهم الدقيقة ، إلا أن الاهتمام الانثروبولوجى ذو النظرة الاكثر شمولية وعمقاً لا يقف عن حد زاوية واحدة أو أكثر من زاوية فى تناول هذه الظاهرة الجديرة بالدراسة وإنما يتناولها من مختلف الأبعاد والزوايا والعوامل المختلفة المؤثرة فى هذه الظاهرة فى ضوء التوجهات النظرية والبحث والأمبيريقى المقارن المتميز الذى إتسمت به الدراسة الامبيريقية لهذه الظاهرة فى الثقافات المختلفة .

وليس هناك أدنى شك فى أن خظورة إدمان المخدرات تكمن فى كونها تصيب الطاقة البشرية الموجودة فى أى مجتمع سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبصفة خاصة فى جزء هام وحيوى من تلك الموارد البشرية ألا وهو الشباب من الجنسين ، وهى بهذا تصيب جزءاً غالياً من تلك الطاقة البشرية الموجودة فى المجتمع مهما إختلفت درجة تحضره ، كما انها تؤدى الى إهدار موارد الثروةالطبيعية فى أى مجتمع مما يعرقل أى جهود خاصة بالتقدم الاجتماعى والتنمية الشاملة فى المجتمع عامة

فضلاً على ذلك فإن تعاطى المخدرات له أثر قوى على الحياة الاجتماعية والنفسية والثقافية للأفراد والمجتمعات التى يعيشون فيها وإنتشار أنواع

معينة من المخدرات دون أخرى ما هو إلا إستجابة أو رد فعل للأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية والنفسية السائدة فى المجتمع الذى تنتشر فيه تلك الأنواع من المخدرات

كما نجد أن حياة الانسان الذى يدخل فى دائرة الادمان على انواع من المواد المخدرة تتبدل وتتغير من جميع النواحى وبالتالى قد تؤثر تأثيراً واضحاً على التكوين الاجتماعى والنفسى للإنسان مما يجعله يفقد الكثير من الحقوق والواجبات والأدوار والمراكز التى كان يؤديها ويشغلها قبل الدخول فى دائرة الإدمان وبالذات على الأنواع المدمرة .

ولقد جاءت اهمية هذه الدراسة فى أنها تلقى الضوء على طبيعة ظاهرة الإدمان وأنواع المواد المخدرة وتباينها فى الثقافات المختلفة والعوامل المختلفة المؤثرة فى عملية الإدمان ذاتها .

كما عالج البحث تقسيمات المواد المخدرة بأنواعها المختلفة وتأثير كل مادة على الإنسان من مختلف النواحى الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والعصبية .. الخ .

وتناول البحث دراسة تحليلية لمناهج وطرق البحث فى الجريمة حتى يمكننا التعرف على المناهج والطرق التى تتناول المدمن فى ضوئها كونه مجرماً أم مريضاً .

وعالج البحث الحياة الاجتماعية للمدمن فى الثقافات المختلفة من خلال دراسة لأوضاع المدمنين فى تلك الثقافات المختلفة والتعرف على الظروف البيئية والمجتمعية حول المدمن وما هى أسباب ودوافع الادمان فى كل ثقافة دون الاخرى والعوامل المختلفة لإنتشار أنواع من المخدرات دون أخرى فى كل ثقافة على حدة .

كما تناول مدى إنتشار الادمان بين الذكور والإناث وبين المطلقين والعزاب والأرامل والعلاقة بين الطبقة العمرية وعملية الإدمان ثم العلاقة بين المهنة والإدمان فى الثقافات المختلفة وإختلاف اساليب التعاطى وأماكن التعاطى فى الثقافات المختلفة وأسباب ذلك .

وعالج البحث العلاقات الاجتماعية للمدمن من خلال التعرف على البيئة الاجتماعية للمدمن ورفاقه والروابط التى تربط بينه وبين هؤلاء الرفاق والرؤية المتبادلة للمدمن وأسرته فى الثقافات المختلفة ومدى الترابط والتوافق داخل الاسرة وخارجها قبل وبعد الادمان ، ومدى الإنعزال والإندماج داخل الاسرة قبل وبعد الإدمان ثم دور ومركز المدمن فى الاسرة قبل وبعد الادمان

وتناول أيضاً المدمن وإتخاذ القرار داخل الاسرة وخارجها والمعايير التى يحتكم المدمنون اليها فى تقسيم بعضهم البعض ورؤية المدمنين لذاتهم ولبعضهم البعض ورؤيتهم لتجار المخدرات ، وكذلك نظرة المدمن للمجتمع فى الثقافات المختلفة وبالعكس .

كما عالج البحث العلاقة بين الثقافة والإدمان من خلال تحديد المفهوم الأنثروبولوچى للثقافة ووظائف الثقافة ورؤية المدمن لثقافته والعكس فى الأنماط المجتمعية المختلفة .

وتناول البحث أعمال الضبط الاجتماعى وظاهرة الادمان فى الثقافات المختلفة ورؤية الأنثروبولوچيا للضبط الاجتماعى وطبيعته ثم تناول أنساق الضبط الاجتماعى المتعددة والاقتصادى والدينى والقرابى والسياسى وأثر كل نسق فى أعمال الضبط الاجتماعى لظاهرة الادمان فى الثقافات المختلفة والعوامل المتعددة المؤثرة فى ذلك

كما تناول البحث الحياة الاقتصادية للمدمنين فى الثقافات المختلفة ، مركزاً على طبيعة وخصائص الحياة الاقتصادية التى يحياها المدمن وأنماط العمل والإنتاج وطبيعة الأعمال التى يقوم بها المدمنون ودوافع العمل لديهم ونظرتهم للوقت بصفة عامة وطبيعة العلاقة بين العمل والفراغ وكيفية الإستفادة من ناتج العمل والعلاقة بين التنقل المهنى والاجتماعى وعملية الادمان فى الثقافات المختلفة .

كما تناولت الدراسة وظائف الفراغ لدى المدمنين ومظاهر استخدام الفراغ والعوامل المختلفة التى تحول دون عمل المدمنين وإمكانية عمل المدمنين بعد الشفاء وطبيعة العقبات التى تواجه عمل المدمنين فى الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

وتناول البحث كذلك أنماط التبادل لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة وأطراف عملية التبادل وأسباب دخول المدمنين فى عمليات التبادل وأساليبهم فى ذلك من خلال عمليات (المساومة والمقايضة والإقراض والإقتراض) ومناسبات التبادل لدى المدمنين والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك .

ويعالج البحث أيضاً أنماط الاستهلاك والادخار لدى المدمنين ونظرتهم للإستهلاك والعلاقة بين الدخل والاستهلاك ونظرتهم لعادات الطعام والملبس والنظافة والاهتمام بالمظهر قبل وبعد الادمان وكذلك نظرتهم لعملية الادخار والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك

وتناول البحث أنماط الملكية لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة ونظرتهم للملكية ودوافع التملك لديهم وأنواع الممتلكات التى يفضلونها والمكانة والهيبة

والسلطة التى يحتلها المدمنون وحقوق الملكية بالنسبه لهم وقيود الملكية لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة والعوامل المتعددة المؤثرة عى ذلك

وعالج البحث التكوين النفسى للمدمن فى الثقافات المختلفة متناولاً نظرة العلوم الاجتماعية والسلوكية للثقافة والشخصية ، ودراسة الشخصية فى التراث الأنثروبولوجى والإجتماعى والنفسى ثم تناول التكوين الجسمى للمدمن فى الثقافات المختلفة والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك

وعالج البحث التكوين الإنفعالى لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة متناولاً مدى الإحساس بالإنجاز والإتمام ، ومدى الإحساس بالفشل ومدى تدين المدمنين فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً

ثم تناول التكوين العقلى لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة مركزاً على مدى إدراك المدمن للزمن ، ومدى فقدان الذاكرة والنسيان لدى المدمن وضعف الانتباه وعدم القدرة على التفكير الموضوعى فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

وتناول أيضاً التكوين الاجتماعى فى الثقافات المختلفة مركزاً على خصائص التكوين الاجتماعى للفرد بصفة عامة ، ثم التكوين الاجتماعى للمراهق والشباب من الجنسين والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك فى الأنماط المجتمعية المختلفة .

وقدم فى النهاية رؤية أنثروبولوجية للوقاية وعلاج الادمان فى ضوء الخبرة الميدانية .

أما عن النتائج فهى متعلقة بالتساؤلات والقضايا التى عالجها البحث ونجمل أهمها فى النقاط التالية

١ – هناك بعض العقاقير التى تسبب الاعتماد النفسى فقط مثل المنشطات ، الكوكايين ، القنب ، عقاقير الهلوسة ، القات ، التبغ ، القهوة ، المسكنات ، المستنشقات كما ان هناك بعض العقاقير التى تسبب الاعتماد النفسى والعضوى وهى :–

الخمر ، المنومات ، المهدئات ، الافيون ومشتقاته .

٢ – عدم وجود عقاقير تسبب الاعتماد العضوى فقط بدون ان يسبقه الاعتماد النفسى .

٣ – اعتماد ظاهرة الادمان على عوامل ثلاثة هى :–

أ – العقار من حيث تركيبه وخواصه الكيميائية وطريقة استعماله ومدى توفره وسهولة الحصول عليه من دونه وصورة المادة التى يحصل عليها ونظرة المجتمع للعقار

ب – المدمن نفسه من حيث العوامل الوراثية وشخصية المدمن وتكوينها الاجتماعى والنفسى وعوامل السن والجنس والطبقة الاجتماعية المهنية والحالة الاجتماعية وكذلك وجود او عدم وجود بعض الامراض النفسية والجسمية .

جـ – البيئة من حيث الاسرة والتربية وسلوك الوالدين والمحيط الاسرى برمته وكذلك العادات والتقاليد التى تحيط بالفرد وكذلك العوامل الدينية وعوامل الحروب وعدم الاستقرار السياسى والاجتماعى .

ولقد اختلفت هذه العوامل فى الثقافة البدوية عن الثقافة القروية عن الثقافة الحضرية مما جعل ظاهرة الادمان لها خطورتها فى المجتمع

الحضرى وتقل تدريجياً فى المجتمع القروى ثم انحسب حضورنه الى حد كبير فى المجتمع البدوى ومرد ذلك اختلاف السياج الاجتماعى والنفسى والثقافى الذي يحيط بالفرد فى كل نمط مجتمعى على حدة

٤ – المخدرات من كل الانواع مدمرة للانسان وقواه العقلية وتكرينه النفسى ويتفاوت تاثيراتها فيما بينها ولكن اشدها فتكاً بالانسان عقار الهيروين ، مع العلم بأن المخدرات قد تؤدى فى بعض الحالات خدمات طبية لو استخدمت بحذر وبقدر معين وتحت الاشراف الطبى خاصة فى علاج الحالات المستعصية .

٥ – وجود علاقة قوية جداً بين الادمان والجريمة حيث ان ادمان المخدرات من اى الانواع وخاصة الهيروين ينزع الانسان من مملكة الانسان الى مملكة الحيوان الذى لايعى تصرفاته وافعاله السلوكية وتتسلط عليه غرائزه ويتملك منه نوازع الشر والحقد والكراهية على الآخرين والمجتمع وبناء عليه يحاول الحصول على الاموال لانفاقها على ادمان المخدرات عن طريق السرقة والنصب والاختلاس والرشوة حتى لو وصل الامر الى القتل حتى لأقرب المقربين .

٦ – وجود علاقة قوية بين انتشار ادمان الانواع المختلفة للمخدرات وطبيعة المجتمع من حيث درجة تحضره او تقليديته فأثبتت الدراسة ان المخدرات لا تنتشر فقط فى المجتمعات النامية او التقليدية كما ذهب جرفتل ادوارد والدليل على ذلك ان انتشار انواع متطورة من المخدرات فى امريكا واوروبا بدرجة تفوق المجتمعات التقليدية واقبال ابناء تلك المجتمعات عليها من مختلف الاجناس والاعمار والطبقات الاجتماعية ومرد ذلك تصدع نسق القيم وانعدام التمسك بالعادات والتقاليد وانحسار الضبط الاجتماعى المتمثل فى سلطة الاسرة او العشيرة كما هو الحال فى الانماط المجتمعية التقليدية المنتشرة فى البلدان النامية .

٧ – اثبتت الدراسة ان المجتمعات التقليدية خاصة البدوية والقرويه وبناء على انساق الضبط الاجتماعى المتمثل فى القواعد العرفية وانساق القيم والعادات والتقاليد التى تلعب دوراً هاماً حاسماً فى الحد الى حد كبير من انتشار المخدرات وبالذات الانواع المدمرة منها كالهيروين والكوكايين وهذا يعنى أن هناك انواع معينة من الخدرات مقبولة اجتماعياً واخرى غير مقبولة اجتماعياً وهذا يرجع الى رؤية المجتمع المحلى التقليدى والـــسرى كما يذهب البعض الى خطورة تلك المواد عن الاخرى .

٨ – اذا كان ادمان المواد المخدرة يؤثر على الانسان من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والنفسية وبالتالى على حالته وقواه العقلية فتجعله يعامل معاملة من فقد عقله او من اصبح بلا ارادة اى مسلرباً لارادته ، ذليلاً عبد للكيف ، ضعيف الشخصية وتجعل لديه قصور فى الملكات العقلية بل ان هناك انواع معينة من المواد المخدرة تؤدى الى الجنون مثل الهيروين وبناء عليه تكون مسئولية المدمن عن الفعل الاجرامى قاصرة حيث انه يكون قد وقع تحت تأثير واكراه نفسى وجسمى ومعنوى وخير دليل على ذلك ان المدمن على اى نوع من المواد المخدره فيما عدا الحشيش الى حد بسيط من الممكن ان يفعل اى شىء يطلب منه فى سبيل الحصول على الجرعة المطلوبة خاصة مدمن الهيروين او الافيون او المورفين والخمر الى حد كبير.

٩ – سيادة اعتقاد خاطىء ويعد سبباً رئيسياً فى انتشار المخدرات فى المجتمعات الاسلامية الا وهو الاعتقاد لدى المتعاطين بأن وان حرم الله الخمر الا انه لم يرد فى الشريعة الاسلامية ما يحرم المخدرات ومن ثم فهى من المباحات فى نظرهم ، لذلك نجد الكثيرين ممن يحرصون على اداء فرائض دينهم الاسلامى من صلاة وصوم وزكاة وحج بقدر ما يتجنبون الخمر الا انهم لا يجدون غضاضة فى ادمان المخدرات لهذا الاعتقاد

الحاطيء وربما لو علم هؤلاء الحكم الصحيح للمخدرات فى الشريعة الاسلامية تابهم يمتنعون عن تعاطيها وهذا يدل على ان الكثير من ابناء تلك المجتمعات لديهم قصور فى الوعى الدينى او ما يمكن تسميته التربية الدينية وهنا يبرز الدور الدينى عن طريق المؤسسات الدينية المختلفة وهيئاتها الرسمية وغير الرسمية المنتشرة فى كل ربوع مصر للتوعية من اضرار المخدرات والحد من انتشارها

١٠ - ان استعراض التشريعات الخاصة بالادمان والاتجار فى المخدرات فى تاريخ المجتمع المصرى نجد ان هناك تفاوتاً واضحاً فى تحديد عقوبة تجريم جالب المواد المخدرة او الاتجار بها او زراعتها او تصنيعها او تعاطيها فى تلك المراحل المختلفة . فضلاً عن إختلاف تحديد وجدولة الانواع المتعددة للمخدرات فى كل مرحلة سواء قبل الثورة وبعدها ومرحلة الانفتاح وماتلاها ، والذى يعنينا هنا هو تفاوت العقوبات من حيث شدة العقوبة او تخفيفها ويرجع ذلك لظروف المجتمع المصرى السياسية والمجتمعية من جميع النواحى . ولكن هذا التفاوت الواضح هو الذى جعل مشكلة المخدرات من حيث الاتجار او الادمان تتفاقم يوماً بعد يوم حيث ان خط التشريعات لم يسر فى خط واحد وبعقوبات متدرجة تتفق مع ظروف المجتمع المصرى من ناحية وظروف المجتمع الدولى من ناحية اخرى وما تتطلبه التطورات الهائلة التى حدثت فى مجال الجلب والإتجار وتخليق المواد المخدرة لكى تكون مواكبة للاسباب المختلفة والمتعددة من جميع النواحى لانتشار الاتجار والتعاطى ومن ثم الادمان فى المجتمع المصرى .

١١ - المدمن بصفة عامة مهما اختلف انتماؤه الاجتماعى والثقافى عبارة عن شخص غير عادى وغير سوى لم يستطع ان يتفاعل ويتكيف مع ظروف حياته الاجتماعية خاصة وان المخدرات بدأت تنتشر بين كل

الطبقات الاجتماعية والمهنية والعمرية المختلفة مما جعلها تشكل ظاهرة خطيرة تقصف بحياة المجتمع المصرى عامة

١٢ - المدمن فى المجتمع البدوى هو مدمن البيره فى المحل الاول ثم يأتى الحشيش فى المرتبة الثانية يعقبها الحبوب المنشطة والافيون خاصة كبار السن ثم الخمره الى حد بسيط ، الا ان مدمن الهيروين لا يوجد الا فى حالات قليلة للغاية ، الا ان المدمن الشاب البدوى ليس له مزاج او كيف محدد فقد يدمن على البيره والحشيش والحبوب المنشطة خاصة الاثرياء وبناء عليه لا يشكل المدمن البدوى اى خطورة على المجتمع لعدم ادمانه على الانواع المدمرة ولخشيته من المجتمع والمحيط الثقافى له .

١٣ - يأتى ادمان الحشيش فى المرتبة الاولى فى المجتمع القروى ثم الافيون ويأتى بعد ذلك مدمن الخمرة والبيرة وينتشر ادمان الحبوب المخدرة بين شباب القرية خاصة وتزداد نسبة مدمنى الهيروين من مثيلها فى المجتمع البدوى خاصة بين الحرفيين وطبقة الاثرياء من الشباب وهنا يشكل المدمن خطورة لامكانية ارتكابه جرائم جديدة على القرية المصرية .

١٤ - ازدياد نسبة ادمان الحبوب المخدرة والهيروين فى المجتمع الحضرى بصورة كبيرة عن الانماط المجتمعية الاخرى ويأتى بعدها الحشيش والافيون وهنا تكمن خطورة المدمن فى المجتمع الحضرى نظراً لاتساع المدينة والتنوع والتمايز الاجتماعى والثقافى والعرقى بين ابنائها .

١٥ - التكوين الاجتماعى للمدمن فى المجتمع البدوى اكثر استقراراً كما انه اشد ارتباطاً بأهله وذويه عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى وعكس الحال تماماً بالنسبة للمجتمع الحضرى وهذا يعد احد الاسباب الاساسية والجوهرية وراء ازدياد خطورة المشكلة فى هذا النمط الحضرى عن الانماط المجتمعية الاخرى .

١٦ - اختلاف اسباب ودوافع الوصول الى مرحلة الادمان فى الثقافات المختلفة وهذا مرده الاساسى اختلاف التوجيه الثقافى والنظرة الاجتماعية للمدمن نفسه على مختلف المواد المخدره وقد تم ذكر الاسباب والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية المختلفة التى ادت الى انتشار الادمان فى كل نمط مجتمعى على حدة .

١٧ - اختلاف العوامل التى ادت الى انتشار مواد مخدرة دون اخرى فى المجتمع البدوى والقروى والحضرى كالعومل الطبيعية - العوامل الثقافية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... الخ .

١٨ - عدم انتشار الادمان على اى مادة مخدرة بين الاناث من كل الطبقات العمرية فى المجتمع البدوى فيما عدا شرب البيره لدواعى صحية حيث يشربها الصغار والكبار كما لو كانت شاياً وهذا بالعكس الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى حيث نجد انتشار تعاطى مختلف انواع المخدرات بين الاناث من مختلف الطبقات العمرية ويرجع ذلك لعدة اسباب اهمها انتشار الطلاق وخروج المرأة الى العمل والاحتكاك المباشر بمختلف وسائل الاتصال السمعية والبصرية وزيادة الجنوح والطموح المادى للمرأة فى ذلك النمط المجتمعى عن النمطين الاخرين

١٩ - عدم انتشار المواد المخدرة بين الشباب البدوى خاصة الانواع المدمرة كالهيروين اسوة بالانماط المجتمعية الاخرى ومرد ذلك العادات والتقاليد ونظرة المجتمع للهيروين وعدم اقبال البدو على الاتجار فيه وعدم التنوع والتمايز العرقى والمهنى ووجود الشباب دائماً تحت دائرة المراقبة مادياً واجتماعياً عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى

٢٠ – عدم انتشار اى انواع للمواد المخدرة فى المجتمع البدوى خاصة الحبوب المخدرة بين تلاميذ المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية عدا بعض حالات تدخين السجائر ، رغم انتشارها بين تلاميذ تلك المراحل فى المجتمع القروى عنها فى المجتمع البدوى وتزداد بنسبة كبيرة بين قرنائهم فى المجتمع الحضرى .

٢١ – ارتباط الادمان على مواد مخدرة دون اخرى والطبقة المهنية وقد ورد ذكر ذلك تفصيلياً فى متن البحث .

٢٢ – المدمن على المواد المخدرة وبالذات الانواع المدمرة له نفسياً وجسمياً وبالتالى اجتماعياً واقتصادياً مثل الهيروين والمورفين والافيون والكوكايين مريضاً وليس مجرماً ويحتاج الى علاج نفسى واجتماعى بتضافر جهود متعددة تعمل فى معية وتناسق وتناغم من اجل انقاذه .

٢٣ – أدى إختلاف أساليب وأماكن التعاطى فى الثقافات المختلفة الى قلة إنتشار الإدمان على المواد المخدرة وبخاصة المدمرة فى المجتمع البدوى الى حد كبير وكذلك فى المجتمع القروى ، فى حين إنتشارها بصورة أكبر فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك الإحتياطات والتحذيرات المرتبطة بالقيم والمعايير والتقاليد البدوية والتى تقترب منها إلى حد كبير مضامين الثقافة القروية فى حين تختلف تلك الأمور فى المجتمع الحضرى الى حد كبير .

٢٤ – تلعب انساق الضبط الاجتماعى المختلفة (النسق الاقتصادى والنسق الدينى والنسق القرابى والنسق السياسى) دوراً بالغ الاهمية فى ضبط سلوك أعضاء المجتمع البدوى الى حد كبير وأدى ذلك الى عدم

إنتشار المواد المخدرة إلا بصورة قليلة وبالذات الحشيش والبيرة وبعض الحبوب المخدرة فى حين تزداد نسبة الإدمان فى المجتمع القروى عن ذلك الي حد بسيط ، بينما تزداد النسبة كثيراً فى المجتمع الحضرى .

٢٥ – تفوق اساليب الضبط غير الرسمى على الضبط الاجتماعى الرسمى فى المجتمع البدوي الى حد كبير بينما يقل ذلك الى حد بسيط فى المجتمع القروى ، إلا اننى لمست تفوق وسائل الضبط الرسمى علىأساليب الضبط غير الرسمى فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك الأخذ بالأساليب الحديثة وإنتشار المؤسسات والنظم الدستورية والتشريعية والتنفيذية المنوط بهاضبط سلوك أعضاء المجتمع فى جميع النواحى .

٢٦) لقد كان للتفاوت الواضح فى خصائص الحياه الاقتصادية فى المجتمع البدوى من البساطة والتكنولوجيا البسيطة وعدم وجود تقسيم عمل حقيقى وعدم التمايز المهنى الواضح وعدم زيادة فرص التنقل الاجتماعى والمهنى بشكل واضح الى حدٌ بسيط فى المجتمع القروى وبشكل أكثر وضوحا فى المجتمع الحضرى أثر بالغ الاهمية فى زيادة انتشار مواد مخدرة دون أخرى فى كل نمط مجتمعى على حدة وانتشار جميع أنواع المواد المخدرة التقليدية والتخليقية والمدمرة بصفة خاصة بين صفوف الشباب من الجنسين من مختلف الطبقات العمرية فى المجتمع الحضرى مما جعل الظاهرة اكثر وضوحا وخطورة فى ذلك النمط المجتمعى عن الانماط التقليدية الاخرى .

٢٧) عدم اختلاف النظرة للاعمال أو طبيعتها بالنسبة للمدمن البدوى عن البدو بصفة عامة وكذلك المدمن القروى على الحشيش بخاصة وكذلك الذين يعيشون فى ظل الاسر الممتدة إلا قليلا وقد ينتاب أداؤه للعمل بعض

الخمول والكسل والاهمال ، إلا أن النظرة تتبدل وتختلف كثيرا فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك تنوع أنماط العمل والانتاج عكس الحال فى أنماط العمل والانتاج التقليدية فى نمطى المجتمع البدوى والقروى وكذلك تنوع الحرف والمهن وانتشار المواد المخدرة بكل أنواعها بعيدا عن الضبط غير الرسمى والرسمى فى أغلب الاحوال.

٢٨) لا تختلف دوافع العمل بالنسبة للمدمنين البدو عن البدو بصفة عامة ومرد ذلك عدم ادمان البدو على المواد المخدرة المدمرة كالهيروين والمورفين وحقن الماكس اسوة بالمجتمع القروى الى حد بسيط وبخاصة الاسر الممتدة وعكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى وخشية من عوامل الاحتقار والازدراء واللوم الاجتماعى الذى قد يتعرض لهم المدمن البدوى والمدمن القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة وتلك العوامل لا يعيرها المدمن الحضرى اهتماما ولو ضئيلا وبخاصة الذين أدمنوا على الهيروين والمورفين وحقن الماكس خصوصا الحرفيين واصحاب الاعمال اليدوية وكل من يقع فى هذه الدائرة اللعينة حتى لو كانوا من أصحاب المناصب والمراكز والاوضاع والطبقات الاجتماعية المتميزة في المجتمع .

٢٩) يعد عنصر الوقت غير هام للبدو بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة عكس الحال فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير إلا أن المدمن فى المجتمع القروى والحضري بات لا يهتم بالوقت ولا يعيره اهتماما إلا أصحاب الاعمال والاثرياء والتجار وخصوصا أولئك الذين يدمنون على الحشيش وعدا ذلك فالوقت ليس له قيمة واهمية خصوصا مدمنى الهيروين والمورفين وكافة المواد التخليقية الخطرة .

٣٠) ليس هناك تحديد فاصل بين العمل والفراغ فى حياه البدو عامة والمدمن البدوى خاصة وكذلك المدمنين القرويين الذين يعيشون فى أسر ممتدة خصوصا مدمنى الحشيش ، عكس الحال فى المجتمع الحضرى بالنسبة لمدمنى الحشيش وبخاصة من لديهم أعمال أو وظائف أو مراكز معينة متميزة يشغلونها فالوقت لديهم له أهمية مع الأخذ فى الاعتبار بعض عوامل الاهمال والكسل والبلادة فى الحس ، إلا أن الامر يختلف كلية فى حالة الادمان على المواد التخليقية الخطرة .

٣١) الاستفادة من ناتج العمل فى المجتمع البدوى تتم بصورة جماعية للمدمنين والبدو بعامة وكذلك الحال فى المجتمع القروى وبخاصة فى الاسر الممتدة حيث أن نمط المعيشة السائد هو النمط الجماعى عكس الحال فى الاسر النووية فى القرية أو فى المجتمع الحضرى بصفة عامة . وبناء عليه لا تتأثر مصادر انفاق الأسر ومطالبها نتيجة ادمان أحد أعضائها فى الانماط التقليدية من خلال الاسر الممتدة حيث أن مقاليد الثروة والسلطة وتوزيع ناتج العمل فى يد كبار رؤوس العائلات عكس الحال فى الاسر النووية سواء فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير .

٣٢) هناك علاقة وطيدة بين نوع المهنة وادمان انواع معينة من المواد المخدرة دون أخرى ولهذا السبب لم نجد تنوعاً فى المواد المخدرة فى المجتمع البدوى لعدم وجود تمايز مهنى وحرفى واضح ، والانشطة الانتاجية لا تتعدى المصادر الانتاجية التقليدية ويختلف الامر الى حد بسيط فى القرية نتيجة زيادة موجات الهجرة من والى القرية وزيادة التنوع الحرفى والمهنى وانتشار التعليم ... الخ مما أدى انتشار انواع متعددة عن المجتمع البدوى ، إلا أن العلاقة بين المهنة والادمان على مادة دون أخرى واضحة تماما فى المجتمع الحضرى وتختلف باختلاف الوظائف والمراكز والمهن

وسبق شرحها تفصيلا فى متن البحث .

٣٣) هناك علاقة وطيدة بين التنقل المهنى والاجتماعى والادمان وإن كان هذا لا يبدو إلا بصورة بسيطة جدا فى المجتمع البدوى ولكن يظهر بصورة أكثر وضوحا فى المجتمع القروى ، وبشكل واضح للغاية فى المجتمع الحضرى ، حيث لعب الثراء المفاجئ لبعض الفئات الى الدخول فى دائرة الادمان على مختلف الانواع ، كما أن ادمان بعض الفئات والعناصر والمراكز المتميزة لبعض المواد المخدرة خصوصا التخليقية أن أدى الى حدوث تنقل مهنى بل وافتقادهم لمهنهم فى أغلب الاحوال ومن ثم افتقاد المكانة الاجتماعية وحدوث ثمة تنقل اجتماعى واضح داخل الاسرة وخارجها بل وعلى صعيد المجتمع ككل ، كما نجد أن عدم الاستقرار المهنى والتنقل خصوصا فى المجتمع الحضرى كان له دور بالغ الاهمية فى دخول بعض عناصر من أبناء المجتمع الحضرى خاصة الى دائرة الادمان على المواد المخدرة بجميع أنواعها .

٣٤) عملية اتخاذ القرار بشأن عمليات التبادل الشعائرى أو العملى فى المجتمع البدوى وتحديد ادوار الافراد فيها تقع على عاتق كبار رؤوس العائلات وكذلك الحال فى الاسر الممتدة فى المجتمع القروى ، حيث نجد أن كل فرد سواء مدمن أو غير مدمن يؤدى دورا محددا مرسوما له وبخاصة مدمنو المواد التقليدية ، كما أن تعظيم المنفعة وتدنيه الخسارة لا يظهر جليا حيث أن العائلات جميعها مرتبطة بعلاقات نسب ومصاهرة وهنا تحديدات وقواعد واضحة بشأن عمليات التبادل داخل النسق القرابى وخارجه بما يضمن سيادة علاقات التساند والتكامل الاجتماعى بين أعضاء المجتمع جميعا فى النهاية عكس الحال فى المجتمع الحضرى حيث تختلف عمليات التبادل على اختلاف المواد المخدرة واختلاف العلاقة بين طرفى التبادل ومدى العلاقات بينهما وفى الغالب ما تأخذ عمليات التبادل بين المدمنين التبادل تعظيم المنفعة وتدنية الخسارة فى المحل الاول قبل الاعتبارات الاجتماعية .

٣٥) هناك إختلاف واضح بين عناصر التكوين النفسى للشخصية فى الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً حيث يختلف التكوين الجسمى والتكوين العقلى والحالة المزاجية والنواحى الخلقية والتكوين الاجتماعى ، وهذا مرده اختلاف الظروف البيئية الطبيعية والظروف المجتمعية وكذلك المحيط الثقافى الذي يواجه المجتمع فى كل نمط مجتمعى على حده .

٣٦) هناك إرتباط بين بعض الأمراض خصوصاً الأمراض الخطرة وكذلك ذوى العاهات وعملية الإدمان وكذلك بعض مرضى الأمراض النفسية والعصبية وكذلك عند عجز بعض الغدد عن القيام بوظائفها مما قد يضطر البعض الى الإستعانة بالعقاقير التى قد تؤدى الى حالة من الإدمان .

٣٧) هناك إرتباط بين الفشل والنجاح فى الحياة والتدين وعملية الادمان ، حيث توصل البحث الى أن نسبة كبيرة من المدمنين غير راضين عن حياتهم العائلية والعملية وكذلك احساسهم بالفراغ الدينى والنفسى وعدم التوازن الاجتماعى .

٣٨) لقد أدى إختلاف التكوين الإجتماعى للمراهق والشباب من الجنسين فى الثقافات المختلفة وإختلاف الظروف المجتمعية والبيئية المؤثرة في التكوين الاجتماعى الى إختلاف أنواع المواد المخدرة فى تلك الثقافات المختلفة .

مراجع الكتاب

أولاً : المراجع العربية

ثانياً : المراجع الأجنبية

أولاً المراجع العربية :

١ – أحمد أبو زيد : البناء الإجتماعى ، الجزء الثانى ، "الانسان" دار الكتاب العربى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦ .

٢ – أحمد الخشاب : دراسات انثروبولوچية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠

٣ – إبراهيم نافع : كارثة الإدمان ، الاهرام ، ١٩٨٩ .

٤ – أحمد عكاشة : الادمان خطر ، كتاب اليوم الطبى ، عدد ٤٤ ، ١٩٨٧ .

٥ – أحمد على طه ريان : المخدرات بين الطب والفقه ، دار الاعتصام ، ١٩٨٤

٦ – أحمد محمود حافظ : المخدرات ، أنواعها وأضرارها ، دار عكاظ للنشر (د . ت) .

٧ – إسماعيل عبد الفتاح : السموم البيضاء بين الدين والقانون والقيم ، الهيئة العامة للإستعلامات ، ١٩٨٧ .

٨ – جلال ثروت : الظاهرة الإجرامية ، دراسة فى علم الإجرام والعقاب ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٣ .

٩ – زكريا إبراهيم : الجريمة والمجتمع ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ .

١٠ – زين العابدين سليم : تقسيمات المخدرات ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية ١٩٨٨ .

١١ – السيد عماد : فاعلية العلاج بالحشيش ، مجلة العربى الكويتية ، عدد أغسطس ، ١٩٨٠ .

١٢ – سعد المغربى : ظاهرة تعاطى الحشيش ، دراسة نفسية إجتماعية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣

١٣ – سعد المغربى : تعاطى المخدرات ، المشكلة والحل ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٦ .

١٤ – سناء الخولى : الاسرة والحياه العائلية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ .

١٥ – صفوت محمود درويش : عصابة القرد ، المركز العربى للنشر والتوزيع (د . ت) .

١٦ – صفوت محمود درويش : مكافحة المخدرات بالتربية والتعليم ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ .

١٧ – عادل رسلان : حكم المخدرات والمفترات وتداولها فى التشريع الاسلامى ، نهضة مصر ، ١٩٨٥ .

١٨ – عادل صادق : الادمان له علاج ، دار النشر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

١٩ – عبد الباسط حسن : اصول البحث الاجتماعى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٢٠ – عبد الحميد الشواربى : جرائم المخدرات ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٩٩٠ .

٢١ – عبد الفتاح مراد : التجريم والعقاب فى قوانين المخدرات ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

٢٢ – عبد الله عبد الغنى غانم : التبادل وعمليات الاستثمار فى المجتمع المحلى التقليدى والحضرى ، دراسة مقارنة فى الانثروبولوجيا الاقتصادية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٢ .

٢٣ – عبد الله عبد الغنى غانم : البغايا والبغاء ، دراسة سوسيوانثروبولوجية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٠ .

٢٤ – عبد الله عبد الغنى غانم : سجن النساء ، دراسة انثروبولوجية ، المكتب الجامعى الحديث ١٩٨٨ .

٢٥ – على أحمد عيسى : المجتمع العربى ، دراســات إجتماعية عملية ، دار المعارف ١٩٦١ ،

٢٦ – على اسلام الفار : الانثروبولوجيا الاجتماعية ، المجتمعات البدائية ، جـ ١ ، الشركة القومية للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨ .

٢٧– عزت حسنين : المسكرات والمخدرات فى الشريعة والقانون ، منشأة المعارف ، الاسكندرية

٢٨ – عمر شاهين : الادمان وخطورته ، مركز المعلومات والتوثيق ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٢٩– فاروق أحمد مصطفى : الموالد ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

٣٠– فاروق مصطفى إسماعيل : العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٥ .

٣١- فاروق مصطفى إسماعيل : مشكلة تعاطى المخدرات بين الشباب ، بحث ميدانى جـ ٢ ، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة ١٩٨٩ .

٣٢- فوزى رضوان العربى : الحيازة فى المجتمع البدوى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨٠ .

٣٣ - فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ .

٣٤ - محمد أحمد بيومى : السياسة الاجتماعية والتشريعية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ .

٣٥ - محمد السيد غلاب : البيئة والمجتمع ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٣٦ - محمد سلامه غبارى : الانحراف الاجتماعى ورعاية المنحرفين ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ١٩٨٦ .

٣٧ - محمد سلامه غبارى : الادمان - اسبابه ونتائجه وعلاجه ، دراسة ميدانية ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ١٩٩١ .

٣٨ - محمد زكى أبو عامر : قانون العقوبات - القسم العام ، دار المطبوعات الجامعية ، ١٩٨٦ .

٣٩- محمد عاطف غيث : دراسة فى المجتمع القروى المصرى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ .

٤٠- محمد عباس : المخدرات والإدمان ، المواجهة والتحدى ، اخبار اليوم ، ١٩٨٩ .

٤١ - محمد عبد المقصود : المخدرات بين الوهم والتدمير ، الهيئة العامة للإستعلامات .

٤٢ - محمد عبده محجوب : الضبط الإجتماعى فى المجتمعات القبلية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤٣ - محمد عبده محجوب : الانثروبولوچيا ومشكلات التحضر ، دراسة حقلية فى منطقة الخليج العربى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

٤٤ - محمد على الباز : المخدرات الخطر والوهم ، دمشق ط١ ، ١٩٨٨ .

٤٥ - محمد على محمد : المجتمع والثقافة والشخصية ، مدخل الى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ .

٤٥ - محمد على محمد : وقت الفراغ في المجتمع الحديث ، مبحث فى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

٤٦ - محمود الشربينى : المخدرات وحكمها فى الشريعة الاسلامية ، مجلة المحاماه ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٥ .

٤٧ - محمد يسرى إبراهيم : إقتصاديات مجتمع الانفتاح ، دراسة فى الانثروبولوچيا الاقتصادية ، دار أم القرى للطباعة ، الاسكندرية ، ١٩٩١ .

ثانيا . المراجع الاجنبية

1) *- Anderson. Nels.* : Work and Leisure, Routledge & Kegan Paul London, 1980.

2) *- Abrams. Charles.* : Man's Struggle or Shelter in an Urbanizing World, Chicago the Massachusetts Institute of Technology, 1964.

3) *- Barber. B.,* : Drugs and Society, N.Y., Pussel Sage, Foundation, 1967.

4) *- Bailey. F. G.,* : The Peasont View of the Bad Life, the dvancement of Science, vol 23, 1966.

5) *- Beals. R. A.,* : Culture in Process Hoet, Rusehort and Winston, Inc., 1979.

6) *- Bell. H. E.,* : Social Foundations of Human Behavior, Harper & Row, N.Y., 1961.

7) *- Best. Fred* : The Future of Work, Prentice-Hall, England Cliffs, 1973.

8) *- Beveridge and After.* : Social Security by V.N. George London. Routledge & Kegan Pual, 1968.

9) *- Dror. Yehezkel.* : Law and Social Change in Wilhelm Aubert (ed) Sociology of Law, England, Pengium Book, 1972.

10) - *Dalton, G.*, : Economic Development and Social Change, The Modernization of Village Communities, American Museum Source Books in Anthropology, 1971.

11) - *Dalton, G.*, : Primitive Archaic and Modern Economic Essay of Karl Polanys, Beacon Press, 1979.

12) - *Eyden, Jean, L. M.*, : Social Policy in Action, London Routledge & Kegan Pual, 1969.

13) - *Griffitl E. & Awini Arif.* : Drugs Problems in the Socio-Culture Context, A Basis for Policies & Programmes Planning, WFO, Geneva, 1980.

14) - *Parson & Smesler.* : Economy and Society, Free Press, 1965

15) - *Rosalds, Z.*, : Woman Culture & Society, Stanford University Press, California, 1974.

16) - *Theobald, R.* : The Rich and The Poor, London, New English Library, 1966.

فهرس الكتاب

الصفحة

الفصل الرابع : العلاقات الاجتماعية للمدمن فى الثقافات المختلفة

الباب الثالث : الحياة الاقتصادية للمدمنين فى الثقافات المختلفة

تمهيد

مؤلفات الدكتور / يسرى دعبس

١ - اقتصاديات مجتمع الانفتاح
"دراسة في الأنثروبولوجيا الاقتصادية"
٢ - تنمية الموارد البشرية في المجتمع البدوى
"دراسة في الأنثروبولوجيا الاقتصادية"
٣ - الإدمان في الثقافات المختلفة
"دراسة في أنثروبولوجيا الجريمة"
٤ - أوضاع المسنين في الثقافات المختلفة
"دراسة أنثروبولوجية مقارنة"
٥ - الإدمان بين التجريم والمرض
"دراسة في أنثروبولوجيا الجريمة"
٦ - التكوين النفسى للمسنين في الثقافات المختلفة
"دراسة في الأنثروبولوجيا النفسية"
٧ - الحياة الاجتماعية للمدمن في الثقافات المختلفة
"دراسة في أنثروبولوجيا الجريمة"
٨ - التربية والمجتمع
"دراسة في أنثروبولوجيا التربية"

تحت الطبع

١ - الحياة الاقتصادية للمسنين
"دراسة أنثروبولوجية لدور المسنين"
٢ - الانثروبولوجيا العامة
"دراسة للإتجاهات النظرية والمنهجية والمجالات البحثية لفروع علم الإنسان"
٣ - الحمل والولادة في الثقافات المختلفة
"دراسة في الأنثروبولوجيا الطبية"
٤ - الاتجار في المخدرات في الثقافات المختلفة
"دراسة في أنثروبولوجيا الجريمة"

★ المشاركة في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والعربية .
★ الكتابة في العديد من المجلات والجرائد المصرية والأجنبية
(حريتى - الجمهورية - المساء - الغرفة التجارية - البروجريه)

رقم الإيداع

١٩٩١/٣٠٢٣

I.S.B.N. - 977 - 00 - 1627 - 0

هـذا الكتاب

* عالج ظاهرة الإدمان من حيث طبيعتها والعوامل المختلفة المؤثرة فيها

* عالج التأثيرات المختلفة للمواد المخدرة على الانسان والمجتمع .

* وعالج اسباب وعوامل ودوافع الوصول الى مرحلة الادمان فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

* وعالج الحياة الاجتماعية للمدمن من خلال علاقاته داخل الاسرة وخارجها ونظرة المدمنين بعضهم لبعض على مختلف الانواع المخدرة ، واختلاف اساليب واماكن التعاطى فى الثقافات البدوية والقروية والحضرية واثر ذلك على انتشار مواد دون اخرى فى تلك الثقافات المتباينة .

* وعالج العلاقة بين الادمان والضبط الاجتماعى الرسمى وغير الرسمى فى الثقافات المختلفة واثر الضبط الاجتماعى بنوعيه فى الاقلال من خطورة الظاهرة .

* كما عالج الحياة الاقتصادية للمدمن فى الثقافات المختلفة وانماط التبادل للمدمنين على مختلف المواد المخدرة واساليب ومناسبات التبادل ودوافع دخولهم فى عمليات التبادل من دونه وماهى السلع محل التبادل بين بعضهم البعض أو بين افراد المجتمع والعوامل المؤثرة فى ذلك .

* وعالج ايضاً التكوين النفسى للمدمن على مختلف المواد المخدرة وتكوينه الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك فى تلك الثقافات المتباينة .

* وقدم فى النهاية رؤية ميدانية للوقاية وعلاج الادمان من واقع الثقافات المختلفة .

تصميم الغلاف : خالد طلبة